

ديوان السليمانيات

(الجزء السادس والعشرون)

وَدَاعَا أَيُّهَا الْقَرِيضُ!

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة



وَدَاعاً أَيُّهَا الْقَرِيضُ!

(أحسستُ بقرب النهاية والأجل ، وقد دخلتُ عامي الستين ،
فودعتُ الشعر العربي ، على أمل اللقاء به في جنات النعيم!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(شاعر أهل الصعيد)

جميع الحقوق محفوظة

الإهداء

الحمد لله سبحانه وتعالى وعز وجل ، الذي لم يزل قديماً دائماً وخبيراً بالأسرار عالماً ، قرّب من شاء فجعله صانماً قائماً ، وطرد من شاء فصار في بيداء الضلال هائماً ، يفعل ما يريد وإن يأبى العبد راغماً ، ويقبل توبة التائب إذا أمسى نادماً ، أحمده حمداً من التقصير سالماً ، وأصلي على رسوله محمد الذي سافر إلى قاب قوسين ثم عاد غانماً ، وعلى صاحبه أبي بكر الذي لم يزل رفيقاً ملائماً ، وعلى عمر الذي يعبد ربه مسراً كاتماً ، وعلى عثمان الذي قتل مظلوماً ولم يكن ظالماً ، وفيه أنزل (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقانماً) ، وعلى علي الذي كان في العلوم بحراً وفي الحروب صارماً ، وعلى عمه العباس بن عبد المطلب الذي لم يزل حول نصرته حائماً ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأزواج محمد وأصحاب محمد والتابعين لمحمد ، واجعل ذكر الآخرة لقلوبنا ملازماً ، ووفقنا للتوبة توفيقاً جازماً ، وذكرنا رحيلنا قبل أن نرى الموت هاجماً ، واقبل صالحنا واغفر لمن كان آثماً! يا قليل النظر في أمره يا غافلاً عن ذكر قبره أما نقل الموت واحداً واحداً ، وما هو قد أضحى نحوك قاصداً ، كم سلب ولداً وأخذ والداً ، إلى متى تصبح جاهلاً وتمسي مارداً ، وتحث على النهوض وما تبرح قاعداً ، متى يدوب دمع ما يزال جامداً؟ متى ينقص جهل ما يفتأ زانداً؟ يا من إذا قاربه النصيح أضحى متباعداً ، لقد نظرت لنفسك نظراً فاسداً ، كم أشمت بك عدواً وأفرحت حاسداً ، يا نائماً عن خلاصه راقداً ، يا مريضاً ما نرى له عائداً ، كم نوضح الأمثال ونضرب حديداً بارداً ، أترضى لنفسك أيها الإنسان هذا الحال ، أن يكون زاداً لارتحال تذكر عبث اليمين والشمال ، إذا خابت جميع الآمال ، ورأيت حسرة ما جمعت من مال ، وتيفقت فراق الأيتام والأطفال ، وحملت همّاً خفت عنده الجبال ، وبان لك أن حديث المني مُحال ، يا مؤثر الغي تأمل رشدك ، يا راحلاً عن قليل تعرف قصدك ، أصلح بالتقى يومك ، قبل أن تلقى غدك إياك والهوى ودع متعودك. كان الحسن يقول: حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور ، واقرعوا هذه الأنفس فإنها طلعة ، وإنها تنازع إلى شر غاية ، فتبصروا وتشددوا ، فإنما هي أيام قلائل وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت ، فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم ، يا هذا زاحم باجتهادك المتقين ، وسر في سر أهل اليقين ، هل القوم إلا رجال طرّقوا باب التوفيق ، ففتح لهم وما نياس لك من ذلك! يا مقيمين سترحلون ، يا مستقرين ما تتركون ، يا غافلين عن الرحيل ستظعنون ، أراكم متوطنين تأمنون المنون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، طول نهاركم تلعبون ، وطول ليالكم ترقدون ، والفرائض ما تؤدون ، وقد رضيتم عن الغالي بالدون ، لا تفعلوا ما تفعلون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، أما الأموال فتجمعون ، والحق فيها ما تخرجون ، وأما الصلاة فتضيعون ، وإذا صليتم تنقرون ، أترى هذا إلى كم يكون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، أين الغتاة المتجبرون؟ أين الفراعنة المتسلطون؟ أين أهل الخيلاء المتكبرون؟ قدروا أنكم صرتم مثلهم أما تسمعون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، ما نفعتهم الحصون ، ولا رد المال المصون ، هبت زعازع الموت فكسرت العصون ، قدروا أنكم تزيدون عليهم ولا تنقصون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، تقلبوا من اللذات في فنون ، وأخرجهم البطر إلى الجنون ، فاتاهم ما هم عنه غافلون ، (كم تركوا من جنات وعيون ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، لو حصل لكم كل ما تحبون ، ونما جميع ما تؤتون ، ونلتم من الأماني ما تشتهون ، أينفعكم حين ترحلون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، إلى متى؟ وحتى متى تنصحون وأنتم تكسبون الخطايا وتجترحون؟ أأمنتكم وأنتم تسرحون ذنب هلاك فلا تبرحون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون)! الموت مسرع مجد غير

لابث ، والأموال عن قليل تمضي للوارث ، وكأنك بوقوع الحادثات وحصاد الحارث ، يا طويل الأمل هل قلبك لا بث ، لا تسمعن المحال فلست بماكث ، يا مطالباً بالجد وهو لاعب عابث ، يا معاهداً باللسان والعزم ناكث ، يا من أعماله إذا فتشت خبانث ، صرح الشيب وطل ما مجمع ، ووضح فجره وما كان قد تبلج ، أوضح طريق الحذر وبين المنهج ، أين الشباب رحل مسرعاً وهملج؟ إن نار الفراق في القلب تتأجج ، إن فؤاد المتفكر يكاد أن ينضج ، هذه خيول الرحيل قد أقيمت تسرج ، والشكوك قد أزيلت والحق أبلج ، هذا وأنت بالمعاصي مغرى وتلهج ، لك كأس من المنون صرف لا يمزج ، يا من هو في الكفن عن قليل مدرج ، يا لابساً حلة من البلاء لم تنسج ، يا من بضاعته إذا نقدت كلها بهرج ، يا سالكاً طريق الهوى عوسج ، كيف الطمع في المرتجى والباب مرتج؟ يا من ضيقت الذنوب خناقه أين المخرج؟ يا عظيم ففرق في القبر من منك أحوج! اغتم القوم الأيام ، واجتنبوا الخطايا والآثام ، وصمتوا عن رديء الكلام ، وصموا عن استماع الحرام فكأنهم ما يسمعون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، كفوا الأكف عن الفساد ، وهجرت الرؤوس الوساد ، وحضر القلب للمناجاة وانقاد ، وأنتم في سكر الرقاد ، وهم يركعون ويسجدون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، ما أوفى تلك الأحوال ، ما أصفى تلك الخصال ، ما أزكى تلك الأعمال ، جمعوا الهموم فأما الأموال فلا يجمعون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، نقوا بالرياضة وهذبوا ، وابتلوا بفراق المحبوب وجربوا ، وأديروا في فنون التكليف وقلبوا ، فإذا بعدتم يوم الحضور وقربوا ، فماذا تصنعون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، ما ضر النفوس ما نكا فيها ، حين نكافئها ، نعفو عنها يوم اللقاء ونعافئها ، وندخلها جنة يروق فيها صافئها ، ولهم فيها ما يدعون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، نزلوا والله المقام الأمين ، وكتبوا في أصحاب اليمين ، ونالوا كل مئثم ثمين ، وأسكنوا القصور وأعطوا الحور العين ، كلها أبارك ليس فيها عون ، قد عوضوا عن حريق القلق الرحيق ، وأبدلوا عن بريق السيوف الأباريق ، وقوبلت رياضتهم بالروض الأنيق ، فهم يرتعون فيما يربعون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، إخواني توانيتم وسير القوم حثيث ، وصفت أعمالهم ، وفعلكم كدر خبيث ، ونصحناكم ولكن قد ضاع الحديث ، وما أراكم تسمعون (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، يا ربنا وفقنا لما وفققت القوم وأيقظنا ، يا مولانا من سنة الغفلة والنوم ، وارزقنا الاستعداد لذلك اليوم الذي يربح فيه العاملون (الذين هم في صلاتهم خاشعون)! أهدى ديوان: (وداعاً أيها الشعر) لأسرتي فرداً فرداً ، كما أهديه لأمتي المسلمة ، وأخيراً أهديه لكل متذوق وهاو ودارس ومحب للشعر العربي الأصيل! وأنوّه إلى أن ديوان: (وداعاً أيها الشعر) بأكمله ، ليس يحوي من أشعار المجون والسخف والنزق شيئاً. والله لو أجاز الله مثل هذه الأشعار وحاشا وكلا ، لما أحببت أن أكتب منها كلمة ولو بكنوز الأرض. ذلك أن شعر المجون والسخف لا تعجب به إلا النفوس المريضة والقلوب السقيمة! وأعتقد أن الأرض خمت من مثل هذا النوع من العفن! وإنما لنبصر بمنات الشعراء وهذا سمتهم! يُنعم الله عليهم بنعمة الشعر ويلين لهم فنونه وعويصاته ، فإذا بهم يجعلون شكر الله الإفساد والإغواء لعباده! بل الأمر في ديوان: (وداعاً أيها الشعر) على عكس هذا الانحراف ، فهو يُعنى بالقيم والأخلاق والمثل والمبادئ والفضائل ، فينميها ويدعو إليها ، كما يُنفر من السقوط والرذائل!

المقدمة

الحمد لله سبحانه وتعالى وعز وجل ، الذي فلق النوى والحب ، وخلق الفاكهة والأب وأبغض وكره وأحب ، وأمراض وداوى وطب ، أنشأ الحيوان بقدرته فذب ، وبناه فأحسن تدبيره حين رب ، فالعجب لمربوب يجحد الرب ، عم إنعامه وإكرامه فلم ينس في البحر الحوت وفي البر الضب ، أحمده على تبليغنا هذا الدين الشريف الأصب ، وأشكره على إيمان به في القلوب صب ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة اجتمع بها مراد التوحيد واستتب ، وأن محمدا عبده ورسوله المسمى الأمين صغيراً وما شب ، ثم قهر الأعداء فألبسهم الزنار والقب ، وأجيب عنه لكل من عابه وسب ، (تبت يدا أبي لهب وتب) ، وعلى صاحبه أبي بكر الذي خلق صافياً في الصحبة ولب ، وعلى عمر الذي قمع كل جبار على الكفر أكب فكب ، وعلى عثمان المناجي طويل ليلته مناجاة الصب ، وعلى علي أشجع من حامى عن الإسلام وذب! وعلى أصحاب النبي الذين هم خير العرب ، وعلى تابعيه بإحسان وأخلاق وأدب! يا من يعاتبه القرآن وقلبه غافل ، وتناجيه الآيات وفهمه ذاهل ، اعرف قدر المتكلم وقد عرفت الكلام وأحضر قلبك الغائب ، وقد فهمت الملام مكتوب في التوراة يا عبدي أما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض إخوانك ، وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق ، وتقع لأجله وتقرأه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك منه شيء ، وهذا كتابي أنزلته إليك وأنت معرض عنه ، أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك؟ يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك ، فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي إلى حديثه بكل قلبك ، وها أنا مقبل عليك ومحدث لك ، وأنت معرض بقلبك عني ، كان السلف لمعرفتهم بالمتكلم يلهجون بتلاوة القرآن ، قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم ، وكان كهمس بن الحسن يختم القرآن في الشهر تسعين ختمة ، وكان كرز بن وبرة يختم كل يوم وليلة ثلاث ختمات ، وكان في السلف من يمنعه التفكير من كثرة التلاوة ، فيقف في الآية يردددها ، قام تميم الداري ليلة إلى الصباح بأية (أم حسب الذين اجترحوا السيئات) ، وقام سعيد بن جبير ليلة بأية (وامتازوا اليوم أيها المجرمون)! وقال سليمان الداراني: إني لأتلو الآية وأقيم فيها أربع ليال أو خمساً ، ولولا أنني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها ، وقال بعض السلف لي: في كل جمعة ختمة ، وفي كل شهر ختمة ، وفي كل سنة ختمة ، ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ، ما فرغت منها بعد ، وقال أسلم بن عبد الملك: صحب رجل رجلاً شهرين ، فما رآه نائماً لا ليلاً ولا نهاراً ، فقال: ما لي أراك لا تنام؟ فقال: إن عجائب القرآن أطرن نومي ، فما أخرج من أعجوبة إلا وقعت في أخرى! وقال ابن مسعود: من أراد علم الأولين والآخرين ، فليكثر من تلاوة القرآن! يا معرضاً عن تلاوة القرآن مشغولاً باللهو والهذيان ، ستدري من يندم يوم الخسران ، استدرك ما قد فات من هذا الزمان ، وقم في الأسفار ، فليسحر مع الرحمة شان ، وسل العفو عما سلف منك وكان! أيها الناس حاسبوا أنفسكم قبل الحساب ، وأعدوا للسؤال صحيح الجواب ، واحفظوا بالتقوى هذه الأيام ، واغسلوا عن الأجرام هذه الأجرام ، قبل ندم النفوس في حين سياقها ، وقبل طمس شمس الحياة بعد إشراقها ، وقبل ذوق كأس مرة في مذاقها ، وقبل أن تدور السلامة في أفلاك محاقها قبل أن تجذب النفوس إلى القبور بأطواقها ، وتفترش في اللحد أخلاقها ، وتنفصل المفصل بعد حسن اتساقها ، وتشتد شدائد الحسرة حاسرة عن ساقها ، وتظهر مخبات الدموع بسرعة اندفاقها ، وتتقلب القلوب في ضنك ضيق خناقها ، ويطول جوع من كان في الدنيا فاكهاً وتبكي النفوس في أسرها على زمان إطلاقها ، إخواني الأيام مطايا بيدها أزمة ركباتها تنزل بهم حيث

شاعت ، فبينما هم على غواربها ألقتهم فوطنتهم بمناسبة! قال الحسن: يُعرض على العبد يوم القيامة ساعات عمره ، فكل ساعة لم يحدث فيها خيراً تتقطع نفسه عليها حسرات. وكان يونس بن عبيد جالساً مع أصحابه وأحبابه يحدثهم ، فنظر في وجوههم وقال: لقد ذهب من أجلي وأجلكم ساعة ، وكتب الأوزاعي إلى أخ له: أما بعد فقد أحيط بك من كل جانب ، واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة مرحلة ، فاحذر الله تعالى والمقام بين يديه! آه لنفس لا تعقل أمرها ، ثم قد جهلت قدرها ، تضيع في المعاصي عمرها ، وتخوض من الذنوب عُمرها ، إلى متى تعصي وكم تتمرد ، وأقبح من قبيحك أنك تتعمد ، يا رديء العزم يا سيء المقصد ، يا نقي الثوب والقلب أسود ، ما هذا الأمل ولست بمخلد ، أما تخاف من أوعدك وهدد ، يا مستوراً على القبيح أتقر أم تجحد؟ يا من شاب وما تاب ، هذا الدأب مذ أنت أمرد ، يا مشترياً لذة تزول بالعذاب السرمد ، يا مرمياً في جب الهوى ، هذا الحبل وما تصعد ، بالله عليك تأمل نصحي وتفقد ، أما الطريق طويلة فأقبل مني وتزود ، تخلص من أسر الهوى فإلى كم مقيد ، ميز ما يبقى بما يفنى ثم اطلب الأجود ، ما أرى قولي يؤثر فيك ولو درس مجلد ، أظرف من فعلك قلة فهمك وأنت تتبغدد ، أسفى لأيام مضت في الذنوب وتولت ، تحكمت فيها النفس فأفسدتها إذ تولت ، وعلى ليال كست الصحائف لونها فوكست وأذلت ، وعلى ساعات في طلاب الهوى هوت واضمحلّت ، حسرة عن حسير ذهبت وحلت ، آه لشيب كان الشباب منه أصلح ، ولذي عيب ما قرمه العتاب ولا أصلح ، ولمفرط يخسر كل يوم ولا يربح ، ولمتخبط في ظلام الظلم والصبح قد أصبح! وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ، فديوان: (وداعاً أيها الشعر) لمن يعلم ولمن لا يعلم هو خلاصة عام بأكمله من عمري أساجل شعر العرب وأداعبه وأضع بصمتي لتكون شاهداً على العصر! والأصل أن يقدم هذا الديوان غيري ، ولكن للأسف أن الشعر العربي اليوم يعاني أكثر من معاناة شعرائه! فلا رابطة ولا دار ولا اتحاد شعراء وأدباء ولا رواق ولا صالون شعري أو أدبي ولا جهة تتبنى جديد الشعر العربي المعاصر ، اللهم إلا المنحل الساقط المرذول منه! فإن هذا الصنف الأخير يجد البرامج والقنوات والأمسيات والدعم بعد الدعم والمقدمين والملمعين والاتحادات ودور النشر ودور التوزيع والروايات والصالونات والمتصدقين والمتصدقات! وكأن إمكانيات القوم قد رُصدت لحرب الله تعالى وللإفساد في الأرض! وإنه لمظهر من مظاهر التخلف والظلامية والرجعية أن لا يجد شعر القيم والمبادئ والأخلاق اليوم من يتبناه وينتصر له ويدعمه ويسعى في طبعه ونشره وتوزيعه! ومن هنا تحمل شاعر القيم كل هذا وقد أضيف إليه طامة كبرى وثافية الأثافي وهي عدم وجود القراء والنقاد والدارسين! لقد كان شوقي يكتب القصيدة فلا يجف حبرها عنها إلا في دولة أخرى ، حيث يطير بها الشاعر لينشدها في قرطاج أو دمشق أو بغداد أو بيروت أو البسفور أو هناك على شواطئ الدردنيل! وقصائد كتبها منذ أربعة عقود وبعضها لم ير النور ولم يطالعه أحد! فهل هو تقصيري وقد أصبحت بسبب الشعر من الغارمين علم الله؟! أم هو عزوف القراء عن القراءة أصلاً! كنا في الماضي نطالع ديوان فلان أو علان وقد قدمه أستاذ جامعة متخصص أو شاعر نحريز أقدم في كتابة الشعر! واليوم إن طلبنا من أحد هؤلاء طلب المبلغ الطائل كأننا في تجارة! ولست أدري لماذا؟ ويشهد عليّ ربي لقد صححت ونقحت وقدمت ونقدت لوجه الله!

التمهيد

الحمد لله سبحانه وتعالى وعز وجل ، قاهر المتجبر ومذله ، ورافع المتواضع ومجله ،
القريب من عبده فهو أقرب من ظله ، وهو عند المنكسر لا جله ، حال ذله لا يعزب عن سمعه
وقع القطر في أضعف ظله ، ولا بغام ظبي البر وكشيش صله ، ولا يغيب عن بصره في الدجى
دبيب نملة ، رفع من شاء بإعزازه كما حط من شاء بذله ، اختار محمداً من الخلق فكان الكل
خلقوا من أجله ، (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) ، أحمدته
سبحانه على أجل الإنعام وأقله ، وأشهد بوحدانيته شهادة مصدق قوله بفعله ، وأن محمداً عبده
ورسوله أرسله لنقض الكفر وحله ، فقام معجزه ينادي (فانتوا بسورة من مثله) ، {صلى الله
عليه وسلم} ، وعلى أبي بكر الصديق واصل حبله ، وعلى عمر الذي كان يفرق الشيطان من
ظله ، وعلى عثمان مجهز جيش العسرة وعاهد شمله ، وعلى علي بن أبي طالب أخيه وابن
عمه ومقدم أهله ، وعلى عمه العباس صنو أبيه وأصله ، وعلى أصحابه الذين اقتدوا به في
تدينه وجوده ونبله ، وعلى أتباعه الذين جاهدوا الأهل والأنفس والدنيا من أجله! اللهم يا من
جميع الخلائق مفتقرون إلى فضله ، يا منعماً بالجزيل على من ليس من أهله ، سامح كلا منا
في جده وهزله ، وارزقنا إقدام شجاع ولي العدو وجمعه ولم يوله ، وارحمنا يوم يذهل كل خليل
عن خله! يا مؤثراً على العرض العرض ، يا صحيحاً قد قتله المرض ، يا جامعاً للمال والعمر قد
انقرض ، يا هدف البلايا سيصاب الغرض ، يا بائعاً الدين بنيل الغرض ، من لك إذا ضقت عند
الموت بالأهوال ذرعا ، وحالت منك الحلى وأجذب المرعى ، واجتث البلاء منك أصلا وفرعا ،
سالت الأماقي إذا لم ينفع الراقي دمعا ، ولم يستطع للأذى رداً ، ولا للردى دفعا ، وأخرس
الموت منك لسانا وأصم سمعا ، وأضحى خشن التراب بعد لين الثياب لك ذرعا ، وأصبحت لقي
بين القوم في الثرى صرعى ، يا من هو غرض الآفات ترشقه سهامها رشقا ، لا بد مما وصفنا
حتماً وحقا ، فتأهب للفناء فقل ما تبقى ، وتهياً للبلوى فبعيد أن تتوقى ، وأصخ لهاتف العبر فقد
حادثتك نطقاً ، وبادر السلامة فيستحيل الصفور نقا ، واحذر على نفسك أن تخسر وأن تشقى ،
واعمل ليوم ترى فيه مدامع الخلائق لا ترقا ، وهم في أمر عظيم وأكرمهم عند الله الأتقى ، إن
أعطيت بخلت بالمال وبطرت ، ومتى نبت ريش ريشك نبت أرض الشكر فطرت ، كيف بك يوم
تكوى بها جباههم من لك حين توبيخ (هذا ما كنزتم)! يا من إذا خطرت له معصية صمم ، ما
فعلك فعل من يريد أن يسلم ، ما للفلاح علامة والله أعلم إن كان ثم عذر فقل وتكلم ، أيها
المثخن نفسه بجراحات الشباب ، حسبك ما قد مضى سودت الكتاب ، أبعد الشيب وعظ أو زجر
أو عتاب؟ هيهات تفرقت وصل الوصل وتقطعت الأسباب! يا من يجول في المعاصي قلبه وهمه!
يا مؤثر الهوى على التقى لقد ضاع حزمه ، يا معتقداً صحته فيما هو سقمه ، يا من كلما زاد
عمره زاد إثمه ، يا طويل الأمل وقد رق عظمه ، أما وعظك الزمان وزجرك ملمه ، أين
الشباب؟ قل لي قد بان رسمه ، أين زمان المرح لم يبق إلا اسمه ، أين اللذة ذهب المطعوم
وطعمه كيف يقاوي المقاوي والموت خصمه؟ كيف خلاص من قد أغرق فيه سهمه؟ يا لذيغ
الأمل قد بالغ فيه سمه ، يا قليل العبر وقد رحل أبوه وأمه ، يا من سيجمعه اللحد عن قليل
ويضمه ، كيف يوعظ من لا يعظه عقله ولا فهمه ، كيف يوقظ من نام قلبه لا عينه ولا جسمه!
أيها الناس تفكروا لماذا خلقتم ، فالتفكر عبادة وامتثلوا أمر الإله ، فقد أمر عباده والتفتوا عن
أسباب الشقاء إلى أسباب السعادة ، واعلموا أنكم في نقص من الأعمار لا في زيادة ، آه لنفس
أقبلت على العدو وقبلت وبادرت ما يؤذيها من الخطايا وعجلت! من لها إذا نوقشت على أفعالها

وسئلت ، وقررت بقبائنها يوم الحشر فحجلت ، وقيدت بقيود الندم على التفریط وكبلت ، وشاهدت يوم الجزاء قبح ما كانت عملت ، وسل عليها سيف العتاب يوم الحساب! إلى متى هذا التخليط والموت بكم محيط؟ أين الأخ والخليط؟ بادرهما موت نشيط ، كيف يلهو هذا الشميظ وله أسد مستشيط ، عليه وسخ وما يميظ ، لا بل دم عبيط ، يا ربما انقبض النشيظ ، تيقظ فكم هذا الغطيظ ، اقبل نصحي واسمع من الوسيظ ، يا ذا التحرك في الهوى لا بد له من سكون على هذا كانت الدنيا وعليه تكون ، لا يغرنك سهلها فبعد السهل حزون ، لا تنظر إلى فرحها فكل فرح محزون ، تأمل فعلها بغيرك فبغض المقبح يهون ، إن روحك دين الممات وستقضى الديون ، ما فرحها مستتم ولا ترحها مأمون ، ما أضحكت السن إلا وأبكت العيون ، إياك وإيا اللعوب الخؤون ، إنها لدار الغرور ، ومنزل للمنون ، كم نلوم على الغبن وما يعقل المغبون ، مهلاً أضعتم المواعظ قلب هذا مفتون ، يا لائماً لي في الهوى ماذا هوى هذا جنون ، أيها الغافل عما بين يديه ، لا يذكر الموت ولا يلتفت إليه ، شغله عن العواقب ما لديه ، وألهاه ما له عما عليه! وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ، فإن الأصل وكما جرت بذلك العادة أن يقدم هذا الديوان غيري ويقرّظه سواي ويحكم عليه من هو أعلم وأخبر! ولكن كما قلت من قبل وأكرر: ليست المسألة هكذا نحسبها ، فالساحة مشغولة عن شعر القيم بشعر العدم ، والدار مأهولة بشعر السفول لا شعر الأصول ، والناس يبحثون عن شعر يثير غرائزهم ويخاطب شهواتهم وليسوا يبحثون عن شعر يذكرهم بالله ورسوله والدار الآخرة والجنة والنار! فلم يكن بدعاً من التصرفات أن أتولى تقديم شعري والتمهيد له والحكم عليه بنفسه! ويكون نصيب الشاعر الذي يحافظ على الوزن والقافية والوحدة الموضوعية في القصيدة هو التهميش والإهمال كما نرى! فالساحة مشغولة بالشعر الحر كما يسمونه أو باللاشعر المتفلت كما أسميه! وفي مقالة عنوانها: (الشاعر والشعور والشعر الحديث) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (ما أكثر الموضوعات التي بوسعنا التعبير من خلالها عن تلك الفكرة الواحدة ، عن تلك العاطفة الوجدانية ، عن ذلك العبق بالشعور المشترك بالوحدة مع كل شيء. حريٌّ بنا أن نتسامى بالأفكار القديمة ، بدلاً من الضياع في متاهات البحث عن موضوعات فريدة! وحريٌّ بنا من أجل ذلك أن نتسامى بعواطفنا وبأفكارنا لكي نعبر عن حقيقتنا أكمل تعبير. هل يريد الشعر الحديث أن يتخلى عن القوافي والأوزان ليصبح أكثر حرية في التعبير عن شعوره الدفّاق؟ فما أجمل ذلك وما أحلاه! أجل جميل أن يتحرر الشاعر من قوالب الشعر القديمة – وهذا من حقّه. لكن ليس جميلاً ولا من حقّه أن يقع في فخّ عبودية التحرر الزائف. أن نسقط الشكل الخارجي أمرٌ مقبول ما دمنا نحافظ على روح الشعر في قالب جديد متحرر منطلق متماسك وجميل لا يعكّر أبداً صفو الصورة الشعرية الصادقة. إن كنا نستبدل بالشكل القديم الرتيب شكلاً جديداً أكثر تحملاً من القيود الظاهرية ، هل نقع من جديد أسرى قيود اللا انتظام والفوضى والتشتت؟! أليس غريباً أن الشعر الحديث الذي يحاول نقد استيراد القشور من الغرب ، يصير هو نفسه المستهلك الأول للطريقة الغربية الغربية في التعامل مع الفن؟! ألا يحق لي أن أخشى من تحول "شعرنا" إلى بدعة متجددة وإلى "صرعة" مفتعلة؟). هـ. إن العودة بالشعر لما كان عليه من وزن وقافية عبادة لله تعالى!

الافتتاحية

الحمد لله سبحانه وتعالى وعز وجل ، محكم المخلوق ومتقن الصنعة ، ومالك يوم الحشر والجزاء والرجفة ، المقدر ما شاء ، فمن ذا الذي يستطيع دفعه؟ أراد فلم ينتفع العبد إن بذل جهده ووسعه وعلم إخلاص النية من مقصود السمعة ، وسمع فلم يمنع اختلاف اللغات سمعه ، وأبصر حتى جوف الجوف وجريان الدمعة ، وشرع فشهدت العقول بصحة الشريعة ، ومنع فمن ذا الذي يعطي ما قدر منعه ، صفاته كذاته وما يشبه الصانع صنعه ، الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، أحمده سبحانه حمداً يدوم ما دامت الأيام السبعة ، وأشهد أنه فائق الحب عن الطلعة ، وأصلي على عبده ورسوله محمد المبعوث بأفضل شريعة ، وعلى أبي بكر أول من جمع هذه الربعة ، وعلى عمر فتاح الأمصار فكم قلع قلعة ، وعلى عثمان الصابر على مضيض تلك الصرعة ، وعلى علي الذي مدانحه أنفق من كل سلعة ، وعلى عمه العباس أبي الخلفاء وأكرم بهذا البيت رفعة! وعلى أصحابه ذوي البأس والمنعة ، وعلى التابعين له بدون محدثة ولا بدعة! يا غافلاً عن القيامة ، ستدري بمن تقع الندامة ، يا معرضاً عن الاستقامة ، أين وجه السلامة؟ يا مبنياً بالقدرة سينقض بناوك ، ويا مستأنساً بداره ، ستخلو أوطانك ، يا كثير الخطايا سيخف ميزانك ، يا مشغولاً بلهوه سينشر ديوانك ، يا أعجمي الفهم متى تفهم؟ أتعاذي النصيح وتوالي الأرقم؟ وتؤثر على طاعة الله كسب درهم؟ وتفرح بذنب عقوبته جهنم ، ستعلم حالك غدا ستعلم ، ستري من يبكي ومن يندم ، إذا جثا الخليل وتزلزل ابن مريم ، يا عاشق الدنيا كم مات متميم! أفلح أولو الألباب إذ علموا أن الدنيا متاع يفنى ، فعبروها وما عمروها للسكنى ، واشتغلوا بدار كلما نقضت هذه تبني ، طرق الوعظ أسماعهم فتلحموا المعنى ، يأخذون أهبة الرحيل ولا يأخذون عرض هذا الأدنى ، لا كبر عندهم تراهم بين المساكين والزمني ، لو تأملتهم رأيت ضلوعاً على المحبة تحنى ، حلف صادقهم على هجر الهوى فلا والله ما استثنى ، وأقبلوا على قدم الفقر فلما رآهم أغنى ، ذكروا الجنة فاشتاقوا ولا شوق قيس إلى لبني ، قال النبي {صلى الله عليه وسلم} اشتاقت الجنة إلى علي وعمار وسلمان! يا ويح عزيمة نقضت بالهوى ، عهودها ترققت في درجات العلا ، ثم انعكس صعودها ، بينما ثمرها الجد يبس عودها ، لقد سودت الصحائف ، في طلب ما لا تصادف ، متى تذكر المتالف إلى كم وكم تخالف ، كم طوى الدهر من طوائف ، إنما يسلم في الشدة من هو في الرجاء خائف ، إلى متى تضيع الوقت الشريف ، وتعرض عن الإنذار والتخويف ، وتبيع أفضل الأشياء بقدر طفيف ، وتؤثر الفاني على الباقي وهذا الرأي السخيف ، أين لذة فرحك بعد تحرك؟ وأين سرور مرحك في مجترحك؟ إنما العمر أيام معدودة ، والسلامة عوار مردودة! أين الذين كانوا في اللذات يتقلبون؟ ويتجربون على الخلق ولا يغلبون؟ مزجت لهم كؤوس المنايا فباتوا يتجرعون؟ (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) ، مدوا أيديهم الآثمة إلى الحرام ، وأكثروا من الزلل والآثام ، وكم وعظوا بمنثور ومنظوم من الكلام ، لو أنهم يسمعون (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) ، حمل كل منهم في كفن ، إلى بيت البلى والعفن ، وما صاحبهم غيره من الوطن ، من كل ما كانوا يجمعون ، (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) ، ضمهم والله التراب ، وسد عليهم في ثراهم الباب ، وتقطعت بهم الأسباب ، والأحباب كلهم في العادة يرجعون ، (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) ، أين أموالهم والذخائر؟ أين أصحابهم والعشائر؟ دارت على القوم الدوائر ، فقيم أنتم تطمعون؟ (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون)! شغلوا عن الأهل والأولاد ، وافتقروا إلى يسير من الزاد ، وباتوا من الندم على أخس مهاد ،

وإنما هذا من حصاد ما كانوا يزرعون ، (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) ، أين الجنود والخدم؟ أين الحرم والحرم؟ أين النعم والنعم؟ بعد ما كانوا يربعون فيما يرتعون ، (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) ، لو رأيتهم في حُلل الندامة ، إذا برزوا يوم القيامة ، وعليهم للعقاب علامة ، يساقون بالذل لا بالكرامة ، إلى النار فهم جميعاً يوزعون ، (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) ، يا معشر العاصين قد بقي القليل ، والأيام تنادي قد دنا الرحيل ، وقد صاح بكم إلى الهدى الدليل ، إن كنتم يا هؤلاء تسمعون ، (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون)! من للعاصي إذا دعي فحضر ، ونشر كتابه ونظر؟ لم يسمع عذره وقد اعتذر ، وناقشه المولى فما غفر ، آه لراحل لم يتزود للسفر ، ولخاسر إذا ربح المتقون افتقر ، ولمحروم من جنة الفردوس حل في سقر ، ولفاجر فضحه فجوره فاشتهر ، ولمتكبر بالذل بين الكل قد ظهر ، وإلى محمول إلى جهنم فلا ملجأ له ولا وزر ، آه من يوم تكوّر فيه الشمس والقمر ، يا كثير الرياء قل إلى متى تخلص؟ يا ناسي الأنكال إن كال فمتلصص ، ما يتخلص من معامل ولا هو عند الله مخلص ، الدهر حريص على قتلك يا من يحرص ، تفكر فيمن أصبح مسروراً فأمسى وهو متنغص ، ومتى أردت لذة فأذكر قبلها المنغص ، وتعلم أن الهوى ظل والظل متقلص ، وخذ على نفسك لا تسامحها ولا ترخص ، حائط الباطل خراب فإلى كم تجصص؟ أين الهم المجتمع؟ تفرق فما ينتفع ، يدعوك الهوى فتتبع ، وتحدثك المنى فتستمع ، كم زجرك ناصح فلم تطع ، سار الصالحون يا منقطع ، ما الذي عاقك لهو مختدع ، شروا ما يبقى بما يفنى وأنت لم تشر ولم تبع ، أين تعبهم نسخ بالروح ولم يضع ، تلمح العواقب فلتلمها العقل وضع ، كأنه ما جاع قط من شبع ، جز على الشونيزية أو على قبر أحمد وميز من أطاع ممن أضاع ، فقبور الصالحين تؤنس الزائر وقبور الظلمة عليها ظلام متوافر ، جذ على قبور العباد ، وناد في ذلك الناد ، أيتها الأودية والوهاد ، ما فعلت تلك الأوراد؟! سبحان من قسم الأقسام فلقوم يقظة ولقوم منام! قال وهب بن منبه: كان في بني إسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما أن مشيا على الماء ، فبينما هما يمشيان في البحر ، إذا هما برجل يمشي في الهواء ، فقالا له: يا عبد الله بأي شيء أدركت هذه المنزلة؟ فقال: بيسير من الدنيا ، فطمت نفسي عن الشهوات ، وكففت لساني عما لا يعنيني ، ورغبت فيما دعاني ، ولزمت الصمت ، فإن أقسمت على الله أبر قسمي ، وإن سألته أعطاني! يا بعيداً عن الصالحين ، يا مطروداً عن المفlichen ، لقد نصب الشيطان الأشرار ، وجعل حب الفخ هواك ، وكم رأيت مأسوراً وسط ذاك وليس المراد الآن إلاك ، احذر فحه فهو بعيد الفكك ، كم يوم غابت شمسك وقلبك غائب ، وكم ظلام أسبل ستره وأنت في عجائب ، كم ليلة بالخطايا قطعته ، وكم من أعمال قبيحة رفعتها ، وكم من ذنوب جمعته ، والصحف أودعتها ، كم نظرة ما تحل ما خفت ولا منعته ، كم من موعظة تعيها وكأنك ما سمعتها ، وكم من ذنوب تعيب غيرك بها أنت صنعتها ، وكم أمرتك النفس بما يؤدي فاطعتها ، يا موافقاً لنفسه آذيتها خالفها وقد نفعته! إن افتتحنا لديوان: (وداعاً أيها الشعر) يعتبر من النجازات العظيمة التي من الله بها علي! فهي منة من الله أن أمهلني لإكمالها! فبعد الجهد المضني الذي بذل فيه أحس أنني انتصرت! وهذا يعني أننا نقطف ثمرة عمل استمر عاماً بأكمله مع شعر العرب ولغة الضاد! والله أسأل أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينقيه من الرياء والسُمعة وأن يحميه من الطواغيت! وأن ييسر نشره في العالمين بعز عزيز أو بذل ذليل ، وأن يكتب له القبول في الأرض كلها! وأن يجعل شعري الذي ضمّنه ديوان: (وداعاً أيها الشعر) شاهداً لي عنده سبحانه يوم ألقاه! وأن لا يجعله شاهداً عليّ ، وفرق كبير بين الشهادتين!

موضوع الغلاف

الحمد لله سبحانه وتعالى وعز وجل ، الذي رفع السموات مزيّنة بزينة النجوم ، ومثبت الأرض بجبال في أقاصي التخوم ، عالم الأشياء بعلم واحد وإن تعدد المعلوم ، ومقدر المحبوب والمكروه والمحمود والمذموم ، لا ينفع مع منعه سعي فكم مجتهد محروم ، ولا يضر مع إعطائه عجز فكم عاجز وافر المقسوم ، اطلع على بواطن الأسرار وعلم خفايا المكتوم ، وسمع صوت المريض المدنف المحروم ، وأبصر وقع القطر في سحاب مركوم ، (وما ننزله إلا بقدر معلوم) ، جل أن تحيط به الأفكار أو تتخيله الوهوم ، وتكلم فكلامه مسموع مقروء مرقوم ، وقضى فقضاؤه إذا شاء إنفاذه محتوم ، وبتقديره معصية العاصي وعصمة المعصوم ، (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) ، قضى على الأحياء بالممات فإذا بلغت الحلقوم ، فات المقصود المرام وعز المطلوب المروم ، ونقل الآدمي عن جملة الوجود إلى حيز المعدوم ، وبقي أسير أرضه إلى يوم عرضه والقدوم ، فإذا حضر حسابه نشر كتابه المختوم ، وجوزي على ما حواه المكتوب وجمعه المرقوم ، (وعنت الوجوه للحي القيوم) أحمده سبحانه حمداً يتصل ويدوم ، وأشهد أنه خالق الأعيان والرسوم ، وأصلي على رسوله محمد صلاة تبلغه على المروم ، وعلى صاحبه أبي بكر الصديق على السائل والمحروم ، وعلى عمر المنتصف بين الظالم والمظلوم ، وعلى عثمان المتهدد إذا رقد النجوم ، وعلى علي الذي حاز الشرف والعلوم ، وعلى عمه العباس سيد الأعمام على الخصوص والعموم! وعلى جميع أصحابه ذوي الأبواب وصحيح الفهوم ، وعلى تابعيه إلى يوم الوقت المعلوم! أين من اعتمد على رضى الأمل والمنى واتخذهما مالاً مالا؟ أين من تنعم بالعز والفخر وجعلهما حالاً حالاً؟ أين من جمع الأموال بعضها فوق بعض؟ وتصرف بشهواته في طول المنى والعرض؟ ونسي الحساب يوم السؤال والعرض؟ ولم يبالي بعد نيل غرضه بضياح الواجب والفرض؟ أما حظ عن ظهر قصره إلى بطن الأرض؟ خلا والله بقبيحه وحسنه ، وانتبه في قبره من وسنه ، فما نفعته الإفاقة ، في إبان الفاقة ، ولا أفاده التيقظ ، وقد انقضى وقت التحفظ ، تبدل بالأتراب التراب ، وواجه أليم الحساب والعتاب ، وندم على ما خلا في خلاف الصواب ، وتقطعت به الوصل والأسباب ، فاعتبروا يا أولي الأبواب! يا من عمره كلما زاد نقص ، يا من يأمن الموت وكم قد قنص ، يا مانلاً إلى الدنيا هل سلمت من نغص؟ يا مفرطاً في الوقت هلا بادرت الفرص؟ يا من إذا ارتقى في سلم الهدى فلاح له الهوى نكص ، من لك يوم الحشر إذا نشرت القصص؟ ذنوبك كثيرة جمّة ، ونفسك بغير الصلاح مهتمة ، وأنت في المعاصي إمام وأمة ، يا من إذا طلب في المتقين لم يوجد ثمة ، يا من سيلحق في مصرعه وإن أباه أباه وأمه ، متى تنقش هذه الظلمة والغمة؟ متى تنشق أكمة أكمة ذي كمة يا من قد أعماه الهوى ثم أصمه؟ يا من لا يفرق بين المديح والمذمة يا من باع! أين أهل العزائم؟ رحلوا وماتوا! أين أهل اليقظة؟ ذهبوا وفاتوا! قف على قبورهم تجد ريح العزم ، تنفس عندها تحب روح الحزم ، أقبلوا بالقلوب على مقلبيها ، وأقاموا النفوس لدى مؤدبيها ، ومدوا الباع من باع التسليم إلى صاحبها ، وأحضروا الأخرى فنظروا إلى غايتها وسهروا الليالي كأنهم قد وكلوا برعي كواكبها ، ونادوا نفوسهم صبراً على نار البلاء لمن كواكب بها ، ومقتوا الدنيا فما مال المأل إلى ملاعبها ، واشتاقوا إلى الحبيب فاستطالوا مدة المقام بها! كم ناداك مولاك وما تسمع ، وكم أعطاك ولكن ما تقنع ، لقد استقرضك مالك فمالك تجمع ، وضمن أن تثبت الحبة سبعمائة وما تزرع ، ليكن همك في طلب المال الإفضال به فإن الشريف الهمة لا يطلب الفضل إلا للفضل! قال أعرابي لأخيه: إن مالك إن لم يكن لك كنت له فكله قبل أن

ياأكلك ، كم مخلف لمتخلف ترك لمن لا يحمده ، وقدم على من لا يعذره ، ران على القلوب حب الدنيا فجمعتها كف الشره ، وتمسكت بها أيدي البخل فلو تلمحت معنى (من ذا الذي يقرض) أو اشتقت إلى أرباح (فيضاعفه) لرأيت إنفاق كل محبوب حقيراً في جنب ما ترجو! لتعظمن على أهل المخالفات الأفات ، ولتقطعن أفئدة المفرطين بالزفرات ، وليشتهرن الفاجر في الخلوات بالجلوات ، ولتمورن السوق يوم السوق إلى سوق المحاسبات ، ولتسيلن الدماء بعد الدموع على الوجنات ، ولتחסرن أهل المعاصي إذا لاحت درجات الجنات ، ولينادين منادي الجزاء يخبر بتفاوت العطاء ووقوع السيئات ، (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات)! كأتك بما يزعج ويروع وقد قلع الأصول وقطع الفروع ، يا نائماً إلى كم هذا الهجوع؟ إلى متى بالهوى هذا الولوع؟ أتنفك وقت الموت الدموع؟ كم لك إلى التقى عند النزاع نزوع! هيهات لا ينفع بعد فوات الأوان الذل إذأ والخضوع ، يقول: فرقوا المال فالعجب لوجود المنوع ، هذا وملك الموت يسلمها من بين الضلوع ، رشقك سهم المنون فما أغنت الدرود ، وأتى حاصد الزرع وأين الزروع؟ وختت منك المساكن وفرغت الربوع ، وناب غراب البين عن الورقاء السجوع ، وتمنيت أن لو زدت من سجود وركوع ، فاحذر مكر العدو ولا تقبل قول الخدوع! يا مريضاً ما يعرف أوجاعه ، يا مضيع العمر بالساعة والساعة ، يا كثير الغفلة وقد دنت الساعة ، يا ناسياً ذكر النار إنها لنزاعة ، كأنه وملك الموت قد أزجه وأراعه ، وصاح بالنفس صيحة فقالت: سمعاً وطاعة ، ونهضت تعرض كاسد التوبة وهيهات هيهات غلق الباعة ، يا سيئ النظر لنفسه في وجه شمس فهمك ، غيم بين دائك ودوانك حجاب ، لو أهمتك نفسك سعيت لها في الخلاص ، لو رضيت بالبلغة ما استرهن قلبك كسب الحطام ، لو قنعت كلاب الصيد بالمنبوذ ما كانت السواجير في حلوقها! لله در أقوام تعبوا فأريحوا وزهدوا فأببحوا ، جليت أبصارهم فشاهدوا وأعطوا سلاح المعونة ، فجاهدوا وتأملوا الدنيا وسبروها ، وعرفوا حالها وخبروها ، فصدت نفوسهم ما صدها ، ما كانت تعبد وأقبلت على قبلة الاعتذار في مناجاة: ظلمت نفسي فضربت بالدنيا وجه عشاقها ، وشمرت في سوق الجد عن ساقها ونقضت لتصحيح عملها مخدع الخديعة ، ونقضت يد أملها من سراب بقيعة ، فحدت ركائب سيرها في إدلاج سراها وزادها نشاطا حادي الهمة لما حداها ، فسبقت إلى الخلال الكرائم ووصلت إلى الإفضال وأنت نائم! أقول بكل صدق: لم أغلب لغة الخيال والتهويم في شعري لأبعد القراء عن الواقع على عادة المستشعرين! بل قصدت إلى الإمتاع والفائدة معاً! في مقالة عنوانها: (الشاعر والشعور والشعر الحديث) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (إنه لمن الخرق كما يقول أبو شبكة: «أن نحاول بلغة وضعية تحديد لغة المجاز والكنائية ، لغة الروح ، لغة الحسّ الوجداني العميق».) لكن على المرء أن يعبر عن شعوره الصادق تجاه ما يشهد حالياً من "شعر حديث" ، ويحاول جاهداً التمييز ما بين الشعر الذي يوقد في الرجاء ويلهب في الحياة وبين الكلمات المتشابهة والمتقاطعة التي لا يمكن دعوتها شعراً وتسمية الذين كتبوها شعراء والتي تشدُّ قلبي بحبال التخبط واليأس وتغرق روعي في وهم الظلمة والشك والحيرة! لذاك نستميحكم عذراً ، مع ميخائيل نعيمة «أن ندعو الأشياء بأسمائها ، ولذاك لا تؤاخذونا إذا ميّرنا بينكم وبين الشعراء ، فدعونا ما تكتبونه صفّاً كلام وما يكتبونه شعراً وفناً»(!). هـ. واذن فلا بد من الصدق في الشعور قبل الشعر! وكل فصل بينهما عبث لا يزيد! وأنا في ديواني: (وداعاً أيها الشعر) حاولت أن أضع هذه الحقيقة نصب عيني!

لماذا هذا العنوان؟

الحمد لله سبحانه وتعالى وعز وجل ، الخالق بقدرته ما دب ودرج ، الفائق بصنعتة ما التأم وارتتج ، الراتق بحكمته ما افترق وانفرج ، الدال على وحدانيته بالبراهين والحجج ، أنشأ الأبدان من النطف وحفظ فيها المهج ، ونور العيون فأحسن في تركيبها الدعج ، وأنطق اللسان فأبان سبل المراد ونهج ، وعلم الإنسان البيان فإذا خاصم فلج ، بقدرته سكن المتحرك فما زال ولا اختلج ، ولهيبته تحرك الساكن فتغير وانزعج ، طوى اللطف في تكاليف الخلائق ودرج ، وما جعل عليكم في الدين من حرج ، خلق البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ومرج ، واستخرج بدائع الودائع من بواطن اللجج ، وعلم ما ظهر في الأرض ورأى ما فيها ولج ، بصير يرى جريان الدماء في باطن الودج ، سميع يدرك بسمعه صوت الباكي إذا نشج ، لا يخفى على بصره في سواد الليل سواد النجج ، ولا يعزب عن سمعه أنين المدنف يرجو الفرج ، أنزل كلاماً قديماً من ورد بحره ارتوى وابتهج ، قرأناً عربياً غير ذي عوج ، أحمده سبحانه حمد من جمع المحامد في حمده ودرج ، وأشهد أنه العظيم القدر الرفيع الدرج ، وأصلي على رسوله محمد الذي إلى قاب قوسين عرج ، وعلى صاحبه أبي بكر الصديق الذي لا يبغضه إلا الرعاع الروافض والعلمانيون الهمج ، وعلى عمر الذي يفوح من ذكره أذى الأرج ، وعلى عثمان الذي جمع الإنفاق إلى الصهر فازدوج ، وعلى عليّ المجمع على حبه فإن خرج شخص من الإجماع خرج ، وعلى عمه العباس الذي افتخر به بيت الخلافة وابتهج! وعلى أصحابه الذين فدوه بالأرواح والمهج ، وعلى التابعين له بإحسان في العسر واليسر وفي الضيق والفرج! أيها المعرض عن شكر الإفضال والنعمة ، زاحمت على حوض الغفلة النعم ، تمد يد الجهل بالإتعام إلى أخذه واقتباسه! أيها العاصي هل تقبل على الدنيا والمعاصي وتنسى عقوبة ما قد جنيته في وقت باسه؟ أين الهرب بخطاك عجباً منك وعين الله تراك؟ والله يقول لك: تستحي من غيري ومني لا تراك؟ من الذي ستر على القبيح فيما مضى؟ من الذي لطف بك في دين دينه إذا اقتضى؟ يا هذا إن وجدت من يصلح لك غيرنا فاذهب ، وإن رأيت مشرباً يلذ غير حللنا فاشرب ، لو أعلمت أباك ما نعلم منك أباك ، ولو أريت أخاك ما أريتنا جفاك ، نعمنا عليك قديمة ، كم نبعت لك ديمة لطف بعد ديمة ، أتراك تحن إلى ودنا أو تراعي عهد عهدنا؟ يا هذا جُبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، فواعجبا ممن لم ير محسنا سوى الله عز وجل كيف لا يميل بكليته إليه؟! يا منعماً عليه بالعافية بنس ما أنفقت فيه رأس المال ، كم ذنب لك فعله غيرك فهتك ذاك وسترت ، ويحك احذر نفار النعم ، فما كل شارد بمردود ، إذا وصلت إليك أطرافها فلا تنفر أقصاها بقلة الشكر! أيها المتفكر في القبور الدوارس ، الباكي على من كان به يستاتس ، ابك مطلقاً ما يرعوى بنقل أهل المحابس ، تيقظ للخلاص فإلى كم أنت ناعس ، وقم مبادراً للفتوت فإلى كم أنت جالس ، ليت شعري متى تتزود ومتى تبيض القلب الأسود ، أين الفرار والرقيب بالمرصد؟ إلى متى مع الزلل والإسراف؟ إلى كم مع الخطايا والاقتراف؟ أين الندم؟ وأين الاعتراف؟ لقد سمعت من الوعظ كل شاف كاف ، أنت فيما ينفعك قاعد ، وفيما يضر ناهض ، تتوب بلسانك وتضر بحناك ، أنتاقض الشر في باطنك داخل ، في الغوامض أسد الشرى في البيع والشرا ، فإذا يرى الخديعة خلا المرابض ، يا غافلاً عما قد أعد له أمكر هذا أم بله ، ما غدر من تعثر في ظلمات العيب بعد إضاءة نور الشيب ، يا أسفى من للمحتضر إذا علم من قد حضر ، وقلب الطرف متحيراً ، ونظر ورأى العجائب وقلب البصر ، وندم على إغفاله زاد السفر وجرى دمع الأسى ثم انهمر ، واحتاج إلى قليل من الزاد واقتقر ، ولم ينفعه كل مستور مدخر ، وتقطع فؤاده أسفاً وانفطر ، إن هذا لعبرة

لمن اعتبر ، إن كان قد سبقك الغير فأنت على الأثر ، يا هذا الحساب شديد والطريق بعيد ، وقد خاف من لا خوف عليه فكيف سكن من لا أمن له ، كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: وددت أني شعرة في صدر مؤمن! وقال كذلك: ليتني كنت جزوراً فأذبح! لله در أقوام تلمحوا العواقب ، فعملوا حقاً عمل مراقب ، وجاوزوا الفرائض إلى طلب المناقب ، علت بهم همهم عن الدنيا ، وارتفعت وكفت الأكف عن الأذايا ، وامتنعت ووسعت خطاها إلى الفضائل ، وسعت من يحب العز يدأب إليه ، وكذا من طلب الدر غاص عليه ، كانوا إذا ابتلاههم مولاهم يصبرون ، وإذا أعطاهم مناهم يشكرون ، وإذا استراح البطالون يدأبون ، فلو رأيتهم يوم يقول: (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ، زال الخوف عنهم واندفع ، فأفادهم حزنهم في الدنيا ونفع ، وتم السرور لهم واجتمع ، وزال الحجاب بينهم وبينه وارتفع ، فهم إلى وجه الكريم ينظرون ، (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ، (الذين آمنوا وكانوا يتقون) ، قطعوا بوحدانيته واجتمعوا على طاعته ، وامتنعوا من مخالفته ، وارتبضوا في رياض معرفته ، واضطبعوا بأردية خدمته ، واطلعوا بالعلوم على هيئته ، فيا بشراهم يوم يحضرون ، (الذين آمنوا وكانوا يتقون) ، امتثلوا ما أمرهم به مولاهم ، واجتنبوا ما عنه نهاهم ، فإذا أخرجهم من الدنيا وتوفاهم ، استقبلوا الروح والريحان وتلقاهم ، فإذا حضروا لديه أكرم مثواهم ، وكشف الحجاب فأشهدهم وأراهم ، وهذا غاية ما كانوا يأملون ، (الذين آمنوا وكانوا يتقون) كانوا يتقون الشرك والمعاصي ، ويجتمعون على الأمر بالخير والنواصي ، ويحذرون يوم الأخذ بالأقدام والنواصي ، فاجتهد في لحاقهم أيها العاصي ، قبل أن تبغتك المنون ، (الذين آمنوا وكانوا يتقون)! متى تفيق من هذا المرض المرض؟ متى تستدرك هذه الأيام الطوال العراض؟ يا غافلاً عن سهام الموت الحداد المواض ، تالله لقد أصاب السهم من قبل الإنباض ، ولقد آن لجمع الحياة الشتات والانفضاض ، وحان لبنيان السلامة الخراب والانتقاض ، وحق للمقرض أن يطالب المقرض بالإقراض ، ودنا من مبسوط الآمال الاجتماع والانقباض ، أما الأعمار كل يوم في انقراض ، لقد نهت قبل شبكة السهم صكة المقرض ، أما ترى الراحلين ماضياً خلف ماض ، كم بنيات ما تم حتى تم مأم وهذا قد استفاض ، كم حظ ذو خفض على رغم في رغام وانخفاض ، انهض بجذك والعائل ناهض قبل الإنهاض ، إن الموت إليك كما كان لأبويك في ارتكاض ، إن لم تقدر على مشاريع الصالحين رد باقي الحياض ، إن لم تكن بنت لبون فلنكن بنت مخاض ، إلى متى أو حتى أتعبت الرواض ، أمالك أنفة من هذا التوبيخ ولا امتعاض ، كما بنى نصيحتك نقضت وما يعطو بناء مع نقاض ، يا من باع نفسه بلذة ساعة بيعاً عن تراض ، لبس ما لبست أتدري ما تعتاض ، يا علة لا كالعلة ويا مرضاً لا كالأمراض ، إنما تجزى بقدر عملك عند عدل قاض! إن ديوان: (وداعاً أيها الشعر!) يعكس أغلب ما عشته في عصري هذا الذي قل خيره والخيرون فيه وكثر بلاؤه وشره والشريرون فيه! ومن هنا تبدو أهمية الكتابة بوجه عام والشعر بوجه خاص! ومن هنا يكون تضيق الطواغيت عليه وعلى صاحبه! ويأتي هذا العنوان بسبب إحساسي بقرب النهاية فأحسست أنني ينبغي أن أودع شعري وقراني بديوان يكون مسك الختام! وعلى هذا كان شعري بين: (نهاية الطريق – الديوان الأول) و(وداعاً أيها الشعر! – الديوان السادس والعشرون وقبل الأخير)! ذلك أن الأخير الذي يعقبه إن كان في العمر بقية سيكون عنوانه: (يا شعر كن لي شاهداً!)! وأعود إلى مسألة العمر فأقول: إن رسولنا – صلى الله عليه وسلم كان قد أخبرنا بأن أعمار هذه الأمة أمة الإسلام بين الستين والسبعين ، وقليل منهم من يجاوز ذلك! وأنا بدأت عامي الستين ، فماذا أنتظر؟ أنتظر الرحيل وأسأل الله أن يحسن ختامنا! والله المستعان! وإذا كان ولا بد من كلمة فهي الدعاء لهذا الشعر بالنصر والتمكين والانتشار! فأسأل الله تعالى الذي أعان على كتابته وصفه وإخراجه أن يعين على طبعه ونشره وتوزيعه!

فكرة الأعمال الكاملة

الحمد لله سبحانه وتعالى وعز وجل ، الذي بيده الإيجاد والإنشاء ، والإماتة والإحياء ، والإعادة والإبداء ، والإنعام والآلاء ، والرخص والغلاء ، والحظ والعلاء ، والعافية والبلاء ، والداء والدواء ، خلق آدم وخلق لأجله الأشياء ، فمن رحمته كانت الأرض والسماء ، والظلمات والأضواء ، والصبح والمساء ، والريح والماء ، وعلمه العلم فانجلت عنه الظلماء ، وعرفه خط الخط فجاء على نسقه الهجاء ، الألف والباء ، والتاء والثاء ، والجيم والحاء ، والحاء والذال والذال والراء ، والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء ، والعين والغين والفاء ، والقاف والكاف واللام والميم والنون والهاء ، والواو واللام الألف والياء ، وبث من نسله الرجال والنساء ، فمنهم العالم الذاكر ومنهم الجاهل النساء ، وأكثرهم الغافلون وأقلهم الألباء ، وليست زرقاء اليمامة كالأعشى ، ولا النهار إذا تجلى كالليل إذا يغشى ، (إنما يخشى الله من عباده العلماء)! أحمدته سبحانه ، له بتوفيقى لحمدته الآلاء ، وأقر بأنه مالك الملك يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، وأصلي على رسوله محمد أشرف ركب حوته البيداء ، وعلى صاحبه أبي بكر الصديق مصاحبه إن وقعت الشدة أو الرخاء ، وعلى عمر الفاروق الذي دَوَّخ الكفر فذلت له الأعداء ، وعلى عثمان الصابر وقد اشتد به البلاء ، وعلى علي الذي حصل له دون الكل الإخاء ، وعلى عمه العباس الذي سألت الصحابة به الغيث فسألت السماء! وعلى جميع صحابته الأخيلاء الأتقياء ، وعلى جميع تابعيه إلى يوم الجزاء! يا من عليه منازل الموت تدور ، وهو مستأنس بالمنازل والدور ، لا بد أن تخرج من القصور على التواني والقصور ، لا بد من الرحيل إلى بلاد القبور ، على الغفلات وعلى الفتور ، أهلكك والله الغرور ، بفنون الخداع والغرور ، يا مظلم القلب وما للقلب نور ، الباطن خراب والظاهر معمور ، لو ذكرت القبر المحفور ، كانت عين العين تفور ، ولو تفكرت في الكتاب المسطور ، دفنت الاستغفار بين السطور ، ولو تصورت النفخ في الصور ، والسماء تتغير وتمور ، والنجوم تنكدر وتغور ، والصراط ممدود ولا بد من عبور ، وأنت متحير في الأمور ، تبكي على خلاف المأمور ، ستحاسب على الأيام والشهور ، وترى ما فعلته من فجور ، في النهار والديجور ، ستحزن بعد السرور على تلك الشرور ، إذا وفيت الأجور وبان المواصل من المهجور ، ونجا المخلصون دون أهل الزور ، تصلي ولكن بلا حضور ، وتصوم والصوم بالغيبة مغمور ، لو أردت الوالدان والهور ، لسألتهم وقت السحور ، كم نتلطف بك يا نقور ، كم ننع عليك يا كفور ، كم بارزت بالقبيح والكريم غفور ، (يعلم خانة الأعين وما تخفي الصدور)! يا غافلاً هذا حادي الممات ، قد أسرع هذه سيوف الملمات قد تقطع ، هذه قصور الإخوان بلقع ، مال صاحب المال فإذا المال يوزع ، أنفعه حرصه حين سلب ما جمع أجمع ، إنما هذه الدنيا فخذ منها أو فدع ، إن وصلت فعلى نية أن تقطع ، وإن بذلت فبعزيمة أن تمنع ، انتظر سلبها ، يا مشغولاً بها ، وتوقع أسفاً لكبد على حبها ، تتقطع أتراها أنها ما علمت أنها تخذ ، أفيها حيلة؟ أم في وصلها مطم؟ أين كسرى؟ أين قيصر؟ أين تبع؟ أين حاتم الجود؟ أين من كان يجمع؟ أين قيس وسحبان؟ أين ابن المقفع؟ إنها لتمحو العين ثم للأثر تلتع! إن لك مقتعاً في وعظها لو كفاك المقتع ، يا مفرقاً في البلى قل لمن تجمع ، إذا خلوت وخليت فكيف تصنع؟ أترى أنت عندنا أو ما تسمع! يا أطروش الشقوة! لله در قوم فهموا من الوجود ، وتأملوا المقصود ، واشتغلوا بطاعة المعبود ، وانتبهوا والخلق رقاد ، يصفون الأقدام ، يناجون الملك العلام ، ويصفون الهمم ، ويصفون تقصيرهم ويصفون الشكر للنعم ، تحملوا

تعب السهر وكابدوا مشقة الظما ، وأخلصوا العمل فزاد عملهم ونما ، وجرى القدر فرضوا ولم يعترضوا بلم ولما ، فيا حسن مجتهدهم يذكر الذنب فيبكي ندما ، إخواني اسلكوا جادة القوم لعل مشاعلهم تلوح لكم ، تعلقوا بغبارهم لعل الحادي ينوه بكم ، صوتوا بالقوم عسى يقف بعض الساقاة لكم ، ابكوا على تأخركم لعل عطف الرحمة تنعطف نحوكم! لقد وعظ الزمن بالآفات والمحن ، ولقد حدث بالطعن كل من قد ظعن ، ولقد أندر المطلق في أغراضه المرتهن ، تالله لوصفت الفطن ، أبصرت ما بطن ، إخواني أمر الموت قد علن ، كم طحطح الردى وكم طحن ، يا بائعاً لليقين مشترياً للظنن ، يا مؤثراً للردائل في اختيار الفتن ، إن السرور والشور في قرن ، أنت في المعاصي مطلق الرسن ، وفي الطاعة كذي وسن ، يا رضيع الدنيا وقد أن منها فطامه ، يا طالب الهوى وقد حان حمامه ، قال وهب بن منبه: إن لله منادياً ينادي كل ليلة! أبناء الخمسين: هلموا للحساب ، أبناء الستين: ماذا قدمتم؟ وماذا أخرتم؟ أبناء السبعين: إلى كم يا ذا المشيب؟ أما الأمر منك قريب ، كم تعب في وعظك خطيب ، كم عالجك طبيب ، إنه لمرض عجيب ، إنه لداء غريب ، عظم واهن وقلب صليب ، يا هذا لا شيء أقل من الدنيا ولا أعز من نفسك ، وها أنت تنفق أنفاس النفس النفيسة ، على تحصيل الدنيا الخسيسة ، متى يقتعك الكفاف؟ متى يردك العفاف؟ متى يقومك الثقاف؟ إنك لتأبى إلا الخلاف! مقاليدك ثقافاً وركعاتك خفاف ، يا قبيح الخصال يا سيء الأوصاف ، يا مشترياً بسني الخصب السنين العجاف ، قف متدبراً لحالك فالمؤمن وقاف ، وتذكر وعيد العصاة ويحك أما تخاف؟! يا مطلقاً نفسه فيما يشتهي ويريد ، أذكر عند خطواتك المبدئ المعيد ، وخف قبح ما جرى فالملك يرى ، والملك شهيد ، (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)! هلا استحييت ممن يراك إذا ركبت من هواك ما نهاك! ستبكي والله عينك ، مما جنت يداك ، أما تعلم أنه بالمرصاد؟ فقل لي: أين تحيد؟ (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) لو صدق علمك به لراقبته ، ولو خفت وعيده في الحرام ما قاربته ، ولو علمت سموم الجزاء في كأس الهوى ما شربته ، لقد أضعنا الحديث عند سكران يمد ، (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)! قال بعض السلف: مررت برجل منفرد ، فقلت له: أنت وحدك! فقال: معي ربي وملكاي! فقلت: أين الطريق؟ فأشار نحو السماء ، ثم مضى وهو يقول: أكثر خلقك شاغل عنك! وفي الأثر: راود رجل امرأة فقالت: ألا تستحي؟ فقال: ما يرانا إلا الكواكب! فقالت: وأين مكوكبها؟! والحقيقة أن كثيرين طلبوا مني في مناسبات عديدة أن أكتب الشعر عن كذا وكذا أو في فلان أو علان! وفي كل مرة كنت أعتذر لهم قائلاً: إن الشعر في حقيقة أمره شعور وعاطفة صادقة تدفعان إل قصيدة صادقة! هذه القصيدة تعكس في حقيقتها ما يدين به الشاعر ربه سبحانه وتعالى من جهة وما يتمثله من أخلاقيات لا يتنازل عنها بعرض من الدنيا كبير أو صغير! والشعر العربي في القديم والحديث حوى هذا النوع من الشعر الصادق الذي جاد به علينا شعراء صادقون! ومن هنا جاءت موضوعات ديوان: (وداعاً أيها الشعر) في عمومها محاكاة لما عشته من تجارب في عصري هذا! فلم تكن الموضوعات خيالية هاربة بصاحبها من الواقع المعاش إلى عالم أفلاطوني خيالي حالم ، كان الشاعر قد اتخذ لنفسه فيه مشربية أو صومعة شعرية يعمد إلى الراحة من ضغط الواقع الجاهلي الآسن الذي نعيش! في مقالة عنوانها: (الشاعر والشعور والشعر الحديث) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (هل يريد شعرنا الحديث أن يتخلى عن الموضوعات القديمة البالية التي تناولها الشعراء قبله؟ ألا يرى أن ثمة في شعرنا القديم ومضات رائعة لشعر وجداني وشعوري وعاطفي وفكري وصوفي تضيء درب الداخل وتعبّر عن وحدة الإنسان الجوهرية؟ مرحى له إن شاء أن يضيف

إلى موضوعات شعرنا القديم أفكاراً جديدة ؛ لكن أين يجد موضوعات غابت حتى الآن عن الفكر والشعور الإنسانيين عبر تاريخ الحضارات؟! إن الشعر يعبر أولاً وأخيراً عن الطبيعة والحياة والوجود ، وعن هذا الإنسان المتفاعل معها ؛ فهل سيرى شاعر اليوم ما لم يره ويبصره سلفه من قبله؟ هنيئاً له إذن ثقته وشغفه بالمعرفة الكاملة وبالرؤيا المتكاملة! لكني لا أراه في الحقيقة يبلغ حتى شبراً واحداً من جبال الحكمة التي بلغها سلفه. أما رؤيته - وليس رؤياه - فإنها لا تطال أن تبصر قمم المعرفة التي حققها الأقدمون. أليس حرياً بشاعر اليوم أن يبدأ من حيث بدأ سلفه - إن لم يبدأ من حيث انتهى - فلا يتخلى عن الغزل مثلاً - وهو يجب ألا يتخلى - إنما يعطيه لو شاء من روحه النقاء والعفة والجمال فيبلغ به مراتب الشعر الكامل؟ لكني مع الأسف الشديد أرى شعرنا الحديث - ومعظمه غزلٌ في غزل - يتهتك فلا يرعوي ويفضح فلا يخجل! أم ترى أن شعرنا الحديث عمل صالحاً فتخلى عن المدح والهجاء وعن القيل والقال - وهذه مواضع يجملُ به حقاً ألا يرثها عن سلفه؟ ما كان أحلى المديح في الشعر القديم بالقياس إلى ما نراه اليوم من مدح للذات ومن تدلُّ للأننا وللآخرين! يحاول أحياناً "شعرنا الحديث" - وإنني لمرغمٌ على تكرار هذه العبارة - أن يُفَلت إلى نطاق الإنسانية، فيتحدث عن الصراعات في العالم وعن الظلم والاضطهاد ويندّد بالاستعمار ويحاول أيضاً "البحث" عن التأثيرات على النفس الإنسانية و"تصويرها" سلبية كانت أم إيجابية. لكنه في النهاية ينكفئ تبعاً من هذا الضجيج النفسي الذي يكتفه ، وسط أشكال مبهمة من رموز وصور غريبة عجيبة ، يتوه بها وتتوه به ؛ فإذا بدلاً من الوضوح والحلول والرجاء ، ضبابٌ وسخطٌ وآسٌ وإشاراتٌ وإشارات! هـ. إن كثيراً من الشعراء قد أدركوا ما للصرامة من تكاليف ومشاق وأعباء فتنازلوا عنها ليهربوا من ضغط الواقع إلى خيالات وأوهام فأضروا بالشعر وبالشعراء وبالقرءاء على حد سواء! لقد كان الأحرى بهذا النوع من الشعراء أن لا يكتب الشعر! بل يذهب إلى سيناريوهات الأفلام الجاهلية الملعونة القذرة ولن يعدم وظيفة عند أصحابها من المفسدين في الأرض! أما الشعر فلا وألف لا! ذلك أن الشعر الصادق يطرق القلوب ويوصله إليها علام الغيوب! وينتفع به في بيان السبيل حتى لا يكون ملتبساً على سالقيه! وهناك نوع آخر من الشعراء المفلسين الذين يعمدون إلى شعر الغزل المُسِف المُزري ، فيبدو الواحد منهم كما لو عمد إلى تعرية زوجته أو معشوقته إلى القرءاء! حيث تصف القصيدة قوامها ووجهها وطولها وعرضها ورأسها وجزعها وقدمها وساقها وذراعها وإصبعها وظهرها وبطنها! وما حاجة القرءاء إلى هذا الإسفاف الوضع الذي يزري بالشاعر وبالقرءاء وبالدارس وبالمتذوق على حد سواء؟! إن المجتمع أمسى بحاجة ماسة إلى شعر القيم والمبادئ والأخلاق ليرتقي ولينهض من سبات الجاهلية إلى صحوة الإسلام وأفقه الواسع الجميل! إن قصائد كثيرة لو كان الأمر بيدي لأمرت بها فجمعت وأخرقت ووضع في مزبلة التاريخ من الشعر العفن الذي يصل إلى درجة الإسفاف والعهر في الغزل الحسي المكشوف الذي لا يخاطب في الإنسان عاطفته وشعوره بقدر ما يخاطب غريزته وشهوته! وفي ظني لو كان هذا الشاعر الذي كتب هذا الهراء يستشعر سؤال الله له في موقف الخمسين ألفاً بالعدد ، ولو فكر ملياً في مآل قصائده بعد أن يزول هذا العصر الغابر المنحط ويأتي زمان المهدي ويبايعه المسلمون بين الركن والمقام ، ولو فكر قليلاً في عقائد الناس وأخلاقهم تلك التي كان ينبغي عليه أن يحييها فإذا به يندها ، لما أقدم طرفة عين ولا أقل من ذلك على شعر المجون والسفول الذي كتبه باسم الشعر ليفسد في الأرض بغير الحق! ولقد قلت من قبل وأكرر الكلمة الطاهرة لأبي بكر بن عيَّاش - رحمه الله :-

(لقد أصلح الله الأرض ببعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - فكل من دعا إلى غير هداه - صلى الله عليه وسلم - فهو من المفسدين في الأرض!) فليعلم الشعراء الذين يعرفون النساء في أشعارهم كأن القراء يرونهن رأي العين أنهم من المفسدين في الأرض! ونظرة الشاعر المحترم يجب أن تكون نظرة كلية شاملة للحياة الدنيوية والأخروية على منهاج الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - . تلك النظرة نابغة من قلب يعبد الله بالحب والخوف والرجاء! وفي مقالة عنوانها: (الشاعر والشعور والشعر الحديث) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (إذاً حين أطلب بنظرة شاملة متكاملة فذلك لكي أبدأ بذر الرويا الكلية النابعة من شعور كلى ، تلك التي منها وحدها يمكننا جني الشعر الحديث. أستطيع تلخيص ما سبق حول تحقيق النظرة الشاملة بالنقاط الثلاث التالية: أولاً!: التوازن الداخلي أي ثبات النفس وهدوء العقل ، مما يفسح المجال نوعي ما يعتمل في داخلنا ، ولتمييز المشاعر الصادقة النابعة من الداخل عن الأحاسيس المزيفة التي تأتي من الخارج ، والتي لا تحمل في طياتها إلا القلق والشك. ثانياً: الوضوح في تعاملنا مع نفحات الشعور الداخلي مما يؤدي إلى جلاء رؤيتنا لعلاقتنا بكل ما يحيط بنا ؛ إذ علينا أن نكون مدركين لأهمية التأثر والتأثير بين الشاعر والمجتمع. فإذا كان شعرنا جلياً واضحاً كان وصوله أكثر شفافية وتأثيره أكثر عمقاً. إن في وضوح أنفسنا لنا وجلانها تحريراً عظيماً لإمكاناتنا الشعرية وإفصاحاً عن حقيقة شعورنا الدفين! ثالثاً التجربة والمعاناة والعمل على بلورة شعورنا الداخلي بعدم التهرب من بوتقة الصعوبة. إن أهم ما يميز التجربة الشعرية هو الثبات في الشدة ، واحتمال الألم ووعيه ، والانسحاق في سيرة الكفاح الجماعي من أجل تحقيق القيمة والدور الإنسانيين. إن التجربة الداخلية للإنسان هي طريق انعقاده من تيارات الخارج ؛ ومعاناته هي التي تلهب شعوره بالوحدة مع الآخرين). هـ. إن الشاعر الذي يتحلى بوصف الدكتور خوري لا يعاني من الازدواجية في الكتابة! كلا ، بل إيمانه الراسخ بالله الواحد الأحد واتباعه للنبي - صلى الله عليه وسلم - يجعله لا يكتب إلا الشعر الجيد المحترم المتوازن الهادف البناء! وذلك في محاولة صادقة منه لإحياء موات القيم والمبادئ والمثل التي كبرنا عليها أربعاً لوفاتها! وأنا في ديوان: (وداعاً أيها الشعر) حرصتُ والحمد لله على مبدأ إحياء ما اندرس من القيم والمبادئ التي كانت أمتنا تتحلى بها ، ولكنها أصبحت اليوم تعتبر من الأحلام التي لا سبيل إلى تحقيقها! إن الشاعر داعية إلى الله لكن بالشعر! والمطلوب منه أن يقول الحق ولا يخاف في الله لومة لائم ، والله سبحانه هو الذي يهدي الناس إلى الحق الذي حواه شعره! والله يهب العصمة والحماية - من الكفار والطواغيت والظالمين - على قدر البلاغ والصدق فيه! (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين) والإمام ابن كثير - رحمه الله - أورد في تفسير هذه الآية من سورة المائدة قوله بالنص: (يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم باسم الرسالة ، وأمرأ له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به ، وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك وقام به أتم القيام ؛ قال البخاري عند تفسير هذه الآية عن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب ، وهو يقول: { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك } الآية ، وفي الصحيحين عنها أيضاً أنها قالت: لو كان محمدٌ صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً من قرآن لكتم هذه الآية: {وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه}! وقال ابن أبي حاتم عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: كنت عند ابن عباس فجاء رجل فقال له: إن ناساً يأتونا

فيخبرونا أن عندكم شيئاً لم يبده رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس ، فقال ابن عباس: ألم تعلم أن الله تعالى قال: { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك } ، والله ما ورثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء في بيضاء. وهذا إسناد جيد. وفي صحيح البخاري عن وهب بن عبد الله السوائي قال: قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ فقال: لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يُعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل ، وفكك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر. وقال البخاري: قال الزهري: من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم ، وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة ، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع ، وقد كان هناك من أصحابه نحو من أربعين ألفاً ، كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يومئذ: (أيها الناس إنكم مسؤولون عني ، فما أنتم قائلون؟) قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فجعل يرفع إصبه إلى السماء وينكسها إليهم ، ويقول: (اللهم هل بلغت)؟! وقوله تعالى: { وإن لم تفعل فما بلغت رسالته } يعني وإن لم تؤد إلى الناس ما أرسلتك به فما بلغت رسالته ، قال ابن عباس: { وإن لم تفعل فما بلغت رسالته } يعني إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالته ، وعن مجاهد قال: لما نزلت { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك } قال: يا رب كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعون علي؟ فنزلت: { وإن لم تفعل فما بلغت رسالته } وقوله تعالى: { والله يعصمك من الناس } أي بلغ أنت رسالتي وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم ، فلا تخف ولا تحزن ، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول هذه الآية يحرس. كما قال الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها كانت تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سهر ذات ليلة وهي إلى جنبه قالت، فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: (ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة) ، قالت: فبينما أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح ، فقال: (من هذا)؟ فقال: أنا سعد بن مالك ، فقال: (ما جاء بك)؟ قال: جئت لأحرسك يا رسول الله ، قالت: فسمعت غطيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه ، أخرجاه في الصحيحين. وفي لفظ: سهر رسول الله ذات ليلة مقدمة المدينة ، يعني على أثر هجرته بعد دخوله بعائشة رضي الله عنها وكان ذلك في سنة ثنتين منها ، وعنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية: { والله يعصمك من الناس } قالت: فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة وقال: (يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنا الله عزَّ وجلَّ) ومن عصمة الله لرسوله حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها ومترفيها ، مع شدة العداوة والبغضة ونصب المحاربة له ليلاً ونهاراً ، بما خلقه الله من الأسباب العظيمة بقدرته وحكمته العظيمة ، فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب إذ كان رئيساً مطاعاً كبيراً في قريش ، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا شرعية ، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها ، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه ، فلما مات عمه أبو طالب نال منه المشركون أذى يسيراً ، ثم قبض الله له الأنصار فبايعوه على الإسلام ، وعلى أن يتحول إلى دارهم وهي المدينة ، فلما صار إليها منعه من الأحمر والأسود ، وكلما همَّ أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه ، كما كاده اليهود بالسحر ، فحماه الله منهم ، وأنزل عليه سورتين المعوذتين دواء لذلك الداء ، ولما سمَّه اليهود في ذراع تلك الشاة بخيبر أعلمه الله به وحماه

منه ، ولهذا أشباه كثيرة جداً يطول ذكرها. وقوله: {إن الله لا يهدي القوم الكافرين} أي بلغ أنت والله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، كما قال تعالى: {ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء} ، وقال: {فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب}.هـ. وإذن فالشاعر المسلم المؤمن الموحد هو في حقيقته داعية إلى الله! وأداته في الدعوة شعره الصادق المؤمن الموحد المتوضئ المسلم! ولا يتصور شاعر مسلم مؤمن موحد ثم لا يكون مسلماً مؤمناً موحداً في شعره! وإلا عد من المنافقين! ولهذا الشاعر المؤمن تجربة شعرية صادقة ضاربة بجذورها في عمق الإيمان الصادق بالله رباً وبمحمد – صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وبالإسلام منهاجاً في الحياة! فالقصيدة تتحرك في قلبه جنباً نابعاً يستقي روحه من العقيدة والتوحيد! هذه القصيدة ينفعل بها ويحس بها صاحبها الشاعر أولاً قبل أن يكتبها وينقحها ويخرجها للناس! وفي مقالة عنوانها: (الشاعر والشعور والشعر الحديث) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (قلت إن الشعر شعور وتجربة داخلية تنتهي إلى الإفصاح عن نفسها بالكلمات وبالتعبير. لكن الشاعر في تعبيره عن تلك التجربة ، لا يحاول أن ينقل للآخرين صورتها وفكرتها وحسب ، بل وفعلها فيه ، كما وشعوره بها الذي يصبح هو نفسه ، في لحظة التألق الشعري خلال التجربة ، الملهم والشاعر. فكيف يعبر الشعور عن نفسه؟ وكيف يعبر بالكلمات عن تجربة شعرية؟ هنا تظهر إمكانية الصورة والتشبيه في رسم الإطار العام للتجربة. لكن المعنى العميق الذي ينقل الشعور والمعاناة يبقى في حاجة إلى إمكانية أخرى تتجلى في الإطار العام بكامله ، فتحديه وتكشف فيه التألق الكامل للنور الذي عاينه الشاعر في تجربته. وهذه الإمكانية هي الرمز. لا يهمني تعريف الرمز ، إنما أهتم أكثر لدوره في الشعر. ولهذا يجب أنؤكد هنا على أن الرمز ليس مجرد إسقاط لفكرة ما على حادثة طبيعية أو على عملية مألوفة! فحتمًا أكثر مما تطبق احتماله ، ونحمل الشعر بالتالي عبئاً هو في غنى عنه. علينا ألا ننسى أن كلماتنا وتعبيرنا وجمالنا هي في الأصل رموز ومفاهيم ؛ وبالتالي فإن شعرنا في النهاية هو تألف هذه الرموز والمفاهيم التي تزداد حيوية كلما كان تألف كلماتنا متناعماً وتجريئاً).هـ. ويحسن بنا أن نواصل الفكرة مع الدكتور الخوري حيث يقول أيضاً: (ومما لا شك فيه أيضاً أن النظرة الواضحة الشاملة والشعور الصافي الكلي يهبان الشاعر شفافياً رمزية معبرة ويبيدانه عن كل غموض ولبس وتشويش في المعنى. إن الرمز هنا ينقل تجربة الشاعر ومعاناته كلها مع صفاء فكره كله ، ويفسح بذلك لرواه أن تشرق في لحظة الكتابة ، لحظة الاستغراق في الشعور الكلي الجماعي ، إذ تنتفي القيود الشكلية للجمل وللصور وللمفاهيم ، وبذلك تتحرر ، في إطار الرمز العابق بالفكرة الكاملة الحرة ، إمكانيات الداخل نفسها للتعبير بأدوات الخارج. في "شعرنا الحديث" لا نلمح الهروب من قيود الوزن إلى سلاسل الألغاز الجهنمية والصور المعتمة والتراكيب الفارغة وحسب ، بل ونبصر أيضاً – وذلك ما نخجل غالباً من البوح به – الهروب إلى الرمز من المعنى ومن التجربة الحقيقية ومن الشعور الصادق. لقد صار الرمز في شعرنا هو الهدف بل هو الشعر! هل قلت "الرمز"؟! لقد أخطأت إذن وعليّ أن أصحح فأقول: لقد صار الإبهام في شعرنا هو الهدف بل هو الشعر!).هـ. إنه لا ينبغي للشاعر أن يعيش في واد ومجتمع يعيش في واد آخر! وإذن فعليه أن يعالج الواقع بشعره إن كان شاعراً صادقاً حقاً! وفي ديواني: (وداعاً أيها الشعر) ضربت على الوتر ذاته! فجعلت قصائده في عمومها معبرة عن الواقع الذي نعيش ، وليست مجافية له بحال من الأحوال! وحتى القصائد المعبرة عن التراث حاولت جاهداً أن أربطها بالواقع من قريب أو من بعيد!

شكرّ وامتنان

الحمد لله سبحانه وتعالى وعز وجل ، القديم في مجده ، الكريم في رفته ، الرحيم فكل خير من عنده ، اللطيف في كل حال بعبده ، مد الأرض بقدرته والعجب في مده ، وزينها بنباتاتها وألوان ورده ، وسقاها كأس القطر بواسطة بركة ورعه ، وجمع في الغصن الواحد بين الشيء وضده ، وقوم الثمار بالماء من حر الشمس ويرده ، إله خوف بوعيده وشوق بوعدده ، وقدر فاهتدى من هداه وضل من لم يهده ، وسمع فلم يعزب عن سمعه صوت المضطر بعد جهده ، وأبصر فرأى جريان دم العبد في عرقه وجلده ، وعلم عز وجل ما في باطن سره من بره وحقده ، وعزمه وحزمه وبغضه ووده ، وغمه وفكره وعلمه وقصده ، وحلمه وحبه وزهده ، ولفه ونقضه وأخذه وورده ، وقدر أعماله في حياته وحاله في لحدده ، وجعل في الحكمة نسيان أهله من بعده ، فإن كان صالحاً عقب في قبره نشر ورده ، وإن كان عاصياً خلى بقبوحه وخطيئه ببعده ، فسبحان من لا يعترض العقل على أفعاله بل يقف على حده ، (وإن من شيء إلا يسبح بحمده)! أحمده سبحانه حمداً لا يقدر الخلاق على عده ، وأصلي وأسلم على رسوله وعبده ، وعلى صاحبه أبي بكر الصديق الذي كان الإسلام منحللاً لولا قوة شدّه ، وعلى عمر وحيد التدبير في السياسة وفردّه ، وعلى عثمان قائم الليل والدمع يجري على خده ، وعلى علي المصلي مع الرسول قبل بلوغ رشده ، وعلى عمه العباس الذي أخذ له البيعة على جنده! وعلى جميع أصحابه الذين آثروا اتباعه وحبوه وماتوا على بره ووده ، وعلى أتباعه الذين اتبعوه وحافظوا على عهده لينالهم من وعده! أل إن الدنيا بحر عجاج ، ليس راكبه بناج ، الدنيا كظلمة ليل داج ، ليس فيها إلا الزهد سراج ، هدوءها انزعاج ، وسكونها اختلاج ، ضيقة الفجاج ، كدرة المزاج ، لا تغرنك ولو ألبستك التاج ، وقد خاطر من حمل في الوحل الزجاج ، تريك السلامة تغريراً وتمويها ، وتظهر المحاسن والقبايح وتخفيها ، تبين لنا كل كف كانت تبنيها ، ما تعتذر إلى جريحها كبراً وتيها! انتبهوا يا نيام ، افهموا هذا الكلام ، قد بقيت لكم في الدنيا أيام ، هذا عود الحياة قد يبس ، ونور الشباب بالشيب منطمس ، ولسان الفرح بالترح قد خرس ، وسواء في الموت المهمل والمحترس ، ولا فرق عنده بين اللين والشرس ، أيها القراء كم رأيتم من قبر مندرس ، أيها القراء كم تلي عليكم زجر ودرس ، أيها القراء كأنتم في كف المختلس ، إنما هو نفس منطلق وكأن قد حبس ، ترى متى ينقى هذا القلب الدنس ، إلى كم ذا المريض كل يوم ينتكس ، إنما أنت بقية الراحلين فاعتبر بهم وقس! يا حريصاً على الدنيا مضى عمرك في غير شيء ، انقشع غيم الزمان لا عن هلال الهدى ، ما لذت لذة الدنيا إلا لكافر لا يؤمن بالآخرة ، أو لقليل العقل لا ينظر في عاقبة ، الدنيا خراب ، وأخرب منها قلب من يعمرها ، إلى أي حين مع الصبا؟ أما يكفي ما قد مضى؟ إلى كم هذا الكرى؟ أين التيقظ لحلول الثرى؟ كم قد قتل قبلك المني؟ وإنما يفهم أولوا النهي! يا أسير رقاده ، يا مريض فساده ، يا معرضاً عن رشاده ، يا من حب الدنيا في سواد سواده ، ما ينفعه النصيح على كثرة ترادده ، سواء عليه ناداه أم لم يناده ، تالله لقد غمزتك الحوادث بسلب القرناء غمزا ، ولذك المتقاضي بالأجل لو فهمت لزا ، أما في كل يوم بمحبوب تعزى ، أما ترى الأسنة تعمل طعناً ووخزاً ، أما تشاهد مهندات السيوف تهز هزاً ، أين من أوعد ووعد هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً! قراني الأحبة هذه الأيام مطايا ، فأين العدة قبل المنايا؟ أين الأنفة من دار الأذايا؟ أين العزائم أرضيتم بالدنايا؟ إن بلية الهوى لا تشبه البلايا ، وإن خطيئة الإصرار لا كالخطايا ، يا مستورون ستظهر الخبايا ، سرية الموت لا تشبه السرايا ، قضية الزمان ليست كالقضايا ،

راعي السلامة يقتل الرعايا ، رامي المنون يصمي الرمايا ، ملك الموت لا يقبل الهدايا ، أيها الشاب ستسأل عن شبابك ، أيها الكهل تأهب لعتابك ، أيها الشيخ تدبر أمرك قبل سد بابك ، كنت في بداية الشباب أصلح ، فيا عجباً كيف أفسد من أصلح ، يا مريض القلب قف بباب الطبيب ، يا مخوس الحظ اشك فوات النصيب ، لذ بالجناب ذليلاً ، وقف على الباب طويلاً ، واتخذ في هذا العشر سبيلاً ، واجعل جناب التوبة مقيلاً ، واجتهد في الخير تجد ثواباً جزيلاً ، قل في الأسحار أنا تائب ، ناد في الدجى قد قدم الغائب! يا من قد سارت بالمعاصي أخباره ، يا من قد قبح إعلانه وإسراره ، فقيرٌ يا من الهدى أهلكه إعساره ، أتوتر الخسران قل لي أو تختاره ، يا كثير الذنوب وقد دنا إحضاره ، يا مأسوراً في حبس الزلل لا ينفعه إحضاره ، نقدك بهرج إذا حك معياره ، كم رد على مثلك درهمه وديناره ، يا محترقاً بنار الهوى متى تخبو ناره ، ما يلين قلبك لغامز ، وما يرى لما تشتهي متجاوز ، ما هذا الفعل أبداً فعل فائز ، إن مطيع الزمان حال عاجز ، وإن بين يديك لمفاوز ، فيها أهوالٌ وهزاهز ، تقومك ولا تستوي من يغير الغرائز! أين من ملك وقهر ، واستعمل في حفر النهر ونهر ، ضم الموت ذلك البشر ، وأخذ التلف ذلك الشرر ، وانتضت الآفات قويات المرر ، وعلوموا أنه لا يصلح الأشر ، البشر واستبانوا أن بيعهم بيع الغرر ، كم راعت المنون سرباً سرباً ، كم أثارت قسطلاً وحرماً ، تالله لقد جالت بُعداً وقرباً ، فاستلبت البعدى وذوي القربى ، كم عمرت بخراب دورهم تراباً ، فسل بها حال سلبها كيف استلبتهم سلماً ، أين ملوكها وأمرؤها ، ومُداحها وشعراؤها ، وخدامها وسحراؤها ، وأحرارها وأرقاؤها ، وغناؤها بالأموال وثراؤها ، باكرتهم والله بكرائها ، فأعجز إبطاءهم إيرادها ، فضمتهم عن قليل صحراؤها! وبعد فإنني أتوجه بالشكر الجزيل لوالديّ الكريمين اللذين رباني صغيراً وأرضعاني الحكمة وفصل الخطاب! وتعلمت منهما الصبر والمصابرة والكفاح. كما تعلمت حب الشيخ عبد الباسط عبد الصمد! وأشكر أصدقائي الذين أسمعتهم ولو بعض قصائد هذا الديوان وشاركوا فيه بفكرة أو بتصحيح أو بخاطرة أو بتعديل أو حتى بمجرد إعجاب! وأشكر زوجي أم عبد الله إذ كان لها النصيب الأوفر في مراجعة أغلب قصائد هذا الديوان! وأشكر أبنائي جميعاً حيث أخذت من وقتهم ما تفرغت فيه لإعداد هذا الديوان! وأسأل الله أن يتجاوز عني تقصيري في حقهم! كما أتوجه إليه سبحانه أن يهبهم من علمه وحكمته وفضله ورحمته كرب ما عجزت عنه أنا كأب! اللهم علمهم وأبناءهم وبناتهم وأحفادهم وحفيداتهم كما علمت آدم وفهمهم كما فهمت سليمان وآتهم فصل الخطاب والحكمة كما آتيت داود ولقمان! وأشكر الدكتور عدنان النحوي على ما تفضل به من مراجعة الدواوين (أي الأجزاء) كلها كل على حدة ، ووفاني بالأخطاء وتصحيحاتها! وأشكر الأستاذ سالم محمد سالم النوبي من أهل أجا الكرام المغاوير ، على تفضله بمراجعة الديوان كاملاً إلا عدداً قليلاً من القصائد بحكم رحيله من الإمارات! وكان الرجل قد استضافني في بيته أياماً وليالي حتى يتم العمل ونقوم بالمراجعة والمناقشة! ألا ما أجمله من بذل وما أحلاه من جميل! وأشكر الأستاذ إسماعيل علي سليم والأستاذ محمد عبد الوهاب صابر حيث راجعا وقرأت عليهما بعض قصائد الديوان أعني ديوان: (السليمانيات) وأما ديوان: (وداعاً أيها الشعر) فلم يراجعهُ من هؤلاء أحد! وإنما انتفعت بملاحظاتهم السابقة وماأخذهم الجوهرية على الدواوين التي سبقت! فكان ذلك نقداً منهم لهذا الديوان ولو لم يطلعوا عليه! حيث جاءت القصائد موافقة لرؤيتهم ولنقدهم في مثيلاتٍ لهما وهذا الذي عنيت! فجزا الله خيراً كل من أعانني على إعداد هذا الديوان وإخراجه للنور وجعل ذلك في ميزان حسناتهم أجمعين!

رحمَنُ يا رحمن! (معارضة لعجلان ثابت)

(إنه لا أحد المدحة والإطراء والثناء أحب إليه من الله - عز وجل -! وكم عجبٌ لشعراء قد عزفوا عن مدح الله تعالى وهو الذي يحب أن يُمدح ، بينما أسرفوا في مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - ربما لدرجة الشرك بالله تعالى ، برغم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يحب ألا يُمدح. وهو القائل: (لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، وإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله!) ، وهو القائل: (احتوا في وجوه المذاحين التراب!) والأمر على ما أورد الأستاذ محمد المنجد حيث قال ما نصه بتصريفٍ يسير: (روى البخاري (4634) ، ومسلم (2760) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ). والله - تعالى - غني عن العالمين وعن مدحهم وعن عملهم ، وهم جميعاً مهما أساءوا أو أحسنوا لا يبلغون ضرر الله: فيضروه ، ولا يبلغون نفعه: فينفعوه ، فهو غني عنهم سبحانه وتعالى ، وهم الفقراء إليه ، كما قال تعالى: (يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ). ولكن الله تعالى يحب من عباده أن يطيعوه ، وأن يحسنوا الثناء عليه ، ويشكروه ولا يكفروه ، وذلك لحكم كثيرة ومعان جليلة ، نذكر بعضها : - أحب الله المدح والثناء الحسن فمدح نفسه وأمر عباده بمدحه والثناء عليه لأنه أهل ذلك ، فأحب من عباده أن يصفوه بما هو أهله ، فإنه حري بهم إن فعلوا ذلك ألا يسيئوا الثناء عليه بما هو بريء منه سبحانه. - ولأن في مدحه والثناء الحسن عليه بما هو أهله: قياماً للحق وعملاً به ، وبذلك يقوم القسطاس في السماوات والأرض ، بخلاف ما لو كفروه ولم يشكروه فإنه حري بهم ألا يُقيموا العدل بينهم. - أن في مدحه والثناء عليه مصلحة للعباد في معاشهم ومعادهم ، قال النووي رحمه الله في شرحه للحديث المتقدم: "حَقِيقَةُ هَذَا مَصْلَحَةِ لِلْعِبَادِ ، لِأَنَّهُمْ يُتَنَوَّنُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَيُنِيبُهُمْ فَيَنْتَفِعُونَ ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ، لَا يَنْفَعُهُ مَدْحُهُمْ ، وَلَا يَضُرُّهُ تَرْكُهُمْ ذَلِكَ". انتهى من "شرح النووي على مسلم" (17 / 77). وقال المباركفوري رحمه الله في "تحفة الأحوذى" (9 / 357): "أحب المدح ليُنِيبَ عَلَى ذَلِكَ فَيَنْتَفِعَ الْمُكَلَّفُ ، لَا لِيَنْتَفِعَ هُوَ بِالْمَدْحِ ؛ وَنَحْنُ نُحِبُّ الْمَدْحَ لِنَنْتَفِعَ وَيَرْتَفِعَ قَدْرُنَا فِي قَوْمِنَا ؛ فَظَهَرَ مِنْ غَلَطِ الْعَامَّةِ قَوْلُهُمْ: إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْمَدْحَ ، فَكَيْفَ لَا نُحِبُّهُ نَحْنُ؟" انتهى بمعناه. - ولأن في مدحه التعريف بحق قدره ، ولولا ما أمرنا به من ذلك ، وعرفنا عليه: لما أدركنا ما يليق بعظمته وجلاله ، من المدح والثناء الحسن ، ولما تعرفنا على ربنا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، فإن معرفة ذلك هي أساس مدحه والثناء عليه ، وهو أساس معرفة العبد بربه. - أن مدحه سبحانه ينفي عن العبد صفات الكبر والتعالى والفخر ، فإن الذي لا ينسب الفضل لله ، فيحمده عليه: ينسبه لنفسه فيطغى ، ويتعالى على الخلق ، كما فعل قارون لما ذكروه بالله وبنعمته عليه: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) ، فكان ذلك سبباً لتعالیه على الناس وفخره بنفسه ، فحسب الله به وبداره الأرض ثم قال تعالى: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ). - مدح الله جل جلاله ، والتعرف عليه بصفات كماله وجلاله وكماله: يفتح للعباد باب القيام حق عبوديته ، فإنهم لا يقدرون على ذلك ولا يتعرفون عليه إلا بعد معرفة موجبات حمده ، بمعرفة أسمائه وصفاته المقتضية مدحه وحمده والثناء عليه. - أن بمدحه والثناء عليه سبحانه بما هو أهله ، فتحاً لباب معرفة الإنسان بقدره ، من الضعف والقلة والذلة والمسكنة ، فينزل منازل العبودية ، قال ابن القيم رحمه الله: "الفقر فقران: فقر اضطراري ،

وهو فقر عام لا خروج لبر ولا فاجر عنه ، وهذا لا يقتضى مدحاً ولا ذمّاً ولا ثواباً ولا عقاباً ، بل هو بمنزلة كون المخلوق مخلوقاً ومصنوعاً. والفقر الثاني فقر اختياري ، هو نتيجة علمين شريفيين: أحدهما: معرفة العبد بربه ، والثاني: معرفته بنفسه. فمتى حصلت له هاتان المعرفتان ، أنتجتا له فقراً هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته" انتهى من "طريق الهجرتين" (ص 9). على أننا نقول: إن السؤال لا يحسن وروده من أصله ، لأنه يرفع المحنة ويدفع التكليف ، فلا مورد له شرعاً ولا عقلاً ، وإذا صح أن يقال: لماذا يمدح الله نفسه ويأمر خلقه بذلك ، مع أنه غني عنهم ، لصح أن يقال: لماذا يأمرهم بالصلاة والصيام والحج والذكر وتلاوة القرآن؟ أليس غنياً عنهم؟! وكما أنه سبحانه ليس بحاجة إلى مدح الناس ، فإنه أيضاً ليس بحاجة إلى صلاتهم ولا إلى صيامهم ولا إلى غير ذلك من طاعاتهم. فينبغي على العبد أن يصرف همه إلى الانشغال بطاعة الله ، وعبادته على أصل التسليم واليقين والرضا ، وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي المشهور: (يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّوَنِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِسْكُمُ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَيَّ أَثْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً) رواه مسلم (2577). هـ. وأشكر للأستاذ المنجد هذا التفصيل الجامع المانع المانع الرائع! ومن هنا نعلم أن الله تعالى مدح نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه – صلى الله عليه وسلم –! وهو سبحانه يحب من العبد أن يمدحه! وقديماً تساءل علماؤنا علماء أهل السنة أيهما أحب إلى الله تعالى: دعاؤه أم الثناء عليه ومدحه؟ وبعد تفصيل طويل جميل لا سبيل إلى إيراد هنا أو ليس هذا مكانه ، توصلوا إلى أن المدح والثناء أحب إلى الله من الدعاء! وأورد الأستاذ خالد عبد المنعم الرفاعي تعليفاً جميلاً على محبة الله تعالى للمدح والإطراء فقال ما نصه: (إن عقيدة كل مؤمن أن الله تعالى هو الغنى الصمد الكامل في أسمائه وصفاته ، الذي حاجة كل أحد إليه ، ولا حاجة به إلى أحد ، وقيام كل شيء به ، وليس قيامه بغيره ، فمهما أحسن العباد أحسنوا لأنفسهم ، وهو سبحانه مع غناه عن العالمين خلقهم وأرسل إليهم رسولاً يبين لهم ما يسعدهم وما يشقيهم ، وجميع ما ينالون به الخيرات من قواهم بفضل ، وهو سبحانه يحب من عباده أن يتقوه ويطيعوه ، كما أنه يكره منهم أن يعصوه ، ولهذا يفرح بتوبة التائبين ، مع غناه عن طاعات عباده وتوباتهم إليه ، وإنما يعود نفع ذلك إليهم دونه ، وهذا من كمال جوده وإحسانه إلى عباده ، ومحبته لنفعهم ، ودفع الضرر عنهم ، فهو يحب من عباده أن يعرفوه ويحبوه ويخافوه ويتقوه ويطيعوه ويتقربوا إليه ، ويجب أن يعلموا أنه لا يغفر الذنوب غيره ، ويجب من يسأله ويدعوه. قد دلت السنة المشرفة على حبه سبحانه لمن يثنى عليه ويحمده ويمدحه ؛ ففي الصحيحين عبد الله بن مسعود ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل ، من أجل ذلك مدح نفسه" ، وقال الأسود بن سريح لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إني حمدت ربي بمحامد فقال: "إن ربك يحب الحمد" ، وقال صلى الله عليه وسلم: "لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك" ، فأفضل خلقه لا يحصى ثناء عليه ، فهو المثني على نفسه ، فالله يحب حمد العباد ، وحمده لنفسه أعظم من حمدهم له ، وتعظيمه لنفسه كذلك ؛ لأنه سبحانه أعلم بنفسه من كل أحد ، والموصوف سبحانه بصفات الكمال التي لا تبلغها عقول الخلائق ، فالعظمة إزاره والكبرياء رداؤه ؛ وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } ، قال: "يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ، ثم يهزهن ، ثم

يقول: "أنا الملك أنا القدوس أنا السلام أنا المؤمن أنا المهيمن ، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئاً ، أنا الذي أعيدها" ، وفي رواية: "يمجد الرب نفسه سبحانه" ، فهو يحمد نفسه ويثني عليها ويمجد نفسه سبحانه وتعالى. ومن المعلوم بالبداهة العقلية أن الله لا ينفعه سبحانه من حمد عباده وثنائهم شيء ؛ لأنه الغني بنفسه ولا يحتاج إلى أحد غيره ، وجميع الخلق لن يبلغوا ضره فيضروه ، ولن يبلغوا نفعه فينفعوه ، بل كل ما سواه فقير إليه: { يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ } ، وقال: { وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا } ، وقوله تعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ * وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ } وقوله تعالى: { وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } ، وقوله تعالى: { إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ } ، وقوله تعالى: { وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ } . فإذا أحب سبحانه وتعالى مدح عباده وثنائهم ، وتقربهم إليه بالنوافل ، ورضي عن السابقين الأولين ونحو ذلك: فالحبه لنفع عباده المؤمنين ؛ لأن جزاء ذلك للعباد ، ولا يجوز أن يقال: هو مفتقر في ذلك إلى غيره ، ولا مستكمل بسواه ؛ فإنه هو الذي خلقهم وخلق أفعالهم ؛ كما قال تعالى: { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } ، وهو الذي هداهم وأعانهم حتى فعلوا ما يحبه ويرضاه ويفرح به ، وهو المان بالعمل ؛ كما قال تعالى: { يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَلَّ لَا تَمَنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }! وقال تعالى: { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَرَبِّيَّتَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } . فثناء العبد على الله لم يحصل إلا بعلمه وقدرته ومشينته وخلق سبحانه ، فله الملك لا شريك له ، وله الحمد في الأولى والآخرة ؛ وهذا من معاني اسمه الأول ؛ كما في الصحيح: "اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء" . فله نهاية الكمال والعزة ، ولم يفتقر إلى غيره ، ولم يخرج شيء عن مشينته ، والعباد لا يقدر أن يوصلوا إلى الله نفعاً ولا ضرراً ، وهو سبحانه وتعالى غني حميد في نفسه ، لا حاجة له بطاعات العباد وثنائهم ومدحهم ؛ كما في صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: "إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي ، فتنفعوني" . "فليس هو فيما يحسن به إليهم من إجابة الدعوات ، وغفران الزلات ، بالمستعاض بذلك منهم جلب منفعة ، أو دفع مضرة ، كما هي عادة المخلوق الذي يعطي غيره نفعاً ليكافئه عليه بنفع ، أو يدفع عنه ضرراً ليتقي بذلك ضرره فقال: "إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني" ، فلست إذا أخصم بهداية المستهدي ، وكفاية المستكفي ، المستطعم والمستكسي بالذي أطلب أن تنفعوني ، ولا أنا إذا غفرت خطاياكم بالليل والنهار أتقي بذلك أن تضروني ؛ فإنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني ؛ إذ هم عاجزون عن ذلك ، بل ما يقدر عليهم من الفعل لا يقدر عليهم إلا بتقديره وتدبيره ، فكيف بما لا يقدر عليهم؟ فكيف بالغني الصمد الذي يمتنع عليه أن يستحق من غيره نفعاً أو ضرراً؟ فإن المخلوقين يبلغ بعضهم نفع بعض ، ومضرة بعض ، وكانوا في أمرهم ونهيمهم قد يكونون كذلك ، والخالق سبحانه مقدس عن ذلك ، فبين تنزيهه عن لحوق نفعهم وضرهم في إحسانه إليهم ، بما يكون من أفعاله بهم وأوامره لهم ، قال قتادة: إن الله لم يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليهم ، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا به عليهم ، ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم .

وذكر أن برهم وفجورهم ، وطاعتهم ومعصيتهم ، لا تزيد ملكه ولا تنقص ، وأن ما يعطيهم غاية ما يسألونه نسبتبه إلي ما عنده أدنى نسبة ؛ فقال - سبحانه - : "يا عبادي لو أن أولكم وآخركم ، وجنكم وإنسكم ، على أفجر قلب رجل واحد ، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، ولو أن أولكم وآخركم ، وجنكم وإنسكم ، كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً" ، إذ ملكه قدرته علي التصرف فلا تزيد ولا تنقص ، كما تزداد قدرة الملك بكثرة المطيعين له ، وتنقص بقلته المطيعين ، وملكه سبحانه متعلق بنفسه ، وهو خالق كل شيء وربّه ، يوتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء" ، قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (192/18-193). وأما حب الله للمدح فليس من جنس من حب المخلوقين للمدح ، وإنما أحب سبحانه وتعالى الطاعات ، ومن جملتها مدحه والثناء عليه ، ليثيب على ذلك فينتفع المكلف لا لينتفع الرب بالمدح ، بخلاف الإنسان فإنه يحب المدح ليرتفع قدره عند الناس. فهل يجوز أن يقال: لماذا أمر الله عباده بالصلاة والصيام والحج والذكر وتلاوة القرآن ، وغيرها من العبادات وهو الغني سبحانه! فكما أنه لا تنفعه طاعات عباده ، فكذلك لا يزيد في ملكه وعظمته مدح المخلوقين ، فتدبر! هذا ؛ والذي يظهر أن مروج تلك الشبهة يقيس الخالق القوي المتين سبحانه وتعالى على المخلوق الضعيف المهين ، ولا يخفى على من له أدنى بصيرة الفرق بين الرب تعالى ، وسائر العبيد! وننبه الأخ السائل إلى البعد عن مظان تلك الشبهات المتهافئة ، حتى يتعلم العقيدة الصحيحة في الله ، ويتعلم ما يدفع به فتن الشبهات عن نفسه ، وليحرص على ما ينفعه. ولتعلم أن الله تعالى لا يفعل شيئاً إلا لحكمة ، ولا يأمر بأمر إلا لحكمة ، ولا يسأل عما يفعل سبحانه ؛ لكمال حكمته ، فله نهاية الحب مع نهاية الذل، والله أعلم)هـ. ولعلنا بهذا التفصيل الأخير ندرِك تمام الإدراك أن مدح الله تعالى تعود منافعه وفوائده علينا ، وهذا أثبتناه من واقع النصوص الشرعية! وهو مشاهد ملموس من الناحية الواقعية ، فلقد وجدناه في القوم الذين شغلهم الله تعالى بذكره ومدحه والثناء عليه ، كما وجدناه في القوم الذين صرفهم الله عن ذكره وعن شكره فلم يوفقوا لحسن عبادته ، فنجدهم لا يذكرون الله ولا يمدحونه ولا يثنون عليه! والفرق بينهما (من يمدحون الله ومن لا يمدحونه) يزيد على الفرق بين السماء والأرض! وتحت عنوان: (عبادة المدح) يقول أستاذنا الشيخ إبراهيم بن صالح العجلان ما نصه بتصريف زهيد: (إن النفس البشرية بطبيعتها ميّالة إلى ثناء من أحسن إليها ، ومدح من تفضّل عليها ، فلا يُكْرَفُ فضل من له الفضل ، إلا من عَشَّعَ النُّكرانَ والجحود بين جنبيه ، فإذا كانت هذه الجبلة موجودة عند البشر تُجاه البشر ، فكيف يكون المدح والثناء لمن أسدى للإنسان كلّ النعم؟! كيف يكون ثناء الإنسان لرب الإنسان ، الذي خلقه من العدم ، وشفاه من السقم ، ورزقه من النعم؟! (وإن تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) ، فتعالوا - إخوة الإيمان - إلى عبادة عظيمة ، إنها عبادة المدح ، نعم المدح لله الخالق الرحيم ، الرزاق الكريم ، ذلك المدح الذي لا تزلف فيه ولا تملق ، ولا نفاق فيه ولا تصنع. تلك العبادة التي تزيد العبد من ربه قرباً وحباً ، فما أجمل الثناء لمن يستحق حقاً وصدقاً للإطراء! وما أحسن التمجيد ، إذا كان في حق رب العبيد! ثبت في صحيح البخاري ، من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - : أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: (لا أحد أغير من الله ؛ فلذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله ؛ فلذلك مدح نفسه). وفي الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبه - رضي الله عنه - أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: (لا أحد أحب إليه المدحة من الله ؛ ومن أجل ذلك وعد الله الجنة). إن فعل ما يحبه الله ويرضاه من أجل وأعظم العبادات الموصلة

لرضا رب البريات، والمبلغة لجنة عرضها الأرض والسماوات ، فهو - سبحانه - يحب من يثني عليه ويحمده بما هو أهله ، ولذا أتى على نفسه في مواضع كثيرة من كتابه ، ورغبنا أن نتقرب إليه بالمدح والتحميد ، والثناء والتمجيد. مهما عجت الألسن وكلت ، فإن تحصي ثناء على ربها - جل جلاله وتقدست أسماؤه - فهو - سبحانه - فوق ما يصفه الواصفون ، وأعلى مما ينعتة العارفون ، قد قال ذلك أعلم الخلق وأخشاهم وأتقاهم لله - صلى الله عليه وسلم - فقد كان يردد في سجوده: (لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك). هذه العبادة - عبادة المدح - عرفها أعراف الخلق لرب الخلق ، فكان - عليه الصلاة والسلام - كثير الثناء لربه ، لهاجا بالحمد له ، حتى لكان أحواله كلها مع هذه العبادة المحبوبة المرغوبة. وكان إذا قام من الليل يتهدد ، استفتح صلاته بقوله: (اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن). وكان يفتح خطبه ومواعظه بالحمد والثناء. وكان ثناؤه لربه معه في شدته ورخائه ، في سفره وحضره ، في طعامه ولباسه ، في عبادته وفراغه منها. ولم يكن ثناؤه لربه لصيقه وشعاره ودثاره في دنياه فحسب ؛ بل حتى في أخراه ، يكون له مع هذه العبادة شأن - وأي شأن - ، في ذلك المقام المهول ، والكرب الطويل ، يفرع الخلق إلى أكرم الخلق - صلى الله عليه وسلم - لطلب الشفاعة عند الله للفصل بين العباد ، فينطلق - عليه الصلاة والسلام - فيقع ساجداً تحت عرش ربه ، فيفتح الله عليه من المحامد وحسن الثناء ، ما لم يفتحه لأحد قبله ، ثم يقول الله بعد ذلك: يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فيحمده حينها أهل الموقف كلهم على هذه الوساطة عند رب العالمين. إن سألتهم عن فضل عبادة الثناء على الله - تعالى - فيكفيها فضلاً وشرافاً أن الله - تعالى - يذكر من أتى عليه ومدحه ؛ قال - سبحانه - : (فأذكروني أذكركم). وقال - تعالى - في الحديث القدسي: (أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ خير منه). هذا ، ومن فضائل عبادة الثناء: - أنها سبب من أسباب إجابة الدعاء ؛ سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - رجلاً يدعو في الصلاة ، ولم يذكر الله - عز وجل - ولم يصل على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال - عليه الصلاة والسلام -: (عجل هذا) ، ثم دعاه فقال له ولغيره: (إذا صلى أحدكم ، فليبدأ بتحميد ربه ، والثناء عليه ، ثم ليصل على النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم ليبدأ بتحميد ربه ، والثناء عليه ، ثم ليصل على النبي - صلى الله عليه وسلم - فإنه أجدر أن ينجح). ومن فضائل عبادة الثناء لله - تعالى - ، والفضائل كثيرة: - أنها سبب لرفع العمل ، ها هو رجل من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأتي لصلاته مسرعاً ، وقد حفره النفس ، فقال بعد أن كبر: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً ، فلما قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاته قال: (أيكم المتكلم بالكلمات؟) ، فأرَم القوم - أي: سكتوا - فقال: (أيكم المتكلم بها؟ فإنه لم يقل بأساً) ، فقال الرجل: جئت وقد حفرني النفس فقلتها ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لقد رأيت اثني عشر ملكاً يبتدرونها أيهم يرفعها) ؛ خرجه مسلم في صحيحه. وحين نتدبر الذكر الحكيم ، الذي هو شفاء ورحمة وهدى وخشية ، نجد الثناء العاطر والمدح الجليل من الله - تعالى - لذاته وأسمانه وصفاته ، فهل مدح أعلى وأشرف وأجل من قول الحق - تبارك وتعالى -: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)؟ وهل ثناء وتنزية يسمو ويعلو على وصف

الحق - تبارك وتعالى - عن نفسه بقوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)؟ يأتي نفر من كفار قريش إلى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيقولون له: انسب لنا ربك ، فيأتي الجواب من الله - تعالى - في غاية المدح والبيان والاختصار: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ). ثم قلب نظرك - أخي المبارك - بين دفتي كتاب ربك ، تجد الثناء السامق ، الذي ليس فوقه ثناء لأفعال الله وتقديرات الله ، ترَ الحيَّ القيوم العظيم قد أخبر عن نفسه أنه خَلَقَ الإنسان وقومه ، وبدأ الكون ونظمه ، وصور النبات وجمّله ، وأوجد الحيوان وسخره ، أنشأ السماء وبنائها: (رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا). أعطى ومنع ، رفع ووضع ، خلق فسوى ، وقدر فهدى ، أضحك وأبكى ، أمات وأحيا ، أسعد وأشقى ، بديع السموات والأرض ، مد الظل ولو شاء لجعله ساكنًا ، ما خاب من دعاه ، ما تعنى من رجاء ، كل ما يجري في الكون فبِنِعْمِهِ ومن نعمه ؛ (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمَنْ اللهُ). يُنِعِمُ فَيُعْصِي ، يتفضل فينسى ، يسبغ فما ترفع إليه الشكوى ، لا تُدرِكه الأفهام ، ولا تَبْلُغُهُ الأوهام ، ولا يُشْبِهُه الأنام ، حيٌّ لا يموت ، قيوم لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، حجابُه النور ، لو كَشَفَهُ لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصرُه من خلقه. يعلم السرَّ والنجوى ؛ (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ). يعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ، (إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) ، يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف سيكون. وَهُوَ الَّذِي يَرَى دَبِيبَ الدَّرِّ فِي الظُّلُمَاتِ فَوْقَ صُمِّ الصَّخْرِ ، وَسَامِعٌ لِلْجَهْرِ وَالْإِخْفَاتِ بِسَمْعِهِ الْوَاسِعِ لِلْأَصْوَاتِ ، عَمَّ بَرُّهُ ، وَاتَّصَلَ خَيْرُهُ ، وَكَمَّلَ عَطَاؤُهُ ، وَتَمَّتْ نَوَافِلُهُ ، وَعَمَّتْ فَوَاضِلُهُ ، وَعَزَّ سُلْطَانُهُ ، وَبَرَّ قَسَمُهُ ، وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَعَظُمَ جَاهُهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، فلا إله غيره. في السماء مُلْكُهُ ، وفي الأرض سُلْطَانُهُ ، وفي البحر عَظْمَتُهُ ، وفي الجبال قُوَّتُهُ ، وفي الكون وَالْخَلْقِ قُدْرَتُهُ ، وفي الشرائع حِكْمَتُهُ ، وفي الجنة رَحْمَتُهُ ، وفي النار سَطْوَتُهُ. سبحانك من إله رب عظيم ، رؤوف جواد كريم ، أَلَسِنَتُنَا سَبَّحْتَ فِي عِلَاكَ ، ورؤوسنا ما سجدت لأحد سواك ، أنت ترانا ولا نراك ، ولا نعبد إلا إياك!). هـ. وعلى الرغم من هذا الأمر الذي أسهبت فيه وأطلت ، وذكرت الأدلة مشرقة ومغربة ومختصرة ومسهبة ، نجد أن المدائح الإلهية الربانية قليلة جداً في أدبنا العربي قديمه وحديثه ، إذا ما قورنت بالمدائح النبوية! وكان الأولى هو العكس! لماذا؟ لأننا أجبنا على هذا السؤال في أول مقدمتنا ، من أن الله تعالى يحب المدح والإطراء والثناء ، بينما النبي - صلى الله عليه وسلم لا يحب المدح ولا الثناء ولا الإطراء! ولما أردت مدح الله تعالى بنص بسيط متواضع يفهمه الصغير قبل الكبير ، ويعيه السقيم قبل المتبحر ، اخترت قصيدة الشاعر اليمني الكبير عجلان ثابت: رحمن رحمن! وجعلتها في شكل سباعيات شعرية!

رحمــــنُ ، يــــا رــــحــــمــــنُ يــــا مــــنــــزلَ القــــرآنِ
يــــا خــــالقَ الإنــــسانِ يــــا واهــــبَ التــــيبانِ
يــــا واطــــوعَ الميــــزانِ يــــا واســــعَ الغــــفرانِ
أودى بــــنا العــــصــــيانِ فــــي الســــررِ والإعــــلانِ

والبغوي والغوي ودوان
يا ربنا الرحمن
مَـولاهمُ الـديان

ما خاب من نجاه
مُتَشـوقاً لـلِقاه
والقرب من مـولاه
مُتَطـلِعاً لـرُضاه
والقـولُ يـغـمـرُ فـواه
مُستصحباً تـقـواه
وعِدائَتـه لـلـه

كـي يـكـشـفُ الضـراء
مُستشـفِعاً بـبُكـاء
رَبِ اصـرِّفِ الأرزاء
مـن زلتـي مُستـاء
يـا واهـبِ النـماء
يُزجـي إليـك دُعاء
كـي لا يـذوقَ شـقاء

الطـف بـمـن نـاجـاك
مَـن ذا لـه إلاك؟!!

وأذننا الطغيان
نـدعوك باسـتيقان
فليـدركِ العُبدان

اللـهُ ، يـاللـهُ
مُستعصـماً بـهـداه
مُستفتحاً بـدُعاءه
وفـؤادُه أوَاه
تـبـكي دـمـعاً عـينـاه
مرفوعـة كـفـاه
يـشـكو المُنـى وهـواه

يـدعوهُ فـي البأساء
ويـقولُ فـي اسـتحياء
رَبِ ارـفـعِ البـلاء
عـبـداً أنـا خـطـاء
لـي - فـي الدـعاء - رـجاء
فـاقبـلْ أـثـمـاً جـاء
فـاجعـلـه فـي السُّعـاء

يـا ربـنا رُحـمـاك
لـم يـلـجـ أنْ لـسـواك

فـاـمـنـحُ جـمـيـل عـطـاـك
هـو بـالـرـجـاء أـتـاـك
وـدـهـى قـوـاه هـلـاـك
لـيـعـيـشَ وـفـق هـدـاك
يـا رـبـنـا رُحـمـاك

اـغـفـرْ لـنـا الأـثـامَ
كـي تـشـفـيَ الأـسـقـامَ
بـالـذـنـبِ والإـجـرامَ
تُبـنـا إـلـى العـلـامَ
إـن جـاهـدَ الأـوـهـامَ
وـسـمـى بـلـا إـحـجـامَ
وـالـفـضـلَ والإـنـعـامَ

سـامـحَ عـصـياً تـابَ
حـتـى اسـتـثـلَ وخبـابَ
كـي يـبـلـغَ الأـسـبابَ
وخبـالـه التـلـعـابَ
وقـلـا خـطـى الأـحـبـابَ
يـخـشـى أـلـيـمَ عـقـابَ
يـا رـبـ يـا وـهـابَ!

يـهـفـو إـلـى نـعـمـاك
مـا شـاـئـتـه لـو لـاك؟!
ولـنـن غـوـى و عـصـاك
فـاـمـنـحـه بـعـض رـضـاك
وـارزقـه بـعـض ثـقـاك

يـا بـارئ الأـنـامَ
نـدـعـوك بـاسـمـتـر حـامَ
وَنُقـِرُ دُونَ سَمِـوَامَ
وَنُقـِـوْا بـاسـتـسـلامَ
وَالعـبـدُ لـيـسَ يُـلـامَ
وَتَسـمـى نـمِ الإـقـدامَ
لـلـهِ ذِي الإـكـرامَ

يـا رـب يـا تـوابَ
أودى بـه الأـصـحابَ
لـم يـطـرـقَ الأبـوابَ
طـرحَ الهـُدَى وارـتـابَ
وَتَنكَبُ الأـدـابَ
ثـم اهـتـدى وَأَنـابَ
فـارزقـه خـيـرَ مـتـابَ

مصطفى يا مصطفى! (معارضة لأحمد اليافعي)

(أردتُ وصف أخلاقه - صلى الله عليه وسلم - وخلال الجميلة ، ومدح رسالته الفضيلة ودعوته الجليلة ، وذلك في نص بسيط قصير سهل ممتنع كما يقولون ، ليس يلجئ القارئ أو السامع إلى القاموس! فاخترتُ قصيدة الشاعر اليمني الكبير أحمد بن سالم اليافعي: (مصطفى مصطفى)! وذلك لعدوبتها وجمالها وبساطتها! وحاولتُ جاهداً ألا أقع فيما وقع فيه بعض الشعراء في القديم والحديث ، من الغلو الذي يتطرق إلى الشرك بالله وذلك بإخراج النبي - صلى الله عليه وسلم - عن بشريته! بل حاولتُ التوسط والاعتدال ، وآملُ أن أكون قد وفقتُ في ذلك! ولقد راجعتُ النص ودققته وحققته عدة مرات قبل إخراجها للعلن! وأعلم علم اليقين أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يُحب الإطراء المتجاوز للحد! وأضيف هنا أن المدح والإطراء ليس محظوراً كله في شريعتنا! بل الذي ذمه النبي - صلى الله عليه وسلم - هو المدح الذي يُفضي إلى البطر والرياء وفساد النفوس وحملها على الكبر والغطرسة! ومن هنا احتاج الأمر إلى تفصيل يحسن بنا أن نورد في هذه المقدمة وإن طال نسبياً! ولما كنتُ من غير المتخصصين في الشريعة ، عمدتُ إلى الإتيان بالنصوص وبيان ما حوت من مصادرها ، وتطلعتُ على أهلها قاطفاً بعض الورود والزهور من بساتينهم العطرة! جاء في إسلام ويب ما نصه: (المدح والثناء من الأمور التي تُسرُّ بها النفوس ، وتحفزها على زيادة العطاء ، فيحتاجه الأب في بيته ، والداعية مع طلابه ، والرئيس مع مرؤوسيه ، فيثني على من يستحق الثناء ، ويُشيد بعمله تحفيزاً له على الزيادة والاستمرار فيه ، وحثاً لغيره لينافسه في البذل وحسن العمل ، ولذلك كان المدح وسيلة تربوية اتبعها الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع صحابته - رضوان الله عليهم - والمدح في سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - منه ما هو محمود مباح ، ومنه ما هو مذموم منهي عنه ، والأمثلة والصور على ذلك من سيرته وحياته - صلى الله عليه وسلم - كثيرة ، منها: المدح المحمود: فمن المدح المحمود: مدح الشخص بما فيه قبل توجيهه ونصحه ، فيقدم الناصح بين يدي نصيحته الثناء على المنصوح ، وذكر بعض الخير الذي فيه ، ثم يحفزهُ للكمال بفعل بعض المأمورات أو ترك بعض المنهيات ، فهذا مظنة الاستجابة للنصيحة ، فقبل أن يوجه النبي - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - إلى قيام الليل قال: (نعم الرجل عبد الله ، لو كان يصلي من الليل، فكان بعدُ لا ينام من الليل إلا قليلاً) رواه البخاري. ومنه ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - وقف يوماً بين أصحابه ، فقال: (من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، قال أبو بكر - رضي الله عنه -: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما على من دعي من هذه الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ ، فقال - صلى الله عليه وسلم -: نعم وأرجو أن تكون منهم) رواه البخاري. قال ابن بطال في شرحه للحديث: "أنه يجوز الثناء على الناس بما فيهم على وجه الإعلام بصفاتهم ، لتعرف لهم سابقاتهم وتقدمهم في الفضل ، فينزلوا منازلهم ، ويقدموا على من لا يساويهم ، ويقتدى بهم في الخير ، ولو لم يجز وصفهم بالخير والثناء عليهم بأحوالهم لم يُعلم أهل الفضل من غيرهم ، ألا ترى أن النبي - عليه السلام - خصَّ أصحابه بخواص من الفضائل بانأوا بها عن سائر الناس وعرفوا بها إلى يوم القيامة". وكذلك مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - عمر بن الخطاب - رضي الله عنه

- في حضوره فقال: (ما رأيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك) رواه البخاري. قال ابن حجر: "وهذا من جملة المدح ، لكنه لما كان صدقاً محضاً ، وكان الممدوح يؤمن معه الإعجاب والكبر مُدَح به ، ولا يدخل ذلك في المنع ، ومن جملة ذلك الأحاديث المتقدمة في مناقب الصحابة ووصف كل واحد منهم بما وصِف به من الأوصاف الجميلة". المدح المذموم: فمن المدح المذموم: المغالاة في المدح التي تؤدي إلى التعدي ومجاوزة الحقيقة ، وقد نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عنها ، فقال: (لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبدٌ ، فقولوا عبد الله ورسوله) رواه البخاري. ومعنى (لا تطروني) أي: لا تجاوزوا في مدحي. وعن الربيع بنت معوذ - رضي الله عنها - قالت دخل عليّ النبي - صلى الله عليه وسلم - غداة بني علي ، فجلس على فراشي كمجلسك مني وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من أبائهن يوم بدر ، حتى قالت جارية: (وفينا نبي يعلم ما في غد) ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (لا يعلم ما في غد إلا الله! لا تقولي هكذا ، وقولي ما كنت تقولين) أي: من الشعر الذي لا مغالاة فيه رواه البخاري. وفي هذا براءة نبوية من كثير مما يصنعه ويقوله عنه بعض المسلمين ، كادعاء بعضهم أنه - صلى الله عليه وسلم - يعرف الغيب ، أو أنه يقدر على دفع الضر أو جلب النفع لهم ، وغير ذلك مما لم يثبت له ولا عنه - صلى الله عليه وسلم -. قال ابن حجر: "وفي هذا الحديث جواز مدح الرجل في وجهه ما لم يخرج إلى ما ليس فيه. وإنما أنكر عليها ما ذكر من الإطراء حين أطلق علم الغيب له ، وهو صفة تختص بالله تعالى". ومن صور المدح المذموم: مدح من يُخشى عليه الفتنة ، فيعتقد فضله ، وربما تطرق لقلبه الكبر والرياء ، وأن له حقاً على الناس وقدراً ، وربما ظن أنه فاق غيره من السابقين واللاحقين في الفضل ، فاتكل على ذلك وترك العمل أو قصر فيه ، ويحمل عليه حديث أبي موسى - رضي الله عنه - أنه قال: (سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - رجلاً يثني على رجل ويظريه في المدحة، فقال: أهلكم أو قطعتم ظهر الرجل) رواه البخاري. قال المهلب: "وإنما قال هذا ، والله أعلم ، لنلا يغتر الرجل بكثرة المدح ، ويرى أنه عند الناس بتلك المنزلة ، فيترك الازدياد من الخير ويجد الشيطان إليه سبيلاً ، ويوهمه في نفسه حتى يضع التواضع لله". وقال ابن حجر: "قال ابن بطال: حاصل النهي هنا أنه إذا أفرط في مدح آخر بما ليس فيه ، لم يأمن على الممدوح العُجب لظنه أنه بتلك المنزلة ، فربما ضيع العمل والازدياد من الخير اتكالاً على ما وُصِف به". وكذلك من الصور المذمومة للمدح: مدح من لا يستحق المدح من الفساق والظالمين ، فمدحهم والثناء عليهم يغرهم ويغريهم بالمزيد ، وهذا ما يجعل المادح شريكاً في الظلم والفسق ومعيناً عليه ، وقد قال تعالى: {وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ}. وعن بريدة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا تقولوا للمنافق: سيدنا ، فإنه إن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم عز وجل). رواه أبو داود. وعن عائشة - رضي الله عنها -: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس) رواه الترمذي. قال ابن حجر: "وقال الغزالي في الإحياء: آفة المدح في المادح أنه قد يكذب ، وقد يراني الممدوح بمدحه ، ولا سيما إن كان فاسقاً أو ظالماً". ومنها: مدح الرجل بما لا يدري حقيقته على وجه الجزم ، كالحكم على معيّن أنه من الصالحين أو الأتقياء ، وهذا مما لا يمكن لأحد القطع فيه ، فهو غيب لا يعرفه إلا الله ، لذلك ينبغي أن يضيف المادح ما يعلق مدحه بالظن ، كقوله: أحسبه تقياً ، أو أظنه من الصالحين. عن عبد الرحمن بن أبي بكر - رضي الله عنه - ،

عن أبيه: أن رجلاً ذكر عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فأثنى عليه رجل خيراً ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (ويحك ، قطعت عنق صاحبك - يقوله مراراً - إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا ، إن كان يرى أنه كذلك ، وحسيبه الله ، ولا يركي على الله أحداً!) رواه البخاري. قال ابن حجر: "أي لا أقطع على عاقبة أحد ولا على ما في ضميره لكون ذلك مغيباً عنه ، وجيء بذلك بلفظ الخبر ومعناه النهي أي لا تزكوا أحداً على الله ، لأنه أعلم بكم منكم". وإذن فالأحاديث التي تمنع المدح وتذمه لا تتعارض مع الأحاديث الأخرى التي تفيد الإباحة ، وقد جمع بينهما النووي في شرحه لمسلم فقال: "قال العلماء: وطريق الجمع بينها أن النهي محمول على المجازفة في المدح ، والزيادة في الأوصاف ، أو على من يخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح ، وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه ، ورسوخ عقله ومعرفته ، فلا نهى في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة ، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كمنشطه للخير ، والازدياد منه ، أو الدوام عليه ، أو الاقتداء به ، كان مستحباً والله أعلم". وإذا كان المدح للناس شهادة نشهدها لهم بين يدي الله - عز وجل - ، وشهادة لهم عند الناس ، تُبنى عليها بيوت وتجارات وغيرها من المصالح ، فقد تعلمنا من هديه وسنته - صلى الله عليه وسلم - أن لا نشهد إلا عن علم ، وأن لا نمدح ونثني إلا بحق ، وأن ننأى عن المبالغة في المدح ، وأن لا نمدح إلا بما نعلم ، وأن لا نقطع بحكم وغيب لا يعلمه إلا الله. هـ. وإذن فالأمر الآن قد وضح من أن المدح المذموم هو المدح الذي يجعل الممدوح يطغى ويتكبر ويظن نفسه فوق الكل مميزة بما مدح به! ومن هنا كان حظر المدح والإطراء والحال هكذا! وتحت عنوان: (ذم التمداح) يقول الأستاذ محمد المنجد ما نصه: (مشكلة المديح) ما نصه بتصريف زهيد: (إحدى المشاكل الاجتماعية التي هي واقعة بكثرة في حياة المسلمين اليوم ، شيء مما يتعلق بعيوب اللسان ، وهذه الآفة تؤدي إلى مخاطر كثيرة ، هذه الآفة التي هي مسألة التمداح! كثير من الناس اليوم يطلقون ألفاظ المديح والثناء ويكيلونها على كل أحد ، يكيلونها لكل أحد حتى ولو لم يكن أهلاً لها ، فتجد هذا يقول: فلان الفلاني كذا وكذا وكذا من ألفاظ المديح ، وهذا الرجل من أفجر الناس ومن أفسق الناس ، وقد يكون منافقاً أو كافراً والعياذ بالله ، هذه المسألة ألا وهي كيل الثناء والمدح لمن ليس له بأهل ، تؤدي إلى مخاطر كثيرة ، سواء على الصعيد الاجتماعي في قضايا الزواج مثلاً ، أو التعامل والوظائف ؛ لأن الإنسان إذا مدح رجلاً فإنه يوثقه عند الآخرين فقد يستخدمونه وهو ليس بأهل للاستخدام في الجانب هذا ، وقد يؤدي إلى إفساد قلب الرجل ونيته ؛ لأن كيل ألفاظ الثناء والمدح مما يخرب الإخلاص ، ويجرحه تجريحاً ، ولذلك كان لا بد من إلقاء الضوء على هذه المسألة بحسب ما جاء في سيرة رسول الله ﷺ وأحاديثه وما ذكر العلماء في هذه القضية. ولقد ورد في الحديث الصحيح عن همام بن الحارث أن رجلاً جعل يمدح عثمان ، فعمد المقداد أحد الصحابة وكان جالساً في المجلس فجثى على ركبتيه وكان رجلاً ضخماً ، فجعل يحثو في وجه المادح الحصباء ، وهي الحصى الصغير مع التراب ، فقال له عثمان: ما شأنك؟ ماذا جرى لك؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: إذا رأيتكم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب. رواه مسلم. وعن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير قال: مدحك أخاك في وجهه كإمرارك على حلقة موسى رهيباً. كأنك تمر على حلقة موسى شديداً وحاد جداً. ومدح رجل ابن عمر في وجهه فقال ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا رأيتكم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب ، ثم أخذ ابن عمر التراب فرمى به في وجه المادح ، وقال: هذا في وجهك ، هذا في وجهك ، هذا في وجهك ، ثلاث مرات ، قال في الصحيحة: السند

جيد. وإذن فحث التراب في وجوه المداحين من سنة رسول الله ﷺ! ولكن لا بد عند تطبيق الأحاديث من مراعاة أحوال الناس ، فهذا لا يقول لك: بأنه إذا جاءك رجل يمدحك الآن فإنك تأخذ التراب وترميه في وجهه مهما كان حاله ، كلا ، فلا بد من مراعاة حال المداح ، فقد يكون جاهلاً لأحكام المدح وما يترتب عليها، ثم إن ابن عمر من فقهه أنه علم الرجل أولاً ، وقرأ عليه الحديث ثم حثا في وجهه التراب ، ثم أنك إذا رأيت بأن حثو التراب في وجه هذا المداح قد يبعد فيما بينك وبينه ويصده عن الإسلام ويمنعه عن التأثر بك أو الاقتداء بك ، فإن من الحكمة في هذه الحال عدم استعمال هذا ، ليس تعظيلاً للحديث وإنما حكمة في الدعوة إلى الله ، وترفقاً بالجاهل ، فإن رسول الله ﷺ يقول في هذا الحديث: احثوا في وجوه المداحين ، وأتى بصيغة المبالغة المداحين الذين يكثر المدح ، ويستعملونه بكثرة ، فيجعلونه صنيعهم ودأبهم الدائب. قال ابن العربي رحمه الله: وصورة تطبيق هذا الحديث أن تأخذ كفاً من تراب وترمي به بين يديه ، ليس في وجهه فتعمي به عيناه ، كلا ، ليس في وجهه فتعمي به عينيه ، وإنما ترميه أمامه ، لماذا؟ فإنك تقول له: ما عسى أن يكون مقدار من خلق من هذا ، فمن الحكم أنك تأخذ التراب وترميه أمامه ، وتقول له: أنا خلقت من هذا التراب ، فهل أنا أهل لهذا المديح ، وما خلقت إلا من الطين ، وأنت كذلك ما خلقت إلا من هذا التراب ، فاربأ بنفسك عن هذه الآفات التي تعرضك إلى ما لا يحمد عقباه ، وتعرف المداح قدرك وقدره. قال النووي رحمه الله: ومدح الإنسان قد يكون في غيبته وهو غير موجود ، وفي وجهه ، ففي الحالة الأولى إذا مدح وهو غائب عن المجلس فإن هذا المدح لا يمنع منه ، إلا إذا دخل المداح في الكذب فإنه يمنع من المدح حتى ولو كان الممدوح غير موجود ؛ لأنه يدخل في الكذب ، لا لكونه مدحاً. ويستحب كذلك أن الإنسان إذا مدح أن لا يبالغ حتى ولو كان الممدوح أهلاً لهذا المدح. وقد بين ﷺ خطورة المدح فقال: إياكم والتمادح فإنه الذبح ، فإنه في خطورته مثل الذبح ، مدحك لأخيك في وجهه مثل أن تذبحه بالسكين ، رواه ابن ماجه وهو في صحيح الجامع. وقال أيضاً: ذبح الرجل أن تزكيه في وجهه هذا قوله وهو حديث مرسل تشهد له أحاديث أخرى ، وهو في صحيح الجامع. هذا المدح يسبب عللاً كثيرة ، وآفات كبيرة في دين المداح والممدوح فلذلك سماه ﷺ ذبحاً ؛ لأنه يميم القلب ويخرج الممدوح عن دينه ، وفيه ذبح للممدوح أيضاً من جهة أنه يغره بأحواله ، ويغريه بالعجب والكبر ، ويرى نفسه أهلاً للمدح لا سيما إذا كان من أبناء الدنيا ، لذلك قال بعض السلف: لو أن إنساناً صنع إليك معروفاً ، وهو يحب المدح ويحب الثناء ويحب الظهور بين الناس ، فلا تمدحه على صنيعه ، لا تمدحه ، ولكن قل له أدعية ، مثلما قال: من صنع لأخيه معروفاً فقال له: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء. الدعاء له لا بأس به ، أما لو شعرت أن هذا الرجل الذي صنع لك معروفاً إنما يحب من وراء هذا المعروف أن تمدحه وتثني عليه في المجالس وتذكر سيرته أمام الناس ففي هذه الحالة لا تمدحه ، ولذلك قال ﷺ ناهياً عن الإطراء: وهو الزيادة في المدح ، قال: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ، ما قال: لا تمدحوني ، ولكن قال: لا تطروني ، مع أن الرسول ﷺ يستحق المدح أحق الاستحقاق على خلاف حال المسلمين ، ومع ذلك فقد أوصانا بعدم إطرائه ، والإطراء هو المبالغة في المدح حتى يرفع فوق قدره ومنزلته التي أنزله الله إياها. ولذلك قال بعض العلماء: ويحرم مجاوزة الحد في الإطراء في المدح وترد به الشهادة. كان قضاة المسلمين إذا جاء رجل معروف بالإطراء والزيادة في المدح ، وعادته الثناء على الناس بما هم ليسوا له بأهل كانوا

يردون شهادته ولا يقبلونها ، وهذه الحالة معروفة في الشعراء كثيراً ، ولذلك قال بعضهم: لا تؤاخي شاعراً فإنه يمدحك بئس ، ويهجوك مجاناً ، يمدحك ويأخذ أجراً على هذا الشعر ، ولكنه إذا أراد أن يهجوك هجاك مجاناً ، ولذلك وقع من جراء التماذي في المدح في بعض أشعار السابقين واللاحقين أشياء لا يرضاها الله تعالى ، فمن ذلك قول الشاعر ابن هانئ الأندلسي وهو يمدح المعز العبيدي الخبيث مخاطباً له ، وقد وصل به الإطراء إلى درجة أنه قال له هذا البيت:

ما شئت لا ما شاعت الأقدار! فاحكم فأنت الواحد القهار!

وهذه الصفات لا تكون إلا لله ، هو الذي يشاء مهما شاء البشر فمشيئته نافذة ، وهو الذي يحكم وهو الواحد القهار ، وصل الحال بهذا الشاعر لدرجة أن خرج عن الملة بإطلاق هذه الألفاظ على عبد من العبيد. وروى البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي موسى قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يثني على رجل ويظريه في المدحة ، يبالغ في المدح ، فقال: أهلكم أو قطعتم ظهر الرجل ، وترجم عليه رحمه الله البخاري في صحيحه باب ما يكره من الإطناب والمدح ، في كتاب الشهادات ، قال معنوناً: باب ما يكره من الإطناب والمدح. وعن أبي بكر أن رجلاً ذكر عند النبي ﷺ فأنثى عليه رجل خيراً فقال النبي ﷺ: ويحك ، ويحك ، ويحك ، ويحك قطعت عنق صاحبك يقول ذلك مراراً ، يقول له: ويحك قطعت عنق صاحبك ، إن كان أحدكم مادحاً يقول موجهاً الأمة: إن كان أحدكم مادحاً لا محالة لا بد أن يمدح فليقل: أحسب كذا وكذا ، إن كان يعلم ذلك منه ، ليس فقط أن يقول المدح وهذا لا يستأهل المدح ، حتى لو قال: أحسبه كذا وهذا الرجل لا يستأهل هذا ، لا ، لا بد أن يكون أهلاً لذلك ، لا بد أن يكون مصلياً حتى تقول: أحسبه أنه من أهل الصلاة ، أما إن كان ليس بمصلٍ فلا يجوز أن تقول: من أهل الصلاة حتى لو قلت قبلها أحسبه ؛ لأنه ليس من أهل الصلاة. فيقول: إن كان يرى أنه كذلك ، والله حسيبه ولا يزكي على الله أحداً ، ولذلك إن رأى الإنسان أن يمدح إنساناً لحاجة شرعية ، أو مصلحة شرعية ، فليقل في مدحه: أحسبه والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً أن الرجل هذا من أهل كذا وكذا ، وبوب النووي رحمه الله تعالى على هذا الحديث باب كراهة المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة من إعجاب ونحوه ، وجوازه يعني بلا كراهة لمن أمن ذلك في حقه ، وذلك لكمال تقواه ورسوخ عقله ومعرفته ، وشرط الجواز حينئذ ، شرط جواز المدح أن لا يكون فيه مجازفة ، أن لا يكون فيه مجازفة، فإذا كان فيه زيادة عن حال الرجل ومجازفة فإنه عند ذلك لا يجوز مطلقاً. وكذلك من أفرط في مدح آخر بما ليس فيه فإن الممدوح لا يأمن على نفسه العجب وربما ضيع العمل والازدياد من الخير اتكالا على ما وصف به ، لو أنك مسكت إنساناً ومدحته ، قلت: أنت كذا وكذا ، أمام الناس ، أو بمفرده ، ماذا يحصل لهذا الرجل؟ يحسب بسبب مدحك إياه بأنه قد وصل إلى منزلة عالية من الخير ، وأنه الآن عند الله في كذا وكذا ، وأنه من أهل الجنة مثلاً ، وهذا الشيء يدفعه إلى ترك العمل ؛ لأنه يشعر بأنه قد أمن على نفسه ، وبأنه قد أصبح في المنزلة العالية فلماذا يعمل ؛ لذلك قال العلماء: فإن الرجل لا يعمل إلا إذا أحس بالتقصير ، فأنت إذا مدحته مدحاً زائداً فإنك تزيل عنه التقصير من نفسه ، تزيل عنه الإحساس بالتقصير ، فلذلك يتكاسل عن العمل ويتوانى ، هذا من أضرار الإفراط في المدح. وأما من مدح إنساناً بما فيه ، وكان هذا الرجل من أهل الصلاح والتقوى ، ولا يوجد عنده حب للظهور ، أو لا يوجد عنده اغترار بالكلام الذي سيمدح به فإنه والحالة هذه لا يكره مدحه ، ولكن هذا الأمر لعمر الله يحتاج إلى فراسة إيمانية ، لا تتوفر لكثير من الناس ، ولذلك فالأحوط أن لا تتبالغ في

المدح ، ولا تمدح إلا للضرورة الشرعية. قال ابن حجر رحمه الله في الفتح: وقد ضبط العلماء المبالغة الجائزة من المبالغة الممنوعة بأن الجائزة يصحبها شرط أو تقريب ، والممنوعة بخلافها ، يعني أنت أحياناً تضطر إلى المدح فماذا تقول في مدحك: فلان إن شاء الله من أهل الخير ما دام متمسكاً بالدين ، أو ما دام متبعاً لسنة الرسول ﷺ ، فهذا الشرط أو التقريب مهم جداً لكي يكون المدح شرعياً ، وإلا فإطلاق المدح والتزكية بدون قيد أو شرط ؛ يخشى أن يكون مما لا يرضي الله ، فتقول: فلان نحسبه من كذا على سبيل التقريب ، نحسبه من أهل كذا ، هذه الصيغة لا بأس بها إذا احتاج الإنسان إليها. وكذلك فإن المادح نفسه يتضرر من وراء هذا المدح ، فيضطر للكذب في المدح وقد يضطر للرياء ، وقد يرتكب منهيًا عظيمًا من المنهيات وهو يمدح إنسانًا فاسقًا أو ظالمًا ، وقد يطلق الكلام لا على سبيل التحقق ، يقول: فلان من أهل كذا ، وفلان صفته كذا وهو ما تحقق ولا تأكد خصوصاً أن بعض الأشياء التي يمدح بها بعض الناس لا سبيل إلى التأكد منها مطلقاً ؛ لأنها قد تكون أشياء قلبية ، كيف اطلعت على قلبه لتقول: هذا الرجل من المخلصين ، إيمانه كامل ، وكذا وكذا ، والإيمان محله القلب ويصدق العمل ، فكيف أنت تحكم بالعمل فقط ، ولم تتطلع على قلبه ، وتحكم لفلان من الناس بكمال الإيمان وهي مسألة مستحيلة الحكم بها ؛ لأنها تحتاج على اطلاع على القلب وهذا ليس إلا لله. وبعض الناس قد يقول: فلان ورع ، فلان تقي ، فلان زاهد ، هذا المدح ليس بصحيح ، هذا بخلاف ما إذا قال: رأيت فلاناً يصلي ، رأيت فلاناً يحج ، رأيت فلاناً يزكي ، لو طلب منك شهادة في فلان في مسألة زواج مثلاً لا تقول: فلان ورع ، وتقي ، وعابد ، وزاهد ، وكامل الإيمان ، تقول مثلاً: أنا رأيتَه يصلي ، رأيتَه من الدعاة إلى الله ، يدعو إلى الله على بصيرة ، رأيت فيه علماً ، هكذا تقول ولا تطلق الألفاظ ، تقول هذا الكلام مما يسهل الاطلاع عليه ؛ لأنه يسهل الاطلاع على فلان أنه من أهل الصلاة ، يسهل الاطلاع على فلان أنه من أهل العلم ، وهكذا. وكذلك قال بعض السلف: إذا مدح الرجل في وجهه فليقل: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني خيراً مما يظنون. أخرجه البيهقي في الشعب. ماذا تقول إذا مدحك إنسان في وجهك؟ تقول: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني خيراً مما يظنون ، وتستنكر هذا المدح ، وتتنكر على هذا الرجل ، هذا الكيل المتدفق في المدح ؛ لأنه مخالف لسنة رسول الله ﷺ. وعلماؤنا من السلف رحمة الله تعالى عليهم كانوا لا يكيلون المدح جزافاً ، ولا يطلقونه إطلاقاً ، بل إنك إذا رجعت إلى كتب الجرح والتعديل التي فيها تقييم لرجال الحديث ، لوجدت العلماء من السلف في هذا الجانب يدققون جداً ، لا يقولون: فلان إمام عدل ثقة ثبت ورع زاهد تقي عابد ، كلا ، إلا إذا كان من أهل هذه المنزلة فعلاً ، أما إذا كان فيه شيء آخر ، فإنهم يبينونه ، فلذلك مثلاً ، يقول الذهبي رحمه الله في ترجمة إسماعيل بن سميع الكوفي: ثقة فيه بدعة ، كونه ثقة ما منع الذهبي أن يقول: فيه بدعة ، وكونه فيه بدعة ما منع الذهبي أن يقول عنه: ثقة ، لا بد ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، قال عنه: ثقة فيه بدعة ، وقال في ترجمة أبو سليمان داود المدني: ثقة مشهور له غرائب تستنكر مع أنه ثقة مشهور لكن عنده غرائب تستنكر منه ، ما منع الذهبي ثقة الرجل وشهرته أن يضيف هذه الإضافة ، له غرائب تستنكر ، لا بد من إنزال الناس منازلهم ، عدم إطلاق ألفاظ الثناء عليهم. وهذا مثال أخير: قال الذهبي رحمه الله في ترجمة طلق بن حبيب: من صلحاء التابعين إلا أنه يرى الإرجاء. وقال ابن حبان في نفس الرجل: كان عابداً مرجئاً ، الإرجاء بدعة أي قول مبتدع في الدين ، مذهب باطل ، إلا أنهم لما ترجموا لهذا الرجل قالوا: من صلحاء

التابعين ، هو صالح نعم ، لكن عنده في فكره انحراف منهجي في قضية الإرجاء ، فكان لا بد من التنبيه. ومن أعظم المصائب في قضية المدح مدح المنافق والفاجر أو الكافر بقول: سيد ، قال عليه وسلم في الحديث الصحيح ، الذي يرويه أحمد وأبو داود عن بريدة وهو في صحيح الجامع: لا تقولوا للمنافق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم ، قال العلماء في شرح الحديث: إذا قلت للمنافق يا سيدنا أو يا سيدي وهذا الرجل سيد فعلاً عنده عيب وعنده أموال وعنده جاه ومنصب فإن قلت له: يا سيدي وهو منافق فعلاً فقد أسخطت ربك ، فكيف إذا كان هذا المنافق ليس بسيد أصلاً بل هو من عامة الناس وهو منافق وأنت تقول له: يا سيد ، أو يا سيدي؟ ولذلك قال النووي رحمه الله معنوناً على هذا الحديث: باب النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بسيد ونحوه ، قال الشارح في دليل الفالحين: ونحوهما يعني الفاسق والمبتدع ونحوهما يعني من الظلمة وأعاونهم ، وبعض الناس اليوم عندما يخاطب الكفار يقول له بلهجتة أو بلغته الأجنبية ، نعم يا سيد ، كما يقول بعض الطلبة للمدرس الكافر يقول له: يا سيد ، هذا داخل في الحديث ، حتى ولو قالها بلغة الكافر ، وهذه اللفظة شائعة على السنة كثير ممن يتعاملون مع الكفرة ، لماذا هذا النهي وهذا التعظيم ، وقول الرسول عليه وسلم: لقد أسخطتم ربكم؟ قال الشارح رحمه الله: لأن فيه تعظيم لمن أهانه الله ، الله يهين منافقاً أو مبتدعاً أو فاجراً ويتوعدده في كتابه بالنار والعذاب والإهانة في الدنيا والآخرة وأنت أيها المسلم تأتي وترفع هذا الرجل إلى مرتبة السيادة! إنه لأمر عجيب فعلاً. وهذا الشيء مقيد بمن لا يكون على نفسه ضرر في أهله أو ماله فلا كراهة حينئذ ، وقوله: فقد أسخطتم ربكم أي: عظمت من خرج عن عبودية الله ، واتخذ له ضدّاً ونداً ، وكذلك العصاة! ومما يتعلق بالموضوع كذلك ما تراه أيها المسلم أحياناً في نعي الجرائد، فإن كثيراً من الناس إذا ذهب ينشر نعيّاً عن ميت من أصحابه أو من أهل تراه يقول مثلاً في مطلع النعي: يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ○ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً ، أو يقول: لقد انتقل إلى رحمة الله فلان ، أو يقول: المغفور له فلان قد مات في كذا وكذا ، أو يقول: الشهيد فلان ، أو مات شهيداً ، ونحو ذلك ، أو يقول ، إلى آخر ذلك من الآيات التي يصدر بها النعي ، وإلى آخر ذلك من الألفاظ ، المرحوم فلان ، يا أخي المسلم ما يدريك أنه مرحوم ، ما يدريك بأنه انتقل إلى غضب الله وعذابه بدلاً من ينتقل إلى رحمته ، ما يدريك بأن نفسه أمانة بالسوء وليست نفساً مطمئنة ، كيف تحكم عليه بهذه الأحكام فتقول: هذا صاحب النفس المطمئنة ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً ○ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ، ما يدريك بأنه قد دخل الجنة عندما مات ، ما يدريك بأن الله قد غفر أو لم يغفر له ، ما يدريك بأنه شهيد ، ربما كان غير شهيد ، فلذلك أقرأ عليكم أيها الإخوة هذا الحديث الذي رواه البخاري رحمه الله الذي يوضح لك بجلاء خطأ ونكارة ما يفعله الناس اليوم في هذه الأمور: عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أم العلاء الأنصارية امرأة من الأنصار قالت: بايعت رسول الله عليه وسلم ، وأخبرت أنهم اقتسموا المهاجرين قرعة ، لما هاجر المهاجرون من مكة إلى المدينة كانوا فقراء ليس عندهم مأوى ولا مكان يبيتون فيه ، فأخوانهم الأنصار كانوا يحرسون عليهم أشد الحرص فتقول المرأة: اقتسموا المهاجرين قرعة ، كل واحد من الأنصار يقول: أنا أريد فلان ، أنا أريد فلان ، والمهاجرين قلة في العدد أقل من الأنصار ، فماذا فعل الرسول عليه وسلم؟ قسمها بالقرعة ، يأتي برجل من المهاجرين فيقرع بين الأنصار فيخرج أن هذا من نصيب فلان ، فيأخذه معه إلى بيته ويسكنه في بيته ويكرمه ويطعمه ، قالت هذه المرأة رضي الله عنها: فطار لنا عثمان بن مظعون ، طار لنا في القرعة صار من نصيبنا عثمان بن مظعون المهاجري رضي الله تعالى

عنه ، وأنزلناه في آياتنا ، أكرمناه ، فوجع وجعه الذي توفي فيه ، نزل به المرض والوجع الذي أدى به إلى الوفاة ، فلما توفي غسل وكفن في أثوابه ، فدخل رسول الله ﷺ ، فقالت المرأة: ما علمت منه إلا كل خير ، ما رأته إلا عابداً مجاهداً في سبيل الله ، تقول: رحمة الله عليك يا أبا السائب ، وهي كنية عثمان بن مظعون ، رحمة الله عليك يا أبا السائب ، حتى هنا الكلام صحيح ، دعاء بالرحمة له ، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله ، أشهد أن الله قد أكرمك ، فقال رسول الله ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمك؟ فقلت: بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله؟ فقال رسول الله ﷺ: أما هو فقد جاءه اليقين جاءه الموت ، والله إنني لأرجو له الخير! انظروا إلى التصحيح والتعليم ، المرأة قالت: شهادتي عليك لقد أكرمك الله ، ماذا قال الرسول ﷺ؟ والله إنني لأرجو له الخير ، فلو قلت مثلاً: أرجو أن يكون فلان من أهل الجنة ، أرجو أن الله قد أكرمك ، نسأل الله أن يغفر له ذنوبه ، نسأل الله أن يبلغه عليين ، إلى آخر ذلك من ألفاظ الدعاء للميت ، نعم ، لا بأس ، لكن إطلاق الحكم له بالجنة ، وإطلاق الحكم له بالمغفرة أو الشهادة هذا مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة ؛ لأن من عقيدتهم أنهم يقولون: لا يجوز الحكم لمعين بجنة أو نار إلا ما حكم له الوحي ، فإذا حكم الوحي لأبي بكر أنه من أهل الجنة نحن نقطع أنه من أهل الجنة ، إذا حكم القرآن أن أبا لهب في النار قطعنا بأنه في النار ، أما غير ذلك من الأشخاص لا نقطع لهم بجنة أو بنار إلا ما ورد في الوحي ، بل نقول: أن فلاناً عمله من عمل أهل الجنة ، وفلان عمله من عمل أهل النار ، وهكذا ، ثم قال ﷺ مكملاً حديثه: والله إنني لأرجو له الخير والله ، انظروا أيها الإخوة إلى هذه العبارة والله ما أدري وأنا رسول الله ماذا يفعل بي؟ ولذلك تقول هذه المرأة: فما زكيت بعده أحداً أبداً. وعموماً النهي عن المدح لا يعني الجفاف في المعاملة! وتلك نقطة أخيرة في هذه الموضوع ، عندما نقول بالنهي عن المدح والتمادح والثناء ، إننا لا نعني بأي حال من الأحوال ، الجفاف في معاملة الناس ، وعدم الثناء على من يستحق الخير ، وأنه إذا ورد أمامنا ذكر عالم أو رجل من المخلصين أن لا نقول له كلمة مدح أو ثناء البتة ، كلا. ولا يعني ذلك أيضاً بأننا في حال الدعوة إلى الله نترفق بالناس ونستشير كوامن الخير في أنفسهم بالثناء على ما فيهم من الخير ، أنت كداعية عندما تريد أن تدعو الناس لا تذهب للرجل وتقول له في وجهه: افعل كذا وكذا بدون مقدمات تستثير بها عاطفته ، تفتح قلبه ، فمثلاً تقول للرجل: أحسب أنك من أهل الخير هلا فعلت كذا وكذا ، أحسب أنك من أهل طاعة الله لم لا تفعل كذا ، أو تقول مثلاً للرجل وهو يصلي ، تقول له: يا أخي أنت من أهل الصلاة والحمد لله وفيك خير كبير وفيك إيمان ما دمت من أهل الصلاة لماذا لا تكمل هذا الإيمان بالإقلاع عن المعصية الفلانية والفلانية ، وقد قال الشاعر:

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

هذا الأسلوب مطلوب ، تشجيع طلبية العلم أثناء تعليمهم ، بقول المعلم للرجل: أحسنت. مثلاً ، والثناء عليه لا بأس بذلك ، تشجيع الناس الذين يفعلون الخير بالكلمات الطيبة لا بأس بها بشرط أن يؤمن بأنهم لن يأخذوا كلامك هذا ويفسد نياتهم ويتركوا العمل ، وذلك بأن تقتصد في المدح وتعطي كل رجل الألفاظ المناسبة لحاله بغير أن تخرجه عن الحد المشروع ، ولذلك أبو سفيان المشرك لما أسلم كيف أسلم؟ من الأسباب التي دعت للإسلام أن الرسول ﷺ أنزله منزلة فيها إظهار لبعض قدره حتى يؤلف قلبه على الإسلام ، فلذلك قال مخاطباً أهل مكة:

من دخل المسجد الحرام فهو آمن ، ومن دخل بيته فهو آمن ، ومن دخل دار أو بيت أبي سفيان فهو آمن ، لماذا قال هذه الجملة؟ أعطى هذا الرجل شيئاً من المنزلة لعل الله أن يهديه ، فأعطى أبا سفيان هذه المنزلة تأليفاً لقلبه ، وهذا قدوة نقتدي بها أيها الإخوة في باب الدعوة إلى الله.)

مصطفى ، مصطفى
جاءنا بالشفا

والإخفا والصفا
والعطا والوفا

مُرْسَلٌ بِالْهُدَى
مَنْ أَطَاعَ اهْتَدَى
فَأَجْتَنِي السُّوْدَا
والتسامي غدا

دُرْبُهُ مُسْتَقِيمٌ
ذُو صِرَاطٍ قَوِيمٌ
كَمْ يُحِيرُ الْخَصُومَ!
كَمْ يُبَيِّنُ الْهَمُومَ!

رَحْمَةٌ لِلْبَشَرِ
خَصَمُهُ الْمَقْتَدِرُ
هَلْ مَثَلُ الْقَمَرِ
وَالضُّيَاءُ الْإِنْتِشَرِ

جَاءَنَا بِالرَّشَادِ
مِنْ مَلِكٍ صَادِقِ الْمَدِ
فَاسْتَمَى ، وَاجْتَهَدَ
وَاقْتَصَدَ ، وَاقْتَصَدَ

شَرْعُهُ مُكْتَمِلٌ
خَاتَمٌ لِلرَّسَالِ
كَمْ هَدَى مِنْ ضَلَالٍ!
كَمْ دَعَا ، وَاعْتَدَل!

وَهُوَ أَوْفَى رَسُومِ
مِنْ إِلَهِ جَلِيلِ
قَدْ هَدَانَا السَّبِيلِ
ثُمَّ كَانِ الدَّلِيلِ

مِنَ إِلَهِهِ عَلَيَّ
مَالَهُ مِنْ سَمِي

صَائِنٌ مَا وَعَى
بِأَذْلًا طَيِّعًا

عَزْمُهُ مَا وَهَنَ
سِرُّهُ وَالْعَلَمَنَ

ذَا بَشِيرٌ نَزِيرٌ
شَافِعٌ فِي النُّشُورِ

وَالْوَرَى بِالْهَنَا
يُرْشِدُ الْوَدَيْتَا

مُنْصِرِبٌ إِنْ غَضِبَ
مُحْسِرِنٌ إِنْ صَحِبَ

وَالْإِخْلَامَ وَالْوَيْلَامَ!
حَيْثُ زَالَ الظُّلَامَ

وَهُوَ أَسْمَى نَبِيَّ
عَقْلُهُ أَلْمَعِي

مَسْجِدُ تَجَابُ الدَّعَا
لِلْمَعَالِي سَمِي

مَسْتَبِينُ السُّنُنُ
صَادِقٌ وَمُتَمَن

هُدْيُهُ مَسْتَتِيرٌ
وَالسُّرُجُ الْمُنِيرُ

خَصَّ هَذَا الَّذِي الدُّنَا
هُدْيُهُ كَالسُّنَا

مُفْصِرٌ إِنْ خَطِبَ
طَيِّبٌ إِنْ أَحْبَبَ

كَمِ دَعَا لِّلْسُلَامِ
فَاسْتَقَامَ الْأَنْطَامِ

خَيْرُ هَذَا وَدِينِ
رَغْمِ حِلْمِ وَلِيِّينِ

وَاسْقِنَا مِنْ يَدِيهِ
ثُمَّ سَلِّمْ عَلَيْهِ

سَأَلْتُهُ مُسْتَتِينِ
بِأَسْمَاءَ لَا يَلِيهِ

رَبِّ صَالِي عَلَيْهِ
مَاءَ نَهْرٍ لَدَيْهِ

القصيدة الزينية 2

(معارضة لزينية الشاعر العباسي صالح بن عبد القدوس)

(كان لهذا الأشيب اليمني تجربة مغايرة للشاعر صالح بن عبد القدوس العباسي ، حيث إن كليهما كان قد تزوج بصبية في عمر بُنياته! ومع تباين الزمانين ، كان هناك تباين كبير في التجربتين! فلقد كانت تجربة الأول العباسي مريرة ومرة وعاتية ومثبطة! بينما كانت تجربة الثاني اليمني المعاصر عذبة وشانقة وماتعة ومشجعة! ودوري هنا كشاعر هو تصوير شعور وحال وتجربة الأشيب المعاصر شعراً! وقبل أن أفعل معارضاً شاعرنا العباسي صالحاً بن عبد القدوس مُعرّضاً بتجربته القاسية! أسأل وأتساءل وأجيب: ما الجدل الدائر حول قصيدته الزينية ونسبتها؟ هل هي له؟ أم لعلي بن أبي طالب كما يتخرص المتخرصون ويتساهلون؟ واحتاج الأمر إلى تحقيق مطول في ضوء كلام أهل الخبرة والفن من النقاد والأدباء والمحققين وأهل التدقيق! ذلك أن هذا الجدل أثير منذ زمن بعيد! والناس فيه بين متساهل عديم الخبرة ومدقق حصيف له باع في الخبرة! ولسوف أبدأ بالمصادر الشيعية أولاً لأثبت صحة ما ذهب إليه جمهرة أهل النقد والبحث والتحري ، من أن القصيدة لصالح بن عبد القدوس ، ولا علاقة لها بعلي ولا علاقة لعلي رضي الله عنه بها من قريب ولا من بعيد! وهذا لا يعني النيل من علي ولا تنقصه! معاذ الله! إن علياً بن أبي طالب أشعر من صالح بن عبد القدوس بمئات المرات! وديوان علي والشعر الثابت المسند له يدل دلالة كبيرة على ذلك! لكن كلامنا اليوم منصب على القصيدة الزينية تحديداً! فما صحة سند القصيدة الزينية؟ وما صحة نسبتها حقاً للإمام عليّ (رضي الله عنه)؟ والجواب: القصيدة الزينية هي قصيدة مشهورة في المواعظ والمدائح على قافية الباء ، تزيد أبياتها على الستين بيتاً ، ومطلعها: (صرمت حبالك بعد وصلك زينب * والدهر فيه تصرم وتقلب) ، ولذكر زينب في مطلعها عرفت بالقصيدة الزينية. وكتب غير واحد شرحاً عليها: (منها): شرح الميرزا جعفر بن الشيخ محمد النوجة دهي التبريزي. (ومنها): البهجة السنية في شرح القصيدة الزينية للأديب عبد المعطي بن سالم الشبلي السملوي المصري. وقد نسبت هذه القصيدة لأمير المؤمنين (رضي الله عنه) ، وأدرجت في بعض الطبقات من ديوان الإمام (علي) رضي الله عنه ، كما في [ديوان الإمام علي ص26] جمع وترتيب عبد العزيز الكرم ، وقد ذكر السيد محمد حسين الجلالي في [فهرس التراث ص74] عند ذكر طبقات الديوان: «ومنها: جمع وترتيب عبد العزيز الكرم ، طبعة دمشق سنة 1374هـ = 1955م ، وفيها زيادات لا أصل لها ، وقد قابلت هذه الطبعة مع نسخة مؤرخة سنة 818هـ في مكتبة كوهر شاد تحت رقم 104 ، فوجدتهما يختلفان في ترتيب الأبيات والعناوين ، وفي المخطوطة بعض المصادر والأسانيد التي حذفت من المطبوعة ، كما أن في المطبوعة زيادة القصيدة الزينية بقافية الباء » ، وهذا واضح بأن هذه القصيدة مزيدة في الديوان وليست منها. وقال السيد محسن الأمين في [أعيان الشيعة ج2 ص113] عند ذكره تخميس الشيخ إبراهيم البعلبكي لقصيدة في الحكم والآداب لأمير المؤمنين (علي): «والظاهر أن القصيدة المذكورة هي المنسوبة إلى أمير المؤمنين ، ولم تصح نسبتها ، وأولها: (صرمت حبالك بعد وصلك زينب * والدهر فيه تغير وتقلب) » ، وكلام هذا العلامة الأديب الألمعي واضح في عدم صحة النسبة. نعم ، جاء في آخر القصيدة أبيات - كما في [ديوان الإمام علي ص28] المتقدم - تدل على أن منسيتها أمير المؤمنين ، وهي:

(فاصغ لوعظ قصيدة أولاكها * طود العلوم الشامخات الأهيب)

(أعني علياً وابن عم محمد * من ناله الشرف الرفيع الأنسب)

(يارب صل على النبي وآله * عدد الخلائق حصرها لا يحسب)

لكن الأقرب أن هذه الأبيات مزيدة على القصيدة ؛ إذ وردت القصيدة بالمصادر من غير هذه الأبيات، فهي مضافة عليها. والظاهر أن هذه القصيدة للشاعر صالح بن عبد القدوس الأزدي الذي قُتل على الزندقة [ينظر: الأمالي للسيد المرتضى ج 1 ص 100] ، كما ذكر ذلك غير واحد من الأدباء والمحققين والباحثين ، قال ياقوت الحموي في [مُعجم الأدباء ج 12 ص 8] في ترجمته أي ترجمة صالح بن عبد القدوس: « وأشهر شعره قصيدته البائية التي مطلعها: (صرمت حبالك بعد وصلك زينب * والدهر فيه تصرم وتقلب!) » ، وقد أورده عباس الترخمان في [ديوان صالح بن عبد القدوس ص 107]. وقد يشهد لصحة نسبتها لابن عبد القدوس: أنه جاء في وسط القصيدة قوله: (وإذا طمعت كُسيت ثوب مذلة * فقد كُسي ثوب المذلة أشعب) ، وأشعب هذا صاحب النوادر والظرائف ، يُضرب به المثل في الطمع ، يقال له: «أشعب الطامع» وهو المتوفى سنة (154هـ) ، وهو معاصر لصالح بن عبد القدوس ، فتأمل أيها القارئ المنصف المتبصر المتبحر الباحث عن الحق والحقيقة. ورغم الحكمة التي حوتها القصيدة إلا أن فيها بعض الأبيات حوت الركاكة والرخص العروضية والأخطاء النحوية يترفع عنها العبقرى الشاعر والصحابي الجليل علي بن أبي طالب – رضي الله عنه -! وهناك دراسة تحليلية بلاغية للقصيدة الزينية للشاعر (صالح بن عبد القدوس البصري (167هـ - 783م) وموازنتها بقصيدة علي بن أبي طالب) وهذه الدراسة نشرت في حولية كلية اللغة العربية بجرجا ، وحققتها ونشرتها الباحثة الدكتورة منى عبد الله على فراج المدرس بقسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببنى سويف جامعة الأزهر ، وكانت قد أعطتها العنوان ذاته: (دراسة تحليلية بلاغية للقصيدة الزينية وموازنتها بقصيدة علي بن أبي طالب)! وهذه الدراسة عبارة عن بحث دقيق يرد الحق إلى نصابه والقوس إلى بارئها! فهذا البحث تحليل بلاغي لقصيدة من قصائد الشاعر "صالح بن عبد القدوس البصري (167هـ - 783م) ، والشاعر هو: أبو الفضل صالح بن عبد القدوس البصرى ، ويرجح أنه فارسي الأصل ممن ولد ونشأ بالبصرة ، وتسمى قصيدته بالقصيدة الزينية ، وهي قصيدة حكمية وزهدية ذات نصائح ومواعظ أخلاقية ، فلا يكاد حديث ناصح أو مرب فاضل يخلو من الاستشهاد ببعض أبياتها ، وإن جهل قائلها أو نسب جهلاً إلى غيره مما يدل على عظم هذه القصيدة ، وقد تميزت القصيدة بسلاسة الأسلوب ووضوح المعاني مع المحافظة على الجزالة والفصاحة ، وعلى هذا فهي تعتبر من أروع الشعر العربي لجزالة عباراتها ، ونفاسة حكمها ، وفوائد نصائحها ، وقد صيغت بأسلوب أدبي بليغ. بدأت بمقدمة غزلية جميلة تطرق بعدها الشاعر إلى المواضيع الأخلاقية والحكمية ، فرغم أنها بدأت بالمقدمة الغزلية إلا أنها ليست من نوع القصائد الغزلية ، بل أبياتها كلها في الحكمة والزهد ومحاسبة النفس. وقد اختلف المؤرخون في قائل هذه القصيدة ، ولمن تُنسب! فمنهم من قال أنها تنسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد وردت في ديوانه (وتلك حجة هذا الفريق من الباحثين والنقاد) أنها فقط وردت في ديوان لي بن أبي طالب! ونسأل: هل جمع ابن أبي طالب شعره في ديوان تحددت بدايته كما تحددت نهايته وعلمت قصائده؟ بالطبع لا! بل جمع شعر علي غيره وفي زمان غير زمانه!

فلماذا القطع؟! ونسبت أيضاً لصالح بن عبد القدوس البصري الذي عاش في العصر العباسي الأول. وعلى رضى الله عنه سيد البلغاء والفصحاء ، ولكن هناك حقائق تثبت أن هذه القصيدة للشاعر صالح بن عبد القدوس. وقد تهيأ للبحث في ذلك خطة مكونة من مقدمة تحدثت فيها باختصار عن الموضوع - سبب اختياري له ، والخطة الموضوعية لدراسته ، هذا أولاً. (والكلام للدكتورة منى فراج) ثانياً: التمهيد: وتحدثت فيه عن1- الشاعر: مولده ونسبه ونشأته ، وحياته ثم اتهمه بالزندقة ووفاته. 2 - ذكرت نبذة عن علي بن أبي طالب. 3 - لمحة موجزة عن الموازنة. وتحدثت بإيجاز عن القصيدة الزينية ولمن تنسب. ثم قمت بتحليل القصيدة تحليلاً بلاغياً ؛ ولأن القصيدة كلها تتحدث في موضوع واحد فلم أقسمها إلى موضوعات ؛ ولكن قمت بتجزئة القصيدة وكل مجموعة من الأبيات ، ووضعت الألفاظ الغامضة وعمدت إلى إبراز معانيها من المعاجم اللغوية ، ثم التحليل البلاغي الذي يوضح جمال الصياغة والأسرار البلاغية وراء استخدام الألفاظ والمعاني المناسبة والتراكيب التي تُضفي على الكلام حسنا وبهاء لما لها من أثر في تثبيت المعنى وتقويته ؛ ولأن هذه القصيدة جاءت على نفس الوزن والقافية لقصيدة لـ"علي بن أبي طالب" يخاطب فيها ابنه الحسين ويعظه ، بل إن قصيدة "علي بن أبي طالب" كانت هي الملهمة لـ"صالح بن عبد القدوس" لإنشاء قصيدته! فسوف أقوم بالموازنة بين القصيدتين "الزينية وقصيدة علي بن أبي طالب" التي يعظ فيها ابنه الحسين بإلقاء الضوء على الأبيات المشتركة بينهما في المعنى ، ولذا جعلت عنوان بحثي "دراسة تحليلية بلاغية للقصيدة الزينية لصالح بن عبد القدوس وموازنتها بـقصيدة علي بن أبي طالب!" ولقد اتبعت في دراستي التحليلية المنهج الذوقي الممزوج بالمعرفة ، وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها والتي تتضمن السمات التي اتسم بها الشاعر في هذه القصيدة ، ومن أهمها:- *: يحتل الأمر والنهي الصدارة من الأساليب الإنشائية التي استخدمها الشاعر في قصيدته ؛ وذلك لأن غرضها النصح ، فجاء مبناها على غرار (افعل ولا تفعل). *: مال الشاعر إلى التشخيص والتجسيد في خياله فاستخدم الاستعارة بكل أنواعها ، وكانت في غاية الدقة والأحكام ، حيث كانت وسيلة في تحويل المعنويات إلى محسوسات وكانات حية لها ما للإنسان من صفات! (هـ. ومن أراد بحث الدكتورة منى فراج فليقصد إليه في مظانه! وإنما أنا أوردت كلامها في الجزء الذي يعني فقط وطبعاً بتصريف اقتضته ضرورة التأليف! وأشكر من كل قلبي بلدي الدكتورة منى فراج هذه الأديبة الصعيدية بنت بلدي بنت سوهاج ، وما أحميم وجرجا إلا بقعتان معمورتان ذهبيتان من بقاع المحافظة الأم (سوهاج)! هذا وتنسب القصيدة الزينية للإمام علي بن أبي طالب في عدة مصادر ، بينما يرجح الكثير من رواة الشعر ومؤرخي الأدب نسبتها إلى الشاعر العباسي صالح بن عبد القدوس ، وقد وردت القصيدة في ديواني كل منهما ، باختلاف يسير. والقصيدة في الأصل لصالح بن عبد القدوس كما جاءت في مطلع كتاب لإعلام الناس فيما وقع للبرامكة مع بن العباس: ص3-6. بولاق سنة 1280هـ ، والذي يدفع إلى القول بعدم صحة قول الإمام هذه القصيدة أنها بلغت سبعين بيتاً ، والصحيح أن الإمام علي لم يقل قصيدة أطول من عشرة أبيات. وتقع القصيدة الزينية في خمسة وستين بيتاً وسميت بالزينية نسبة لمطلعها حيث يرد اسم زينب. ويقول مطلع القصيدة:-

صَرَمْتُ حَبَالَكَ بَعْدَ وَصَالِكَ زَيْنَبُ وَالدهرُ فِيهِ تصرُّمٌ وتقلُّبُ

نَشَرْتُ ذَوَائِبَهَا التي تزهو بها سُوداً ورأسك كالثغامة أشيبُ

واستمر صالح بن عبد القدوس الأزدي في كيل الحكمة ووصف الدربة والتجربة إلى قوله:-

فاصغ لوعظ قصيدة أولاكها طوود العلوم الشامخات الأهيـب
أعني علياً وابن عم محمد من ناله الشرف الرفيع الأنسب
يارب صل على النبي وآله عدد الخلائق حصرها لا يحسب

وكان هناك تحقيق عن القصيدة الزينية قام به أستاذنا قحطان محمد صالح الهيتي قال في بعض فقراته ما نصه بتصريف زهيد: (لقد نسب بعض الباحثين هذه القصيدة إلى الإمام علي ، وقد وردت القصيدة في ديوانه ، وقد قال عنها الكثيرون بأنها (منسوبة) ، وبلاغة الإمام علي كما هو معروف لا ترقى إليها أية شكوك فهو سيد البلغاء. ولكن هناك من الحقائق ما يثبت أنها للشاعر صالح عبد القدوس وهي: 1. ذكرها ياقوت الحموي في معجم الأدباء الذي يعد واحداً من المصادر المهمة في الأدب العربي ، فقال ما نصه: "صالح بن عبد القدوس بن عبد الله ، كان حكيماً أديباً فاضلاً شاعراً مجيداً كان يجلس للوعظ في مسجد البصرة ويقص عليهم ، وله أخبار يطول ذكرها ، اتهم بالزندقة فقتله المهدي بيده ، ضربه بالسيف فشطره شطرين ، وعلق جثمانه بضعة أيام للناس ثم دفن ، وأشهر شعره قصيدته البائية التي مطلعها:

صرمت حبالك بعد واصلك زينب والدهر فيه تصرّم وتقلب

وكذاك ذكر الغانيات فإنه آل ببلقعة وبرقّ خلب!

هذا ما ورد في معجم الأدباء ، وفي مقتله اختلاف عند المؤرخين! فمنهم من يذكر أن المهدي قتله ومنهم من يذكر أن الرشيد قتله. 2 - ورد في البيت الآتي من القصيدة ذكر (أشعب) الطماع:

وإذا طمعت كُسيّت ثوب مذلة فلقد كُسيّ ثوب المذلة أشعب

والمعروف تاريخياً أن (أشعب) لم يظهر على عهد الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، بل ظهر في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، وقد قرأ الكثيرون قصته مع الخليفة المذكور وهي حسب الروايات كما مبين في أدناه - وتبقى العهدة على الراوي فيما قال ، والذنب عليه فيما ذكر من آيات لا يجوز الاستدلال بها - بهذا الأسلوب: والقصة هي: دخل أشعب على أبي جعفر المنصور فوجد أمير المؤمنين يأكل من طبق من اللوز والفسنق. فألقى أبو جعفر المنصور إلى أشعب بواحدة من اللوز. فقال أشعب: يا أمير المؤمنين (ثاني اثنين إذ هما في الغار) فألقى إليه أبو جعفر اللوزة الثانية. فقال أشعب: (فعرزناهما بثالث) فألقى إليه الثالثة. فقال أشعب: (فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك) فألقى إليه الرابعة. فقال أشعب: (ويقولون خمسة سادسهم كلبهم) فألقى إليه الخامسة والسادسة. فقال أشعب: (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) فألقى إليه السابعة والثامنة. فقال أشعب: (وكان في المدينة تسعة رهط) فألقى إليه التاسعة. فقال أشعب: (فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) فألقى إليه العاشرة. فقال أشعب: (إني وجدت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)

فألقي إليه الحادية عشر. فقال أشعب: والله يا أمير المؤمنين إن لم تعطني الطبق كله لأقولن لك: (وأرسلناه إلى مائه ألف أو يزيدون) فأعطاه الطبق كله! وعلى وفق هذه القصة سمي بـ (أشعب الطمع) من قبل من ترجموا له ، وبناءً على هذا جاء ذكره في البيت المذكور بالقصيدة ، والذي يبين لنا بأن طمع أشعب هو الذي البسه ثوب المذلة ، فنصح الشاعر بعدم الطمع. من هذا يتبين بأن القصيدة نظمت بعد هذه القصة أي: في العصر العباسي الذي عاش ومات فيه صالح عبد القدوس (ت167هـ). 3 - لقد جمع ما تفرق من ديوان صالح بن عبد القدوس ، الباحث عبد الله الخطيب ، فأحصى (317) بيتاً. (بغداد: دار البصري 1967م) وفيه القصيدة المذكورة. كما وردت القصيدة المذكورة في ديوان شعري باسم (ديوان حكيم الشعر صالح بن عبد القدوس (167هـ) ، حياته وشعره ونثره ، وهو من جمع وترتيب ودراسة عبد الفتاح إسماعيل غراب ، وأحمد كامل عبد الرؤوف ، ومراجعة وتعليق إسماعيل عبد الفتاح غراب ، وهو من سلسلة شعراء الحكمة ؛ 1 ، دار البدر ، (المنصورة ، 2012) ، الصفحات 41 - 46. ولم يتصدّ باحث أو كاتب لنفي ما ورد في الديوان ابتداءً حول هذه القصيدة ونسبتها إلى صالح بن عبد القدوس. 4 - وردت في القصيدة هذه الأبيات بحق المرأة:

وَتَوَقَّ مَنْ عَدَرَ النِّسَاءِ خِيَانَةً فَجَمِيعُهُنَّ مَكَائِدٌ لَكَ تُنْصَبُ
لا تَأْمِنِ الْأُنْثَى حَيَاتَكَ إِنِّهَا كَالْأَفْعَوَانِ يُرَاعُ مِنْهُ الْأَنْيَبُ
لا تَأْمِنِ الْأُنْثَى زَمَانَكَ كُلَّهُ يَوْمًا وَلَوْ حَافَتْ يَمِينًا تَكْذِبُ
تُعْرِي بَلِيْنَ حَدِيثِهَا وَكَلَامِهَا وَإِذَا سَطَّتْ فَهِيَ الصَّقِيلُ الْأَشْطَبُ

فهل لنا أن نصدق بأن الإمام علياً (رضي الله عنه) يقول هذا بحق المرأة ، وهو القائل: "لا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فإن المرأة ريحانة وليس قهرمانة". فالإمام هنا وصف المرأة بأنها ريحانة بكل ما في هذه الكلمة من معانٍ عطرة ونقية وطيبة ، تسعد وتفرح من ينظر إليها ، أما القهرمانة فهي تلك التي تكلف بأمر الخدمة والاشتغال. 5 - لا بد من الإشارة إلى أن للإمام علي قصيدة يعظ ولده الحسين (رضي الله عنهما) ، وربما كانت هي الملهمة لصالح بن عبد القدوس للكتابة على وزنها وقافيتها ، ومنها:

أَحْسِينُ إِنِّي وَاعِظٌ وَمُؤَدِّبٌ فَأَفْهَمُ فَأَنْتَ الْعَاقِلُ الْمُتَأَدِّبُ
وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنٍ يَغْذُوكَ بِالْآدَابِ كَيْ لَا تُعْطَبُ

وأقول مستدركاً على أستاذنا قحطان محمد صالح الهيتي بأن البيت الثاني الذي ينسب لعلي في وصيته لولده الحسين - رضي الله عنهما - فيه إقواء! لأن كلمة (تعطب) وردت مرفوعة شأنها في ذلك شأن القصيدة كلها! وحقها النصب لأنها مسبوقه بكي وهي من أدوات نصب المضارع لا رفعة! فهل يقول علي مثل هذا؟ وهل يأتي الإقواء من علي أو حتى يرد على خاطره في قرون الشعر الأولى المفضلة؟! هذا أمر يصعب على العقل تصديقه! هذا ما أردت بيانه بصدد (القصيدة الزينية) على وفق ما ورد بالمصادر والمراجع التي توافرت لي ، وقد تكون هناك غيرها مما يؤكد أو ينفي حقيقة القصيدة ، وأتمنى أن يتقدم اليانا من لديه الدليل القاطع بصحة نسبتها ، وما نحن سوى باحثين عن الحقيقة ولا غاية لنا غير الحقيقة).هـ. وأشكر للباحث هذا

التفصيل الرائع وهذا التبيين الممتع! وبقلم أستاذنا الأديب فاروق مواسي كانت هذه الجولة مع القصيدة الزينية ، يقول ما نصه: (قيل إن القصيدة الزينية (نسبة لمطلعها حيث تُذكر زينب) هي لعلي - رضي الله عنه - ، وقيل إنها لصالح بن عبد القدوس ، وقد وردت القصيدة في ديوانَي كل منهما ، باختلاف يسير. وانظر لذلك: ديوان علي بن أبي طالب - تحقيق عبد الرحيم المرديني - دمشق- 2005م ، ص 214- 220. وكذلك عباس الترجمان: صالح بن عبد القدوس - حياته ، بينته وشعره ، وهو من منشورات الجمل - 2013م ، ص 107- 110. والقصيدة جميلة ، وفيها حكم تقريرية ، وعبر تعبر عن تجربة حياتية ، وتقع في خمسة وستين بيتًا ، وهذه القصيدة المشهورة - كما قلت - تنسب لعلي بن أبي طالب ، ومن الطبيعي أن يُشك في نسبتها إليه لأن فيها ذكرًا لأشعب: وأشعب لم يظهر على عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقد توفي سنة 154 هـ في المدينة المنورة ؛ من هنا فقد كان معاصرًا لصالح بن عبد القدوس ، وكان مشتهرًا بالطمع. وهناك ملاحظة: هذا البيت الوارد في القصيدة عن أشعب لم أجده في ديوان علي الذي بين يدي ، لكننا نراه في ديوان علي على المواقع ، وربما اطلع د. الترجمان على نسخة أخرى من ديوان علي وفيها هذا البيت ، ولذا كانت ملاحظته عن أشعب. (ص 111).! *أضيف بيتان في نهاية أبيات القصيدة المنسوبة لعلي ، وفيهما موضع للتساؤل ، وهما يتحدثان عن علي نفسه ، وفي تقديري أن شاعرًا ما أضافهما:

أعني عليًا وابن عم محمد من ناله الشرف الرفيع الأنسب

يا رب صل على النبي وآله عدد الخلائق حصرها لا يحسب

أثبت الإمام الدميري في كتابه (حياة الحيوان) بعض أبيات القصيدة وذكر قبلها: "وقال بعضهم" ج 1 ، ص 43. كما وردت بعض الأبيات في معجم الأدباء لياقوت ، ج 12 ، ص 9- على أنها لعبد القدوس. (مادة صالح بن عبد القدوس). ومن الغريب أنني لم أجد للقصيدة ذكرًا في الأغاني ، ولا في خزانة الأدب ولا في الشعر والشعراء وغيرها من أمهات الكتب الأدبية. ومع ذلك فهناك ترجيح ما أن القصيدة هي لصالح بن عبد القدوس ، ولكننا لا نستطيع بما نملك من مصادر قليلة أن نؤكد أن القصيدة كلها لشاعر منهما ، خاصة ونحن نشهد إمكان الإضافة والحذف في كثير من المقتبسات. أما صالح بن عبد القدوس فهو شاعر عباسي كان مولي لبني أسد. وكان حكيماً متكلمًا يعظ الناس في البصرة ، له مع أبي الهذيل العلاف مناظرات ، واشتهر بشعر الحكمة والأمثال والمواعظ ، يدور كثير من شعره حول التنفير من الدنيا ومتاعها ، وذكر الموت والفناء ، والحث على مكارم الأخلاق ، وطاعة الله ، ويمتاز شعره بقوة الألفاظ ، والتدليل ، والتعليل ، ودقة القياس. ولقد مرت أحداث في حياة الشاعر جعلته يقارن بين الأسباب كما يقارن بين النتائج ؛ فيصل إلى آراء محكمة مستخلصة من تجاربه وتجارب غيره ، وهي تختلف عما تعارف عليها الناس).هـ. وأخلص من هذا السجال النقدي والبلاغي والأدبي لأدلف إلى السجال الشرعي والمعركة الدائرة أمس واليوم وغداً ، عن زواج الصغيرات من الشواب! ولأنني من غير المتخصصين في الشريعة أحيل نفسي والقراء الأعزاء إلى أهل الاختصاص! وسئل ابن باز وأجاب: فأما السؤال: أنا فتاة أبلغ الخامسة والعشرين من عمري ، زوجني والدي على رجل يبلغ من العمر خمسة وستون عامًا ، رغم أنه لم يستشرني في ذلك ، ولكنني سكتُ مرضاة لأمر والدي؟ وأما الجواب: تزويج الوالد لابنته لمن يكبرها في السن إذا رأى المصلحة في ذلك ؛ لا حرج فيه ، أما ما يشيخه الناس في هذا العصر من عدم تزويج

المرأة ممن يكبرها سنًا ؛ فهذا شيء لا أصل له ، ولا وجه له ، وإنما هو من ضلال العقول ، وفساد العقول ، وعدم البصيرة. فالرسول - عليه الصلاة والسلام - تزوج عائشة ، وكان عمره فوق الخمسين - عليه الصلاة والسلام - وكان عمرها حين العقد سبع سنين ، وعند الدخول تسع سنين ، وليس في هذا محذور ، والرسول ﷺ هو أكمل الناس في كل شيء - عليه الصلاة والسلام - وهو أنصح الناس ، فلو كان في هذا شيء من المحذور ؛ لم يفعله - عليه الصلاة والسلام - ولا أبانه للأمة. ولم يزل المسلمون من قديم الزمان إلى زماننا هذا يتزوج الإنسان من تكبره سنًا ، ومن تصغره سنًا ، ولا حرج في ذلك ، وقد تزوج النبي ﷺ أيضًا خديجة ، وكانت أسن منه بخمسة عشرة سنة ، عمرها أربعون ، وكان حين تزوجها عمره خمس وعشرون - عليه الصلاة والسلام -. فلا حرج في أن يتزوج الإنسان من تكبره سنًا ، ومن تكون أصغر منه سنًا ، لكن لا بد من مشاورتها ، ولا بد من أخذ رضاها ، هذا هو المهم ، فإذا رضيت بأن تتزوج وهي بنت خمسة عشرة ، بمن سنه أربعون ، أو خمسون ، أو أكثر من ذلك ، فلا حرج في ذلك إذا بين لها ، ولم تغش ، ولم تخدع ، إذا بين لها الأمر ، ورضيت بذلك ؛ فلا حرج في ذلك. ولا يجوز لأحد أن يتكلم في هذه الأمور بغير حق ، فإن معناه الاعتراض على رسول الله - عليه الصلاة والسلام - إذا قال: إنه لا ينبغي أن يتزوج من يكبرها ، فمعنى ذلك الاعتراض على رسول الله ﷺ الاعتراض على أصحابه - رضي الله عنهم وأرضاهم - والاعتراض على المسلمين جميعًا ، الذين تزوجوا من تصغره سنًا ، وهذا كله باطل ، وكله منكر ، لا وجه له ، وإنما الذي أبانه النبي ﷺ ودعا إليه: هو المشاورة ، وأخذ الإذن من المرأة. قال - عليه الصلاة والسلام -: (لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن ، قالوا: يا رسول الله ، إنها تستحي ، قال: إننها سكوتها!) عليه الصلاة والسلام ، فلا بد أن يبين لها ، وإذا سكنت ، وهي بكر ؛ كفى ذلك ، وإذا كانت ثيبًا ؛ فلا بد من أخذ إذنها كلامًا ، وهذه البنت الجارية السائلة لما سكنت ، استأذنها أبوها ، وسكنت ؛ كفى ذلك ، وزواجها لا بأس به ، والحمد لله على كل حال. وإذن فالزواج لا حرج فيه ، ولا بأس به ، وإن كان يكبرها بعشرين سنة ، أو أربعين سنة ، أو أكثر ، أو أقل ، إذا كانت راضية بذلك ، وعلى بصيرة ، ولم تخدع ، فلا حرج في ذلك ، والحمد لله ، وكمن من شيخ كبير خير للمرأة من شاب يماثلها ، أو يصغرها سنًا ، أو يكبرها ، فهذا يرجع إلى حسن السيرة ، والعشرة ، والقيام بأمر الله ، ومراقبة الله في حق النساء). هـ. رحم الله تعالى الإمام ابن باز وأسكنه فسيح جناته! لقد أقام الحجة وبين المحجة في هذا الأمر! ولمزيد من البيان والوضوح والتأكد أكثر ، نستدرك على فتوى ابن باز بما جاء في (إسلام ويب) من سؤال وجوابه: (أما السؤال فهو: ما حكم الزواج بالصغيرة؟ وهل العقد عليها صحيح؟ وإذا كان العقد عليها صحيحاً فما حكم الاستمتاع بها؟ والإجابة: فبدائية لا بد من الاتفاق على أن الصغر في الشرع ينتهي بالبلوغ. جاء في (الموسوعة الفقهية): واصطلاحاً هو: وصف يلحق بالإنسان منذ مولده إلى بلوغه الحلم. اهـ. فلا يصح شرعاً أن تبلغ البنت البلوغ الشرعي بالحض أو غيره ، وتوصف مع ذلك بالصغر الذي تتعلق به أحكام شرعية. ومن ذلك مسألة النكاح ، فلا خلاف بين أهل العلم في أن من بلغت فليست بصغيرة في هذا الحكم. والبلوغ قد يحصل في سن مبكرة كالعاشرة مثلاً. قال البخاري في صحيحه: باب بلوغ الصبيان وشهادتهم ، وقول الله تعالى: {وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا} وقال مغيرة: «احتلمت وأنا ابن ثنتي عشرة سنة». وبلوغ النساء في الحيض ، لقوله عز وجل: {واللاني ينسن من المحيض من نسانكم} إلى قوله: {أن يضعن حملهن} ،

وقال الحسن بن صالح: «أدركت جارة لنا جدة ، بنت إحدى وعشرين سنة» اهـ. ولا يخفى أن هذه الجدة قد تزوجت وسنها صغيرة ، وحملت وهي بنت عشر سنين ، والحمل علامة قطعية على البلوغ. ومثل هذا ينبغي أن لا يكون محل خلاف. وعليه لا يصح شرعاً استنكار بعض الناس لزواج البنت في سن مبكرة ، ما دامت قد بلغت البلوغ الشرعي وأطافت الزواج وأعباءه! وأما الصغيرة التي لم تبلغ فالسؤال في حقها عن مسألتين: - الأولى: العقد عليها. - والثانية: الاستمتاع بها ، بالوطء أو بما دون الوطء. وجواب السؤال الأول ، أن العقد على الصغيرة صحيح عند أكثر أهل العلم ، حتى لقد حُكي الإجماع عليه ، والحقيقة أنه قد خالف في صحته قلة من أهل العلم ، وهم: ابن شبرمة ، وعثمان البتي ، وأبو بكر الأصب ، فقالوا بأنه لا يزوج الصغير ولا الصغيرة حتى يبلغا لقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ} . وذكر السرخسي في (المبسوط) تعليلهم في ذلك فقال: فلو جاز التزويج قبل البلوغ لم يكن لهذا فائدة ، ولأن ثبوت الولاية على الصغيرة لحاجة المولى عليه ، حتى إن في ما لا تتحقق فيه الحاجة لا تثبت الولاية كالنبرعات ، ولا حاجة بهما إلى النكاح ؛ لأن مقصود النكاح طبعاً هو قضاء الشهوة ، وشرعاً النسل ، والصغر ينافيهما ، ثم هذا العقد يعقد للعمر وتلزمهما أحكامه بعد البلوغ ، فلا يكون لأحد أن يلزمهما ذلك إذ لا ولاية لأحد عليهما بعد البلوغ. اهـ. واختار هذا القول بعض المعاصرين ، كالشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - فقال في (الشرح الممتع): القول الراجح أن البكر المكلفة لا بد من رضاها ، وأما غير المكلفة وهي التي تم لها تسع سنين ، فهل يشترط رضاها أو لا؟ الصحيح أيضاً أنه يشترط رضاها ؛ لأن بنت تسع سنين بدأت تتحرك شهوتها وتحس بالنكاح ، فلا بد من إذنها ، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وهو الحق. وأما من دون تسع سنين فهل يعتبر إذنها؟ يقولون: من دون تسع السنين ليس لها إذن معتبر ؛ لأنها ما تعرف عن النكاح شيئاً ، وقد تآذن وهي تدرى ، أو لا تآذن ؛ لأنها لا تدرى ، فليس لها إذن معتبر ، ولكن هل يجوز لأبيها أن يزوجه في هذه الحال؟ نقول: الأصل عدم الجواز ؛ لقول النبي - عليه الصلاة والسلام -: «لا تنكح البكر حتى تستأذن» ، وهذه بكر فلا تزوجه حتى تبلغ السن الذي تكون فيه أهلاً للاستئذان ، ثم تستأذن. لكن ذكر بعض العلماء الإجماع على أن له أن يزوجه ، مستدلين بحديث عائشة - رضي الله عنها - ، وقد ذكرنا الفرق ، وقال ابن شبرمة من الفقهاء المعروفين: لا يجوز أن يزوج الصغيرة التي لم تبلغ أبداً ؛ لأننا إن قلنا بشرط الرضا فرضاها غير معتبر ، ولا نقول بالإجبار في البالغة فهذه من باب أولى ، وهذا القول هو الصواب ، أن الأب لا يزوج بنته حتى تبلغ ، وإذا بلغت فلا يزوجه حتى ترضى. لكن لو فرضنا أن الرجل وجد أن هذا الخاطب كفاء ، وهو كبير السن، ويخشى إن انتقل إلى الآخرة صارت البنت في ولاية إختوتها أن يتلاعبوا بها ، وأن يزوجه حسب أهوائهم ، لا حسب مصلحتها ، فإن رأى المصلحة في أن يزوجه من هو كفاء فلا بأس بذلك ، ولكن لها الخيار إذا كبرت ؛ إن شاءت قالت: لا أرضى بهذا ولا أريده. وإذا كان الأمر كذلك فالسلامة ألا يزوجه ، وأن يدعها إلى الله - عز وجل - فربما أنه الآن يرى هذا الرجل كفنأ ثم تتغير حال الرجل ، وربما يأتي الله لها عند بلوغها النكاح برجل خير من هذا الرجل ؛ لأن الأمور بيد الله - سبحانه وتعالى. اهـ. وقد فصل الشيخ في ذلك وناقش أدلة الجمهور في (شرح صحيح البخاري) باب: (إنكاح الرجل ولده الصغار). وأما اختيار شيخ الإسلام الذي ذكره الشيخ فهو في خصوص من لها تسع سنين ولم تبلغ. قال المرادوي في (الإنصاف): البكر التي لها تسع سنين فأزيد ، إلى ما قبل البلوغ: له تزويجها بغير إذنها ، على الصحيح من المذهب ، وعليه جماهير الأصحاب ... وعنه: لا يجوز

تزويج ابنة تسع سنين إلا بإذنها. قال الشريف أبو جعفر: هو المنصوص عن الإمام أحمد. قال الزركشي: وهي أظهر ... واختار أبو بكر ، والشيخ تقي الدين رحمهما الله: عدم إجبار بنت تسع سنين بكرةً كانت أو ثيباً. قال في رواية عبد الله: إذا بلغت الجارية تسع سنين فلا يزوجه أبوها ولا غيره إلا بإذنها. قال بعض المتأخرين من الأصحاب: وهو الأقوى. اهـ. والمقصود أن ننبه على أن المسألة فيها شيء من الخلاف ، وليست من المسائل القطعية. مع كون الراجح عندنا هو قول الجمهور القائلين بصحة العقد ، وجمهور العلماء الذين يصحون العقد على الصغيرة ، يستحبون أن ينتظر والدها بلوغها ليستأذنها. قال النووي: اعلم أن الشافعي وأصحابه قالوا: يستحب أن لا يزوج الأب والجد البكر حتى تبلغ ، ويستأذنها لنلا يوقعها في أسر الزوج وهي كارهة. وهذا الذي قالوه لا يخالف حديث عائشة ؛ لأن مرادهم أنه لا يزوجه قبل البلوغ إذا لم تكن مصلحة ظاهرة يخاف فوتها بالتأخير كحديث عائشة ، فيستحب تحصيل ذلك الزوج ؛ لأن الأب مأمور بمصلحة ولده فلا يفوتها. اهـ. وهذا ما رجحه الدكتور عبد الكريم زيدان في موسوعته (المفصل في فقه الأسرة) فقال: نرجح على وجه الاستحباب أن لا يزوج الأب ابنته حتى تبلغ ، إلا إذا وجد المبرر المقبول لتزويجها وهي صغيرة. اهـ. وذكر لذلك عدة أسباب فراجعها هناك. وهذا ما اختارته أيضاً الباحثة سها القيسي في رسالتها للماجستير: (زواج الصغار في ضوء تحديد سن الزواج) حيث رجحت صحة العقد ثم قالت: الأولى عدم تزويجها إلا إذا ظهرت مصلحة راجحة. اهـ. وذكرت لذلك أربعة أسباب. وهنا ننبه على أن إنكاح الصغيرة إنما هو مراعاة لمصلحتها ، لا لمجرد رغبة والدها ، حتى لقد نص بعض أهل العلم على بطلان الزواج إذا لم تراعى فيه مصلحة الصغيرة ، وأن على القاضي حينئذ فسخه. قال الشوكاني في: (وبل الغمام على شفاء الأوام في أحاديث الأحكام): أما مع عدم المصلحة المعتبرة ، فليس للكنكاح انعقاد من الأصل ، فيجوز للحاكم بل يجب عليه التفرقة بين الصغيرة ومن تزوجه ، ولها الفرار متى شاءت ، سواء بلغت التكليف أم لم تبلغ ، ما لم يقع منها الرضا بعد تكليفها. اهـ. وقال الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين في بحثه (ولاية تزويج الصغيرة) المنشور في (مجلة البحوث الإسلامية): ومن أجل ضمان تزويج الأب ابنته الصغيرة ممن في زواجها منه مصلحة لها ، فقد ذكر بعض العلماء لصحة تزويجها إياها شروطاً أهمها:

- 1- ألا يكون بينها وبين والدها عداوة ظاهرة. 2- ألا يكون بينها وبين الزوج عداوة. 3- ألا يزوجه بمن في زواجها منه ضرر بيّن عليها كهرم ، ومجبوب ونحو ذلك. 4- أن يزوجها بكفء غير معسر بصادقها. اهـ. ومما يحسن ذكره في الدلالة على مراعاة الوالد لمصلحة ابنته عند قبول خطبتها بمن يكبرها في السن ، حديث بريدة قال: خطب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاطمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها صغيرة. فخطبها علي ، فزوجها منه. رواه النسائي ، وصححه الألباني. قال القاري في (المرقاة): يحتمل أنها كانت صغيرة عند خطبتها ، ثم بعد مدة حين كبرت ودخلت في خمسة عشر خطبها علي ، أو المراد أنها صغيرة بالنسبة إليهما لكبر سنهما ، وزوجه من علي لمناسبة سنه لها ، أو لوعي نزل بتزويجها له. اهـ. وقال السندي في حاشيته على النسائي: (فخطبها علي) أي عقب ذلك بلا مهلة كما تدل عليه الفاء ، فعلم أنه لاحظ الصغر بالنظر إليهما ، وما بقي ذاك بالنظر إلى علي فزوجها منه ، فقيه أن الموافقة في السن أو المقاربة مرعية لكونها أقرب إلى المؤالفة ، نعم قد يترك ذاك لما هو أعلى منه كما في تزويج عائشة. اهـ. وسن فاطمة رضي الله عنها حين تزوجت ، كما قال ابن عبد البر في (الاستيعاب): كان سنها يوم تزويجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصفاً

وكانت سن عليّ إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر. اهـ. وبذلك قال أكثر المؤرخين كالزمري وابن كثير وابن الأثير واليافعي وابن العماد والعصامي. وقال الذهبي في (تاريخ الإسلام): دخل بها علي رضي الله عنه بعد وقعة بدر ، وقد استكملت خمس عشرة سنة أو أكثر. اهـ. وقال المناوي في (إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل): لما شبت فاطمة وترعرعت ، وبلغت من العمر خمس عشرة سنة. وقيل: ست عشرة سنة. وقيل: ثماني عشرة سنة. وقيل: إحدى وعشرين. تزوجها علي. اهـ. وأما المسألة الثانية: وهي مسألة وطء الصغيرة أو الدخول بها، فقد نص أكثر أهل العلم على أن الصغّر الذي لا تطيق معه الوطء، مانع من موانع تسليمها لزوجها، ووافقهم الحنابلة في من لم تبلغ تسع سنين. قال النووي: أما وقت زفاف الصغيرة المزوجة والدخول بها ، فإن اتفق الزوج والولي على شيء لا يضر فيه على الصغيرة عمل به. وإن اختلفا فقال أحمد وأبو عبيد: تجبر على ذلك بنت تسع سنين دون غيرها. وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة: حد ذلك أن تطيق الجماع. ويختلف ذلك باختلافهن ولا يضبط بسن. وهذا هو الصحيح. اهـ. وجاء في (الموسوعة الفقهية): ذهب الفقهاء إلى أن من موانع التسليم الصغر ، فلا تسلم صغيرة لا تحتل الوطء إلى زوجها حتى تكبر ويزول هذا المانع ؛ لأنه قد يحمله فرط الشهوة على الجماع فتتضرر به. وذهب المالكية والشافعية إلى زوال مانع الصغر بتحملها للوطء. قال الشافعية: ولو قال الزوج: سلموها لي ولا أطأها حتى تحتمله ، فإنه لا تسلم له وإن كان ثقة ؛ إذ لا يؤمن من هيجان الشهوة. اهـ. وأما عند الحنفية فقال ابن نجيم في (البحر الرائق): اختلفوا في وقت الدخول بالصغيرة ، فقيل: لا يدخل بها ما لم تبلغ. وقيل: يدخل بها إذا بلغت تسع سنين. وقيل: إن كانت سميئة جسيمة تطيق الجماع يدخل بها ، وإلا فلا. اهـ. وجاء في الفتاوى الهندية: أكثر المشايخ على أنه لا عبرة للسن في هذا الباب وإنما العبرة للطاقة ، إن كانت ضخمة سميئة تطيق الرجال ولا يخاف عليها المرض من ذلك ؛ كان للزوج أن يدخل بها وإن لم تبلغ تسع سنين ، وإن كانت نحيفة مهزولة لا تطيق الجماع ، ويخاف عليها المرض لا يحل للزوج أن يدخل بها وإن كبر سنها ، وهو الصحيح. اهـ. ودخول النبي صلى الله عليه وسلم بأما عائشة كان بعد بلوغها هذا المبلغ ، ولذلك تأخر بعد العقد عليها بنحو ثلاث سنوات ، كما في الصحيحين عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم "تزوجها وهي بنت ست سنين ، وبنى بها وهي بنت تسع سنين. قال الداودي: كانت عائشة قد شبت شباباً حسناً. اهـ. ومما يؤكد مراعاة هذا المعنى قبل زفاف عائشة ، أنها قالت: أرادت أمي أن تسمني لدخولي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم أقبل عليها بشيء مما تريد حتى أطعمتني القثاء بالرطب ، فسمنت عليه كأحسن السمن. رواه أبو داود وابن ماجه ، وصححه الألباني. وهنا نؤكد على أن الصغر الذي هو مانع من التسليم ليس هو الصغر المقابل للبلوغ ، وإنما هو بمعنى عدم القدرة على الوطء. قال النووي في (روضة الطالبين): المراد بالصغيرة والصغير من لا يتأتى جماعه ، وبالكبير من يتأتى منه الجماع ، ويدخل فيه المراهق. اهـ. وبهذا يتبين أن الدخول بالصغيرة منوط بقدرتها على الوطء ، لا بمجرد العقد ، والقاعدة الكلية في ذلك هي قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا ضرر ولا ضرار. رواه أحمد وابن ماجه ، وصححه الألباني. وهذه إحدى القواعد الكلية الخمسة التي ينبني عليها الفقه الإسلامي ، فمتى ثبت الضرر ثبوتاً شرعياً ، فقد جاء الشرع الحنيف بإزالته ومنعه. ولذلك ينبغي ضبط أنواع الاستمتاع بما دون الوطء بعدم المضرة أيضاً ، وذلك بكون البنت مطيقة وأهلاً له ، فقد يبلغ بها الصغر أن يمنع الاستمتاع بها بالكلية ، ويعد اشتهاؤها من الأمور الشاذة الخارجة عن المعتاد ،

كالطفلة غير المميزة ، ولذلك لا يحرم النظر إلى عورتها ، وهذه المسألة من المسائل التي تحتاج إلى تحرير! نعتي مسألة: الاستمتاع بما دون الوطء قبل إمكان الوطء؟ والذي نميل إليه أن تجعل إطاقة الوطء في الجملة أو مراهقة هذا الحد هو الوصف المبيح لسائر أنواع الاستمتاع ، درء للضرر المحتمل على الطفلة الصغيرة التي لا تدرك مثل هذه الأمور ، ومما يستأنس به لذلك ما قاله ابن عابدين في تعليل وجوب نفقة الزوجة الصغيرة التي تشتهي للوطء فيما دون الفرج ، حيث قال: لأن الظاهر أن من كانت كذلك ، فهي مطيقة للجماع في الجملة. اهـ. حيث قرن بين اشتهاه ما دون الوطء ، وبين إطاقة الوطء في الجملة. وقد سنل ابن حجر الهيتمي عن رجل طلق زوجته طلاقاً بائناً ، وله منها بنت سنها خمس سنين ، وزوجها والدها بشخص ، وأراد ذلك الشخص أن ينزعها من والدتها وينفق عليها ويربيها عنده في بيته مثلاً أو عند من يختار فهل له ذلك وتسقط حضانة الأم بذلك أم لا؟ فأجاب: لا تسقط حضانة الأم بذلك ؛ لأن الزوج إنما يكون أولى بالحضانة من جميع الأقارب حيث كان له بالزوجة استمتاع بأن تطبيق الوطء ، وإلا لم تسلم له. اهـ. فجعل إطاقة الوطء هو سبيل الاستمتاع وموجب التسليم. وها هنا أمر آخر ينبغي مراعاته لا سيما في أمر الزواج ، وهو العرف ، فإن اطرد باستهجان الاستمتاع بالزوجة الصغيرة التي لا تدرك ولا تميز ، فينبغي مراعاة ذلك ، فلا تسلم الزوجة قبل إدراكها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (الفتاوى الكبرى): وإذا كان موجب العقد من التقابض مرده إلى العرف ، فليس العرف أن المرأة تسلم إليه صغيرة ، ولا يستحق ذلك لعدم التمكن من الانتفاع. اهـ. وربما قال قائل: ماعلاقة الاسترسال الشرعي بالقصيدة الزينية؟ وهو سؤال وجيه إذا كان يطلقه صاحبه بحسن نية! والرد عليه: أنني أعارض شاعراً مسلماً في قصيدة مسلمة وأخاطب قراء مسلمين في عمومهم! وإنني أردت فقط أن أثري القصيدة وأجعل القارئ لا يستهجن الزواج بالصغيرات الصبايا لأن الله أحله فهل تحرمة أنت؟! وبعد هذا الاسترسال الفقهي وقبله الاسترسال التاريخي والأدبي والنقدي فأقول: أياً كان الأمر أنا أوردت الرأي والرأي المضاد في محاولة جادة مني لبيان الحق! والنفس تميل بعد هذا التحقيق المضمي أن القصيدة الزينية أكيد للشاعر صالح بن عبد القدوس الأزدي العباسي! وأعود بعد هذا التحقيق الأدبي البلاغي التاريخي بمصدره الشيعي والسني لأعارض ابن عبد القدوس في زينبيته الرائعة ، معرضاً بالتجربة الدامية التي عانى منها ووصفها شعراً في الزمن القديم ، الذي يفترض أنه أكثر خيرية من زماننا المعاصر! ولكن المناقب لا يحدها زمان معين أو مكان بعينه! وليست تُخلع على أشخاص بأعيانهم! ولكنني عندما وجدتُ أشيبتنا اليميني المعاصر الذي تزوج من فتاة في عمر بُنياته ، وقد عاش معها أسعد أيام حياته حيث أعادت له شبابه على حد تعبيره ، وتصادف أن أسمتها أمها (بلقيس) على اسم ملكة سبأ ، وتسمتُ فعلاً بهذا الاسم من الناحية الرسمية! ولكن الأب كان يرغب في تسميتها زينب! ليوافق اسمها اسم كبرى بنات النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – ورضي الله عن بناته! وظل الأب يناديها (زينب) حتى بعد تسجيلها (بلقيس) ، وكنتُ من أنصار الأب عملاً بقول الله تعالى: (ادعوهم لأبائهم) واستنبط منها القرطبي في مسألة أن التسمية للمولود من حق الأب! فأسميتها نزولاً عن رغبة أبيها (زينب) ، حتى إذا ما عارضت قصيدة صالح بن عبد القدوس توافقتنا معاً وزناً وموضوعاً وقافية! وإن اختلفنا في تعامل الصبيتين مع الشيبتين! فزينب العباسية أرتُ أشيبتها النجوم في رابعة النهار ، وكانت مثلاً للزوجة المعاندة الناشز التي عنفت زوجها وأذاقته العلقم وجرعته الشيح! وزينب اليمينية المعاصرة التي أعادت لأشيبتها شبابه بعد المشيب ، وكانت مثلاً للزوجة الصالحة

المخلصة! فتخيلتُ ذلك الأشيب اليمني يحكي لنا تجربته الزوجية وقد تزوج من فتاة في عمر
بُنياته على كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -! فماذا قال؟ وكيف كانت
تجربته؟!)

صانت ودادي رَغْم شيبِي (زينب)
لزمت مَضاربَ قومها في عِزّة
لَمَّا تَكُنْ بين الكوامل سَلفاً
حجبت ذوائبها ، فلم تظهرْ إذن
عُدتْ على الغيد العفانل حُرة
والجسم قد سَترتْ بسابغ ثوبها
ونقائبها غطى محاسنَ وجهها
والكف بالقفاز صِينَ جماله
لَمَّا تُصافحُ أجنبيّاً مطلقاً
لم تدعُ غيرَ الله طيلة عمرها
لم تهجر القرآن ، بل عاشت به
لَمَّا تُتَافقُ كي تعيشَ بلا أدَى
لم تبتدعُ في الدين تُرضي قومها
عاشت تُصلي خمسَها في وقتها
والشهرَ صامت كي تكون تقيّة
وزكاتها أديتْ عنها قانعاً
والبيتَ حجّتْ في صحابة محرم
وتعلمتْ عِلْمَ الكتابِ وسُنّة
وعيالها ربّتْ على شرع الهدى
أمرتْ بمعروفٍ لتسمو في النسا

والدهرُ كم يعِظُ الأنام ، ويعتَبُ!
ولكم يصونُ حَلا العفيفة مَضرب!
خَرَجَة ولاجِة تتغيّب
لعيون قوم شوقها يتلهب
وعلى الجلائل تلك كانت تُحسب
ما السترُ إن أبدتْ جسوماً أثوب؟!
حتى تُخزّل كل عين ترقب
لَمَّا يَعْدُ سَهْمٌ إليه يُصوب
هذا حرام ، والحليل سيغضب
شِركاً تراه ، ومزلقاً يتجنب
إن التزم نصوصه يتوجب
ولذا - عليه وأهله - تتغلب
كم ذا تُضَيِّعُ بدعة وتُخيّب!
إن الصلاة - إلى المليك - تُقرب
من فجرها ، حتى يحل المغرب
أنبي بها - لمليكننا - أتقرب
صَحّتْ بذاتِ الفتوى ، وجاء المذهب
والعلمُ أعظمُ ما يُنال ويُطلب
ولكل حق جاهدوا وتعصبوا
والأمرُ بالمعروف سَمّتْ طيب

كم من بيوتٍ بالمناكر تُخرب!
عما يُقَدِّمُ للأنام المطرب
ماذا - لهن العزف يوماً - يُعقِب؟!
هل يُشْتَهَى مَيْتُ اللحمِ ويُرْغَب؟!
كبي لا يُجِرِّعنا الشقاءَ مُخبِّب
وإذا انفلتتُ لتافهٍ ما المكسب؟!
فأنا الأبررَ بزوجتي ، والأنجب!
وحياءها ، وأنا الأعز الأهيب!
إن وافقَ الإسلامَ فهو الأصوب!
ودجى المقاصدَ فهو برقُّ خلب
ماضي الصبا ولى ، وهذا الأطيب!
فهل المشيبُ من الشباب سيهرب؟!
والضنك يمضي ، والمتاعبُ تذهب
والصدعُ - في جو المحبة - يُرأب
وإلى فؤادينا الصفاءَ يُحبب
والود خيرٌ شمسُهُ لا تغرب!
فبها نداوي جرحنا ونطبب
والعيشُ إما فارقنني الغيب
والمَنَّ بالحسن الوجاعَ يُؤلب
أمسى يُزورُ ما يقول ويكذب
أضحى يُحقر ما أتت ويُعيب

ونَهتُ نساءَ ديارها عن مُنكر
وعن الأغاني أعرضتُ كي تستمي
ومِن المعازفِ حذرتُ أترابها
وعن اغتياب الناس صامتٌ دهرها
هي قدّرتُ حُبي وصارمَ غيرتي
هي جنبنتني أنْ أثور لتافه!
هي أسعدتني بالحياة هنيئة
وأنا الذي كم عشتُ أرحمُ ضعفا
فرايتُ وصلَ الغانياتِ سعادة
وإذا اغتذني بالجاهلية والهوى
هذي الحليلة جدتُ في الصبا!
عاد الشبابُ إليّ أحلى عودةٍ
كلا ، ستُطربه الحياة رغبة
نحيا أنا والزوجُ أعذب عيشةٍ
هو منهجُ التوحيد ألفَ بيننا
وتزيّدنا تقوى الإله مودة
وأذابتِ التقوى الفوارقَ بيننا
لَمَّا تُعايرني بشيب هذني
لَمَّا تَمَنَّ بحسبها وجمالها
لَمَّا يُعيّزها تخرص حاقداً
لَمَّا ينلُ من عزمها متربصاً

لَمَّا يُمَيَّلُهَا عَنِ الْحَقِّ الْغُثَا
مَكُرُوا بِهَا ، فَتَنَكَّرْتُ لِحِدَاعِهِمْ
قَالُوا: سِيكْسُرُ كِبْرِيَاءَ عَزِيْزَةٍ
أَوْ أَنَهَا حَتْمًا سَتَعَشِقُ غَيْرَهُ
أَوْ أَنَّهُ يَوْمًا يُطَلِّقُ مَنْ غَفَتْ
قَالُوا: زَوَّجْتَهُمَا خِدَاعَ مُبْرَمٍ
قَالُوا: زَوَّجْتَهُمَا الضِّيَاعَ بَعِيْنَهُ
قَالُوا: الَّذِي عَقَدَ الزَّوْجَ قَدْ ارْتَشَى
وَاللَّهِ خِيْبَ مَا ارْتَأَوْهُ وَصَرَّحُوا
إِنَّا أَرَدْنَا اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ
يَا صَالِحَ الْخَيْرِ انْطَلَقْتِ مُحْذِرًا
وَتَلَوْمًا أَشْيَبَ أَنْ تَزْوُجَ غَادَةَ
وَكَأَنَّهُ اقْتَرَفَ الْكِبَائِرَ عَامِدًا
هُوَ لَمْ يَزَلْ عَبْدًا يُحَكِّمُ شَرْعَهُ
إِنْ كُنْتَ جَرَبْتَ الزَّوْجَ بِغَادَةٍ
وَمَضَّغْتَ عِلْمَهَا لِتُصَلِّحَ شَأْنَهَا
فَلَمْ التَّرَاشِقُ بِالْهَجَاءِ ، صُخُورُهُ
عَمِمَتْ تَجْرِبَةً دَهْنًا كَ غَمُومِهَا
لَوْ أَنَّ (زَيْنَبَكَ) احْتَوَاكَ سَعِيرُهَا

لَمَّا تَكُنْ بِالْمَغْرُضِينَ تُرْحَبُ
قَالُوا: تَزْوُجُ - بِالصَّبِيَّةِ - أَشْيَبَ!
أَوْ أَنَهَا بِالْمُسْتَهَامِ سَتَلْعَبُ
وَتَوَابِعُ الْعَشِقَ الْحَرَامَ سَتُحْجَبُ
إِمَّا اسْتِفَاقَ اللُّوْذَعِيِّ الْأَدْرَبِ
تَصْدِيقَهُ بِالْعَقْلِ شَيْءٌ يَصْعَبُ
وَشَهَادَةَ التَّطْلِيْقِ فَوْرًا تُكْتَبُ
فَعَرُوسُ أَشْيَبِيْنَا عَجُوزٌ ثِيْبُ
وَعَنِ الَّذِي أَمْضَاهَا هُمْ غَيْبُوا
بِزَوَّاجِنَا ، وَلِذَا الْعَوَائِلُ خِيْبُوا
بِالزَيْنَبِيَّةِ تَسْتَطِيلُ وَتُحْطَبُ
وَتُحْبَرُ التَّوْبِيخُ ، ثُمَّ تَوْنَبُ
وَلَهَا يُشْرَقُ تَارَةً ، وَيُغْرَبُ
وَالشَّرْعُ يَحْكُمُ فَعَلَهُ وَيُهْذَبُ
فَصُلِّبَتْ فَتَنَتُهَا ، وَرَاجَ الْمَقْلَبُ
وَأَتَاكَ مِنْهَا مَا تَهَابُ وَتَرْهَبُ
فَوْقَ الْخَلَائِقِ لَيْسَ مِنْهَا مَهْرَبُ
مَا الْقَصْدُ مِنْ هَذَا؟ وَمَاذَا الْمَأْرَبُ؟
فَأَنَا حَبَّتْنِي السَّعْدَ طَوْعًا (زَيْنَبُ)!

تحيتي لموقع الشعر والشعراء

(إن تحايا الشعراء ينبغي أن تكون شعراً! ومن هذا المنطلق كانت تحيتي الشعرية لموقع الشعر والشعراء المحترم وللقائمين عليه من الإداريين والفنيين والمشرفين! بارك الله في الموقع وفي القائمين عليه وفي الشعراء والأدباء المؤمنين الذين يُثرونه بقصائدهم الهادفة النافعة! وبارك الله لهم في صحتهم وأولادهم وأزواجهم! وإنها لكثيرة تلك المواقع الإلكترونية ومتعددة ، ولكن أين هو الموقع الذي يحذو حذو موقع الشعر والشعراء؟! نكاد نعد على أصابع اليد الواحدة هذه المواقع التي لها ذات الصفات من الجدية والحرص على القيم والأخلاق! وإنني لشاكرٌ لموقع الشعر والشعراء وللقائمين عليه جميل صنيعهم معي ومع أشعاري وكتبي! وأدام الله تعالى المعروف! وتأتي هذه القصيدة عرفاناً بجميل الموقع عليّ ، حيث استأثر بأشعاري وكتبي ونشرها في أبهى الخلل! فما أنذا أرد الجميل شعراً في عالم الشعر والشعراء!)

في (الشعر والشعراء) طاب الملقى وبه لمرتاديه شاق المرتقى
يا واحدة ذخرت بعاطر شعرها من كل فن بالجمال تزوقا!
فقت الحدائق في ينوعه وردها! فاح الشذى ، والورد شيب وأورقا
أسعدت زائرك الذي يهفو إلى عشق الجمال ، ويشتهي معتقا
ونفحته شعراً سما في وصفه! وأرى له معنىً يطيب ، ورونقا
ومنحته أرج القريض وحسنه أرجاً يتأفس في الجمال الزنبقا
وسقيته كأس العذوبة مترعاً! والكأس بين يديه بعد تدفقا
أكرمت ضيفك ، لم تضن تحايلاً كلا ، وكان الجود منك مُحققا
أهديته كُتُباً وعذب قصائد! والشعر غرب - في الشعور - وشرقا
يا (موقع الشعر) الأصل تحية سطرتها شعراً صدوقاً شيقا
وقصدت (كامل) أبخر الشعر استمى! وطيوفه خطرث تُحاكي البيرقا
لما احتضنت قصاندي وعرضتها أكبرت سعيك ، واليراع تشوقا
ليصوغ شكراً قد توجب بذاه عذب الكلام مزرکشاً متألقا
لك من فوادي الشكر بعض جميلكم وأحبرُ التفعيل فيه منمقا
أنا عاجز عن شكر جودك ، فالتمس غذراً يُبرر ما أتيتُ مسبقا

في الأفق مثل الطير إن هو حلقا
وظللت أرقب ما تُصارعُ مُشفقا!
لتسمر مفتوناً بها متعلقاً!
ورجوتُ ربي أن تجوز الخندقاً!
وأرى عطائك مستفيضاً غيدقا
ويكون صعباً بالحمام الملتقى
وعليهم تُربُّ المقابر أطقا
لا بد من موتٍ يعز به اللقا
عنا الأنام ، وأنت أصدقُ منطقا
ولأنت خيرٌ - في المواقع - موثقا
أمسى لساتك - بالقصائد - أدقا
هل بينها سرٌ - عليك - استغلقا؟!
وغفلت عن معنى يُراد استغرقا!
لتصدّ عنا من غلا وتحذلقا
بالشعر محترمَ الكلام مُدققا
ما الشعرُ إن وأد الحياء ، وأوبقا؟!
يَرعُ المبادئ والقواعد مطلقا؟!
وبنا الدغاول والمصائبَ الحقا؟
وغدا حياضاً للردائل دُفقا؟!
ما الشعرُ إن أرواح قوم أزهقا؟!
وأراك بالحفظ المؤكد أليقا
عن بذل مجهودٍ من الخير استقى

قد كان حلماً أن تطير قصاندي
كم كنتُ أرجو أن يُطالعها الوري
كم كنتُ أملُ أن تُغرّد في الدنا
كم خفتُ أن تبقى حبيسة خندق
يا(موقع الشعر) الحياة قصيرة
ستعيشُ أطولَ من زها أعمارنا
فانشرْ قصائدَ من غدوا تحت الثرى
هي سنة المولى ، فلاتك وانياً
إذ نحن متنا صرت أنت مَحَدَثاً
فلديك وثق شعراً وكلامنا
مُتنا وخزت تراثنا ، فاظفر به
أسرارنا قد جبتها وحفظتها
فجهلته ، وجهلت مقصوداً به
فلديك كهف قريضنا ورقيمه
حييتُ كتاباً أتوك ، وشاركوا
لم ينشروا الأشعار تُفسدُ قارئاً
ما الشعرُ إن طرح الهدى أرضاً ، ولم
ما الشعرُ إن تخذ الخلاعة مذهباً
ما الشعرُ إن جعل الغواية منهجاً
ما الشعرُ إن دحض الأواصر والعري؟!
يا(موقع الشعر) انثمنت أمانة
شعراؤك الأفذاذ لم يتأخروا

جمهورها قرأ النصوص و صافقا!
كالشمس تختصر المدى كي شرقا
طرباً ، فتبعث في القلوب تشوقا
فالقلب بالفكر السليم تعلقا
بحارة هم يحرسون الزورقا
والطف بزورقهم لكي لا يغرقا
يارب جنبه الردى والموبقا
ولربنا الرحمن خالقنا البقا!

أثروك بالأشعار ، ما بخلوا بها!
والشاعرات بذن شعراً نابضاً
أشعارهن بها العواطف تنتشي
لولا الحيا عارضت بعض قصائد
والمشرفون لهم عظيم تحيتي
يارب كافنهم على مجهودهم
وانفع بموقعهم ، وأصلح شأنه
الكل يفنى ، تلك سنة ربنا

محاكاة لامية ابن الوردى

(لم يكن لي ولعٌ أبداً بمعارضة لامية ابن الوردى! وليس ذلك زهداً في قصيدته ، لا وربى! ولكن لأنها دسمة ويصعبُ استيعابُ فكرتها واستقصاءُ مرماها واعتلاءُ متنها بسهولة! هذا فضلاً عن مُساجلتها أو مُحاكاتها أو مُعارضتها! وذات يوم فوجئتُ بإعجاب أحد أبنائي بها ، وقال لي ألا تُحاكيها؟ فقلتُ: ولم؟ قال: ابن الوردى شاعر يُوصي ابنه! فلماذا لا توصيني كما فعل ابن الوردى مع ابنه؟! فقلتُ: أفعل إن شاء الله! ولا شك أنني لا أدعي لنفسى أن مُحاكاتي لابن الوردى في لاميته أفضلُ من لاميته! بالطبع لا! فله السبقُ والفضل ، ولي شرفُ المحاولة! وأنا أحترمُ ابن الوردى - رحمه الله - وأكادُ أجزمُ بأننى استمعتُ وطالعتُ لاميته مئاتِ المرات على مدى عَقدين من عمري! وكل شاعر لا يحترمُ الشعراءَ الآخرين من أتباعِ ملته وأنصار عقيدته يسقط من نظري بمقدار عدم تقديره لهم! وأعتبره شاعراً وضيعاً وخسيساً من يُحاول أن يصل على أكتاف الشعراء الآخرين! لقد حاول هذه المحاولاتِ الدنيئةِ القدرة شعراء كثيرون ومستشعرون أكثر ومتشاعرون أكثر وأكثر على مدار التاريخ! وباعت محاولاتهم بالفشل الذريع المريع ، وبأزوا بالخيبة المضحكة المبكية! لأن الشعراء والنقاد والكتاب والأدباء كانوا لهم بالمرصاد! فغربل ما كتبوه بغربال النقد الموضوعي المنصف ، ونخل ما كتبوه بمنخل النقد المحايد المتجرد! ووضع كل ما خلفوه من نتاج شعري منتحل فوق مجهر النقد والتحليل! وعندنا والله الحمد من المحيط إلى الخليج نقادٌ نحاريرون نفايرين ، وأكاد أقطع بأنهم كانوا في الغالب الأعم منصفين متجردين مبينين للحق وناشرين للحقيقة بحيدة وموضوعية! ومعاذ الله أن أنال من القاضي الفقيه النحوي الشاعر عمر بن الوردى ، في محاولةٍ رخيصةٍ مكشوفةٍ ماكرةٍ خبيثةٍ لأظهر وأشتهر! يشهد الله تعالى أنني لا أحب الظهور ولا أهل الظهور ، ولا أحب الشهرة ولا أهل الشهرة! بل سيظل ابن الوردى الشاعرُ الفقيهُ النحويُّ البلاغيُّ المؤرخُ العظيم في مقامه السامى ومنزلته الرفيعة! وستظل قصيدته اللامية من عيون شعر العرب! وسوف أظل أراوُحُ في مكاني ، وقصيدتي ستنزل كشاعرها تراوُح هي الأخرى في مكانها! وتحت عنوان: (شاعر وقصيدة - لامية ابن الوردى لعمر بن مظفر ، ابن الوردى) ، يقول الدكتور بدر عبد الحميد هميسه ما نصه بتصريف: (أما الشاعر: فهو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس. أبو حفص زين الدين بن الوردى المصري الكندي. 691 - 749 هـ / 1292 - 1349 هـ ، ولد في معرة النعمان غرب حلب. تولى قضاء حلب ثم قضاء منبج. وهو فقيهٌ وأديبٌ وشاعر. أجاد المنظوم والمنثور. من تصانيفه (تنمة المختصر في أخبار البشر) ، لخص فيه كتاب (المختصر في أخبار البشر) لأبي الفداء ثم أضاف إليه أحداث عشرين سنة من (729 - 749 هـ) ، وله (خريدة العجائب وفريدة الغرائب) ، أكثره في الجغرافية ، وفيه كلام عن المعادن والنبات والحيوان ، ولكن تغلب عليه الصفة الأدبية الخيالية. وكتاب (المنح). وله في الفقه (المسائل المذهبية) ، وله كتب في اللغة والنحو والشعر وعدد من المقامات ، منها مقامة في الطاعون العام ، مقامة الصوفية ، المقامة الدمشقية المسماة (صفوة الرحيق في وصف الحريق) ، أي حريق دمشق. انظر ترجمة ابن الوردى في: الوافي بالوفيات 26/7 ، العبر للذهبي 150/4 ، الأعلام للزركلي 67/5. وأما القصيدة: فهي قصيدة (اللامية) المشتهرة بلامية ابن الوردى ، وتعد من أروع قصائده!). هـ. ولا ينبغي أبداً أن يُهمل الشعراء المعاصرون لامية ابن الوردى ، بل عليهم أن يُحاكوها ، ويهتموا بها ، ويكتبوا على غرارها! فما أحوج الشباب والأولاد والبنات اليوم إلى مثل هذه الوصايا والنصائح التي تفوقُ الدرر جمالاً وحلاوةً وعذوبةً!

وأتمنى ألا تكون محاولتي الأخيرة من نوعها! بل على كل شاعر تحرير نفيير غيور على القيم والأخلاق والمبادئ ، أن يُشمر عن ساعد الجد ويكتب لنا المحاكاة تلو المحاكاة عن قصيدة ابن الوردي – رحمه الله تعالى رحمة واسعة! وأعتقد – في ضوء اطلاعي على الأدب الإنجليزي وأخيه الفرنسي وأخيهما الروسي وأخيهما الأمريكي – أن عمر بن الوردي لو نبغ في إنجلترا أو فرنسا أو روسيا أو أمريكا لكان له شأن أعظم بكثير من شأنه في أمته! ولكن الآخرة خير وأبقى! وتتم الفائدة وتزداد المتعة بهذه القصيدة ، إذا استمعنا للامية ابن الوردي قبلها! وأسأل الله تعالى كما وفقتي لإتجاز هذه القصيدة ، أن يوفق ابني للعمل بما حوته من الحق وتجنب ما حوته من الباطل ، وأسأله تعالى مثل ذلك لمن قرأ وعمل ونشر! هو سبحانه وتعالى ولي ذلك والقادر عليه! والآن لنطالع ما من الله تعالى به علي في محاكاة لامية عمر بن الوردي!

أي بُنيّ اسمع وصّاتي ، واعتدّن
والتزم ما جاء فيهما من مُثُل
كم سهرت الليل في تأليفها
واصطفيت النصّ كي لا أرتجل!
وانتقيت اللفظ عذبا سائعا
ثم رشحت تقاسيم الجمّل
وانتخبث البحر يُشجّي لحنّه!
إن شدا اللحن نأى عنك المّل
ذلك البحرُ ترانيماً حوى!
ليس نظماً صُفدت أنغامه!
هل يُبارى - في الترانيم - (الرمّل)?
ثم ضمخت وصّاتي بالشذى
ما استوى النظم بتاتاً بالرتل!
شافعاً نصي بنسرين وفل!
بإذلاً أسمى تجاربي التي
عشتها ، فانظر وقدر ما بُذل!
ناصحاً ، والنصح حاتم لازم
كم بنصح زال عن قوم خل!
واعظاً وعظماً يسلي خاطراً
ربما أنجأك وعظي من زل!
تاركاً بعدي وصّاتي للفتى
مشعلاً يهديك إن عم الضلل!
أي بُنيّ ، الله فاعبد وحده!
واذكر الله ، وزد في حمده
كافر عبداً بمولانا عدل!
ولله الأعمال أخلص ، واجتهد
ورد الشكر تُنعم وتُجّل!
واسأل المولى ، فأوفى من سُئل!
لا تسبب الدهر ، هذا مطعون
يفق شرع الله يا نعم العمل!
يطعن التوحيد في قلب الرجل

والتزم بالأمر ربي سانه
واحترم يا فذل الأنبياء
ثم آمن بالنبى المصطفى!
لا تؤلهه ، ولا تحلف به
وقر الأصحاب ، واقدر شأنهم!
جاهدوا خلف النبى المجتبى
واحترم أسلافنا ، وارفق بهم
واخى بالقرآن لا تنصت إلى
واتل واعمل ، واتبع أخلاقه
إن نويت الفعل أقدم واستخر
وانتقل من بقعة فيها الأذى
لا تقل: كان أبى فى شعره!
فانظم الشعر ، وعش مستعفأ
واحمل الذات على حب التقى!
واردع النفس ، وزد فى كبحها
واطلب العلم ، وكن من أهله!
واقتن الكتب ، وطالع ما حوت
وانهل العلم صواباً خالصاً
إن فعلت صرت حقاً عالماً
وتواضع للورى ، واراف بهم
واحترم شيخاً له أسفاره
واعف عن أخطائه مهما استمت

والتزم بالنهى حتى تعتدل
لا تفرق يافتى بين الرسل
خاتم الرسل ، ومولانا الأجل!
مثل ما يفعل أرباب الدجل!
خير جيل لهدى الله امتثل!
ضد أهل الكفر والقوم السفل!
وادحض البهتان عنهم يفتعل
خائض فيه ، فهذا مختبل!
وبتفسير لما يحوى احتفل!
وعلى الله اعتمد ثم اتكل
بغية الدين ، فما أحلى النقل!
بعده كن أنت - فى الشعر - المثل!
واصبرن يا صاحبي صبر الجميل!
وارق بالروح لكى لا ترتذل
إن أرادت بالهوى أن تستظل!
كل إشكال له بالعلم حل!
من صحيح العلم للصيد الأول!
لم يخالطه هراء ، أو خبل
واستمى ما حزت من خير النهل
تغد فى نعمى رضاهم وتجل
وله جمع - إلى العلم - ارتحل
ربما الشيخ بما يفتى جهل

هذه الزلاّت يوماً تتدَمَل
تنشر العيب ، فذا خطب جال!
إن ما حصّلته جهذ المُقِل!
هل عن الدماء يُغنيك الوشَل؟!
فإذا لم يتبغ خير المِل
لو أراد الخير يوماً ما هزل!
وادع رب الناس فيها ، وابتهل!
وتعطر ، ثم بگر ، واغتسل
كي تعاف النفس تخذيل النقل
تعس القوت! به المرء استذل!
من ذنوب وخطايا كالجبيل
ذكره عالي الصوى لا تستقل!
والندى من طيب الذكرى خصل
إنما الأييام - صدقتي - دُول!
ليس يرقى المرء يوماً بالخمِل
أم حُسام الحق أضناه الفل
لا يحاز المجد - كلا - بالعجل!
أن هذا العيش محتوم الأجل
سنة صحت ، وفاز الممتثل!
واذكر المولى ، وسبغ في وجل!
في سنا التأويل بُشرى أو أمل!

لا تؤاخذه على زلاته
لحم أهل العلم مسموم ، فلا
أنت محتاج إلى ما عندهم
علمهم بحر ، فحض أمواجه
قيمة المرء اتباع للهدى!
فهو مقوت وإن حاز الدنيا!
واحضر (الجمعات) ، واشهد نورها
واشهد (العيدين) ، هذي سنة
وصم الشهر ، وقم في ليله
وتصدق تُغن بعض الفقرا
حج بيت الله ترجع طاهراً
وأدم ذكر الردى يوماً تفز!
إنما الذكرى كقطرات الندى!
لا يدوم الحال ، هذي فريضة
فاغتنم عمرك ، وانشط ، واستقم!
وبسيف الحق جاهذ واعتزم
واسع للمجد إذا ميت بقي
نم وقم وانشط ، وكن مستيقناً
أطفئ المصباح إن نمت ، فذي
وإذا استيقظت كن مستغفراً
واحك للأحباب رؤيا شفتها!

كذب هذا ، فدع عنك الدجل!
واهجر الحمقى ، ولا تؤوي الهمل!
إنه إن دارت الأيام خـل
هل تساوت أسد غاب بالجعل؟!
قدم حافٍ ، وأمسى المنتعل!
إن أردت الوصف حقاً - أهل غـل
فإذا نيايت تحلوا بالبخل!
لا تُصاحب أي شخص مُختل!
خرقك الأرض مُحالاً ، فاعتدل
واحذر المشي كما يمشي الحجل!
فغلو الصوت يُزري بالرجل
لحمير الأرض ، والقوم السفـل
أكل لحم المرء ميتاً هل يجـل؟!
وإذا النمام وافى فاعتزل!
قولك الحق به العذل اكتمل
لا يسود الحق - كلا - بالوهـل!
مطلب - والله لو تدري - عضـل
هل تساوى الليث يوماً بالحمـل؟!
وإذا ما زرت خفف لا تُطل
سـجيبُ الله عبداً إن سأل
عبرة تُحيي فوئداً قد غـل
وعلى الميت ستار ينسدل

لا تُثر العينين ما لم ترياً
واصحب الأفذاذ من أهل الهدى
وأخو التوحيد فاسلك دريئة
لا تقل كل البرايا إخوة
ليس يُعلي النذل مالٌ أو غنى!
وانأ عن أهل انتفاع ، إنهم -
طلبُ الحاجات أقصى جهدهم!
وتجنب كل نذل حاقـدٍ
صاح في مشيك فاقصد ، واتنـد!
فالهويني سـر ، وأقصر في الخطا!
واغضض الصوت لتلقى مُصغياً
أنكر الأصوات تدريها لمن؟!
واحذر الغيبة ، واهجر أهلها
وابتعد عن هامز أو لامز!
وقل الحق ، وإن ضج الـورى
صاحب الحق قـوي قلبه
وأنا أدري: عزيزٌ مطلبـي!
كل حق يبتغي ليث الشرى!
وزر المرضى ، وكن برأ بهم
وادع للمرضى جميعاً بالشفا
واحمل الميت للقبـر وحـز
واشهد الهدى دفن بعينى راحـل

إن للموت اعتباراً لا يُمل
أصبح القبرُ - عن البيت - البديل
رحمَ الله الـدفينَ المرتحل!
لكن النجمُ - عن الدنيا - أفل!
وترابُ القبرِ يُؤذي والجِرل!
إنما يونسُ - في القبر - العمل!
مزحة الكذاب يعلوها الخطل
كيف ينأى عن أباطيل السفل
فانبرى يُشجيه تليفُ الزجل
من لذيذِ الشرب ، أو أشهى الأكل
أو كغيثٍ - في بيادينا - هطل!
وتكلفَ طيبَ العقبى تنل!
ضيفك الشهمُ بأرض الدار حل
إنما - في الدار - للخسنى نزل
وهدايا الحب تُويها المقل!
مَدَك الكف لقوتٍ لا يحل!
لم يخنُ صحباً ، ويوماً ما خذل
إنما - بالطب - تُستجلى العلل
وَكُنن الأب ، إذا الأب رحل
لمليك الناس أوجاع الغيـل
ونمت أشواكه مثل الأسـل

صفحة بالموت لاقـت طيها
واسأل التثبيـت للمجنـوز إن
حاله يُبكي عيوناً ما بكت
كان بين الناس نجماً ساطعاً
أوحشَ القبرُ ، وسادت ظلمة
واعتدى الخوف ، فهل من مونس؟!
أي بُني امزح ، ولكن صادقاً!
إن تكن تُضحكُ غرراً لا يعي
لكن المزحة أوهت عزمه
واستصف أهل التقى ، وابذل لهم
كن لهم - إما استضيـفوا - خادماً!
أكرم الضيف ، فهذي مدحة
وابسطِ الوجه ، ورحبْ عندما
لم يكن ينشُد لقيماً أو قـرى!
أهدِ من أحببت تأسر قلبه
واجتهد في العيش ، واكدح ، واكتسب!
عشْ عزيز النفس شهماً طيباً
وتداوى إن تداعتِ علـة!
وارحم الأيتام ، واجبُر كسرهم
وامسح الدمعة سالت تشـتكي
وامسح الرأس تـلن قلباً قسا

مِن عِيوبِ أَسْأَلُمْتُهُ لِلشَّلَلِ
يَرُدُّ الخِصَمَ بِلَا أَدْنَى خَجَلِ
كَم أَفَاقِ الشَّعْرُ مِنْ غِرِّ ثَمَلِ!
هَل تَسَاوَى الوَرْدُ يَوْمًا بالبَصَلِ؟!
مَا اسْتَوَى الشَّعْرُ لَنَا وَالْمُنْتَحَلِ!
رُبَّ رِيثٍ جَاءَ مِنْ بَعْدِ العَجَلِ!
وَنَوَالِ المَجْدِ يَأْتِي بِالمَهَلِ!
فَبِنَصِّ الذِّكْرِ يَغْدُو كَالطَّلَلِ
وَعَلَى التَّحْرِيمِ نَصٌّ يَشْتَمَلِ
وَاقْرَأِ الآيَاتِ جِئَاءَتْ بِالفِصَلِ
أَنْكَ اللَّيْثُ غَيُورًا لَمْ تَزَلِ
إِذْ أَقْرَ الفَحْشَ يُودِي بِالأَهْلِ!
كَأَذْبٌ غَالٍ ، وَبِالْجَنِّ اتَّصَلِ
فَإِذَا مَا سِرْنَ جَرَدْنَ السَّبَلِ
كَم بَعَشِقِ الغَيْدِ هَيْمَانٌ قَتَلِ!
لَمْ يُرْعَهْنَ المَصْمِيرُ المُقْتَبَلِ!
وَاتْبَاعِ الحَقِّ يَشْفِي مِنْ غَلَلِ
مَنْ يَخْضُ بِحَرًّا تَسْلَى بِالبَابِلِ!
مَنْ أَطَاعَ الحَقَّ - فِي الدُّنْيَا - نَبَلِ
أَمْ دَهَى العَيْنِينَ - فِي البَلْوَى - الحَوْلِ؟!
لَيْسَ جِدَّ المِرْعِ يُفْضِي لِلْفِثْلِ
كَاغْتِيَالِ الذَّنْبِ غَدْرًا بِالْوَعَلِ!

أَيُّ بُنْيِ الشَّعْرِ صُغْفَهُ سَالِمًا
وَاجْعَلِ الشَّعْرَ حُسَامًا قَاصِلًا
وَيُفِيقُ الخِصَمَ مِنْ أهْوَائِهِ!
لَيْسَ شِعْرُ الحَقِّ يَوْمًا كَالهَرَا!
وَاحْذِرِ السُّطُوقَ عَلَى شِعْرِ الوَرَى
لَا تَكُنْ فِي نَشْرِهِ مُسْتَعْجَلًا
قَوْلِكَ الأَشْعَارَ مَجْدًا ، فَاصْطَبِرْ
وَاحْذِرِ السَّاحِرَ ، أَبْطَلْ سَحْرَهُ
وَمَدَى الدَّهْرِ اجْتَنِبْ أَكَلَ الرِّبَا
وَتَجَنَّبْ خَمْرَةَ تَسْبِي الحِجَابِ
وَعَلَى الأَهْلِ فَعِزُّ كَيْ يَعْلَمُوا
تَعَسَّ الدِّيُوثُ يُخْزِي أَهْلَهُ
لَا تُصَدِّقْ كَاهِنًا مَهْمَا غَلَا!
وَاحْذِرِ الإِسْبَالَ ، هَذَا لِلنَّسَا!
وَاحْذِرِ الغَيْدَ وَرِبَاتِ الهَوَى
كَم حِسَانِ لَمْ يُغْلِبْ بِنَ الحَيَا
سَافِرَاتٍ بَعْنَ دِينًا وَتَقَى!
فَانَا عَنَنْ ، وَجَاهِدْ فَتْنَةَ!
هَذِهِ الأَعْرَاضُ خَانَتْ هَدْيَهَا!
ذَا جَمَالًا لَا يَسَاوِي نَظْرَةَ!
إِنْ غَضِضْتَ الطَّرْفَ تَخْرُجُ سَالِمًا
إِنْ هَذَا الحَسَنُ يَغْتَالُ الفَتَى

أَعْيُنٌ صَادَتْكَ حَسَنَاءٌ نُجُلُ
مَا اسْتَوَى الشَّمْعُ لَدِينَا بِالشَّعْلِ!
مَا اسْتَوَى الحَلْيُ - لَدِينَا - بِالْعَطْلِ!
مَهْرُهُنَ الجِدْفِي خَيْرَ العَمَلِ
أَمْ تَسَاوَى الكُحْلُ - صَرَخٌ - بِالكَحْلِ!
تَفْتَكُ الأَسَدَانُ فَتَكَاً بِالْإِبْلِ!
تَحْتَرِقُ بِالنَّارِ حَتْمًا إِنْ تُطِلْ!
لَمْ يُسْتَرْهَ خِمَارٌ مُنْسَدِلْ!
عَاصِمٌ مِّنْ كُلِّ عَيْنٍ لَا تَكِلْ
كَيْفَ تَحْظِي مِنْكَ هَذِي بِالغَزْلِ؟!
بِالتي الحُسْنُ لَدِيهَا مُبْتَدِلْ؟!
هَلْ تَسَاوَى الشَّيْخَ يَوْمًا بِالْعَسْلِ؟!
جُرْحُ هَذَا العَشِيقِ لَيْسَ المُنْدَمِلْ!
وَفَقَّ شَرَعَ اللهُ ، لَا شَرَعَ السَّفْلِ!
وَإِلَى الأَنْغَامِ يَوْمًا لَا تَمِلْ
وَدَهَى المَغْرَمَ بِاللَّحْنِ الهِبْلِ!
كَلِمَا رَجَّعَ أَنْغَامًا سَعْلِ!
وَلَهُ فِي كُلِّ حَفْلٍ مَظْهَرِ!
أَيُّنَ عِبْدٌ جَارٌ مِّنْ عِبْدِ عَدْلِ؟!
وَبِيذِ القَوَاتِ للجُوعِ بِخِلْ؟
لَمْ يَكُنْ يُعْطَى رِيَالًا إِنْ سُئِلْ؟!

وَعِيُونَ الغَيْدِ تُودِي بِالنَّهْيِ!
فَاذْكَرِ الحَوْرَاءَ فِي المَأْوَى غَدَاً!
إِنْ حُورِ العَيْنِ أَعْلَى رُتْبَةِ
لَا تُقَارَنُ بِاللَّوَاتِي فِي الدَّنَا
إِنْ حُورِ الطَّيْنِ أَدْنَى فِي الحَلَا
نَظْرَةَ للغَيْدِ قَدْ تُرْدِي كَمَا
غَضَّ مِنْ إِبْصَارِ عَيْنٍ تَشْتَهِي!
خَابَ حُسْنٌ لَمْ يُغْلَفْهُ الحَيَا
زِينَةَ الحَسَنَاءِ سِيَتْرٌ سَابِغِ
وَتَرَفَّعَ عَن جَمَالِ مُزْدَرِيْ!
هَلْ تَسَاوَتْ هَذِهِ فِي سِيَتْرِهَا
إِنَّمَا الفَرْقُ تَسَامَى وَصَفَهُ
احْذَرِ العَشِيقَ زَهَتْ أَرْجَاسُهُ!
اعْشِقِ الغَادَةَ زَكَاهَا الحَيَا
وَالأَغْنَانِي لَا تُعْرِ أَدْنَى لَهَا
ذَهَبَ اللِّحْنُ بِقَلْبٍ وَالنَّهْيُ
وَمُؤْدِيهَا نَشَارٌ صَوْتُهُ
وَلَهُ فِي كُلِّ حَفْلٍ مَظْهَرِ!
وَتَأْمَلُ فِي البَرَايَا ، وَاعْتَبِرْ!
أَيُّنَ عِبْدٌ غَرَدَتْ أَمْلَاكُهُ
أَيُّنَ عِبْدٌ ضَوَّعَتْ أَمْوَالُهُ

مَن إذا رأيَّ تخطأه انفعَلَ!
ففي تقبي بالمعالي مُشْتَغَل
نَحَلَ العِزْمُ كما الجسمُ نَحَلَ!
كل ما قَدَمَ مِن سُوءٍ وَجَلَ
غَيِّبَا بِالْمُنْتَهَى مِنْذُ الأَزَل!
وسألنا: كيف؟ والرد: لعل!
تاركاً قصراً و(كاباً) والخَلَلَ؟
جابت الدنيا وصارت في (زحل)؟
زايْلوهَا ، واسـتقلوا بالقلل؟
أين أصحاب المعالي والثقل؟
بالذي اختاروه قد كان العمل؟!
زمرُ الناس لـذا الأمرُ اعتدل؟!
وأحلوا قومهم أشقى السبل؟!
لم يثُنبُها من عيوب أو حيل؟!
رغم نَحْتِ لبيوتٍ في الجبل!
رجفة أودت بكبيدٍ مُضْمَل!
ولـة كبرُ الملوكة المُشْمَل؟!
ولـة في كل إقليم (فَل)!
وجيادٌ في مغانيها نذل؟!
دون خوفٍ أو حياءٍ أو خجل
واللـة للقطيع المُسْتَنَل!
أين قومٌ نلك الطاغى قتل؟!

أين ذو الرأي مضت آراؤه!
فتفكر في مآلات السورى
وشقى سادراً في غيّه!
كل عبدٍ منهما أفضى إلى
أين غابا ، لم يعودا بيننا؟!
وسألنا: أين؟ والرد: قضوا!
أين ذو الصولة ولى مدبراً
أين أصحاب التجارات التي
أين أصحاب العمارات التي
أين أصحاب المعاصي والهوى؟
أين أهل الخَل والعقد الألى
أين أهل الحسبة انصاعت لهم
أين قومٌ عربدوا في ذي الدنا
أين قومٌ أصلحوا أعمالهم
أين (عادٌ) أو (ثمودٌ)؟ أهلكوا!
أين غارت (مدينٌ) لَمَّا عَتَتْ!
أين (كسرى) في مغاني فارس
أين في (روما) (هرقل) حاكمٌ
أخبرونا (قيصرٌ) أين ثوى
أين (فرعونٌ) وما كان ادعى
قال للأنام: إنى ربكم
أين ولى؟ أين ولى ما ادعى؟

مصدر الكبر وناقوس الخبل؟!
مالعبدٍ مثلُ هذا من قبل!
فغدا - في الناس - جباراً يُذل؟!
أين من ولاء رأساً أو عزلاً؟!
مجذهُ اليومَ ببرلين طلل!
وخروبٌ خاضها الشهمُ البطل!
وبإسلام له الملكُ اكتمل
نصٌ ما قال الحديث المتصل
لستُ أروي النصَ عنه لم يقل!
(تبع) ولي ، وصيتٌ قد فضّل!
رب أرجعها لِمَاضٍ قد رحل!
يومَ قالت أسلمت والخيرُ حل؟!
فاستشارت قومها لم ترتجل
ليت شعري ، سبقَ السيفُ العذل!
اقرأوا القرآن والسبعَ الطول!
أقبلوا في مشهدٍ فذخِفل!
إن يكنُ بالذكرِ حقاً يشغل
وهبوا المالَ رخيصاً والجِل!
اسألوا (الشام) عن السحر بطل!
سائلوا (بغداد) تحكي ما حصل!
يُصبِحُ المعبودُ (لاتاً) أو (هبل)!

أين (قارون) وأموالٌ غدت
غيرُ مسبوقٍ لعبدٍ مثله
أين (هامان) وبأسٍ حازه
خبروني أين ولي (هتلر)؟
أين (بسمارك) ومجدٌ قد بنى؟
أين في (صنعاء) ولي (تبع)
اليمانيُ ازدهى في ملكه
لا تسبوا تبعاً يا قومنا!
إذ رواه (أحمد) عن (أحمد)
(سبأ) تروي لنا عن (تبع)!
يَمُنُ (التبع) ولت وانقضت!
أين (بلقيس) بها الملكُ شدا
و(سليمان) دعاهما مخلصاً
فاهتدت للحق لما أذعنث
(سبأ) تحكي لنا أخبارها
لستُ أنساها وأجناداً لها
سورة (النمل) تُسلي من تلا
أين (ديها) والأمازيغ لها
و(زنوبيا) أين ولي عهداً؟!
أين (كوبابا)؟ فهل من عبرة؟!
تعسَ الملكُ يُدسي عندما

و(أثينا) ترتدي البُرْدَ السَّمْل
يرقبُ الأفلاك ، يُمسي في شغل؟!
أين بأسُ الملك تُؤويه الثل؟
واضعاً بالسيفِ حَدّاً للميَل!
في سني أربعين السعي ضل!
أوليس القومُ فيهم من عقل؟!
ودماء الأبرياء في الجيد غل
في يدِ سَوط ، وفي الأخرى كَبَل!
أين جبارٌ له أعتى النكل؟!
مارسَتْ دَورَ الرِجال المُكتمَل!
واقراء التاريخ ، وادرسْ واسْتدل!
واسستهانت بالبلايا والغِيَل؟!
مثمما الغيرُ تسلى بالعِلل
ما تساوى التمر يوماً بالدقل
مالها - عن سُدّة الحكم - حِول!
غازل الحِنا ، وأهداها القَبَل
في الرواحات وإن حطتْ أضل!
ذهب الخبُّ ، ويبقى ما هزل
همس الصَّبِّ ، وأحياناً زَجَل
ويح قلب بالتجني قد تُبل!
وهي عجفا قد أصيبتْ بالطحل!
راجع النفسَ وأبدي من ذعل!

أين (سُولون)؟ مضى إجرامها؟!
أين (بطليموس) في تجيمه
و(كليب) أين في أعرابه؟!
وانبرى (الجساس) للظلم عتى
وإذا (بكر) تلاحى (تغلباً)
والسوفُ أزهِقوا في ناقية
وكذا (الحجاج) بالسواى مضى
أين أجناداً أطاعوا أمره؟
أين بطش؟ أين قهر؟ أخبروا!
أين (حتشبسوث) والمُلك ازدهى؟!
أصلحت داراً وأرضاً وقبرى!
كيف سادت قومها في عزة
لم تقل: أنثى ومالي حياة
إنما فاقت ببأس غيرها
أين (كليوباترا) بالحكم استمت؟
أين من قد صاغ شعراً ساقطاً؟!
وصف الموعِد جَاءت قبله
وصف القَد ، وجلى ميسه
وصف الصوت يُناديها به
وصف القلب دهاهُ جها
جعل الشوهاء ألقى عادة
جَرَد الحُسن من الثوب ، وما

من بقايا الجسم بالثوب المُخِل!
فله الطاعة ، والحسنُ ابْتِذَل
بجميع القبح والسوآى حَقَل
رَوَجِتْ للفِسق دهرأً والدغل؟!
واضعاً فيها خبيثات النَحَل؟!
طافتِ الدنيا جنوباً والشَمَل!
ولله الأعوانُ ذأدوا والشِملل
حواله الحمقى تداعوا والشُبل!
والشبابُ من نظى السب اکتهل!
ذهبوا ، والعلمُ باق لم يزل
كل معطاءٍ على الأجر حصل
وسيجزى كل عبدٍ ما عمل
فاطلب الحُسنى لأبّ قد رحل
عند لقياهُ إذا جاء الأجل
ورْده فإح ، ووردي قد ذُبل
نصه الصَّابُ ، ونصي المكتهل
فأريث النص بالخير اكتمل
هو من توفيق مَولاي الأجل
هو من تدليس شيطاني الأذل
أدرك الخيرَ به أعطى الأمل
ودعا المولى دعاء المُبتهل

فإذا الهيفاءُ تُبدي ما اختفى
أمة كانت ، وهذا سيدي
هو قد ولي ، ويبقى شِعْرهُ
أين من خط الروايات التي
أين من ألف أفكاراً غوث
ترجمت للناس في كل الدنيا
أين من سب (النبي المصطفى)؟
في الهجا والطعن أضحى ضيغماً
صاغ في الشتم كلاماً فاحشاً
أين أهل العلم بثوا علمهم
أين أهل الجود جادوا حسبة؟
سيعيدُ الله يوماً خلقه
أي بُنيِ اعلمُ بآني راحل
واسأل المولى له خير الجزا
ثم لابن الوردي لا تنس الدعاء
ولي الغدُرُ إذا حاكيثه
ولرببي الحمْدُ إذ وفقتني
إن يكن في النص خيرٌ يجتنى
أو يكن في النص شرٌ يتقى
قيضُ الله لنصي مَن إذا
وأذاع الخيرَ يرجو أجره

أو رأى سوءاً لينصَح مُخلصاً وعلّي - في الورى لم يستطل
أدمي قد بدت أخطاؤه مثلما آدم ياقومي أكل
أدمي إن تعدى أو عصي صدقوني: آدمي لم يزل!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

وصاة: وصية. مثل: مبادئ وقيم. اصطفت: أي اخترت. أرتجل الكلام: أقوله على غير استعداد. يُشجي: يُطرب. نأى: ابتعد. ضمخت: صببت عليه العطر. الشدى: رائحة العطر الفواح. نسرين: زهر عطري. تجاريب: تجارب. خلل: عيب. الضلل: الضلال. ترانيم: أنغام. يبارى: يُقارن. صفت: وضعت عليها الأصفاد أي القيود لتظل في قيد الأسر. الرمل: هو البحر العروضي الذي صيغت عليه قصيدتنا (محاكاة لامية ابن الوردى). نظم: نسق يأخذ شكل القالب الشعري ، ولكن ليس فيه خيال ولا صور ولا محسنات. الرتل: النظم المسجوع. عدل بمولاتنا: أي أشرك مع الله إلهاً آخر ، والفعل مأخوذ من قول الله تعالى: (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون). تُنعم: يصيبك النعيم. تُجل: يصيبك الجلال والهيبة والوقار. فأوفى من سئل: أي أن الله تعالى يوفي للمتضرع له بالدعاء فيستجيب دعاءه. سنة: شرعه. الفذ: هو الذكي العبقري من الناس. مولانا الأجل: أطلقت في هذه القصيدة في سياقين الأول عنيتُ به الله رب العالمين باعتبار أن (المولى) اسم من أسماء الله تعالى ، والثاني عنيتُ به النبي - صلى الله عليه وسلم - لا توله: لا تعبه. أرباب الدجل: أصحاب الخرافات من ذوي العقائد الفاسدة والنحل البائدة. وقر الأصحاب: اقدر شأنهم واحترمهم. القوم السفل: أي السفلة من الناس ، الذين ليس عندهم قيم ولا مبادئ. خانض: قائل بغير علم. بُغية الدين: من أجل الدين. النقل: جمع نقلة وتعني الانتقال من مكان إلى آخر. مستغفراً: مستغنياً عن الناس. انهل العلم: ارتشف العلم طبعاً على الاستعارة. هُراء: هو القول الذي لا صحة له. واستمى: علا شأنه. النهل: الارتشاف والشرب بنهم. نعمة: نعمة. أسفاره: كتبه. ارتحل: شد الرحال في طلب العلم. زلات: أخطاء وهنات. تندمل: تبرا. خطب جلل: مصيبة عظيمة. الدماء: هو البحر العظيم. الوشل: قليل الماء. الهدى: الإسلام. خير الملل: الإسلام. مقوت: مغضوب عليه ومستهجن ومبغوض. صل خمساً: المراد الصلوات الخمس في اليوم والليلة. مشرع النفل: أي السنن الرواتب المشروعة المسنونة قبيل وبعيد الصلوات الخمس. الجمعات: المراد صلوات الجمع. العيدين: يوم الفطر ويوم الأضحى. بكر:

أذهب مبكراً. تعاف: تستهجن وتستقذر. الثقل: لها في القصيدة معنيان ، الأول: أصحاب الثقل أي القوم لهم النفوذ والجاه ، والثاني: تخذيل الثقل أي تشبيط التثاقل والكسل. الردى: الموت. الصوى: المعلم. خضيل: مبتل بالماء. فرية: كذبة. الأيام دول: أي يوم لك ويوم عليك. الخمل: أي الخمول والكسل. اعتزم: اعزم على الأمر. الفلل: مأخوذة من انفلال السيف أي تكسيره. اعجل: العجلة والسرعة في عمل الشيء. احتمل: أي تحمّل. محتوم الأجل: محدد النهاية. الممتثل: المتبع. الوجل: الخوف الشديد. شفتها: رأيتها! وبعض طلبه العلم خصوصاً والناس عموماً يتصورون أن الفعل (شاف - يشوف - شوفاً) عامي دارج ، وهذا غير صحيح ، بل هو من الفصحى ومعناه رأى ونظر. التأويل: تعبير الرويا. الهمل: هم القوم لا يعيشون لغاية وجود ولا يدركون من سبب حياتهم شيئاً! البرايا: الناس. أسد: أسود. الجعل: الصراصير والجعلان. المنتعل: الذي يلبس النعال. خل: صاحب وفي. البخل: هو البخل. مختتل: فيه الخلل والعيب. محال: مستحيل. الهوينى: الإمهال. الحجل: طائر متبختر في مشيته كالطاووس ، وأحياناً يمشي على رجل واحدة. مصغياً: مستمعاً بجديّة. يُزري بالرجل: يعيبه! الوهل: الضعف. عضل: شديد وصعب. الحمل: صغير الخراف. المجنوز: الميت. أفل النجم: أي غار وانطفأ. الجرل: الحجارة. الخطل: الخلل والعيب. الغر: السفية الأحمق. هطل الغيث: أي نزل منهراً. الغقبى: العاقبة والجزاء. علة: أي مرض. الأب: هي لغة في الأب ، وكثير من الناس يتصورونها عامية! وهذا غير صحيح ، بل (الأب والأخ والدم) هكذا بالتشديد لغة في (الأب والأخ والدم) بالتخفيف! وبيننا القواميس ومعاجم اللغة ، وكونها تجري على السنة العامة ليس دليلاً على دارجيتها وعاميتها! فيرجى التفطن! وكم من ألفاظ وكلمات يطلقها العوام ونظنها عامية فإذا بها عربية أصيلة! حل ضيفاً: نزل ضيفاً على قوم في دارهم. ينشد: يردو ويريد ويطلب. قرى: طعام الضيف. للحسنى: الإحسان. أهد: أعطه الهدية. المقل: جمع مقلة ويراد بها هنا العيون. مذك الكف: كناية عن تسولك من الناس. تُستجلى العلل: تيراً وتُشفى بإذن الله ، وإنما الأدوية والعلاجات والمشافي والعيادات أسباب. الغيل: المحن والمصائب. الأسل: شجر صحراوي شائك. حسام قاصل: سيف ماض قاطع. ثمل: سكران لعبت الخمر بعقله. الشعر المنتحل: المسروق من الشعراء الآخرين. ريث: تعطيل ، والفكرة في البيت مأخوذة من المثل العربي الجاهلي الشهير الجهير: (رب عجلة تهب ريثاً). المهل: التآني في فعل الشيء. يرعهن: أي يُخيفهن. المصير المقتبل: أي الذي يكون من عاجل العقوبة في الدنيا أو الموجل إلى يوم القيامة. غلل: غليل. نبل: ارتقت أخلاقه وصار نبيلاً شهماً. الحول: هو تحول الإبصار. الوعل: التيس الصغير الضعيف. العيد: النساء الجميلات. أعين نُجل: واسعة جميلة. الحوراء: عروس الجنة من الحور العين. الماوى: الجنة. الشعل: جمع شعلة. رتبة: أي منزلة ومكانة. العطل: عكس الزينة بالذهب ، فالمرأة العطل هي المرأة لا تتزين بالذهب. الحلا: الجمال والحلاوة والعدوبة. الأسدان: الأسود. مزدري: محتقر. الجمال المبتذل: المتاح لكل من رآه. الهبل: الجنون ، وهذه كلمة عربية أصيلة ليست عامية دارجة كما يظن البعض. ذو الصولة: صاحب القوة والجبروت. كاباً: كلمة من الدخيل تعني غطاء الرأس. القلل: شعاف الجبال. أهل الحل والعقد: كانوا قديماً في الأمة كالعافية للجسم وكالهواء للدنيا ، يرتبون أمور العباد من أتفه الأمور إلى أسماها وأعلاها وفق المنهج الرباني. أهل الحسبة: كانوا قديماً يقومون اعوجاج الناس وفق المنهج الرباني. زمر: جماعات وأفواج. فرعون وقارون وهامان: جبابرة قداماء. عاد وثمود ومدين: أقوام عتوا عن أمر ربهم وعصوا رسله. كيد مشمعل: شديد الحيلة والدهاء.

هرقل: عظيم الروم. قيصر: عظيم الروم. فلل: كلمة من الدخيل مفردها فلة وهي بيت كبير متأنق من طابق واحدٍ وأحياناً من طابقين. تبع: أحد ملوك اليمن أسلم وحسن إسلامه وحكم رعيته بالعدل. الحديث المتصل: أعني اتصال سنده ، وهو حديث: (لا تسبوا تبعاً فقد أسلم) والذي رواه الإمام أحمد في مسنده وحسنه الألباني – ورحم الله الجميع وصلى وسلم وبارك على نبيه-. بلقيس: هي بلقيس بنت شراحيل ملكة يمنية حكمت سبأ ، وقصتها مذكورة في سورة النمل ، وأسلمت وحسن إسلامها. ديهيا: ملكة أمازيغية قديمة. زنوبيا: ملكة شامية قديمة. كوبابا: ملكة عراقية قديمة. سولون: ملكة يونانية قديمة كانت جبارة. بطليموس: عالم إغريقي معروف اشتهر بالتنجيم والفلك وغيرهما. كليب: ملك عربي قديم ، تعالى على قومه من العرب ، وقتله جساس بن مرة لأن الأول رمى ناقه (البسوس) بروح فقتلت وكانت سببا لنشوب حرب بين قبيلتي بكر وتغلب دامت أربعين سنة وأزهقت فيها أرواح الآلاف وأريقت فيها الدماء! الثِّل: جمع ثلة وهي الجماعة من الناس. المَيْل: هو الميل والانحراف. الكَبَل: هو القيد يوضع في اليد أو الرجل. النكَل: هو النكال والانتقام. أجناد: جند أو جنود. حتشبسوت: ملكة مصرية قديمة أصلحت اقتصاد بلادها ونهضت بها بين الأمم ، وعنيت بشؤون الصناعة والزراعة والتجارة ولو كانت مسلمة لترحمنا عليها! والتاريخ سجل لها ذلك ، فلا تزال المراجع العربية والأجنبية تمدح هذه الملكة جداً! كليوباترا: ملكة قديمة. حَوْل: تحوّل. الخب: المخادع المراوغ. الدغل: الإفك والمغالطة. الشبَل: الجماعات من الناس تلتف حول بعضها البعض. بثوا علمهم: نشره. الدقل: ردئ التمر. كمل: تم. السبع الطول: السور السبه الطويلة في القرآن الكريم: (البقرة – آل عمران – النساء – المائدة – الأنعام – الأعراف – الأنفال). الجياد الذلل: أي المذلة الخاضعة. الشبَل: الأشبال أو صغار الأسود ، والعرب تقول: (هذا الشبل من ذاك الأسد). نحل الجسم: أي ضعف وأصابه الهزال والضعف. نصل: تنصّل. هُبَل: صنم. لات: صنم. الحُلل: فاخر الثياب (البدل). الحِلل: المنازل والدور. فضل: بقي. البُرد السمل: الثوب البالي. الذعل: الإقرار بعد الجحود. أصل: جمع أصيل وهو وقت العشي. زجل: مصوت. شَمَل: شمال. تُبَل القلب: أي أصيب هذا القلب. مشهد حفل: حافل. مال من قِبَل: أي من طاقة!

لولا حُرمة البيت لزدتُك!

(عاد هذا الغريب إلى داره بعد عقدٍ من السنين في دار غربته. وكان طبيعياً أن يأتي الأهل والجيران والأصدقاء للسلام على رجل اشتاقوا إليه واشتاق إليهم. وفجأة يخرج - من بين جموع الضيوف والزائرين - أحد الحاقدين الحاسدين ، ولم يستطع إخفاء حقه وإضرار حسده حيث قال: أنا أفضل من فلان! وفلان هذا هو الغريب المُضيف المَزور ضحية قصيدتنا! والرجل أخذ طلبه العلم ، وأخذ المتفضلين على الحاقده وأهله! وراح الحاقده الجبان يتنقصه بين الناس! وكانت الكلمة مسموعة لكل! فأشار إلى الغريب أخذ الحاضرين بإيماءات يفهم منها أن يطلب إليه أن يتجاهل ذلك العشيم الحاقده الجاهل! فوافق الرجل احتراماً لطلب صاحبه! وعاد الحاقده فكرر الكلمة الباطلة: (أنا أحسن من فلان!) فأشار الصاحب الطيب للرجل الغريب أن يصمت ويدع الحاقده يهذي ويهرف بما لا يعرف ، فربما خفف ذلك عنه من غلوائه وحقه! فوافق الغريب للمرة الثانية! وبعد وقتٍ قصيرٍ كرر الحاقده كلمته للمرة الثالثة ، ثم أعقب ذلك بصمتٍ تابعه عليه الجميع! فأشار الرجل الطيب أن انتصر لنفسك مادام الحاقده لا يستحيي. فسأل الغريب الحاقده قائلاً: أنت أفضل مني في ماذا؟! فسكت الحاقده! فأعاد الغريب سؤاله على مرأى ومسمع من الجميع ، فلقد ساد صمتٌ طويل. فسأل الغريب: يا هذا لقد كررت كلمتك ثلاث مراتٍ ففيم صمتك الآن؟ لماذا لا تجيب على سؤالي! فقال الحاقده: نعم أنا أفضل منك. وافهمها كما يحلو لك. فقال الغريب: إن عنيت أنك أفضل مني في التطاول والحقد والحسد وانتقاص منازل الناس وأقدارهم فهذا صحيح! وإن عنيت أنك أفضل مني في الدين والتدين والدنيا ، فلنحسبها معاً! وقبل الحساب ينبغي أن نعلم أن الله وحده هو الذي يعلم الخيرية والأفضلية! والآن لنحسب: أنا معي نصف القرآن استظهاراً ، ومعني من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما الله تعالى به عليم. فماذا معك من هذا شيء؟ فضلاً عن إعطائي الدروس والمواعظ والمحاضرات! فهل لك في شيء من هذا كله نصيب؟! وإن عنيت الشهادات فمعي شهادة جامعية لها درجتها العلمية فماذا معك؟ وإن عنيت الدنيا فقبل سفري كانت لي دراجة هوائية عليها قفصٌ لحمل ما أشتريه من المتاع ، وبعد عودتي ها أنت ذا ترى سيارتي تحت البناية! ولقد تركتك قبل سفري تركب حماراً لك ، واليوم وبعد عودتي ها أنت ذا تربط حمارك ذاته في عامود للكهرباء بجوار سيارتي! فكيف رأيت نفسك أفضل مني وتجرها بها ثلاثاً؟! والله الذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق ، لولا أنك ضيفٌ علي في بيتي لأسمعك ما لم ولن تسمع في حياتك. يا هذا اتق الله ، فكلنا لآدم وأدم من تراب! والأفضلية بالتقوى والعمل الصالح المقبول عند الله تعالى! وأنا لم أقل هذه الكلمة لك وأنا أولى وأجدر بها! منعني من ذلك خلقي وأدبي وتديني! بالإضافة إلى أنني لا أريد أن أتعالى على الناس بنعمة ربي التي منحني إياها! وما كنت لأرد عليك إلا لأنك كررتها ثلاثاً ، فكان هذا استفزازاً ممقوتاً منك تُؤاخذ عليه ولا شك! وأنا من لحم ودم وأعصاب وشعور ، ولست من حديد لأتحمل هذه الحماقات وتلك السخافات وهاتيك التجاوزات! وكان ردي عليك من باب: (لا يحب الله الجهر بالسوء إلا من ظلم) ، وأنا ظلمتُ وتجاوز علي ولا شك! فلا عيب إن رددت! وتحت عنوان: (ولاية المؤمن) في خطبة الجمعة يقول أستاذي صالح آل الشيخ في خطبته ما نصه: (المؤمنون بعضهم لبعض أولياء! المؤمن ولي للمؤمن يحبه وينصره ويحمي عرضه ، ولا يرضى أن يُهان أو يُذل ؛ لا يرضى المؤمن أن يكون أخوه المؤمن الآخر مهيناً ذليلاً بين الناس ، بل إنما إذا وقع ذلك ينصره ، وذلك من مقتضى محبته له وولايته له! يقول الله جل وعلا: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

بَعْضٍ) ، فأثبت الولاية بين المؤمنين ومحبة المؤمن للمؤمن ، ومن ثمرات تلك الولاية وتلك المحبة أن يحمي المؤمن عرض أخيه المؤمن ؛ وأن لا يقذفه بأمر أو بعبث وقع فيه ، وإنما تلك الولاية تقود المؤمن لأن ينصح لأخيه المؤمن ، وأن يحب له من الخير ما يحبه لنفسه ، فكل هذه الأمة خطأ ، وخير الخطائين التوابون ، فإذا وقع الخطأ أو الزلة من المؤمن فإن أخاه المؤمن يسعى في النصيحة إليه بما يحب أن يُنصح به ، فإن القلب يحب النصيحة الخالصة التي ليس فيها تشهير ، وليس فيها تشفٍّ ، وليس فيها غرض من أغراض النفس ، وعند ذلك يتمثل الإيمان بين المؤمنين رابطاً قوياً يحمي بعضهم بعضاً وينصر بعضهم بعضاً ، وقد شاع بين الناس في هذا المجتمع بل وفي كل مجتمع يضعف فيه الناس عن امتثال أمر الله وعن امتثال أمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن تكون بعض مجالسهم وقيعة في إخوانهم المؤمنين وأذية للمؤمنين والمؤمنات. بعض الناس الذين ضعف إيمانهم إذا سمعوا باطلاً ، إذا سمعوا خطأ وقع فيه بعض إخوانهم المؤمنين أشاعوه ونشروه ، ورأوا أنهم بذلك نصحوا لله ولرسوله وللمؤمنين ، وهذا خلاف ما يقتضيه الإيمان وتقتضيه المحبة بين المؤمنين ، هذا إن كان ذلك الذي يذكر ، سواء إن كان ذلك الذي يذكر صواباً ، فكيف إذا كان افتراءً ، كيف إذا كان كذباً يتناقله الناس دون رعاية لحق إخوانهم المؤمنين ، يقول الله جل وعلا: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) ، فبين الله جل جلاله وتقدست أسماؤه في هذه الآية أن الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات ويؤذونهم بأشياء لم يكتسبوها ولم يفعلوها وهم برآء منها أنهم قد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ، احتملوا بهتاناً وهو الإفك الذي لم يأت أصحابه عليه ببينة! إنما سمعوا القالة السينة فنشروها وردوها ، وليس لهم على ذلك برهان وليس لهم عليه بينة ، واحتملوا أيضاً إثماً مبيناً ؛ إثماً يبوء به صاحبه بيّن أنه إثم ، بيّن أنه معصية ، بيّن أن صاحبه ليس عليه أجر ، بل عليه الإثم والسوء في هذه الدنيا وفي الآخرة ، وهذا الوصف الذي في هذه الآية شاع من قديم فرمى المؤمنين والمؤمنات طائفة رموا أعلى المؤمنين إيماناً وأعلى المؤمنات إيماناً وهم صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رموهم بغير ما اكتسبوا ؛ رماهم الرافضة في زمن الصحابة وفيما بعده من الأزمان ، رموا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأشياء لم يعملوها ولم يكتسبوها ؛ بهتان وإثم مبين كما وصف الله جل وعلا بأنهم اكتسبوا بهتاناً وإثماً مبيناً لَمَّا رموا الصحابة وهم أعلى المؤمنين إيماناً ، وهذا شاع في الناس فيما مضى من الزمان وشاع في هذا الزمان ، كذلك رمى طائفة من هذه الأمة من يلي الصحابة في الإيمان وفي تحقيق الإسلام وهم علماء هذه الأمة ، الذين اهتدوا بهدى الله ، والذين ساروا بالسنة ، والذين دعوا إلى عقيدة التوحيد وإلى عقيدة السلف الصالح فيما مضى من الزمان وفي هذا الزمان ، فشاع في طائفة من الذين خف عليهم إيمانهم ومن الذين رأوا أنهم إذا كانت قدمهم في النار ، فإن هذا ليس مهما بالنسبة لهم ، وقعوا في علماء الأمة بغير ما اكتسبوا ، ترى الواحد منهم يقول كلمة هي من الظن ليست من اليقين ، إنما يظنها ظناً يقول أظن كذا ، فيسمعها الآخر في المجلس فيحورُّها إلى أنه قيل كذا ، فيأتي الثالث فيحورُّها إلى أنني سمعت كذا ، فيأتي الرابع فيقول حدثني الثقة بكذا ، فيأتي الخامس فيجعلها حقاً وحقيقة لا تقبل النقاش ولا الجدل فتسير في الناس ، وهي رمى للعلماء ورمي لأولئك الهداة بغير ما اكتسبوا ، بشيء لم يكتسبوه ، ولم يفعلوه ، وإنما هو رمى رماهم الناس به ، وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو داود والترمذي وغيره حينما سئل عليه الصلاة والسلام عن الغيبة قال: «هي ذكرك أخاك بما يكره» قيل له عليه الصلاة والسلام: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته ، وإن كان ليس فيه ما تقول فقد بهتته». وهذا هو الواقع في كثير من المجالس يذكرون أولئك العلية ، أولئك الصفوة ؛ الذين دعوا إلى الهدى ودعوا إلى عقيدة السلف الصالح ، ودعوا إلى الاستمسك بالإسلام رموهم بما هم برآء

منه غاية ما يكون أن يكون القول ظناً ، والله جل وعلا يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ)! ففرض على المؤمنين أن يجتنبوا الظن فيما بينهم ، وأن يجتنبوا اللمز فيما بينهم! أن يلمز المرء منهم أخاه أو أخته في الإسلام ، فكيف بأن يكون اللمز موجهاً لورثة الأنبياء الذين هم الصفوة ؛ هم الصفوة وهم النخبة الذين اصطفاهم الله جل وعلا لحمل الدين ولورثة النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث قال عليه الصلاة والسلام: «العلماء ورثة الأنبياء» ، نعم إن هذا الأمر واقع! وواجب على المؤمنين أن تكون مجالسهم مبرأة من البهتان ، مبرأة مما يكسبهم الإثم المبين والذنب العظيم بالوقية وباللمز لهداة الأمة من علمائها الذين هم صفوتها ، وهذا شاع وكان الناس في هذا الزمان لا يهمهم أن تكون أقدامهم واردة على النار صالية بعض العذاب ، والعياذ بالله. فواجب على أهل الإيمان واجب أن يكون بينهم التناصر ، وأن يكون بينهم المودة التي من آثارها ليحموا عرض بعضهم بعضاً ، وأعلى العرض حق أن يحمي هو عرض علماء هذه الأمة ، فإن الظن ؛ ظن السوء عاقبته لأصحابه وخيمة فمن ظن سوءاً بإخوانه ظنَّ به سوءاً ، ومن تشفى تشفى منه لأن الحسنه يجزى صاحبها بمثلها والسيئة تعود على صاحبها بمثلها والعياذ بالله. كذلك من الوقية في المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ما يشيع في بعض المجالس ؛ مجالس المؤمنين ، من أنهم يرمون المؤمنين بالظن والسوء ، ويلمزون المؤمنين بالسوء من القول أو العمل وكل ذلك واجب أن يخمد ولا ينشر ؛ لأن نشره دليل على وقية المرء في نفسه ألم تر إلى قول الله جل وعلا: (وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ) فالمؤمن إذا لمز أخاه المؤمن أو أخته المؤمنة فإنما يلزم نفسه ؛ لأن المؤمن أخ للمؤمن يرضى في الدفع عن عرضه ، وفي حماية حرمة ، وفي حماية ذاته وعرضه وهذا هو الواجب ، وكيف بنا وبمن يقول إذا رأى سوءاً أو سمع سوءاً من القول أو من العمل فتراه ينشره كأنه لا يهمه الإثم والسيئات التي ستكتب عليه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - «وكف عليك هذا» وأشار إلى لسانه قال له معاذ: يا رسول الله أو مؤاخنون بما نقول؟ قال: «تكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على مناخرهم أو قال على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟». من سمع بشيء لم يتحقق منه فلا يتكلمن به فإن حماية عرض المؤمن واجبة وخاصة إذا كانت في أعراض المؤمنين ، من سمع بشيء وتحقق منه فلا يجوز له أن ينشره وأن يسمعه الآخرين من المؤمنين ، إنما الواجب عليه أن يسعى في النصيحة سراً لأن تلك الذنوب إذا نشرت بين المؤمنين تساهلوا فيها ، وكان نشرها قانداً لانتشارها أكثر وأكثر بعد القول بالفعل ؛ لأن نشر مثل ذلك الكلام يخفف المعصية ، ويقود أن يتساهل الناس بذلك. (هـ.)

عن المبادئ أنت الراغب العاري	وصحبة النذل تبلي الشهم بالعار
كم ابتليت بأذال ، وضقت بهم	ذرعاً ، وكان البلا نذير أوضار!
وكم تحملت ألاماً ينوء بها	ليث يصول بأنياب وأظفار!
وكم رماني بسوء الوصف زير نسا	مروجاً بعده ردئ أخبار!
وكم سقاني الأذى وبشش ومرترق	مخرقاً سُمعتي الشهباء بالنار!
وكم لقيت من الرفاق تحسبهم	عند الشدائد كانوا خير أنصار!
برغم أنني لم أحقر محامدهم	بل عشت أمدحهم بكل إكبار

ولم أشهزُ بهم في كل مُصطدم
ولم أذقهم من الخذلان خردلة
ولم أزجَّ بهم في ساح خندمة
حتى أتى حاقداً تفوح غيرُته
ماذا دهاك لكي تهذي فتجرحني
والأفضلية ربُّ الناس يعلمها
وكنت كررت قولاً لا أساس له
يا جاهلاً بالذي تقول في ملأ!
لكنني قلت: لا ، للدار حرمتها!
فقط أجادله فيما يُردده
حتى وإن لم أجد كنت الرحيم به
فلن أعنته ، ولن أبكته
هذا الغشيم أراه ليس يعرفني
رأيت نفسك يا هذا مُفضلة
واستهجن الكل ما أعلنته غرداً
تقول: أحسنُ مني اليوم مرتبة
ولا أزكي على الرحمن خالفتنا
لكن أحدثت بالنعمي خُصصتُ بها
كنت الفقير الذي على الكفاف حيا
رق الوظيفة أوهى مُنتهى جلدي
ملكنت دراجة من فوقها قفص

ولم أبخ - للورى - عنهم بأسرار
فالخذل مخبثة تُزري بمغوار
بل كنت أنأى بهم عن أي أخطار
غلاً دهى مجلسي بدون إنذار
بقول مُجترئ عن صحة عاري؟
وهو العليم بأنجاس وأخيار
أبئس بقول وتعيير وتكرار!
جميعهم شرعوا في الأخذ بالثار
فينبغي أن تُراعى حرمة الدار
علي الأقي له رُتوش أعذار
بمنطق ليين الألفاظ مهذار!
لكن أناقشه في بعض أفكار
ولا يراعي لقيوم أي أقدار
وكلت مدحتها أمام سُمّاري
ما عاد ينقص إلا الضرب بالطار
وبي استهنت مراراً بين زواري
نفساً يُلطخها العصيان بالقار
والله حسبي في قولي وإعذاري!
ولا أحصل قوتي دون أسفار
وعيشتي حُفنت ببعض أقدار!
حتى عُرفتُ بها في كل أمصاري

وهل تزول من الذكرى بانكاري؟
أقضي على متنها جميع أوطاري
تسابق الرياح في عزم وإصرار!
واليوم حدثت أيا دُهقان عن داري
يكاد يذهب مرآها بأبصار!
والله علمني حديث (مختار)!
وإن تكن عيشتي مرت بأطوار
ومن تكون لكي تُذيع أسراري؟
من عرض من لم يكن يوماً بغدار؟
أبئس بغير على التحقيق ثثار!
أو كنت يا حاقداً من بعض أصهاري
أو كنت يا حاسداً من بعض أجواري
بعض الكلام شذو والبعض كالنار
وكم يضر إذا وافى بإظهار!
عبد رعاك بتفضيل وإيثار؟!
ألم يقولوا بأن الجار للجار؟
كل الأماجد من صيد وأبرار؟!
وفي النفوس له جميل آثار
كما نُزخرف مأوانا بأزهار
هل يُرتجى الخير في لفظ كأحجار؟
كي لا نواجه منها شر أضرار!

ولست أنكرها ، وليس تنكرني
واليوم أبداني المليك مركبة
متينة أتقن الألمان صنعها
وكنت أسكن داراً لا سُقوف لها
طولاً وعرضاً وحسناً في بهيج رُباً
وشطر قرآن ربي الله حفظني!
والفضل لله رباني وأدبني
فمن تكون لكي تُزري بمنزلتي؟
ومن تكون لكي تنال دون حيا
ومن تكون لكي جهراً تُحقرني؟
أنا المُضَيِّعُ إِمَّا كُنتَ من نسبي
أنا المُشْتَتُّ إِمَّا كُنتَ لي عضداً
زِنِ الكلام ، ولا تهرف بلا رشدٍ
ودارِ حَقْدَكَ ، إن الحقد مَلْهَبَةٌ
ما دمت دُوناً لِمَاذَا تستطين على
لم التطاول في سير وفي عِلْن؟
أليس جاراً لكم يروم جيرته
إن التعامل بالحُسنى له ألق
وللكلام دلالات تُزخرفه
وقد يكون صخوراً كم تُسيل دماً
يارب قوم لنا مُعْوجَ ألسنةٍ

تضحية بطلها كلب!

(في ليلة شاتية ، وبينما كان أحد الرجال عانداً من مناوبته الليلية في عمله الراتب ، شاهد جرو كلب صغير قد ذهب به المطر مذهب ، واحترق كلٌّ منهما ماذا يفعل؟ وكانت حيرة الكلب أنه لا يجد مأوى ، ولم يهتم به أحد ، ولذا بات يرتعش من البرد والغيث! بينما كانت حيرة الرجل ماذا يفعل لهذا الكلب؟ وبعد لأي وتفكير عميق استقر رأيه وأخذ قراره بأن يصطحب الجرو إلى داره! وخلع الجاكيت ولف فيه الجرو إشفاقاً عليه ، وأخذه إلى داره! وهناك أصلح من شأنه ، ووضع في حديقة الدار ، وأتى له ببعض الطعام والشراب ، وأعد له خيمة تأخذ شكل الكهف في تصميمها ، في أحد جوانب حديقة بيته لتحميه من المطر! وأسمته ابنته الصغيرة (لوماردي) ، وصار الجميع يُسمونه هكذا نزولاً على تسمية البنت! ومن يومها والكلب لوماردي لا يغادر حديقة المنزل ، ودان بالولاء لأهل المنزل! وبات يحرسُ المنزل وأهله بكل قوةٍ وشراسة! وطلبتِ البنت الصغيرة من أبيها أن يربطه بحبل يأخذ شكل السير من الجلد ، حتى لا يهرب من البيت أو يأخذه أحد من خيمته! ودار الزمان دورته ، وكبر الكلب وترعرع وجاء يوم امتحانه! حيث إنه في ليلة شاتية كالتي جاء فيها الكلب ضعيفاً على هذه العائلة في بيتها ، وبينما أهل البيت يغطون في نوم عميق مُشعلين مدافنهم وملتحفين ببطانياتهم ، ولم يكن صوتٌ أبداً في المكان إلا صوت المطر الثجاج المنهمر ، رأى لوماردي السنة اللهب تندلع من مطبخ البيت من الطابق الثاني! فاحترق الكلب ماذا يفعل؟ وأخذ في النباح حتى يوقظهم فلم يسمعوا! فتسلق الحوائط والنوافذ ، مُضحياً بنفسه ، وُصولاً لغرفة نوم راعي الدار وصاحب الفضل والجميل عليه! وأحدث ضجة عاتية ونبح بالقدر الذي تبقى في صوته ، حتى استيقظ الرجل وأدرك الأمر ، وشاهد السنة اللهب وسُحب الدخان تندلع من نافذة المطبخ! وأدرك جيداً أن أسرته في سباق رهيب مع الموت المحقق الوشيك! فأيقظ الكل وأنزلهم من السلم الخلفي للدار (سلم الطوارئ) بسرعة مذهلة! واتصل هاتفياً بالإطفائيين الذين جاؤوا على الفور ، وأمكنهم الله تعالى من السيطرة على الحريق ، وإنقاذ ما أمكن إنقاذه من البيت! واحتفلوا مع العائلة بكلبهم (لوماردي)! حيث إنه ضرب أروع الأمثلة في التضحية والفداء! وبين لهم ولنا الفارق الكبير بين سلوكه (وهو الكلب) وسلوك بعض الآدميين الذين يُخربون بيوت رفقاتهم وأصحابهم وربما أقاربهم من ذوي البشر ، عامدين متعمدين ، مع سبق الإصرار والإعداد والترصد! وإنه لشقيقٌ دنئٌ رذيلٌ شقي ، من يكون خراب بيت أخيه وسرقة متاعه على يديه! واحترت ماذا يكون عنوان هذه القصيدة؟ كما احترت على لسان من أكتبها! وأخيراً اخترت أن يكون حاكيتها لنا هو (لوماردي) واصفاً المشهد برّمته من ألفه لياته! متذكراً ما كان من الرجل منذ التقى به في ليلته الشاتية الأولى ، ليرد جميله عليه ، حتى كانت ليلته الشاتية الثانية! فلهه درك يا لوماردي! ليت الغادرين من بني البشر يُدركون عظم ما فعل لوماردي من التضحية والفداء ليستلهموا الدرس ، ويعوا قيمة الإخلاص لمن أحسن إليهم!)

أرسل الغيث إلى الخيمة برداً
وضجيجاً لم يُذق عيني رَقداً
بدأ الأمر رذاذاً ، ثم غالى
والسماء أرسلت برقاً ورعداً
وكان الجو يغزوه دخانٌ
بعد أن فاضت سماء الكون ثرداً

وأنا في خيمتي أنشدُ دفناً
ليس عندي من غطاءٍ أو كساءٍ
ليس عندي من فراشٍ أو سرير
أبتلى بالغيث إن فارقت كهفي
أنا في الحالين مسكينٌ بنيسٍ
لم أذق في الصيفِ ضنكاً أو عذاباً!
خيمتي قد أحكمت الإثقباً
فإذا بي أنظرُ النارَ تظنت
مطبخ الأهلين أرداه احتراقٌ
وصديقي غط في نوم عميق
كلهم ناموا ، وطعمُ النومِ عذب!
بُح صوتي من نباح ليس يجدي
قلتُ أعلي الصوتِ علَّ الرأسَ يصحو
عنِّي أنقذ بيتاً من جحيم
عنِّي أفدي صديقاً صان ودي
مثلما قد صان ودي أفتديه
وأنا قطعتُ سيراً عاق خطوي
وانطلقتُ كي أفيق الخيل قسراً
واسْتفاق الخيلُ ، لكن بعد لأي
شاكراً فضلي ، ولم ينكر جميالي
وارتأى الأهلون في البلوى وفائي
إنني أخلصتُ إذ هم أنقذوني

أو هدوءاً من غياثٍ يتحدى
إنما شعرٌ كساحماً وجلدا
للذي ألقاه جبراً يتصدى
وأعاني - إن سكنتُ الكهفَ - بردا
وصديقي قد أناط الجيدَ قدا
لم يُعانِ الجسمُ عبر الليل سُهدا
كي أرى لصاً على الدار تعدى
ولظاهها يغمرُ الأجواءَ صهدا
ليتني أسطِيعُ للإحراقِ خمدا!
وغدا الأهلون للنيران صيدا
ليتني بالنبحِ قد أسمعُ فردا
رغم أن الجسمِ عاني منه رجدا
عنِّي للنومِ ذا أختط حدا
أو أناساً بيئتهم أصبح لحدا
حيث كنتُ عنده ضيفاً مفدى
والصديقُ المفتدى من صان ودا
ما استطعتُ قط أن أحمدا وقدا
وهو غافٍ ، ليته يُدرك قصدا
وانبرى يُنقذ أملكاً وولدا
بعد إنجاز بذلتُ فيه جهدا
وي كائي في الوفا أوتيتُ رُشدا!
وأنا كم خُزتُ بالإخلاص مجدا

وأنا منذ أخلصوا أعطيت عهدا
وعلى هذا لهم أعطيت وعدا
جَزْرُهُ مَهْمَا حَلَا يُعْقِبُ مَدَا
وأرى العيشَ مِنَ الْبَحْرِ أَشَدَا
حَسِبَ الْعَيْشَ عَلَى الْأَخْذِ مُعَدَا؟
وله لم نلق في الخذلانِ نِدا
عنده العيشُ استوى أخذاً وِردَا؟!
عنده العيشُ استوى نمأً وحمدَا؟!
ليس يأتيه خبيثُ الطبعِ حَقْدَا
وله الأوباشُ قالوا: صاح بُعدَا!
مُحْسِنٌ لِلْبِذْلِ وَالْجُودِ اسْتَعْدَا
إنه لله والمسكينُ مُدَا
رَبِّ وَفَقُّ لِلْهُدَى وَالْخَيْرِ عِبْدَا!

هكذا الدنيا عطاءً بعد أخذٍ
أن أرد الصاعَ صاعين احتساباً
عِشْنَا بَيْنَ الْبِرَايَا مِثْلَ بَحْرِ
هل لبحر في الدنيا أي ثبات؟
هل وعى الدرَسَ الَّذِي بَيْنَتْ نَذْلُ
لم يعشْ يَبِذْلُ لِلْآنَامِ خَيْراً
هل وعى الدرَسَ أَنَايَ بَخِيلُ
هل وعى الدرَسَ فَضُولِي خَسِيسُ
إن للمعروف بين الناس سَمْتاً
ولفعل الخير شاراتٌ وناسُ
وكذا الإحسانُ لا يأتيه إلا
كفه تُعْطِي وَتُقْرِي فِي سَخَاءِ
يرتجي الأخرى ، وللجنات يسعى

خير الكلام في سيرة ابن سلام

(إن الكتابة عن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم ورضي الله عن صحابته - شرف للكتاب وفخر للكتابة! وهذا أحدهم الصحابي الجليل والعلم النبيل عبد الله بن سلام - رضي الله عنه! والحقيقة أنني توقفت كثيراً عند ذلك الصحابي الجليل وأنا أطلع سيرته العطرة! واحترت أي الأخبار العظيمة أورد عنه ، فكلها أخبار موثقة معتقة جميلة أصيلة يعجب بها كل ذي رأي وبصيرة! قال عنه الذهبي في السير: "الإمام الحبر ، المشهود له بالجنة ، حليف الأنصار ، من خواص أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -". وقال عنه النووي: "وهو من ولد يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل - صلى الله عليه وسلم - ، وكان اسمه في الجاهلية حصيناً ، فسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: عبد الله ، أسلم أول قدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة ". وتحت عنوان: (قصة إسلام عبد الله بن سلام) جاء في (إسلام ويب) ما نصه بتصريف: (عبد الله بن سلام بن الحارث كان حبراً من علماء يهود بني قَيْنُقَاع ، ثم أسلم مقدّم النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة! إنه بعد وصول النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة مهاجراً من مكة ، كان الأنصار يتطلعون إلى استضافته ، وكلما مر على أحدهم دعاه للنزول عنده ، فكان - صلى الله عليه وسلم - يقول لهم: دعوا الناقاة فإنها مأمورة ، فبركت على باب أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - ، في مكان المسجد النبوي الذي هو فيه الآن. ثم أخذت الوفود تتوافد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في دار أبي أيوب ، وقد تنادى الناس فيما بينهم: قد قدم رسول الله ، قد قدم رسول الله. وجاء عبد الله بن سلام مع الناس ليرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال يحدثنا عن موقفه: (أول ما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة انجفل (أي أسرع) الناس إليه ، فكنث فيمن جاءه ، فلما تأملت وجهه ، واستثبته علمت أنّ وجهه ليس بوجه كذاب! قال: وكان أول ما سمعت من كلامه أن قال: أيها الناس! أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام) رواه الترمذي. قال السندي: "عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب) وذلك لما لاح عليه من سواطع أنوار النبوة ، وإذا كان أهل الصلاح والصلاة في الليل يُعرفون بوجوههم ، فكيف هو وهو سيدهم - صلوات الله وسلامه عليه -؟". وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: (إن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة ، فأتاه يسأله عن أشياء ، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشرط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني به جبريل آنفاً! قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة ، قال: أما أول أشرط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وأما الولد: فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد ، قال: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ، قال: يا رسول الله ، إن اليهود قوم بُهت ، فاسألهم عنّي قبل أن يعلموا بإسلامي ، فجاءت اليهود ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟! قالوا: خيرنا وابن خيرنا ، وأفضلنا وابن أفضلنا ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: رأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟! قالوا: أعاده الله من ذلك ، فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك ، فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، قالوا: شرنا وابن شرنا ، وتنقصوه ، قال: هذا كنت أخاف يا رسول الله) رواه البخاري. لقد كان اليهود يؤذون من آمن من أحبارهم ، ويثيرون حوله الشكوك ، ويقذفونه بتهم باطلة قبيحة ،

وقد حدثنا القرآن الكريم عن هذه الوسيلة الخبيثة ، ودافع عن هؤلاء المؤمنين الذين وجه اليهود ضدهم تلك الحملات الظالمة ، والذي كان منهم عبد الله بن سلام ، قال الله تعالى: {لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِمَةٌ يَنْتَلُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ}. قال الواحدي في أسباب النزول: "قال ابن عباس ومقاتل: لما أسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن أسعد ، وأسيد بن سعدة ، وأسد بن عبيد ، ومن أسلم من اليهود ، قالت أحبار اليهود: ما آمن لمحمد إلا شرارنا ، ولو كانوا من أختيارنا لما تركوا دين آبائهم ، وقالوا لهم: لقد خنتم حين استبدلتم بدينكم ديناً غيره ، فأنزل الله تعالى: {لَيْسُوا سَوَاءً}. وفي قصة إسلام عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - يظهر لنا أن اليهود قوم بُهت ، أي أهل إفك وكذب ، يقولون ويفترون على غيرهم ما ليس فيه ، وهذا يؤخذ من قول أحد علمائهم وأحبارهم - وهو عبد الله بن سلام - بعد أن شرح الله صدره للإسلام فقال: (يا رسول الله! إن اليهود قوم بُهت) ، ومن بُهتاتهم: أنهم كذبوا على الله فوصفوه بما لا يليق ، قال الله تعالى: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} ، وقال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} ، وقال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}. ولقد بشر النبي - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - بالجنة ، فعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: (التمسوا العلم عند أربعة ، عند: عويمر أبي الدرداء ، وعند: سلمان الفارسي ، وعند: عبد الله بن مسعود ، وعند: عبد الله بن سلام الذي كان يهودياً فأسلم ، فإني سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: إنه عشرُ عشرةٍ في الجنة) رواه الترمذي. وعن خرشة بن الحر قال: (كنت جالساً في حلقة في مسجد المدينة ، وفيها شيخ حسن الهيئة وهو عبد الله بن سلام ، فجعل يحدثهم حديثاً حسناً ، فلما قام قال القوم: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فليُنظر إلى هذا ، قال: فقلت والله لأتبعنه فلأعلمن مكان بيته ، فتبعته فانطلق حتى كاد أن يخرج من المدينة ثم دخل منزله ، فاستأذنت عليه فأذن لي ، فقال: ما حاجتك يا ابن أخي؟ قال: فقلت له سمعت القوم يقولون لك لما قمت من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فليُنظر إلى هذا فأعجبني أن أكون معك ، قال: الله أعلم بأهل الجنة ، وسأحدثك مم قالوا ذلك ، إني بينما أنا نائم إذ أتاني رجل فقال لي: قم فأخذ بيدي فانطلقت معه ، فإذا أنا بجواد عن شمالي ، قال: فأخذت لأخذ فيها ، فقال لي: لا تأخذ فيها فإنها طرق أصحاب الشمال ، قال: فإذا جواد (طريق) منهج على يميني ، فقال لي: خذها هنا ، فأتى بي جبلاً ، فقال لي: اصعد ، قال: فجعلت إذا أردت أن أصعد خررت على إسنتي ، حتى فعلت ذلك مراراً ، قال: ثم انطلق بي حتى أتى بي عموداً رأسه في السماء وأسفله في الأرض ، في أعلاه حلقة ، فقال لي: اصعد فوق هذا ، قلت: كيف أصعد هذا ورأسه في السماء ، فأخذ بيدي فزجل (دفع) بي ، فإذا أنا متعلق بالحلقة ، ثم ضرب العمود فخر ، وبقيت متعلقاً بالحلقة حتى أصبحت. قال: فأتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقصصتها عليه ، فقال: أما الطرق التي رأيت عن يسارك فهي طرق أصحاب الشمال ، وأما الطرق التي رأيت عن يمينك فهي طرق أصحاب اليمين ، وأما الجبل فهو منزل الشهداء ، ولن تناله ، وأما العمود فهو عمود الإسلام ، وأما العروة فهي عروة الإسلام ولن تزال متمسكاً بها حتى تموت). رواه مسلم. قال البيهقي:

"وهذه معجزة. حيث أخبر أنه لا ينال الشهادة ، وهكذا وقع ، فإنه مات سنة ثلاث وأربعين فيما ذكره أبو عبيد القاسم ابن سلام وغيره". قال ابن عبد البر: "ثوفي ابن سلام في المدينة في خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين ، وشهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعبد الله بن سلام بالجنة". لقد جاءت الأخبار بمعرفة أهل الكتاب بصفة نبينا - صلى الله عليه وسلم - ، ولهذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - في خطابه لهم يقول: (يا معشر اليهود ، ويلكم ، اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو ، إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً ، وأني جئتكم بحق ، فأسلموا) ، وهذا ما أكده عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - بعد أن أسلم في قوله: (يا معشر اليهود اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو ، إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، وأنه جاء بحق) رواه البخاري. قال ابن تيمية: "والأخبار بمعرفة أهل الكتاب بصفة محمد - صلى الله عليه وسلم - عندهم في الكتب المتقدمة متواترة عنهم" ، ورغم ذلك منهم من آمن بالنبي - صلى الله عليه وسلم - ، ومنهم من منعهم الحسد والكبر عن الإيمان به ، فخرس الدنيا والآخرة). هـ. وأشكر من كل قلبي الأفاضل القائمين على (إسلام ويب) فقد كفوني بهذه السطور عن ابن سلام مؤنة البحث عن أخباره موثقة محققة مدققة! وتحت عنوان: (عبد الله بن سلام رضي الله عنه) قال الأستاذ أبو عاصم البركاتي المصري ما نصه بتصريف زهيد: (عبد الله بن سلام بن الحارث ، وكنيته: أبو يوسف ، وقيل أبو الحارث. في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لو تابعتني عشرة من اليهود ، لم يبق على ظهرها يهودي إلا أسلم). وأخرج الإمام أحمد في المسند (23984) ، وابن حبان في صحيحه (2106 موارد) ، عن عوف بن مالك الأشجعي ، قال: (انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيدهم وكرهوا دخولنا عليهم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معشر اليهود ، أروني اثني عشر رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه ، قال: فأمسكوا وما أجابه منهم أحد ، ثم رد عليهم ، فلم يجبه أحد ، ثم ثلث ، فلم يجبه أحد ، فقال: أبيتم ؛ فوالله إني لأنا الحاشر ، وأنا العاقب ، وأنا المقفى ، آمنتم أو كذبتم ، ثم انصرف وأنا معه ، حتى دنا أن يخرج ، فإذا رجل من خلفنا يقول: كما أنت يا محمد ، قال: فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ، ولا من أبيتك من قبلك ، ولا من جدك قبل أبيتك ، قال: فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة ، قالوا: كذبت ثم ردوا عليه وقالوا له شراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذبتم لن يقبل قولكم ، أما أنفأ فتثنون عليه من الخير ما أثبتتم ، وأما إذا آمن كذبتموه ، وقلتم ما قلتم ، فلن يقبل قولكم ، قال: فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وعبد الله بن سلام ؛ فأنزل الله فيه: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ). قلت: ولعل هذه القصة كانت في مرة أخرى بعد إسلامه أولاً رضي الله عنه. وساق ابن إسحاق في السيرة قصة إسلام عبد الله بن سلام بسياق أطول فقال: (وكان من حديث عبد الله بن سلام ، كما حدثني بعض أهله عنه وعن إسلامه حين أسلم ، وكان حبراً أي عالماً من علماء اليهود ، قال: لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكل له - أي: نترقب - فكننت مسراً لذلك صامتاً عليه ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلما نزل بقباء في بني عمرو بن عوف ، أقبل رجل حتى أخبر بقدمه وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها ، وعمتي خالدة ابنة الحارث تحتي جالسة ، فلما سمعت الخبر بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت ، فقالت لي عمتي حين سمعت

تكبيرى: خبيك الله ، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادمًا ما زدت ، قال: فقلت لها: أي عمّة ، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه ، بُعث بما بُعث به ، قال: فقالت: أي ابن أخي أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت لها: نعم ، قال: فقالت: فذاك إذًا! قال: ثم خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت ، ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا ، قال: وكتمت إسلامي من يهود ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له: يا رسول الله ، إن يهود قوم بهت ، وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك وتغيبي عنهم - أي: تسترني - ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم ، قبل أن يعلموا إسلامي ، فاتهم إن علموا به بهتوني وعابوني ، قال: فأدخلني رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض بيوته ، ودخلوا عليه ، فكلّموه وسألوه ، ثم قال لهم: أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا ، وحبرنا وعالمنا ، قال: فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم ، فقلت لهم: يا معشر يهود ، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة باسمه وصفته ، فإني أشهد أنه رسول الله ، وأؤمن به ، وأصدقّه وأعرفه ، فقالوا: كذبت ، ثم وقعوا بي ، فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت ، أهل غدر وكذب وفجور؟ قال: وأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي ، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث فحسن إسلامها) ؛ [السيرة النبوية لابن هشام (1/ 516)]. وأخرج الطبراني في "المعجم الكبير" (14/ 322) رقم (14955) بسنده عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام ، عن أبيه: (أن عبد الله بن سلام قال لأخبار اليهود: إنني أحدث بمسجد أبينا إبراهيم وإسماعيل عهدًا ، فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، فوافاهم وقد انصرفوا من الحج ، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ، والناس حوله ، فقام مع الناس ، فلما نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أنت عبد الله بن سلام؟ قال: قلت: نعم ، قال: ادنُ ، فدنوت منه ، قال: أنشدك بالله يا عبد الله بن سلام ، أما تجدني في التوراة رسول الله؟ فقلت له: انعت ربنا ، قال: فجاء جبريل عليه السلام حتى وقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) ، فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن سلام: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ، ثم انصرف ابن سلام إلى المدينة ، فكتم إسلامه. وأخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: (أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأةً زنيا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقالوا: نفضحهم ويجلدون ، فقال عبد الله بن سلام: كذبتم ، إن فيها الرجم ، فاتوا بالتوراة فنشروها ، فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك ، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم ، فقالوا: صدق يا محمد ، فيها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما ، قال عبد الله: فرأيت الرجل يجنأ على المرأة يقيها الحجارة). ومن الآيات التي نزلت في عبد الله بن سلام: الآية الأولى: (مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ) ، ورد في "أحكام القرآن" لابن العربي (1/ 385) في قوله تعالى: (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ) . قال ابن وهب: قال مالك: يعني: قانمةً بالحق ، يريد قولاً وفعلًا ؛ فيعود الكلام إلى الآية المتقدمة: (وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ). وقد اتفق المفسرون أنها نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب ، وعليه يدل ظاهر القرآن ؛ ومفتتح الكلام نفي المساواة بين

من أسلم منهم وبين من بقي منهم على الكفر ، إلا أنه روي عن ابن مسعود أن معناه نفي المساواة بين أهل الكتاب وأمة محمد صلى الله عليه وسلم. وقد روي عن ابن عباس أنها نزلت في عبد الله بن سلام ومن أسلم معه من أهل الكتاب ؛ [انتهى]. والآية الثانية قوله تعالى: (يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ) ، قال أبو هريرة وغيره: ومحمد منهم ، يحكمون بما فيها من الحق ، وكذلك قال الحسن ، وهو الذي يقتضيه ظاهر اللفظ ومطلقه في قوله: (النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ) ، وآخرهم عبد الله بن سلام. [انتهى من أحكام القرآن لابن العربي (2/127)]. والآية الثالثة قوله تعالى: (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ). والآية الرابعة قوله تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْنَا مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ). قال ابن العربي في "أحكام القرآن" (3/85): اختلف فيمن عنده علم الكتاب بعد ذكر قول مجاهد على أربعة أقوال: الأول: أن المراد به مَنْ آمَنَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. الثاني: أنه عبد الله بن سلام. الثالث: أنه علي بن أبي طالب ، وقد قرئ: "وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمٌ" بخفض الميم من "من" ، ورفع العين من "علم". وقرئ بخفض الميم من "مِنْ" وبأقيه على المشهور. الرابع: المؤمنون كلهم. المسألة الثالثة: في تدبر ما مضى: أما من قال إنهم الذين آمنوا من اليهود ، كابن سلام ، وابن يامين. ومن النصارى ، كسلمان ، وتميم الداري ، فإن المعنى عنده بالكتاب التوراة والإنجيل. والآية الخامسة قوله تعالى: (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ). أخرج الترمذي بسنده عن عبد الملك بن عمير ، عن ابن أخي عبد الله بن سلام ، قال: إنه لما أُريد قتل عثمان جاء عبد الله بن سلام ، فقال له عثمان: ما جاء بك؟ قال: جئت في نصرك. قال: أخرج إلى الناس ، فاطردهم عني ، فإنك خارجاً خير لي منك داخلاً. فخرج عبد الله إلى الناس ، فقال: أيها الناس ، إنه كان اسمي في الجاهلية فلان ، فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ونزلت في آيات من القرآن فنزلت في: (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ) الآية إلى آخرها ، ونزلت في: (قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ). إن الله سيقاً مغموداً عنكم ، وإن الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم. الله الله في هذا الرجل أن تقتلوه ، فوالله لئن قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة ، وليسكن سيف الله المغمود عنكم ، فلا يغمد إلى يوم القيامة. قالوا: اقتلوا اليهودي ، واقتلوا عثمان. وأخرج أحمد وابن حبان في الصحيح وحسنه الألباني "السلسلة الصحيحة" (3317) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بقصعة ، فأصبنا منها ، ففضلت فضلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يطلع رجل من هذا الفج ، يأكل هذه القصعة - من أهل الجنة ، فقال سعد: وكنت تركت أخي عميراً يتطهر ، فقلت: هو أخي ، فجاء عبد الله بن سلام ، فأكلها). هـ. وأتقدم بخالص شكري قديري للأستاذ المدقق المحقق أبي عاصم البركاتي على هذه الإضافات والتحليلات الدقيقة عن ابن سلام رضي الله تعالى عنه -!

شِعْرٌ رَحَبٌ بِالطَّيِّبِ (ابن سلام) واقتبس - للترحيب - خيرَ كلام
وانتقى الألفاظ الجميلة تُغني عن ركيك الألفاظ يقلو مرامي
واصطف الإيقاع المُنعم يُشجي كل سمع يهفو إلى الأنغام
وانتخب - للتعبير - أحلى معان واستعر - للترخيم - أئدى مقام

كل حُب سام ، وكل احترام
وفؤادي يهوى جميع الكرام
بنبي الأعراب والأعجام
تُعلمُ الناسَ غايةَ الإعلام
وتُضفيُ الإيقانَ لأفهام
كيف يسمو الإنسانُ بالإسلام
عالمأً بالنصوص والأحكام
أكرموا الفذ غايةَ الإكرام
ثم ألقى - في الجمع - أنقى سلام
سُؤلُ دار جوابِ الاستفهام
والجوابُ أتى بلا إبهام
لم يُشاورْ هتافاً (الخاصام)
قائمأً بالتبيين خيرَ قيام
شاكرين تلتفَ (ابن سلام)
عامدين للظلم والإجرام!
مثل ليثٍ غضنفر رزام
واعتصمت بالواحد العلام
من بلايا بعاتٍ بأعتى طوام
قدوة - في التقوى - لكل الأنام
بالكمال والمنتهى والتمام!

إن قلبي يُكن لابن سلامٍ
وهو بين (الأصحاب) فذٌ كريمٌ
قرأ التوراة البشارة فيها
والعلامات مثل شمس نهار
والبراهين تُثبت الحق فيهم
والدليلُ تلو الأدليل يُجالي
كان حبراً حبيبنا (ابن سلام)
شأنه سام في (بني قينقاع)
جاء يسعى إلى النبي وحيداً
سائلاً - بين الورى - عن ثلاثٍ
ليس يدري الجواب إلا نبي!
أسلم الحبرُ عن يقين وتقوى
داعيأً أولاداً وزوجأً وأهلأً
والجميعُ قد أسلموا باقتناع
كم دعوتُ للسلم هودأً ، فصدوا
وانتصرت للحق في كل واد
واعتزلت في السوء فتنة قوم
واتخذت من بيتك الغض كهفأً
ولقيت الرحمن عبداً شكوراً
فلينبئك المولى على كل بذل

امراة تزوجت رجلين!

(منذ عشرة أعوام ، وفي إحدى جمهوريات الموز ، تزوجت امرأة رجلين! نعم ، جمعت بين زوجين في وقت واحد وبعقد واحد! ولم يكن هذا الأمر مستهجناً ولا منتقداً ولا مستغرباً ولا مستبعداً! لأنه في مثل هذه الأصقاع يُمكن أن يحدث كل شيء! ذلك أن الموز يُمكن أن يوكل على علاته ، ويُمكن أن يُشرب عصيراً ، ويُمكن أن يطبخ مع المرق ، ويُمكن أن يُجفف! وكذلك أحوال الناس في بلاد الموز هذه! فما العجيب في الأمر؟ ولماذا كتابتي عنه عام 2012م؟ والجواب باختصار: لأن المرأة - التي فعلت هذا الأمر الفاضح المُخزي المُصادم للفطرة الأدمية - تزعم أنها من أمة خاتم الأنبياء والمرسلين! مُحتجة بأن القرآن والسنة لم ينصا صراحة على تحريم ذلك! تلك الفلاسفة العمياء التي تشبهه فلسفة إبليس يوم قال: (أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين)! وُحجتها داحضة ولا شك ، فضلاً عن أنها لا تثبت الاستدلال الصحيح في بداهة العقل والمنطق عن طهارة النصوص الشرعية الثابتة القاطعة في القرآن والسنة! ولا أراها أبداً تتسع للمنطوق الذي يستوعب عرض القضية! وطار ذلك الخبر في الآفاق! ومن حُسن الحظ إنه لم ينل القسط الكافي من العرض والأخذ والرد! وصدق الله تعالى إذ يقول: (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء) والشهوة شيء! وعندما يُعرض الناس عن الهدى الرباني يفتخ الله عليهم أبواب كل شيء! وكم قرأنا عن محاولات النصب والغش والتدليس والاحتتيال التي قام بها س من الرجال أو ص من النساء بقصد التربح أو أكل أموال الناس بالباطل! فيجمع س أو تجمع ص بين خمس زيجات في وقت واحد! فيتزوج الرجل من أكثر من خمس زوجات! وتتزوج المرأة من أكثر من خمسة أزواج! ووصل الأمر إلى ثمانية في وقت واحد وبثمانية عقود في أماكن متنوعة! وكأننا في أوكازيون أو مزاد للبضاعة! إن قصيدي ليست عن هذا النوع من النساء! ولكنني أكتب عن امرأة تدعي الإسلام تُشرعن تعدد الأزواج للنساء كما هو مشروع للرجال! وتحاول أن تُعطيهِ الصفة الشرعية والقانونية والأخلاقية! فنحن أمام جريمة بكل ما تعنيه الكلمة من معان! جريمة أخلاقية ، وأزمة روحية ، ونكبة مشاعرية ، وكارثة عاطفية ، وطامة إنسانية! نعوذ بالله من موت القلوب!)

زَالِ الرَّشَادُ ، وَعَرَبِدَ الشَّيْطَانُ
وَطَغَى الضَّلَالُ ، وَجُنِدِلَ المِيزَانُ
فَتَنٌ تَمْوُجٌ بِكَهْفِهَا وَرَقِيمِهَا
وَمَصَائِبٌ تَتَرَى لَهَا شَنَّانُ
وَدَغَاوِلٌ فِي كُلِّ صُقْعٍ أَضْرَمَتْ
وَتَسَعَّرَتْ ، وَكَأَنَّهَا نِيَرَانُ
وَكَوَارِثٌ مِثْلُ الزَّلَازِلِ دَمَرَتْ!
زَالَتْ بِهَا الأَمْصَارُ وَالبُلْدَانُ!
وَكَمَا نَرَى ، مِحْنٌ يُصَالِيهَا العِدَا
وَيَشِيْبُ - مِنْ أهْوَالِهَا - الوَلْدَانُ
وَمَكَائِدُ الأَعْدَاءِ أَثْمَرَ زَرْعُهَا
وَالدَارُ ضَجَّتْ ، وَاشْتكى السَّكَّانُ!
وَمَخَارِفٌ لَا يُسَيِّتُهُنَّ بوقِعِهَا
خَرَجَتْ بِهَا للعَالَمِ النِّسْوَانُ
أَضْحَتْ يَرْوِجُهَا اللُّنَامُ تَشْفِيًا!
فإلى متى يتطاولُ العُدْوَانُ؟!
والبعضُ قد فتحوا القلوبَ لزيْفِهَا
فتمكَّنَتْ مِنْهَا ، وَسَادَ هَوَانُ!

فسرى الخِداغ ، وسُعرَ الطغيان
نحو السفول ، فزِين الكفران
وقد اكتوى بلهبها الإنسان؟!
بالدُعر ، حل بْحَبه الخسران؟!
وأتين عُهرأ مال له حُسبان؟!
وغدا دليلاً للنسا الشيطان
والسرُّ ذيع ، وهكذا الإعلان؟!
والأمرُ أشهر ، مال له نُكران!
وهل ارتقى في الأكرمين مُهان؟!
واليوم تصطنع الدلال حسان!
أعيذهُ المكيحاج والفسستان؟!
وتعاف رؤية رجسها الأعيان
تعس النساءُ تسرهن قيان!
أتعيشُ - من دون الحياء - حسان؟
أتعيشُ - من دون الرشاد - رزان؟!
هل للإماء تُضاعف الأثمان؟!
وطغى عليها العيرُ والذؤبان؟!
والعقلُ زایل فكره الرجحان؟!
وطوى الإباء لهاثها الفتان؟!
فيها ، وضاع الفصل والفرقان؟!
من دينهم مرقوا لذلك هانوا

هذي الأباطيل التي عصفت بهم
تلك الأضاليل التي انحدروا بها
يا ليت شعري ، كيف طاب سُعارها
أو ليت شعري كيف رَحبتِ النساء
كيف استسغن الموبقات رخيصة
وانصعن للتغريب يذهب بالحياء
أعلى النساء حيل الدهاقين انطلقت
أصبحن في الأسواق أرخص سِلعة
مثل الإماء ، فما لهن كرامة
ما بين غانية تدل بحُسنها
أو غادة أكل السفول جمالها
كلا ، ستمسي - في الخلائق - مثلة
أو قينة شقي الغناء بصوتها!
ما الست إن قلت الحياء ساجية؟!
ما الست إن قلت الرشاد طبيعة؟!
ما الست في سوق النخاسة كالإماء؟!
ما الست إن عبثت بها أهواؤها
ما الست إما عاقرت كأس الطلا
ما الست إما استسلمت لهاثها
ما الست إما استحمت نزواتها
مسكينة باتت ضحية جوقية

وعلى البسيطة هُدمت أركان
وبما أتوه طاشت الأوزان!
فالوزن طاش ، وسُرِبَ الـوزان
ظهر الدليل ، وأشرق البرهان!
عناً ، وعمّ العالمين دُخان!
وعلى الخيول تربّع الفرسان
ولههم على سُوح الوغى الإثخان
ونساء أهل الفتنة القربان!
ولها بما صدحت به استيقان
صنوان ذي في النعق والغربان
وكأنها - بين النساء - أتان!
خابت ، وخابت أحرقّ ولسان!
قد زوّجت ، فاستشرف العصيان
أهو السقوط المُقرّف المُزدان؟!
أولى بها - عما ترى - الأكفان!
أيقِر - ما جاءت به - الإيمان؟!
أولم يُخامر وعيها استهجان؟
قد سنها - لشعوبه - الإنسان!
مرت - على ترسيخها - الأزمان!
ولئن أقرّ من الأمانة خانوا!
وكذاك قوم - بالشريعة - دانوا!
هل تقبل الهمجية الأذهان!؟

لعبوا بأدمغة النساء ، فأفسدوا!
ولكل فسق وانحطاط روجوا!
لما تعدّ قيم تُعزز أهلها!
وكذلك الأخلاق زایل سمثها!
وطغى الصراع ، وأججت نيرانه
وكأنها الهيجاء تقحم الدنا
ورمت أيادي الغاصبين سهامها
وضحية الحرب الضروس استأسرت!
وسمعت واحدة تُزجر في الورى
نعبت كمثل البوم تختصر المدى!
أحقر بها جهرت بأنكر نبيرة
جهرت بأخبث فريّة بين الورى
من أنها باثنين من أشباهها
كيف ارتضت هذا السقوط لعيشها؟
كيف استعاضت بالذنو عن العلاء؟
كيف استباحث ما يُحرّم ربها؟
أم تدعي الإسلام لم تعمل به؟
وكذا تُحرّمه القوانين التي
وكذا تُحرّمه التقاليد التي
وتُحرّم الأعراف أوسخ زيجة
ويُجرّم التشريع من خضعت له
كيف استلذت بالحياة دنيّة!؟

أو أكلب يعتاده الحيوان؟!
إذ لا يُعارضُ فعلها الضبعان!
للفرد أعلنَ ذلك القرآن!
ويغى عليها الإفك والبُهتان
ضاقَتْ بسوء سماعه الآذان؟!
فيها لتخريف الغواة مكان؟!
فيه تزوج حُرمة أجدان؟!
أفضتْ إلى ترويجها الأضغان!
والنص - في إنجيله - الإحصان
وكذا (المسيح) يقوذي الإيقان!
شأنُ الزواج يسنه الخوان؟!
هل خطها الأبحارُ والرهبان؟!
هل خطها وأقرها الكهان؟!
وظوى الفتاوى الدس والكتمان؟!
فلها إذا حل المساجلُ خان؟!
والعاصمُ الإسلامُ والإحسان!
بين الأنام أعزها الرحمن!
هو طيبٌ متفضلٌ معوان
فعلَى الشياهِ تعاورَ الخرفان
ويحارُ فيها العاشقُ الولهان
هي حُرة! ماذا يرى العبدان?!

أو غرّها استلذذ غابرة أدوب
عند الضباع يجوز ما جهرتُ به
وأباح شرعُ الله أربع نسوةٍ
وأنا أسائلُ من تعدتْ وافترتُ
من أين جئتِ بذلك الرأي الذي
أتى به (موسى)؟ فهل توراةُ
أتى به (عيسى)؟ فهل إنجيله
(موسى) بريءٌ من شناعة فعليةٍ
(عيسى) بريءٌ منك ، أنت رذيلة
هذا يقيني في (الكليم) وشرعه!
في أي دين يا عدوة نفسها
وهل الإباحة خطها علماءنا؟!
هل خطها (النهام) في كهنوته؟
هل صاحبُ الإفتاء أفتى يا تُرى
هل حُرة تأتي البغا مختارة
الحُرة العصماءُ تعصمُ نفسها!
أجملُ بها خلفَ الحجابِ مليكة
هي تحت زوج - يا شقية - واحدٍ
هي لا تداولُ مثل كل شويهةٍ
هي لا تُدنسُ عرضها وديارها
إذ أنها بين النساء عزيزة

متعسّر يشقى به الطيّان!
ومع التحايل لا يدوم أمان
شأن الكفار على الهدى ما كانوا
إذ إنها اعتبرت بقوم لانوا
أنعم بقوم أنكروا وأدانوا!
أنعم بمن أعراضهم كم صانوا!
شأن الدعاة دجى الخراب أبانوا
هي بحر تقوى ماله شيطان!
والأهل - والله العظيم - جمان!
فهم به الأشراف والأعيان
فحمى الجميع الواحد الديان!
يأتي به التمييع والميلان!
ومعلم (الفضلى) هو (العدنان)!
إذ في التزام الشرعة السلوان!
يُردي العشيقة - في النسا - الزوجان
إن الكرامة جنة وصيان
إن الضعيف تهيضه العقبان!
ماذا تُفيد العفة الألمان؟!
جود الغني وجودها صنوان
بجوارها يتفخر الجيران
ماذا تُساوي إن تدنى الشأن!؟

هي تشبه الأرض العزاز ، فعزها
هي لا تطيع هوى النفوس تحايلاً
هي لا تُعربد كي يُباركها الغنا
هي لا تلبين إذا طغيت نكباتها
هي كم تُدين الموبقات وأهلها
وتصون عرضاً ، فالصيانة روحة
هي تفضح التغريب ، تكشف أهله
هي أمة في قومها وجوانها
هي ذرة مكنونة في أهلها
هي بوأتهم - في القبائل - منزلاً
هي شرفتهم ، والشرافة سُودد!
هي تصرف النفس اللجوج عن الأذى
دوماً تُفخر بالكتاب وسُنّة
لا تستكين لشهوة ملعونة
ليست تبيع فؤادها لمن اشترى
ليست تُضحّي بالكرامة لحظة
ليست تعيش ضحية لعدوها
ليست تُعير لأغنيات أذنها
ليست توخر عن فقير جودها!
ليست تؤذي باغتياب جارة
يارب وفقها ، وأصلح شأنها

الملاذ في سيرة سعد بن معاذ!

(كم أتمنى أن أخص أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم ورضي الله عن صحابته - بأشعاري متناولاً مناقبهم العظيمة! إن كتابتنا عن الصحابي الجليل سعد بن معاذ ليست من باب التقريظ والإطراء فقط ، بل نحن نحاول أن نترجم له نثراً وشعراً! وإن مناقب سعد بن معاذ لتظهر في مجموعة من الأحاديث النبوية منها على سبيل المثال وليس الحصر: ثبت عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: (أُهِدِيَتْ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حُلَّةٌ حَرِيرٍ ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَمَسُّونَهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا ، فَقَالَ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ؟ لَمَّا دِيلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ خَيْرَ مَنْهَا ، أَوْ أَلِينُ). وثبت عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: (اهْتَرَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ)! وثبت عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: (إِنَّ أَنَسًا نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ ، فَلَمَّا بَلَغَ قَرِيبًا مِنَ الْمَسْجِدِ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُومُوا إِلَى خَيْرِكُمْ ، أَوْ سَيِّدِكُمْ. فَقَالَ: يَا سَعْدُ إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ. قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ وَتُسَبَى ذُرَارِيُّهُمْ ، قَالَ: حَكَمْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ ، أَوْ: بِحُكْمِ الْمَلِكِ). وأما عن صفات سعد بن معاذ فإنه كان طويل القامة ، عريض المنكبين ، أبيض البشرة ، حسن اللحية ، قالت فيه عائشة - رضي الله عنها -: (ثلاثة من الأنصار لم يكن أحدٌ يعتد عليهم فضلاً ، كلهم من بني عبد الأشهل: أسيد بن خضير وسعد بن معاذ وعبد بن بشر). وقد اتصف سعدٌ بدفاعه وحميته لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين يسمع الكافرين يسبونه ، مناصراً لله ورسوله ، شديد الحب لرسول الله والخوف عليه مما يضره ، حتى عرض عليه يوم بدر أن يُقيم له عريشاً يجلس فيه ، ويقوم بحمايته من العدو ، فدعا له رسول الله وأثنى عليه. وكان - رضي الله عنه - شديد الغيرة على زوجته ، حتى قال لرسول الله لما نزلت آية الملائنة: (لَوْ رَأَيْتَ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرِ مُصَفِّحٍ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ ، لَأَنَا أَعْيُرُ مِنْهُ ، وَاللَّهِ أَعْيُرُ مِنِّْي). وكان سعد بن معاذ من الذين شاركوا رسول الله في غزوة بدر ، وكان له موقفه الثابت والشجاع حين قال لرسول الله: "امض يا رسول الله لما أردت ونحن معك ، لو خضت عرض البحر خضناه معك ما تخلف منا أحد ، ولعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك ، فسر على بركة الله". ولما حاصر رسول الله وأصحابه بني قريظة ، ولما ينس بنو قريظة من انفكاك الحصار عنهم وتراجع النبي ، قرروا النزول عند أمر النبي ، فأولى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أمر التحكيم لسعد بن معاذ ليقرر فيهم ، وكان قد أصيب فجعله رسول الله في خيمة رُفيدة الأسلمية تداويه ، فذهب إليه قومه فحملوه وتوجهوا معه إلى رسول الله ليحكم في بني قريظة. وقال له رسول الله: يا سعد احكم في بني قريظة ، فأراد حينها سعد أن يأخذ الحق لرسول الله والمسلمين مما أصابهم من بني قريظة ، وقد كان آخر ذلك ما أصابهم في غزوة الخندق التي كادت أن تهلك المسلمين ، فقال سعد - رضي الله عنه - : إني أرى أن يُقتل مقاتليهم ، وتُسبى ذراريهم ، وتقسّم أموالهم. والحقيقة أن كل أصحاب النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ورضي الله عن صحابته - مدارس في المناقب والسجاي! حتى إن الشاعر أو الناثر إن أراد أن يتناول أحدهم وجد الذي يليه على نفس الدرجة من المناقب والسجاي أو يزيد! فيُصاب بالحيرة! ويطرخ في نفسه سؤالاً غريباً: ماذا يفعل؟ من يُقدم منهم ومن يُؤخر؟ وفي نهاية المطاف يتناول منهم الأمثل فالأمثل! ولقد قررتُ أن أفعل ذلك بدءاً بالمتميزين منهم! وإنه والله لتفاضلٌ صعبٌ للغاية! وإن كان في العمر بقية كتبت عن جميع الصحابة كلاً على حدة! وعوداً إلى سعد بن معاذ! وتحت عنوان: (دروس من سيرة سعد بن معاذ رضي الله عنه) كتب أستاذي حسين بن سعيد الحسنية ما نصه: (هذه الأسطر عن رجل من الجيل الفريد ، الجيل الذي تربى على يد محمد ﷺ ، الجيل الذي سطر

أجمل بيان في الصحبة ، وأعظم مقال في الأخوة ، وأسمى عنوان في التضحية ، الجيل الذي علّمنا أن لا عزة لنا إلا بالإسلام ، ومهما ابتغينا العزة في غيره أدّنا الله ، الجيل الذي ندين الله جل وعلا بحبه ، وبالاقتداء بمنهجه ، جيل الآل والأصحاب ، عليهم جميعاً رضوان الله تعالى. ذلكم الرجل هو سعد بن معاذ رضي الله عنه ، من بني عبد الأشهل ، من الأوس ، من الأنصار ، من أجمل الرجال صورة ، وأعظمهم طولاً ، وأشرقهم وجهاً ، وأجزلهم حديثاً ، وسيد قومه وسديدها ، ورئيسها الأول ، وزعيمها. ففي سيرة أبي عمرو رضي الله عنه وسير أصحاب محمد ﷺ ما يثلج الصدر ويُبهِج خاطر ، ويُعين على الثبات ، ويدعو إلى الورود إلى المشرب الزلال. فمن سيرته رضي الله عنه أنه لما علم بقدوم سفير الدعوة الأول: مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة لينشر الإسلام ، ويدعو إلى الله ، أقبل إليه ، ورَحّب به ، وسمع منه القرآن الكريم ، فانتعش فؤاده بنسمات حلوة ، هبت عليه هبوب العافية ، وأضاعت روحه بنور الهداية ، وأعلن إسلامه وهو في الثلاثين من عمره ، ثم عاد إلى قومه داعياً لهم إلى الإسلام قانلاً لهم: "كلام رجالكم ونسانكم عليّ حرام حتى تُسلموا ، فأسلموا". فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام. ومن سيرته رضي الله عنه أنه كان شديد الغيرة على محارمه ، فلما نزلت آية التلاعن قال سعد: يا رسول الله ، إن وجدت مع امرأتي رجلاً أمهله حتى آتي بأربعة؟ والله لأضربنّه بالسيف غير مُصَفح عنه ، فقال رسول الله ﷺ: "أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه ، والله أغير مني". ومن سيرته رضي الله عنه موقفه قبل بدء غزوة بدر ، فقد استشار محمد ﷺ أصحابه في الخروج إلى بدر لغزو المشركين! فسمع من أبي بكر وعمر والمقداد وغيرهم ، إلا أن الرسول ﷺ لا زال يقول: «ماذا ترون؟» كان ينتظر رداً من الأنصار ؛ لأن مضامين الاتفاق بينه وبينهم أن يدافعوا عنه داخل المدينة ، وبدر خارج المدينة ، فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه: يا رسول الله ، إيانا تريد؟ ثم قال: لقد آمنّا بك ، وصدقناك ، وشهدنا أن ما جنت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا فامض بنا يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجلٌ واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبرٌ في الحرب ، صدقٌ في اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، أهلت كلمات سعد كالبشريات ، وتألّق وجه رسول الله ﷺ رضاً وسعادةً وغبطةً ، فقال للجيش: "سيروا وأبشروا ؛ فإن الله وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم". ومن سيرته رضي الله عنه موقفه من قبيلة غطفان ، لما تحالفت مع قريش ويهود في موقعة الخندق ، فلما خانت يهود وغدرت خاف ﷺ من غزو محتوم على المدينة من داخلها ، ففكر في أن يعزل (غطفان) من تحالفها مع قريش ويهدد ، وفاوضهم على أن ينفضوا أيديهم من هذه الحرب ولهم لقاء ذلك ثمار المدينة ، ورضيت غطفان بذلك العرض ، فشاور ﷺ الأنصار ، فتقدم سعد بن معاذ رضي الله عنه قانلاً: "يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء - يعني غطفان - على الشرك ، وعبادة الأوثان لا نعبد الله ، ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا من مدينتنا إلا قرئاً أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ والله ما لنا بهذا من حاجة ، ووالله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله - سبحانه وتعالى - بيننا وبينهم" ، وعلى الفور عدل رسول الله ﷺ عن رأيه ، وأخبر زعماء غطفان أن أصحابه رفضوا مشروع المفاوضات ، وأنه أقر رأيهم والتزموا به ، ولبس المسلمون لباس الحرب ، وخرج سعد حاملاً سيفه وهو يقول:

لَبَّثَ قَلِيلاً يَشْهَدُ الْهَيْجَا جَمَلٌ مَا أَجْمَلُ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ!

ومن سيرته رضي الله عنه أنه أصيب في الخندق ، فضرب له الرسول ﷺ خيمةً في المسجد ليعوده من قريب ، وكان الجرح مؤلماً وشديداً ، وأحسَّ سعد أن الموت منه قد دنا بسبب ذلك الجرح فقال: "اللهم إن كنت قد أبقيت من حرب قريش فأبقتني لها ، فإنه لا قوم أحب إليّ أن أجاهد من قوم أدوا رسولك ، وكذبوه وأخرجوه ، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعل لي شهادة في سبيلك ، ولا تُمنّني حتى تقرّ عيني في بني قريظة". ومن سيرته رضي الله عنه أنه لما مات اهتز له عرش الرحمن ، وفتحت لوفاته أبواب السماء ، وشيعة سبعون ألف ملك ، لم يظأوا الأرض قبل ذلكم اليوم ، وكان عمره يوم مات سنةً وثلاثين عاماً ، بمعنى أنه عاش في الإسلام ست سنوات فقط ، صنع سعد ما صنع في ست سنوات ، حتى اهتز لموته عرش الرحمن ، فماذا صنعت أنا وإياك؟! فإن من أعظم الدروس التي نستقيها من سيرة سعد بن معاذ رضي الله عنه ، أن العمر ليس بالشهور والسنين ، وإنما هو بالآثار الباقية والبصمات الشاهدة! وكلما كانت حياة أحدنا مع الله كلما كانت مليئةً بتلك الآثار والشواهد. ومن الدروس أيضاً من سيرة سعد بن معاذ رضي الله عنه أنه بقيمة ما تقدمه لدينك وأمتك من جهدك ووقتك ونفسك ومالك وعلمك وعملك ودعوتك ، تكون قيمتك عند الله أعلى وأعلى وأعلى. ومن الدروس أيضاً أنه من تتبع سفاسف الأمور ، وعاش بهمم الصغار ، وتمثل بالقدوات الساقطة ، كان من الخاسرين المنسيين).هـ. لقد تربى سعد بن معاذ - رضي الله تعالى عنه - في مدرسة النبي - صلى الله عليه وسلم - فصقلت تجربته ونمت مواهبه وترعرعت مبادئه وقيمه ، وبات خلقاً آخر من الأسود المغاوير والفرسان الرنبالة الأبطال شجاعة ، وبات خلقاً آخر في الحكمة والبيان! وأما الكاتب الدكتور عبد المنعم مجاور فيقول تحت عنوان: (سعد بن معاذ: نبيل في الأرض ، وكرامة في السماء) ما نصه: (إنه منذ جُبلت الفطر السوية ، والطبائع الإنسانية المستقيمة على حبّ كل نبيلٍ ، وإن لم يتحقق ذلك النبيل فيها فإنها تطرب لرؤيته ، وتعجب به وإن كان في خصم أو عدو ، والتاريخ حافل مليء بمن احترموا خصومهم ، وعرفوا لهم قدرهم حتى بعد انتصارهم عليهم... جُبلت الفطر السوية ، والطبائع الإنسانية المستقيمة على حبّ كل نبيلٍ ، وإن لم يتحقق ذلك النبيل فيها فإنها تطرب لرؤيته ، وتعجب به وإن كان في خصم أو عدو! والتاريخ حافل مليء بمن احترموا خصومهم ، وعرفوا لهم قدرهم حتى بعد انتصارهم عليهم! هذا ، إذا كان ذلك النبيل في خصم أو عدو ، فما بالك إذا كان النبيل في أسمى معانيه ، والشهامة في أزهى صورها قد تجسدا فيمن تحب؟! ساعتها سيزداد عجبك ، ويربو طربك ، فتَهشُّ لهما نفسك ، ويسعد بهما فؤادك ، خاصة إذا كانت تلك الصفات المعنوية النبيلة تأخذ بأيديها صفات جسدية جزلة ؛ لتلتقي العظمة في أبهى تجلياتها ، لتأخذ بلُبِّك ، فلا تدري إلى أي جانب توجه إعجابك ، ولا إلى أية جهة تصرف حبك وإجلالك! وقد امتدح الله تعالى طالوت بهاتين الصفتين ؛ ليبين لبني إسرائيل طرفاً من أسباب اصطفائه إياهم ؛ فقال عز من قائل: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. {وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ} ؛ أي: زيادة في العلم ، وطولاً في القامة ، وقوة في البدن ؛ وقد ذكر القرطبي وابن كثير أن أهلية القيادة تحصل بهذين الأمرين ، فيجب أن يكون القائد من أفضل قومه في العلم وأقواهم. وعندما تُقلب صفحات حياة "سعد" المضيئة يقشع بدنك ، وتفرّ الدماء في عروقك ، وتكاد تتوشح سيفك لتكون في فيلقه ؛ لأنه صورة للشهامة ، وعنوان للمروعة ؛ تلك الصفة الجامعة لكثير من خلال العظمة ، فالشَّهْم كما جاء في لسان العرب: "الذكي الفؤاد المتوقد ، الجَدُّ ، والجمع شِهَام ؛ وفي الحديث: «كان شهماً نافذاً في

الأمر ماضيًا... والشهم السيد النَّجْدُ النافذ في الأمور ، والجمع شُهُوم ، وفرس شهم: سريع نشيط قوي". وقد زاد من تلك الصفات قيمةً أن صاحبها قد تسربلها وهو في ريعان الشباب ، فكان الشباب قد تَوَجَّ هذه الصفات بتاج القوة والعظمة ؛ فإذا ذهبت تبحث عن الصفات التي تجمع الناس حول شخص ما ، كان له منها ما يجعله في طليعتهم شكلاً وهينة ، نفساً وروحاً ، قلباً وعقلاً ؛ فهو من حيث الصفات الشكلية الظاهرة وسيم ، مشرق الوجه ، مضيء الجبين ، طويل فارغ الطول ، جسيم جزل ، من يره ، يقرّ في نفسه إجلال وتبجيل وهيبة ، وهو من حيث الصفات المعنوية: شهم ، شجاع ، نبيل ، جواد ، كريم ، غيور... ولعمري إن صفة واحدة من هذه الصفات لجديرة بأن تسوّد صاحبها ، فكيف بها إذا اجتمعت في شخص واحد؟ ووالله لقد اجتمعت وإن لأظنها - والظن هنا بمعنى اليقين - سعيدة ، فخورة باجتماعها معاً في شخصية "سعد" ، وأي الناس كسعد؟! إنك لا تدري - وأنت تقرأ في سيرته - من أي صفاته تعجب ، ولا بأيها تفخر وتتيه ، ولا تدري بأي موقف من مواقفه تبدأ ، ولا بأيها تنتهي ؛ فكلها تصدُر عن جهة واحدة ، ويحركها توجّه واحد ، وكلها ترفع الرأس والهامة ، ولا تدري بأي كلماته وعباراته تستشهد ، فكلها تجسد تلك الصفتين الأساسيتين في شخصيته ؛ الشهامة والنبيل. وإذا كان موقفه يوم بدر عظيم مشهود ، فإن موقفه يوم أُحُدٍ لا يقل عنه عظمة ، بل إن الشدة لتكشف عن معادن الرجال ، يا ليت كل المعادن كمعدنك يا سعد! يقف سعد في أثون المعركة وقفة تليق به ، فيثبت ، وتتسمر قدماه دفاعاً عن النبي الكريم ، لتستحيل الكلمات المنطوقة مواقف شامخة ، وواقعاً محققاً ، فيصدق القول العمل. وإذا كانت صفات الجسارة والشجاعة والبسالة قد ثبتت وظهرت شاخصة مجسدة في أرض المعارك ، وفي ساحات النزال ، فإن هناك صفاتٍ أخرى ستظهر ولا تتوارى ، وتتضح ولا تختفي أو تغيب ، وما كان لها أن تتخلف أو تغيب عن شخصية قائدٍ سيد ، أو سيد قائد ، إن تلك النفس النبيلة ، وهذا القلب الشهم الشجاع لن يكونا لقمة سائغة أمام محاولات الغدر ، والمخاتلة ، وإنما سيكونان بالمرصاد لكل مكيدة يكيدها يهود ، وكيف لا ، وقد خبرهم ، وعرف من دواخلهم ما لم يعرف غيره ، "فليس من رأى كمن سمع" ، وهو قد رأى منهم ، وسمع ، وعان وجرب ، ومن ثم سيحكم عليهم من واقع ذلك كله. في غزوة الأحزاب تتكالب قوى الشر على النبي وصحبه ، ويظهر غدر "يهود" في أحط مشهد ، وأنذل موقف ؛ إذ يعمدون - كعادتهم - إلى الطعن في الظهر ، فيتآمرون على من مدوا لهم أيديهم بالسلام ، ويتسلل زعماءهم إلى مكة ليحرضوا قريشاً على محمد وصحبه بالمدينة ، ويغرونهم بهم ، باذلين العهود والوعود أنهم واقفون معهم ، ناصرهم لهم على المسلمين بالمدينة ، ولم يقف غدرهم عند حد الاتفاق مع قريش ، بل تعداه إلى قبيلة من أكبر قبائل العرب عدداً وشأناً ؛ قبيلة "غطفان" فيؤلبونهم على المسلمين ، ويتفقون مع ساداتهم على الانضمام إلى قريش ، ومشاركتها في مهاجمة المدينة والإغارة عليها ؛ ليستأصلوا الإسلام من جذوره... تمت الخطة ، ودبّر الأمر ؛ قريش وغطفان يهاجمان المدينة من الخارج ، ويهود المدينة يقومون بالأعمال التخريبية داخلها وفيما حولها ، أما المسلمون فيصبحون بين فكي الرchy ، ماذا يفعل النبي القائد في مثل تلك المحنة؟ وكيف يتعامل مع هذا الوضع المأزوم؟! يبدأ في مجريات العمل العسكري ، فينخرط الصحابة في حفر الخندق وهو معهم ، لكنه لم يغفل صلى الله عليه وسلم عن دوره السياسي ، فيلجأ إلى سياسة "تفتيت الجبهة" ؛ ليجنب المدينة وأهلها ويلات هذا الحصار المطبق ، وذلك الغزو المحدق ، فيتفق مع قادة غطفان على أن يتخلوا عن قريش وجيشها ، ولا يشتركوا في تلك الحرب مقابل أن يحصلوا

على ثلث ثمار المدينة ، ويرضى قادة غطفان بذلك ، فهي غنيمة بلا حرب ، ولكن النبي الكريم ما كان ليبرم الأمر وينهيه إلا بعد مشورة أصحابه ، وخاصة سادة الأنصار ، فهم أصحاب الحق الأول في هذا الأمر ، فاستدعى "السَّعْدَيْنِ" ؛ سعد بن معاذ ، وسعد بن عباد ، وأخبرهما أنه ما لجأ إلى ذلك إلا لأنه - كما قال صلى الله عليه وسلم - قد رأى «العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسِرَ عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما». فيسير سعد بن معاذ ، وينزل النبي على رأيه. وفي إحدى الجولات يقذف أحد المشركين بسهم فيصيب ذراع سعد ، فيتفجر الدم من وريده بغزارة فيسعف سريعاً ، ويمرّض في مسجد النبي ، وتُصب له فيه خيمة ليكون قريباً من النبي الكريم أثناء علاجه وتمريضه ، ويطلب سعد من ربه الشهادة ، ولكن بعد أن تقر عينه من بني قريظة: (ولا تُمتني حتى تقر عيني من بني قريظة) ، وقد استجاب الله دعاءه فلم يمِت إلا بعد أن شفا الله صدره منهم ، فبعد أن وضعت الحرب أوزارها ، وعادت قريش وحلفاؤها يجرون أذيال العار والخيبة يأمر النبي الكريم أصحابه بالسير إلى بني قريظة ، فيحاصرونهم خمسة وعشرين يوماً ، فلما أسقط في أيديهم استسلموا. وفي إحدى زيارات النبي الكريم وعياداته سعداً يجده في لحظاته الأخيرة في هذه الدنيا ، فيضع النبي الكريم رأس سعد في حجره ، ويدعو الله له ، ويحاول سعد بجهدٍ جهيدٍ أن يفتح عينيه لتكتحل بمرأى النبي الكريم ، وليكون وجهه الكريم صلى الله عليه وسلم آخر ما تبصر عيناه في هذه الدنيا قبل أن يسبق النبي إلى دار الخلد ، ولكنه يشق على نفسه ليلقي على النبي السلام ، ويودعه خير وداع ، فيحرك لسانه قائلاً: السلام عليك يا رسول الله ، أما إنني لأشهد أنك رسول الله. ويلقي النبي على وجه سعد نظرة الوداع ، وهو يقول: "هنيئاً لك أبا عمرو". لتجد نفسك أيها القارئ الكريم تردد خلف النبي صلى الله عليه وسلم: "هنيئاً لك أبا عمرو". رحل سعد ، ولكن ذكراه تظل عطراً تتعطر به الأيام والليالي على مر الزمن ، رحل سعد ولكن موافقه تظل مثالاً للغة والشموخ ، ونبراساً للكرامة والإباء ، وقدوة لأصحاب العزائم والهمم. أليس سعد وإخوانه من الصحابة الكرام ، ومن تبعهم من التابعين وتابعيهم أجدراً بأن يمثلوا القدوة والمثل لأبنائنا وأحفادنا؟ أليس من الأولى أن تعرض سيرهم بأسلوب مشوق ممتع ؛ كي يقتدي بهم جيل ابتعدت عنه تلك النماذج الفريدة لتحل محلها نماذج شوهاء؟ أليس من الأجدى أن نحوظهم بسيرٍ هؤلاء الأبطال ، وأن نستخلص منها الدروس والعبر التي تفيدهم في حياتهم فتحصنهم ضد هذا السيل الجارف الذي تضخه تلك السماوات المفتوحة ، والعالم الأزرق؟! إن في تقليب صفحات الصحابة الكرام فوائد جمة ، ومنافع عظيمة تساعد على خلق جيل ناضج اجتماعياً ، سويّ نفسياً ، ناجح عملياً ، مفيدٍ لدينه ووطنه وأمته ، فلنكتب عن هؤلاء بأسلوب بسيط يناسب أعمار الناشء واليافعين ؛ حتى لا تتبدل القيم ، ولا تتحرف البوصلة عن تلك القدوات الحقيقية التي إن استلهمناها جنينا حلوَ الجنى ؛ ثماراً يانعات ، تقر بها عيون الآباء والأمهات ، فهل نفعل؟). ومن هذا المنطلق كانت هذه القصيدة التي تحمل عنوان: (الملاذ في سيرة سعد بن معاذ) ، والتي حاولت فيها أن أضرب على ذات الوتر!)

ثرائك يا سعد للآمل يسألني نهى المُخبِتِ العاملِ
ويَدْفَعُ فذاً إلى كل خير ويفخرُ بالقائلِ الفاعلِ
فإنك يا سيد (الأوس) شمسٌ يبيدُ سناها دجى الباطلِ

وما كنت يا سعد بالقاتل
لدين قوي العرى فاضل
فمرحى بمستبصر عاقل
وجالدت في الموقف الفاصل
وصيتك ما كان بالخامل
ونجمك ما كان بالآفل
وما كنت في البذل بالباخل
وحفزت قومك للقابل
وما الجمع - في السير - بالخاذل
بجمع شديد القوى صائل
ونلقى العدو لقا (وائل)
وذا مطمخ حُقق للآمل
لتدعو للفيالق الراحل!
بجرح همى بالدم السائل
بنص دقيق الصوى كامل
ولا يقبل العذر من قاتل
يغيب عن المعرض الجاهل
على يد مستبصر عادل
لك الله من خير فاضل!
أتاها ، وأكرمها في الآجل!

وكنيت تُبييت قتل دعاة
أتوا للديار دعاة هداة
فجادلتهم ، واتبعنت هداهم
وقومك أنت دعوت احتساباً
وأهلك يا عبقرى استجابوا!
وأجرُك عند مليك البرايا
ودورك أديته لم تُقصّر
وقلت المقالة في يوم (بدر)
وقلت: نسير لبزك الغماد
ونكفي النبي شرور الأعداي
نقيم عريشاً به (مصطفانا)
فإما انتصرنا ، فذا مُبتغانا
وإما هُزمننا ، رجعت معافى
إلى أن أصابك رمية عادٍ
وحكمك - في المجرمين - صوابٍ
فيقتل من قاتلوا في المغازي
وتسبى الذراري ، وهذا امتنانٌ
وتُقسّم أموالهم بالتساوي
ووافقت في الحكم رباً حكيماً
فيا ربنا اغفر لسعد ذنوباً

السراج المضاء في مدح أبي الدرداء!

(إن دفاعنا عن أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم ورضي الله عن صحابته الغر الميامين والأبطال المُحَجَّلِينَ - عبادة من العبادات وشعيرة من الشعائر! واليوم نكتب ونذود عن أبي الدرداء! وأقطع وأجزم أن أبا الدرداء كان من حكماء الصحابة! نعم كانت الحكمة تجري على لسانه! يقول رضي الله عنه: لو أن رجلاً هرب من رزقه كما يهرب من الموت ، لأدركه رزقه كما يدركه الموت! ويقول: من أكثر كلامه أكثر كذبه ، ومن أكثر حلفه أكثر إثمه ، ومن كثرت خصومته لم يسلم دينه! وقال: من لم يعرف نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قل عمله وحضر عذابه ، ومن لم يكن غنياً عن الدنيا فلا دنيا له! وعن حبيب بن عبيد أن رجلاً أتى أبا الدرداء فقال له: أوصني! فقال له: اذكر الله عز وجل في السراء يذكرك في الضراء ، فإذا أشرفت على شيء من الدنيا فانظر إلى ماذا يصير! وعن أبي الدرداء أنه قال: ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر والإخلاص للتوكل والاستسلام للرب عز وجل! وعن معاوية بن صالح عن أبي الدرداء قال: إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله ، فإن كان عمله تبعاً لهواه فيومه يوم سوء ، وإن كان هواه تبعاً لعمله فيومه يوم صالح! وقيل لأبي الدرداء: مالك لا تقول الشعر. وكل لبيب من الأنصار قال الشعر؟ فقال: وأنا قد قلت شعراً فليل وما هو فقال:

يريد المرء أن يؤتى مناه ... ويأبى الله إلا ما أَرادَا

يقول المرء فاندتي ومالي ... وتقوى الله أفضل ما استفادَا

وقال رضي الله عنه: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يعظم حلمك ويكثر علمك وأن تنادي الناس في عبادة الله ، فإذا أحسنت حمدت الله وإذا أسأت استغفرت الله! وقال أيضاً: لا تتبع بصرك كل ما ترى في الناس ، فإنه من يتبع بصره كل ما يرى في الناس يطل حزنه ولا يشفى غيظه ، ومن لا يعرف نعمة الله عليه إلا في مطعمه أو في مشربه فقد قل عمله وحضر عذابه ، ومن لم يكن غنياً في الدنيا فلا دنيا له! وقال رضي الله عنه: أحب الموت اشتياقاً إلى ربي عز وجل ، وأحب الفقر تواضعاً لربي عز وجل ، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي! وقال: استعيذوا بالله من خشوع النفاق. قيل: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع. وعن يحيى بن سعيد قال: قال أبو الدرداء: أدركت الناس ورعاً لا شوك فيه ، فأصبحوا شوكاً لا ورقة فيه ، إن نقدتهم نقدوك ، وإن تركتهم لا يتركوك! قالوا: فكيف نصنع؟ قال: تفرضهم من عَرَضِكَ ليوم فقرك. وكان رضي الله عنه يقول: اللهم إني أعوذ بك من تفرقة القلب ، قيل: وما تفرقة القلب؟ قال: أن يوضع لي في كل واد مال. وقال رضي الله عنه: إن العبد ليخلو بمعصية الله تعالى فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر! ومن أقواله أيضاً: صلوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور صوموا يوماً شديداً حره لحر يوم النشور ، تصدقوا بصدقة لشر يوم عسير! وقال: من أكثر ذكر الموت قل فرحه وقل حسده! ومن حكمه رضي الله عنه قوله: تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من متقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً حجاباً بينه وبين الحرام! ومن أقواله أيضاً: من أتى فراشه وهو ينوي أن يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى! وقال رضي الله عنه: إن الله إذا قضى قضاءً أحب أن يرضى به. فمن أبو الدرداء؟ إنه عويمر بن زيد وقيل: ابن عامر ، وفي اسمه خلاف بين المصنفين والمحققين ، ويختلفون كذلك هل شهد أحداً

أم لا؟ وقد شهد مع رسول الله. صلى الله عليه وسلم مشاهد كثيرة ، وولاه عمر بن الخطاب القضاء بدمشق. عن معاوية بن قرة قال: قال أبو الدرداء: (اطلبوا العلم ، فإن عجزتم فأحبوا أهله ، فإن لم تحبواهم فلا تبغضوهم). وعن ميمون بن مهران قال: قال أبو الدرداء: (ويل للذي لا يعلم مرة ، ولو شاء الله علمه! وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات). وعن أبي وائل قال: قال أبو الدرداء: (إني لأمرم بالأمر وما أفعله ولكني أرجو فيه الأجر ، وإن أبغض الناس إلي إن أظلمه من لا يستعين علي إلا الله). وعن سالم بن أبي الجعد عن أم الدرداء قالت: قال أبو الدرداء: (تفكر ساعة خير من قيام الليل). وعن عون وهو ابن عبد الله قال: سئلت أم الدرداء ما كان أفضل عمل أبي الدرداء؟ قالت: (التفكير والاعتبار). رواهما الإمام أحمد. وعن الضحاک قال: قال أبو الدرداء: (يا أهل دمشق أنتم الإخوان في الدين ، والجيران في الدار ، والأنصار على الأعداء ، ما يمنعكم من مودتي وإنما مؤنتي على غيركم! ما لي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون ، وأراكم قد أقبلتم على ما تكفل لكم به ، وتركتم ما أمرتم به؟ ألا إن قوماً بنوا شديداً وجمعوا كثيراً وأملوا بعيداً فأصبح بنيانهم قبوراً وأملهم غروراً وجمعهم بوراً ، ألا فتعلموا وعلموا ، فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء ولا خير في الناس بعدهما). وعن ابن أبي ليلى قال: كتب أبو الدرداء إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري: (أما بعد فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله ، فإذا أحبه الله حببه إلى خلقه ، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله ، فإذا أبغضه الله بغضه إلى خلقه). وعن أنس عن أبي الدرداء قال: (اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ، ولا تك الرابع فتهلك!) قلت للحسن: ما الرابع؟ قال: المبتدع. وجاء في: (إسلام ويب) وتحت عنوان: (نبذة مختصرة عن أبي الدرداء رضي الله عنه) ما نصه بتصريفٍ يسير: (أما أبو الدرداء رضي الله عنه فهو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي. ويقال له: عويمر بن عامر. قال الذهبي - رحمه الله - في ترجمته: الإمام القدوة ، قاضي دمشق.. حكيم هذه الأمة.. وسيد القراء بدمشق. وقد أسلم رضي الله عنه يوم بدر ، ثم شهد أحداً وأبلى فيها بلاءً حسناً. وكان من الصحابة الذين جمعوا القرآن كله ، فعن أنس رضي الله عنه قال: مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء ، ومعاذ ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد. رواه البخاري. واشتهر بالعبادة ، فكان يصوم النهار ويقوم الليل ، حتى قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: إن لجسدك عليك حقاً ، ولربك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، صم وأفطر ، وصل ، وائت أهلك ، وأعط كل ذي حق حقه. رواه البخاري. وكان رضي الله عنه فقيهاً عالماً حكيماً ، ومن موافقه وكلماته رضي الله عنه: 1- لما فتحت قبرص مر بالسبي على أبي الدرداء ، فبكى فقبل له: تبكي في مثل هذا اليوم الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: بينما هذه الأمة قاهرة ظاهرة إذ عصوا الله فلقوا ما ترى ، ما أهون العباد على الله إذا هم عصوه. 2- وقال: اعبد الله كأنك تراه ، وعد نفسك في الموتى ، وإياك ودعوة المظلوم ، واعلم أن قليلاً يغنيك خير من كثير يلهيك ، وأن البر لا يبلى ، وأن الإثم لا ينسى. 3 - وقال: من أكثر ذكر الموت قلَّ فرحه ، وقل حسده. وقد توفي رضي الله عنه سنة 32 هـ ، وانظر سيرته في سير أعلام النبلاء للذهبي رحمه الله). هـ. وجاء في موقع: (رسول الله) ما نصه: (أبو الدرداء يعتبر من آخر الأنصار إسلاماً ، وكان يعبد صنماً ، فدخل ابن رواحة ، ومحمد بن مسلمة بيته ففسرا صنمه ، فرجع فجعل يجمع الصنم ، ويقول: ويحك! هلا امتنعت! ألا دفعت عن نفسك ، فقالت أم الدرداء: لو كان ينفع أو يدفع عن أحد ، دفع عن نفسه ونفعها! فقال أبو الدرداء: أعدي لي ماء في المغتسل ، فاغتسل ، ولبس حُلته ، ثم ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فنظر إليه ابن

رواحه مقبلاً ، فقال: يا رسول الله ، هذا أبو الدرداء ، وما أراه إلا جاء في طلبنا؟ فقال: (إنما جاء ليُسلم ، إن ربي وعدني بأبي الدرداء أن يسلم). وأبو الدرداء رضي الله عنه وأرضاه له المكاة العالية والمنزلة المرموقة بين صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال عنه الرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد: "نعم الفارس عويمر"! وقال عنه أيضاً: "هو حكيم أمتي"! ولقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم الأثر الأكبر في تربية أبي الدرداء رضي الله عنه وأرضاه ، وقد كان الحبيب صلى الله عليه وسلم يوصيه كثيراً بما يجلب عليه الخير في الدنيا والآخرة ، ففي صحيح مسلم عن أبي الدرداء قال: أوصاني حبيبي صلى الله عليه وسلم بثلاثٍ لن أدعهن ما عشت بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى وبأن لا أنام حتى أوتر! وروي أن عمر بن الخطاب دخل على أبي الدرداء ، فدفع الباب فإذا ليس فيه غلق ، فدخل في بيت مظلم ، فجعل يلمسه حتى وقع عليه ففسّ وسادة ، فإذا هي برذعة ، وجسّ دثاره فإذا كساء رقيق. قال عمر: ألم أوسّع عليك؟! ألم أفعل بك؟ فقال له أبو الدرداء: أتذكر حديثاً حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال أي حديث؟ قال: (ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب) قال: نعم! قال فماذا فعلنا بعده يا عم؟ قال: فما زالا يتجاوبان بالبكاء حتى أصبحا! وعن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: يا عويمر ازدد عقلاً تزدد من ربك قريباً ، قال: قلت: بأبي أنت وأمي وكيف لي بذلك: فقال: اجتنب محارم الله تعالى ، وأد فرائض الله سبحانه تكن عاقلاً ، واعمل بالصالحات من الأعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتتل في أجل العقبى بها من ربك عز وجل القرب والعز! وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتكم قليلاً ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل لا تدرن تنجون أو لا تنجون. قال أبو الدرداء: ما يسرني أن أقوم على الدرج من باب المسجد فأبيع وأشتري ، فأصيب كل يوم ثلاثمائة دينار أشهد الصلاة كلها في المسجد ، ما أقول إن الله عز وجل لم يحل البيع ويحرم الربا ، ولكن أحب أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. وعن محمد بن كعب أن ناساً نزلوا على أبي الدرداء ليلة قرّة (أي شديدة البرودة) ، فأرسل إليهم بطعام سخن ولم يرسل إليهم بلحف ، فقال بعضهم: لقد أرسل إلينا بالطعام فما هنأنا مع القر لا أنتهي أو أبين له! قال الآخر: دعه ، فأبى ، فجاء حتى وقف على الباب رآه جالسا ، وامرأته ليس عليها من الثياب إلا ما لا يذكر! فرجع الرجل وقال: ما أراك بت إلا بنحو ما بتنا به ، قال: إن لنا داراً ننتقل إليها قدمنا فرشنا ولحفنا إليها ، ولو ألفت عندنا منه شيئا لأرسلنا إليك به ، وإن بين أيدينا عقبة كؤوداً ، المُخَف فيها خيرٌ من المثقل ، أفهمت ما أقول لك؟ قال: نعم. قال الذهبي: قد ولي أبو الدرداء قضاء دمشق وكان من العلماء الحلماء الألباء! وقال أبو حاتم الرازي: عن عبد الله بن سعيد قال: رأيت أبا الدرداء دخل المسجد (مسجد النبي صلى الله عليه وسلم) ، ومعه من الأتباع مثل ما يكون مع السلطان ، بين سائل عن فريضة وبين سائل عن حساب وبين سائل عن شعر وبين سائل عن حديث وبين سائل عن مُعضلة. وجاء في البخاري عن أبي الدرداء قوله: من فقه المرء إقباله على حاجته حتى يقبل على صلاته وقلبه فارغ! وعن يزيد بن عميرة قال لما حضرت معاذ بن جبل الوفاة قيل له: يا أبا عبد الرحمن أوصنا فقال: التمسوا العلم عند عويمر (أبي الدرداء) فإنه من الذين أوتوا العلم! وقال الذهبي: كان يقال: هو حكيم هذه الأمة! حفظ القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عالم أهل الشام ومقرئ أهل دمشق وفقههم وقاضيهم روى جملة أحاديث! وقال أيضاً: قال سويد بن عبد العزيز: كان أبو الدرداء إذا صلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس

للقراءة عليه ، فكان يجعلهم عشرة عشرة وعلى كل عشرة عريفاً ، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره ، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه ، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذلك. عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كان يقوم من جوف الليل فيقول: (نامت العيون و غارت النجوم وأنت حي قيوم). وعن أم الدرداء: كان أبو الدرداء يقول: عندكم طعام؟ فإن قلنا: لا ، قال: فإني صائم يومي هذا. وعن أبي الدرداء قال: لأن أقول: الله أكبر مائة مرة أحب إلي من أن أتصدق بمائة دينار. وعن أبي الدرداء قال: أخوف ما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: أعلمت أم جهلت؟ فإن قلت: علمت ، لا تبقى آية امرأة أو زاجرة إلا أخذت بفريضة المرأة! هل انتمرت؟ والزاجرة هل ازدجرت؟ فأعوذ بالله من علم لا ينفع ونفس لا تشيع ودعاء لا يسمع. وقال أبو الدرداء أيضاً: أضحكني ثلاث ، وأبكاني ثلاث! أضحكني مؤمل دنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ، وضاحك بملء فيه ولا يدري أرضى الله أم أسخطه! وأبكاني فراق الأحبة محمد وحزبه ، وهول المطلع عند غمرات الموت ، والوقوف بين يدي الله عز وجل يوم تبدو السريرة علانية ثم لا أدري إلى الجنة أم إلى النار. وقال أبو الدرداء: لو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى الصعدات تبكون على أنفسكم ، ولتركتكم أموالكم لا حارس لها ولا راجع إليها إلا ما لا بد لكم منه ، ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الأمل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون! فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما فيه عاقبته لكم لا تحابون ولا تناصحون وأنتم إخوان على دين. ما فرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم ، ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم. ما لكم تناصحون في أمر الدنيا ، لا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته ، ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم ، لو كنتم توفقون بخير الآخرة وشرها كما توفقون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة ، لأنها أملك بأموركم فإن قلتم حب العاجلة غالب؟ فإننا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها ، تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراق في أمر لعلكم لا تدركونه! فبنس القوم أنتم ما حققتم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم ، فإن كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فانتونا فلنبين لكم ولنريك من النور ما تظمنن إليه قلوبكم ، والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم ، إنكم لتبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أمركم! ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على أسنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآثم ، وعامتكم قد تركوا كثيراً من دينهم بما لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حال بكم ، إنني لأرى الله قد تبرأ منكم بقاء بعضكم بالسرور ، فكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله ، فأصبحتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الأجل لوددت أن الله أراحني منكم وألحقتي بما أحب رؤيته لو كان حياً لم يصابركم ، فإن كان فيكم خير فقد أسمعتكم ، وإن تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيراً والله أستعين على نفسي وعليكم). وكان أبو الدرداء يقول: اللهم أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزى به عند عبد الله بن رواحة. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لبعير له عند الموت: أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أك أحملك فوق طاقتك. وجاء رجل إلى أبي الدرداء فقال: يا أبا الدرداء احترق بيتك؟ فقال: ما احترق بيتي! ثم جاء آخر فقال: يا أبا الدرداء احترق بيتك؟ فقال: ما احترق بيتي! ثم جاء آخر فقال: يا أبا الدرداء أتبعث النار ، فلما انتهت إلى بيتك طفيت فقال: قد علمت أن الله عز وجل لم يكن ليفعل! فقال رجل: يا أبا الدرداء ما ندري أي كلامك أعجب ، قولك ما احترق أو قولك قد علمت أن الله عز وجل لم يكن ليفعل!

قال ذلك لكلمات سمعتهن من رسول الله من قالهن حين يصبح لم تصبه مصيبة حتى يمسي ومن قالهن حين يمسي لم تصبه مصيبة حتى يصبح اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت ، عليك توكلت وأنت رب العرش الكريم ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم! وعن يحيى بن سعيد قال: استعمل أبو الدرداء على القضاء فأصبح يهنئونه فقال: أتهنئوني بالقضاء وقد جعلت على رأس مهواة مزلتها أبعد من عدن أبين ، ولو علم الناس ما في الأذان لأخذوه بالدول رغبة عنه وكراهية له ، ولو يعلم الناس ما في الأذان لأخذوه بالدول رغبة فيه وحرصاً عليه. وقد نظر أبو الدرداء إلى ثورين يحرثان في فدان ، فوقف أحدهما يحك جسمه فوقف الآخر ، فبكى أبو الدرداء وقال: هكذا الأخوان في الله يعملان لله فإذا وقف أحدهما وافقه الآخر! وإن موقفه مع جاريته ليدل على مدى تسامحه! قالت جارية لأبي الدرداء: إني سممتك منذ سنة فما عمل فيك شيئاً! فقال: لم فعلت ذلك؟ فقالت: أردت الراحة منك! فقال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله! عن معاوية بن قرة أن أبا الدرداء اشتكى فدخل عليه أصحابه فقالوا: ما تشتهي؟ قال: أشتهي ذنوبي! قالوا: فما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنة. قالوا: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: هو الذي أضجعتني. وعن لقمان بن عامر عن أم الدرداء أنها قالت: اللهم إن أبا الدرداء خطبني فتزوجني في الدنيا ، اللهم فأنا أخطبه إليك فأسألك أن تزوجنيه في الجنة! فقال لها أبو الدرداء: فإن أردت ذلك وكنت أنا الأول فلا تزوجي بعدي! قال فمات أبو الدرداء ، وكان لها جمال وحسن ، فخطبها معاوية فقالت: لا والله لا أتزوج زوجاً آخر في الدنيا ، حتى أتزوج أبا الدرداء إن شاء الله عز وجل في الجنة. وعن أم الدرداء أن أبا الدرداء لما احتضر جعل يقول: من يعمل لمثل يومي هذا؟ من يعمل لمثل ساعتی هذه؟ من يعمل لمثل مضجعي هذا؟ ثم يقول: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة! ودعا ابنه بلالاً فقال له: ويحك يا بلال! اعمل للساعة اعمل لمثل مصرع أبيك واذكر به مصرعك وساعتك فكأن قد ثم قبض ، ولما نزل الموت بأبي الدرداء بكى ، فقالت له أم الدرداء: وأنت تبكي يا صاحب رسول الله؟ قال: نعم ، وما لي لا أبكي ولا أدري علام أهجم من ذنوبي؟ وقال شميظ بن عجلان: لما نزل بأبي الدرداء الموت جزع جزعاً شديداً ، فقالت له أم الدرداء: ألم تك تخبرنا أنك تحب الموت؟ قال: بلى وعزة ربي ، ولكن نفسي لما استيقنت الموت كرهته ، ثم بكى وقال: هذه آخر ساعاتي من الدنيا لفتوني " لا إله إلا الله " ، فلم يزل يرددتها حتى مات! مات أبو الدرداء رضي الله عنه وأرضاه سنة اثنتين وثلاثين بدمشق. وقيل: سنة إحدى وثلاثين .

← يا شعراً صافح (أبا الدرداء) عن أمم
ويعدُّ باركُ له ما حلَّ بالصنم
أما انتصت له يسوق عبرته
مضماً نصها بأعطر الحكم؟!
يقول: لو كان فيه الخير ما قبلت
تحطيمه نفسه في مازق وخم!
إن لم يرد أدى عن نفسه عجلأ
فكيف يدفع عني سيء النقم؟!
إن لم يكن دارياً بالضر يلحقه
فكيف يدفع ضراً حل بالنسم؟

فلن ترى حاطماً يوماً بمنهزم
فهل دهى أذنه شيءٌ من الصمم؟!
ولا يُلامُّ على عبادتي صنمي
حتى هداني باري الخلق من عدم
ولم يحاسب ، ولم يهجر ، ولم يلم
ليست تُفرِّق بين النور والظلم
حتى يزف له الدخول في السلم
بما تمثل من منظومة القيم
لقلت: ليس بها كمثل ذاك كمي!
أكرم بشهم بشرع الله مُلتزم!
ومن يُحكّم كتاب الله يستقم
والزهدُ يقتل ما بالنفس من نهم
ومن يعيش يحذر المعادِ يعتنم
فلم يخف أبداً من هيبة الحكم
حتى بكى الناس من كهل ومحتلم
والزهدُ من أطيّب الطباع والشيم
والموتُ جاء ، وهذي سنة الحكم
عليك رضوانُ رب الناس كلهم!

إن لم يُصب حاطماً ببعض لعنته
إن لم يُجبني إلى ما قد دعوتُ به
أنا الملوّم على عبادةٍ سلفت
وابنُ الرواحة لم تنفع مواعظه
ولم يُعنف (أبو الدرداء) زوجته
بل لام نفسه على التفريط خلفها
وبعدُ راغ إلى (المختار) في شغفٍ
وأسلم الفارسُ الهمام مُحْتَفِلاً
ولو تراه يخط النصر في (أحد)
أثنى عليه نبيُّ الله في ملاء
يُغلبُ الحق في سر وفي علن
وبعدُ كانت له - في الزهد - مرتبة
وكان يُؤثر أخراه ويعمرها!
وكان يقضي بلا خوفٍ ولا وجل
وفي (دمشق) سرتُ دروسَ خطبته
حث الجميع على زهدٍ يُجملهم
ثم انتهت رحلة ما كان أقصرها!
أبتئذك اليوم بالدموع أدرفها!

الورد المرغوب في مدح أبي أيوب!

(شرفٌ كبيرٌ جداً للشاعر أن يزخرفَ ديوانه بقصائد عن أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم ورضي الله عن صحابته الأظهر الأبرار -! وواحدٌ منهم هو أبو أيوب الأنصاري - رضي الله عنه -! فمن يكون أبو أيوب؟ إنه أبو أيوب الأنصاري هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن الخزرج ، والمكْنَى بأبي أيوب الأنصاري ، وأمه هند بنت سعيد بن عمرو من بني الحارث بن الخزرج ، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - العديد من الأحاديث النبوية الشريفة ، كما روى عنه من بعده الكثير ، وشهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العديد من الغزوات ومنها بدر والعقبة ، وله الكثير من المواقف الخالدة والمشرفة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومع الصحابة ، وزوجة أبي أيوب الأنصاري هي الصحابية الجليلة أم أيوب الأنصارية وهي ابنة قيس ابن سعيد بن قيس بن عمرو بن امرئ القيس. إسلام أبو أيوب الأنصاري أسلم أبو أيوب الأنصاري مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل الهجرة إلى المدينة المنورة ، وقد خرج رضي الله عنه إلى مكة مع وفد المدينة الذين بايعوا نبي الله في بيعة العقبة الثانية ، وشارك مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في جميع الغزوات والمعارك ، وبعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يتخلف عن أي من المعارك السلامية العظيمة سوى واحدة. وأبو أيوب الأنصاري اتصف بصفات عظيمة القدر منها الصدق والزهد في الحياة ، والتواضع لله ومحبة الناس. والتسامح وتقديم العون للمحتاجين ، واحترام من هم أكبر منه سنًا. سمو الأخلاق وعدم التكبر ، فكان كل من يعرفه يحبه. وتحل بالإيثار وتقديم الآخرين على نفسه ، فكان يقضي حوائج الناس ويساعدهم ويؤثرهم على نفسه. وتحلى بتكريس حياته لدعوة الإسلام والجهاد في سبيل الله تعالى حباً لله ولرسول الله. جاء في الدرر السنية ما نصه: (نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب! وكان إذا أكل طعاماً بعث إليه بفضله ، فبعث إليه يوماً بطعام ولم يأكل منه النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أتى أبو أيوب النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فقال فيه الثوم ، فقال: يا رسول الله أحرامٌ هو؟ قال: لا ، ولكني أكرهه من أجل ريحِه! الراوي: جابر بن سمرة | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 1807 | خلاصة حكم المحدث: حسن صحيح | التخریج: أخرجه الترمذي (1807) واللفظ له ، وعبد الله بن أحمد في (زوائد المسند) برقم: (20888). إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ عَلَيْهِ ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السُّفْلِ ، وَأَبُو أَيُوبَ فِي الْعُلُوِّ ، قَالَ: فَانْتَبَهَ أَبُو أَيُوبَ لَيْلَةً ، فَقَالَ: نَمَشِي فَوْقَ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! فَتَنَحَّوْا فَبَاتُوا فِي جَانِبِ ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: السُّفْلُ أَرْفَقُ ، فَقَالَ: لَا أَعْلُو سَقِيفَةً أَنْتَ تَحْتَهَا ، فَتَحَوَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعُلُوِّ ، وَأَبُو أَيُوبَ فِي السُّفْلِ ، فَكَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا ، فَأَدَا جِيءَ بِهِ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ ، فَيَتَّبِعُ مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فِيهِ ثَوْمٌ ، فَلَمَّا رُدَّ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقِيلَ لَهُ: لَمْ يَأْكُلْ ، فَفَزِعَ وَصَعِدَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ: أَحْرَامٌ هُوَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ ، قَالَ: فَإِنِّي أَكْرَهُهُ مَا تَكْرَهُهُ - أَوْ مَا كَرِهْتِ - قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتِي. لقد هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ، ونزل في أول قدومه في ديار أخواله بني النجار في دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، فأحسن ضيافته وأكرم وفادته. وفي هذا الحديث يروي أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل ضيفاً

في بيته حين هاجر إلى أن يتخذ النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه داراً يسكنها ، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم في «السفل» ، والمراد به: الطابق الأرضي من البيت وأقام أبو أيوب رضي الله عنها وأهلها في الطابق العلوي منه ، فانتبه أبو أيوب رضي الله عنه ليلة ، واستيقظ من نومه ، فقال في نفسه أو قال لمن معه من أهله مستنكراً: «نمشي فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!»، يريد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان هو الأولى - لمقامه ومنزلته - أن يقيم في العلو ، وهم ينزلون في السفلى ، وهذا منه تعظيم لقدر النبي صلى الله عليه وسلم ، ففتح أبو أيوب وأهل بيته رضي الله عنهم ، وابتعدوا عن وسط السقف الذي يقيم فيه النبي صلى الله عليه وسلم تحته ، وأكملوا باقي ألينتهم وباتوا في جانب من جوانب البيت ، ثم أنهم لما قاموا حكى أبو أيوب رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم ما جرى بالأمس ، فقال له صلى الله عليه وسلم «السفل أرفق» ، والمعنى: أنه يفضل أن يبيت في سفلى البيت ، لأنه أسهل وأيسر له ولهم ؛ فأمّا كونه أيسر له: وذلك لكي لا يحتاج إلى الصعود إلى العلو وما في تكرار ذلك من المشقة ، وأمّا كونه أيسر لهم: فإن النبي صلى الله عليه وسلم ربما يأتيه الصحابة ومن يروره ، فلو كان في الأعلى فسيثرون على أبي أيوب رضي الله عنه وأهله صعوداً ونزولاً ، وقد يسبب ذلك حرماً لهم ، فقال أبو أيوب رضي الله عنه: «لا أعلو سقيفة أنت تحتها» ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم صدق أبي أيوب وعزمه على ألا يسكن الطابق العلوي ، تحول النبي صلى الله عليه وسلم في العلو وأبو أيوب رضي الله عنه في السفلى. وكان أبو أيوب رضي الله عنه يصنع ويعد للنبي صلى الله عليه وسلم طعاماً ، فإذا جاءه لابي أيوب - رضي الله عنه - ما بقي من الطعام ، سأل عن موضع أصابع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الطعام ، فإذا أخبره الآتي بالطعام بموضع أصابعه صلى الله عليه وسلم ، تتبّع موضع أصابعه في الأكل ؛ تبرّكاً به صلى الله عليه وسلم ، فصنع له أبو أيوب رضي الله عنه ذات يوم طعاماً فيه ثوم ، وكان صلى الله عليه وسلم لا يعيب طعاماً قط ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: «ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قط ، كان إذا انتهى شيئاً أكّله ، وإن كرهه تركه». فلما رد إليه الطعام سأل أبو أيوب رضي الله عنه عن موضع أصابع النبي صلى الله عليه وسلم ليتتبعها ويأكل منها ، فذكروا له أنه صلى الله عليه وسلم لم يأكل من هذا الطعام! ففرع وخاف أبو أيوب رضي الله عنه من عدم أكّله صلى الله عليه وسلم ؛ لخوفه أن يكون حدث منه أمرٌ أوجب الامتناع من طعامه ، فصعد أبو أيوب رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في العلو ، فسأله عن سبب تركه الطعام: «أحرام هو؟» يقصد الثوم ، فأجابته صلى الله عليه وسلم أنه ليس بحرام ، وإنما يكره صلى الله عليه وسلم أكّله ، فقال أبو أيوب رضي الله عنه: «فإني أكره ما تكره ، أو ما كرهت» وهذا بيان لعظيم حُب الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وبين أبو أيوب رضي الله عنه سبب امتناع النبي صلى الله عليه وسلم عن أكل الثوم ، فقال: «وكان النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى» أي: تأتيه الملائكة والوحي ؛ لذلك كان لا يأكل الثوم أبداً ؛ حتى لا تكون رائحة فمه كريهة ؛ لأن الملائكة تتأذى من الروائح الكريهة ؛ ولذلك ورد في الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلْ ؛ فإني أناجي من لا تناجي» ، يعني أحاطب الملائكة ، وقد روى أبو داود عن علي رضي الله عنه قال: «نهي عن أكل الثوم إلا مطبوخاً» ؛ لأن الطبخ يُميت رائحتها ، ويقلل آثارها. وفي الحديث: حُب الصحابة رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وتوقيره. وفيه: فضل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه. وفيه: إجلال أهل الفضل ، والمبالغة في الأدب

معهم).هـ. هذا ، ولقد شهد أبو أيوب الأنصاري مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - جميع الغزوات والمعارك ، وتكفيه مشاركته في غزوة بدر والتي كسب من بعدها المكانة الرفيعة والمنزلة العظيمة عند الله - سبحانه وتعالى - ؛ فالذين شاركوا في غزوة بدر كانت لهم من المكانة عند الله - تعالى - ما ليست عند غيرهم من الشهداء والغزاة ، وقد أطلق عليهم لقب الأبرار ، كما أنه خلال مشاركته في غزوة خيبر تولّى مهمة عظيمة ، وهي حراسة خيمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طيلة ليلي الغزوة ، فدعا له سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يبعد عنه الله كل شر جزاءً لما قدمه لرسول الله من حماية وحراسة. كما شهد أبو أيوب بيعة العقبة والفتوحات جميعها ، وعندما خرج علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - إلى العراق لمقاتلة الخوارج لحق به أبو أيوب - رضي الله عنه - لمشاركته في القتال ، وبعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استمرّ أبو أيوب الأنصاري في الجهاد في سبيل الله حتى استشهد رضي الله عنه خلال مشاركته في فتح القسطنطينية. وكان أبو أيوب الأنصاري أحد العشرة الذين حفظوا القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ إنّه من كُتّاب الوحي ، وقد تتلمذت على يده مجموعة من الصحابة منهم أنس بن مالك ، والبراء بن عازب ، وغيرهم ، كما له تلامذة من التابعين ، ويُذكر أنّ أبا أيوب الأنصاري قد ارتحل إلى مصر ذات مرة من أجل حديثٍ واحدٍ فقط أراد التأكيد منه ، وأمّا بالنسبة لعدد الأحاديث التي رواها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمختلف فيه ؛ إذ إنّ النووي يرى أنّ أبا أيوب الأنصاري روى مئة وخمسين حديثاً ، ويرى نور الدين القرافي أنّه روى ما يصل إلى مئتين وعشرة أحاديث ، أما الحافظ العزي فقال أنّه روى عددًا قليلاً من الأحاديث يصل إلى خمسين حديثاً. إنّ أبا أيوب الأنصاري رجل عظيم له العديد من المواقف الخالدة في التاريخ الإسلامي ، وفيما يأتي أبرز مواقفه العظيمة والمشرفة: أبو أيوب الأنصاري وإكرام الرسول اكتسب أبو أيوب الأنصاري شهرة واسعة وذاع صيته على نطاق واسع من الأرض ؛ وذلك عندما استضاف الرسول - صلى الله عليه وسلم - في بيته أول ما قدم إلى المدينة المنورة ، ويُطلق على أبو أيوب الأنصاري عند التُرك لقب "مهماندار رسول" ، والتي تعني باللغة التركية مضيف رسول الله ، حيث أقام الرسول - صلى الله عليه وسلم - في منزله بعد هجرته إلى المدينة. وعندما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة على ناقته استقبلته جموع الناس التي وقفت منتظرة قدومه وتبغى الحصول على شرف استضافته ، ووصل إلى دور بني سالم بن عوف فأمسكوا الناقة وقالوا للرسول صلى الله عليه وسلم:- "أقم عندنا فإنّ عندنا العدد والعدة والمنعة" ، فما كان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا أن ابتسم وقال لهم أن يتركوا الناقة تمشي وحدها فهي مأمورة ، وكانت كل قبيلة يمرُّ بها رسول الله تعترض طريق الناقة وتسال الرسول - صلى الله عليه وسلم - الإقامة عندها ، وهو يُعيد الجواب ذاته أن يتركوا الناقة فهي مأمورة وهو مبتسم امتناناً وشكرًا لهم. وظل كذلك إلى أن وصلت الناقة حي عدي بن النجار، وبركت أمام دار بني مالك بن النجار ، وكانت الدار دار أبو أيوب الأنصاري الذي أصبح الجميع يغبطه على عظيم ما حصل عليه من استضافة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد لبث الرسول - صلى الله عليه وسلم - في بيت أبو أيوب الأنصاري شهرًا. وأبو أيوب الأنصاري كان له في حادثة الإفك موقف عظيم بارز في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ، فعند وقوع حادثة الإفك استغل المنافقون الموقف لنشر الإشاعات الكاذبة والباطلة على أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ، وكان أبرزهم عبد الله بن أبي بن سلول ، ثم أنزل الله - سبحانه وتعالى -

آيات يُظهر فيها براءة السيدة عائشة من التهم التي أقيمت عليها ، ومن هذه القصة نرى الكثير من الدروس والعبر للمؤمنين ليستفيدوا منها في حياتهم إلى أن تقوم القيامة ؛ ومنها أن يُحسن المؤمن ظنّه بالآخرين حتى لا يجد الشيطان مجالاً للإيقاع بينهم. وفي حادثة الإفك برزت عدّة نماذج من الصحابة رضي الله عنهم أحسنوا الظن بعائشة - رضي الله عنها - ، ومنهم أبو أيوب الأنصاري الذي سألته زوجته إن كان سمع ما يقول المنافقون في عائشة ، فقال لها إنّه سمع وإنّ هذا الكلام ما هو إلا كذب وافتراء على أم المؤمنين ، ثم سأل زوجته هل تفعلين هذا الشيء فقالت إنّها لا تفعله ، فقال: "إذا كنت لا تفعلين ذلك فإنّ عائشة خيراً منك ويستحيل أن تفعله" ، وفيه نزلت الآية: (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ). وذات يوم رأى مروان بن الحكم يوماً رجلاً يضع رأسه على قبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وحين رفع رأسه وجد أنّه أبو أيوب الأنصاري ، فاستنكر عليه مروان بن الحكم ذلك وسأله هل تعلم ما أنت فاعل ، فأجابهُ أبو أيوب أنّه جاء عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليس عند حجارة القبر ، ثم قال أنّه سمع الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول: (لا تَبْكُوا عَلَى الدِّينِ إِذَا وَلِيَهُ أَهْلُهُ ، وَلَكِنْ ابْكُوا عَلَيْهِ إِذَا وَلِيَهُ غَيْرُ أَهْلِهِ) ، وتجدد الإشارة إلى أنّ هذه الحادثة من القصص الضعيفة التي لم يَصِحْ إثباتها. ذكر ابن عباس رضي الله عنه في سيرته أنّه عندما كان أميراً على البصرة في عهد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه وأرضاه - أنّ أبا أيوب الأنصاري جاء إليه ، فما كان من ابن عباس إلا أن أحسن استقبال أبي أيوب جزاءً له على استقباله للنبي - صلى الله عليه وسلم - وإنزاله له في بيته حين هاجر للمدينة ، فأعطاه أربعين ألفاً وعشرين مملوكًا ومتاع البيت. وشارك أبو أيوب في فتح القسطنطينية ، وذلك عندما قرّر معاوية أن يرسل ابنه يزيد لفتح القسطنطينية ، فسمع أبو أيوب الأنصاري النداء للجهاد ، فاتطوع بحمل سيفه ورمحه ويتجهز للقتال ، وكان آنذاك شيخًا كبيرًا قد وصل الثمانين من عمره ، فقال له أبنائه: إنّك شيخ كبير لا تقوى على القتال ، فقال لهم إنّ الله تعالى يقول: (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ). وخرج مع الجيش متوجهًا للجهاد وركب البحر وهو يردّد لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وما أن بدأت المعركة حتى أوصى أصحابه أن يدفنوه تحت أسوار القسطنطينية إذا قُتل اليوم ، لعَلَّ الله - سبحانه وتعالى - أن يبعثه يوم القيامة مؤمنًا بين الكافرين ، وبدأ معهم القتال بكل ما يملك من قوة وإيمان حتى قُطع رأسه والذي كان ساجدًا لله - سبحانه وتعالى - طيلة حياته - رضي الله عنه - ، ودُفن أبو أيوب الأنصاري حيثما وصّى ، وبذلك سُمّي رضي الله عنه بشهيد القسطنطينية. ومن هنا كانت هذه القصيدة في مدح أبي أيوب الأنصاري - رضي الله تعالى عنه -!

أبا أيوبَ أطريك افتخارا وحباً ، واعتزازاً ، وانتصارا
ولا أوفيك حقاك يا عظيمًا ولست أضيفُ - بالشعر - اقتدارا
فإنك - في سماء الفخر - بدرٌ ونورُ البدر ينتشرُ انتشارا
(بنو النجار) قومك في الثريا وإن لهم - بيثربنا - اشتهارا
وإنك منهم أبأ وأمأ! وبالنسب العظيم غدوا منارا

وَجُودُ الشَّهِيمِ جُودٌ لَا يُبَارَى
بَلْ اتَّخَذُوا تَنْقَصَهَا شِعَارًا
وَقَبْلَ عَطَائِهِمْ ذَاقَ الْمَرَارَا
كَمَا اقْتَسَمُوا الْحَلَائِلَ وَالْدِيَارَا
وَجُلُ النَّاسِ يَحْتَرِمُ الْخِيَارَا
وَنَاقُثُهُ اصْطَفَتْ مَأْوَاكَ دَارَا
وَقَدْ أَحْسَنْتَ - يَا فِذَ - الْجَوَارَا
فَإِنْ لَدَيْكَ - فِي الدَّارِ - الْيَسَارَا
وَفِي الْهَيْجَاءِ تَفْتَرِسُ الْكِفَارَا
تَقُولُ لَزَوْجِكَ: اعْتَبِرِي اعْتَبَارَا
وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَنْهَمِرُ انْهَمَارَا
فَقَالَتْ: لَا! وَدَمْعُ الْقَلْبِ فَارَا!
وَتَخْتَبِرُ الْعَفِيفَ بِهِ اخْتِبَارَا
أَجْنَبِي ، لَا تُكَلِّفْنِي اعْتِذَارَا!
وَأَدْمَعُهُ غَدَتْ غَيْثًا جَارَا!
حَصَانٌ ، لَا أَظُنُّ بِتَلْكَ عَارَا!
بِهِ افْتَخَرْتُ قَبِيلَتَهُ افْتِخَارَا!
وَأَحْكَمْتُ الْجِرَاسَةَ وَالْحِصَارَا
بِيَوْمِ الْعُرْسِ ، فِيهِ الْعَقْلُ حَارَا
وَزَوْجًا كَانَ مَصْرَعُهُ خَسَارَا
وَمَقْتَلُهُ غَدَا رُزْعًا وَثَارَا
لِذَا كَانَ احْتِيَاطِي لِي اخْتِيارَا

وَبَذُلُ الصِّيدِ كَانَ لَهُمْ رَصِيدًا
هُمْ الْأَنْصَارُ ، مَا انْتَصَرُوا لِدُنْيَا
فَبِالْأَنْصَارِ عَزَّ السِّلْمُ دَهْرًا
هُمْ اقْتَسَمُوا الدَّرَاهِمَ وَالْمَوَالِي
يَمِينُ اللَّهِ كَانُوا خَيْرَ قَوْمٍ!
وَهَاجِرَ (أَحْمَدٌ) فِي خَيْرِ رَكْبٍ
وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ ضَعِيفًا عَلَيْكُمْ
أَبَا أَيُّوبَ ضَعِيفًا مَسْتَرِيحًا
وَفِي (بَدْرٍ) رَأَى الْكَلَّ لَيْثًا
وَفِي (الْإِفْكِ) انْبَرَيْتَ تَمْجُجُ زَعْمًا
وَقُلْتَ لَهَا: سَأَسْأَلُ فَاسْتَعْدِي
فَهَلْ تَأْتِينَ مَا قَالُوهُ إِفْكَاءً؟
وَرَدَّتْ سُؤْلَهُ تَرْجُو جَوَابًا
فَهَلْ تَأْتِي الَّذِي اسْتَفْسَرْتَ عَنْهُ؟!
فَقَالَ الشَّهِيمُ: لَا ، وَاللَّهِ رَبِّي!
فَقَالَتْ: (عَانِشٌ) أَخَيْرُ مِنِّي
و(صَفْوَانٌ) وَرَبِّي مِنْكَ أَرْجَى
وَكَنْتُ بِخَيْرِ نَعْمِ الْمَوَاسِي
تَخَافُ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ اغْتِيَالِ
تَقُولُ: (صَفِيَّةٌ) فَقَدْتُ أَبَاهَا
وَبَعْدُ أَخًا عَزِيزًا كَانَ رَدْعًا
فَلَمْ أَمْنُ عَلَيْكَ الْقَتْلَ مِنْهَا

فقال المصطفى لليث: خيراً!
وكم جُبت البلادَ لنيلِ علم!
وحفظك للكتاب دليلُ فقهِ
وفي (القسطنطينية) صرت شيخاً
ولكنْ يركبُ البحرَ احتساباً
وبعدُ يموتُ مُحْتَفِلاً بنصر
يقول: ألا ادفنوني في ثراها
فرضوانُ المليكِ عليك دوماً

لقد أسعدت خاطرهُ نهارة!
وما استثقلت بَدلاً أو مزاراً
وبالقرآن تبتشُرُ ابتشاراً
يُجاهدُ ليس يسترضي البحاراً
لكي يُلقي - على الأعداء - ناراً
وإذ بالليثِ يُحتضِرُ احتضاراً
لعلَّ الكفرَ يندجرُ اندحاراً
وأسكنك الجنانَ جزاً وداراً!

الخلاص في مدح عمرو بن العاص!

(إن الحقيقة التي ينبغي التسليم بها ، أن هناك شخصيات تاريخية عديدة في القديم والحديث اشتهرت بالحيلة والمكر والدهاء ، وإن كانت للتاريخ العربي القديم الحصة الأكبر والنصيب الأوفر من هذه النوعية من الشخصيات ، ويقال إن دهاة العرب الكبار أربعة: معاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، وزيايد ابن أبيه والمغيرة بن شعبة. ويروى أن الأصمعي قال: "كان معاوية - رحمه الله - يقول: أنا للأناة ، وعمرو للبديهة ، وزيايد للكبار والصغار ، والمغيرة للأمر العظيم". وقال الشعبي: "القضاة أربعة: أبو بكر ، وعمر ، وابن مسعود ، وأبو موسى. والدهاة أربعة: معاوية ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة ، وزيايد". وقال الزهري: "الدهاة خمسة: معاوية وعمرو والمغيرة ، واثنان مع علي وهما قيس بن سعد بن عبادة وعبد الله بن بديل بن ورقاء". ويبدو أنه لا أحد من العرب قديماً ومن القضاة أو المؤرخين للتاريخ الإسلامي ، يمكن أن يسهو أو يغفل عن ذكر عمرو بن العاص في مقام الحديث عن الدهاء ، فقد اتفق الجميع أن عمرو بن العاص هو "داهية العرب" بلا منازع ، وذلك لما عُرف عنه من حسن تصرف وذكاء ، فما كان يتعرض إلى أي مأزق حتى كان يتمكن من الخروج منه ، وذلك بأفضل الحلول الممكنة ، فكان من أكثر رجال العرب دهاء وحيلة. وكان الصحابي الجليل عمرو بن العاص - رضي الله عنه - من حكماء العرب وعظمائهم! فمن كلامه: (الكلام كالدواء إن أقللت منه نفع ، وإن أكثرته منه قتل). وذات يوم مرَّ على بغل مَيِّت ، فقال لبعض أصحابه: لأنَّ يأكل الرَّجُل من هذا حتَّى يملأ بطنه ، خيرٌ له من أن يأكل لحم رجل مسلم. ومن كلامه: (ما استودعت رجلاً سراً فأفشاه فلمته ، لأنِّي كنت أضيق صدرًا حين استودعته). ولقد بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمرًا في غزوة ذات السلاسل ، فأصابهم برد ، فقال لهم عمرو: لا يوقدنَّ أحد نارًا ، فلما قدم شكوه فقال: يا نبي الله ، كان فيهم قلة ، فخشيت أن يرى العدو قلتهم ونهيتهم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون لهم كمين. فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن كلامه: (لا أملُّ ثوبي ما وسعني ، ولا أملُّ زوجتي ما أحسنت عِشرتي ، ولا أملُّ دابتي ما حملتني ، إنَّ الملل من سيئ الأخلاق). وقيل لعمر بن العاص: ما المروءة؟ قال: يصلح الرجل ماله ، ويحسن إلى إخوانه. قال عمرو لابنه: ما الرفق؟ قال: أن تكون ذا أناة فتلاين الولاية؟ قال عمرو: فما الخرق؟ قال عمرو: معاداة إمامك ، ومناوأة من يقدر على ضررك. قال عمرو: كل آية في القرآن درجة في الجنة ، ومصباح في بيوتكم. وقال: من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه ، إلا أنه لا يوحى إليه. ومن كلامه كذلك: (كلما كثر الأخلاء كثر الغرماء يوم القيامة ، ومن لم يواس إخوانه بكل ما يقدر عليه ، نقصوا من محبته بقدر ما نقص من مواساتهم). ومن حكمه: (إمام غشوم خير من فتنة تدوم). ومن قوله: (ليس الواصل الذي يصل من وصله ، ويقطع من قطعه ، وإنما ذلك المنصف. وإنما الواصل: الذي يصل من قطعه ، ويعطف على من جفاه. وليس الحليم الذي يحلم عن قومه ما حلموا عنه ، فإذا جهلوا عليه جاهلهم ، وإنما ذلك المنصف. وإنما الحليم الذي يحلم إذا حلموا ، فإذا جهلوا عليه حلم عنهم). قال عبد الله بن عمرو بن العاص: كان أبي كثيرًا ما يقول: إني لأعجب من الرجل الذي ينزل به الموت ، ومعه عقله ولسانه ، فكيف لا يصفه. قال: ثم نزل به الموت ، ومعه عقله ولسانه ، فقلت: يا أبتِ قد كنت تقول: إني لأعجب من رجل ينزل به الموت ، ومعه عقله ولسانه ، كيف لا يصفه. فقال: يا بني ، الموت أعظم من أن يوصف ، ولكن سأصف لك منه شيئًا ، والله لكان على كتفي جبال رضوى وتهامة ، ولكأن روعي تخرج من ثقب إبرة ، ولكأن

في جوفي شوكة عوسج ، وكان السماء أطبقت على الأرض ، وأنا بينهما. وتحت عنوان: (صفات عمرو بن العاص) تقول الأستاذة الأدبية: عائشة الظفيري ما نصه بتصريف: (أسلم عمرو قبل فتح مكة ، وكان ذا شأن عظيم عند قومه ومن رؤساء قريش في الجاهلية ، وقد كان عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أدعجاً ؛ أي ذو عيون واسعة شديدة البياض والسواد ، وكان طلق الوجه ، ويتمتع بحضور عظيم رغم قصر قامته ، ما بين منكبيه عريض ، وجبهته بارزة ، وله فم واسع ولحية كثيفة ، وقد كان عظيم الكفين والقدمين. ذكر أحمد بن يعقوب الثقفي أن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - كان يَخْضَبُ بالسَّوَادِ ؛ ومعنى ذلك أنه كان يُلَوِّنُ شعره المشيب بالأسود بالحنة ونحوه. وأما عن صفات عمرو بن العاص الخُفْيَةِ الدهاء نقل المؤرخون كالأدهبي وغيره أن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - كان يتمتع بالدهاء والذكاء ، وكثرة حيله ، وسعة فهمه ، وسرعة بديهته ، وسداد رأيه ، وقد كان حازماً مجيداً بإعطاء الحلول والقرارات والآراء ، وفعالاً في الحروب ؛ فقد ثبت عن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أنه قال: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ). وقد كان عمرو بن العاص من ذهابة العرب في زمانه مع معاوية والمغيرة ، وكان أدهاهم في حلّ المعضلات ، وكان كذلك حتى قبل إسلامه ، وكان من أمراء قومه وأشرفهم ، ومدحه النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ووصفه بالصلاح ، فقد قال عمرو - رضي الله عنه - إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له: (يا عمرو ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُغْنِمَكَ اللَّهُ ، وَأَرْغَبَ لَكَ رَغْبَةً مِنَ الْمَالِ صَالِحَةً ، قُلْتُ: إِنِّي لَمْ أَسْلَمْ رَغْبَةً فِي الْمَالِ ، إِنَّمَا أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ ، فَأَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ: يَا عَمْرُو ، نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ). وتميز عمرو بن العاص - رضي الله عنه - بفصاحة لسانه وطلاقته ، وبلاغة مفرداته وألفاظه ، وقد كان قارئاً مُتَقَنَّاً لكتاب الله - تعالى - ، وقد كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إذا رأى أحداً ركيك اللفظ قال له: "سبحان الله ، خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد". ومن الأمثلة الدالة على فصاحته ، ودقّة وصفه ، وجميل كلامه ؛ لما طلب الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - منه وصف مصر عندما كان أميراً عليها ، فوصفها له بتفاصيل فريدة ودقيقة ، فقال فيه عمر بن الخطاب: "لله درك يا ابن العاص ، لقد وصفت لي مصر حتى كأنني شاهدها". ولديه الخبرة العسكرية والقيادة الناجحة ، فلقد لاحظ النبي - صلى الله عليه وسلم - دهاء عمرو بن العاص ، وذكائه ، وكثرة حيله ، فأرسله قائداً والياً لمعركة ذات السلاسل ؛ لحسن سياسته ، وأزره الرسول - صلى الله عليه وسلم - بمئتين من المسلمين بقيادة أبي عبيدة ، وكان من ضمنهم أبو بكر ، وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهم جميعاً - وقد كانت هذه الغزوة بعد غزوة مؤتة ، وقد أعادت للمسلمين هيبتهم وشوكتهم بين الناس. وقد جعله عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في وقت خلافته أميراً على مصر لخبرته ونجاح قيادته. وقد اجتهد عمرو بن العاص - رضي الله عنه - في مسألة اشتهرت عنه ؛ وهي عندما أمّ بالجيش في معركة ذات السلاسل وهو جنب دون أن يغتسل ، وكان قد اكتفى بالتيمم خوفاً على نفسه من الهلاك ؛ لبرودة الجو ، مُستدلاً بقوله - تعالى -: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) ، ووجه الدلالة من الآية أنه لو اغتسل غُسلًا كاملاً رغم برودة الجو لهلك وقتل نفسه ، وهذا مُنافي لقوله - تعالى - في الآية السابقة. وقد سكت النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وضحك ولم ينهه ولم يأمره بالإعادة ، وقد نقلت هذه الحادثة بأثر صحيح ، فعن عمرو بن العاص أنه قال: (إِنَّ عَمْرًا صَلَّى بِنَا وَهُوَ جُنْبٌ! فَقَالَ

الرَّسُولُ: يَا عَمْرُو، صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟ فَأَخْبِرَهُ بِالَّذِي مَنَعَهُ مِنَ الْاِغْتِسَالِ ، لَقَدْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ قَسْوَةَ الْبَرْدِ ، وَاللَّهُ يَقُولُ: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) فَضَحِكَ الرَّسُولُ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا). هـ. وجاء في إسلام أون لاين أن كتب الأستاذ نور الدين قلالة تحت عنوان: (دهاء عمرو بن العاص .. "الذي آمن وأسلم الناس") ما نصه: (لقد اشتهر الصحابي الجليل عمرو بن العاص بالدهاء والحيلة وحسن التصرف في المواقف ، حيث كانت العرب تقول: "معاوية للمعضلة وعمرو للبديهة ، والمغيرة بن شعبة لكل صغيرة وكبيرة" ، وقيل عن دهاء عمرو بن العاص بأنه "كان داهية العرب رأياً وحزماً وعقلاً ولساناً". والصحابي الجليل عمرو بن العاص – رضي الله عنه – هو أحد فرسان قريش وأبطالها ، وأذكى رجال العرب ، وأشدهم دهاءً وحكمةً وحيلةً ، وكان إسلامه قبيل فتح مكة ، وعرف عنه أنه مجاهداً شجاعاً يحب الله ورسوله ، ويعمل على الدوام لرفع لواء الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، وكان رسول الله يحبه ويوليه العديد من المهمات وقيادة الجيوش ، ويقول عنه: "عمرو بن العاص من صالح قريش ، نعم أهل البيت أبو عبد الله ، وأم عبد الله ، وعبد الله". أسلم عمرو بن العاص قبيل فتح مكة ، وقال: ما رفعت بصري في وجه النبي صلى الله عليه وسلم حياءً منه. ومن جميل كلامه: "ليس العاقل من عرف الخير من الشر، ولكن العاقل من عرف خير الشرين". وقد اشتهر العرب قديماً بحيلهم في الطب والفقه والهندسة والسياسة، وتعددت مؤلفاتهم التي تتناول هذا المجال حتى تجاوزت المئات. ولقد امتدح القدماء محاسن الحيل ، وأثنوا عليها ، وبيتوا الفرق بينها وبين خدع المحتالين ، فليس المقصود بالحيل هنا تلك الوسائل الملتوية ، والطرق الخبيثة التي يتبعها الدجالون في نهب أموال الناس ، وتزوير حقائق الأمور ، بل المقصود من لفظ الحيل والدهاء هو إعمال الفكر ، وتشغيل العقل ، واستخدام الحكمة ، للخروج من مأزق معين ، أو لحل مشكلة ما. الحيلة والدهاء في الإسلام يقول الأستاذ محمد فتحي النادي أن القرآن الكريم ذكر طرفاً من استخدام الحيلة في قصة سيدنا يوسف - عليه السلام - مع إخوته ، عندما وضع صواع الملك في رحل أخيه ، وأذن مؤذن من جنود سيدنا يوسف: {أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ}. يقول عز وجل: {كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ}. قال القرطبي: "وفيه جواز التوصل إلى الأغراض بالحيل إذا لم تخالف شريعة ، ولا هدمت أصلاً ، خلافاً لأبي حنيفة في تجويزه الحيل وإن خالفت الأصول ، وخرمت التحليل". وقد استفاد رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- من احتيال نعيم بن مسعود في غزوة الأحزاب ، وقد أفضل الله بكيده وتدبيره مسعى قريش وغطفان ويهود. فكانت الهزيمة في معركة الأحزاب بالحيلة والدهاء ، وليس السيف هو الذي حسم المعركة ، بل إن السيف لم يكسب يستخدم فيها. فمن هذا الرجل الذي لم يكن فقيهاً أو عالماً ليحظى بهذه المكانة الخاصة؟ من هو عمرو بن العاص؟ إنه عمرو بن العاص بن وائل السهمي ، وهو قائد إسلامي عظيم تمتع بعقلية قيادية مميزة ، ودهاء خارق وذكاء كبير مكنه من اجتياز العديد من المعارك والفوز بها ، أعلن إسلامه في العام الثامن للهجرة مع كل من خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة ، وفي الإسلام كان ابن العاص مجاهداً وبطلاً ، يرفع سيفه لنصرته ، وعندما أعلن إسلامه قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أسلم الناس وأمن عمرو بن العاص". ولد عمرو بن العاص في الجاهلية ، والده العاص بن وائل أحد سادة العرب في الجاهلية ، شرح الله صدره للإسلام في العام الثامن من الهجرة ، ومنذ ذلك الحين كرس عمرو حياته لخدمة المسلمين ، وقام الرسول صلى الله عليه وسلم بتوليته قائداً على الكثير من البعثات والغزوات ، فكان أحد القادة في فتح الشام ويرجع له

الفضل بعد الله تعالى في فتح مصر. كان عمرو بن العاص أحد دهاة العرب ، عُرف عنه ذكاءً لم يسبق له مثيل بين جميع قادة المسلمين. وسبب تسميته بدهاية العرب أنه كان واسع الحيلة في تدبير الأمور ، وهناك الكثير من القصص التي وصفته كأسطورة ، حتى أن عمر بن الخطاب لقبه بـ "أرطوبون العرب". والمقصود بالأرطوبون عندهم الداهية أو الرجل المفرط في الذكاء! ولكن دهاء عمرو بن العاص يخونه في الحبشة ، وربما لا يذكر التاريخ فشل دهاء عمرو بن العاص في أي حادثة تعرض لها سواء كان ذلك في الجاهلية أو في الإسلام ، فقد تمكن عمرو من الخروج من كل المآزق والمشكلات التي وقع بها بفضل حيلته وذكاءه. ولكن دهاء عمرو بن العاص خانته في موقف سجله التاريخ الإسلامي بكل تفاصيله ، ولا يزال هذا الموقف شاهداً على أن عمرو بن العاص الذي نجح في كل المهمات الصعبة التي أوكلت إليه قبل الإسلام وبعده! حيث فشل في مهمة كلفه بها سادة قريش قبل إسلامه ، وهي أنه عندما ذهب خلف مجموعة من المهاجرين المسلمين الذين لجأوا إلى الحبشة ، حين أرسلته قريش لردهم إلى مكة. حيث فشل - رضي الله عنه - في مهمته مع النجاشي أمام قوة و عظمة وصدق الإيمان. كانت هذه الحادثة من أبرز مواقف عمرو بن العاص ضد المسلمين في جاهليته ، حيث سافر إلى الحبشة ، معتمداً على ذكائه ودهائه ومحملاً بالهدايا إلى النجاشي (ملك الحبشة) ، ليقنعه بتسليمه أولئك المهاجرين المسلمين. لكن النجاشي وبعد أن استمع للطرفين رفض أن يسلمهم إياه ، وقال: "انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً". لكن دهاء عمرو بن العاص كان يغلي في عروقه ، فعندما خرجا من بلاط الملك، قال عمرو: "والله لأنبئنهُ غداً عبيهم ، والله لأخبرنهُ أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد". لكن النجاشي وبعد أن تلا على مسامعه أحد المهاجرين - وكان جعفر بن أبي طالب - ما جاء في القرآن الكريم عن سيدنا عيسى عليه السلام ومريم العذراء. ضرب يده على الأرض وقال: "والله يا عمرو لن أسلمكم هؤلاء ولو جبجل من ذهب!" ثم قال لعمرو بن العاص: "يا عمرو ، كيف يعزب عنك أمر ابن عمك؟ فوالله إنه لرسول الله حقاً" ، قال عمرو: أنت تقول ذلك؟ قال: أي والله ، فأطعني" ، فخرج عمرو من الحبشة قاصداً المدينة ، وكان ذلك في شهر صفر سنة ثمان من الهجرة ، فقابلته في الطريق خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة ، وكانا في طريقهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فساروا جميعاً إلى المدينة ، وأسلموا بين يدي رسول الله ، وكان النجاشي قد أعلن إسلامه هو الآخر. وهناك ست قصص في دهاء عمرو بن العاص ، فاقد كان عمرو بارعاً في القتال ويحسن المفاوضة والخداع ، اللذين لا يخلوان من الذكاء وابتكار الحيل في فن المعارك. وهذه هي القصص الست التي تبين دهاء عمرو بن العاص وفطنته وذكاءه ، خاصة في المواقف الحرجة التي تتطلب حلولاً فورية. 1- القصة الأولى: داء قطاع الطرق! يُحكى أنه في أحد الأيام بينما كان عمرو بن العاص في الطريق إلى المدينة لوحده اعترضه جماعة من قطاع طرق ، وأمسك زعيمهم بتلابيبه. لم يكن قطاع الطرق يعرفون هوية الرجل الأسير ، بل كانوا يهتمون بسلبه وقتله كأنناً من يكون ، لكن عمرو استوقفهم قائلاً: "توقفوا. إن قتلتموني بالسيف متنا جميعاً". استغرب قطاع الطرق ، وسألوه: "لماذا؟" أجابهم عمرو: "إن بي داء ، فإن انتشر دمي ، يموت كل من حولي". توقفوا متبادلين نظرات حائرة ، فأردف قائلاً: "وما أتى بي وحدي إلى هنا إلا أنني أردت الذهاب لمكان لا يكون فيه أحد ، فأموت وحيداً وأوقف المرض اللعين عن العرب". ثم سأل: "من أمسكني منكم بيده؟" فأشاروا إلى زعيمهم وقالوا: "هو زعيمنا". فقال عمرو: "لا أبرح مكاني حتى يذهب معي ، فقد مسه الداء". هنا ، توجس قطاع الطرق خيفة

من زعيمهم الذي اقتنعوا أن عدوى المرض لا بد قد أصابته ، وكانوا يعرفون قسوته وبطشه ، ففروا منه هاربين ، تاركين إياه وحيداً مع الأسير. هنا ، قال عمر بن العاص لزعيم قطاع الطرق: "الآن سأريك ما الداء ، ألا وهو الذكاء. إنني أخاف أن تصبح أذكى مني وأنت قاطع طريق ، فلا يستطيع الناس الخروج آمنين من ديارهم". ثم هجم عليه وقتله. 2- القصة الثانية: حصن بابليون وفتح مصر! وتروى قصة أخرى عن دهاء عمرو بن العاص في أثناء حربه مع الرومان في مصر ، إذ دعاه قائد "حصن بابليون" الروماني ليحادثه ويفاوضه ، بينما أعطى أمراً لرجاله بالبقاء صخرة فوقه لدى خروجه من الحصن ، وأعد كل شيء ليكون قتل ضيفه محتوماً. دخل عمرو على القائد الروماني ، وجرى اللقاء بينهما. حين خرج عمرو في طريقه للانصراف إلى خارج الحصن ، لمح فوق الأسوار حركة مريبة أيقظت فيه حاسة الحذر ، وسرعان ما تصرف بشكل مفاجئ ، إذ عاد إلى داخل الحصن بخطوات ونييدة مطمئنة وملامح بشوشة واثقة ، كأنما لم يفزعه شيء ، ولم يثر شكوكه أمر. دخل عمرو على القائد الروماني وقال له: "تذكرت أمراً ، وأردت أن أطلعك عليه. إن معي حيث يقيم أصحابي جماعة من أصحاب الرسول السابقين إلى الإسلام ، لا يقطع أمير المؤمنين بأمر دون مشورتهم ، ولا يرسل جيشاً من جيوش الإسلام إلا جعلهم على رأس مقاتليه ، وقد رأيت أن آتيك بهم حتى يسمعوا منك مثل الذي سمعت ، ويكونوا من الأمر على مثل ما أنا عليه من بيته". هنا ، ظن قائد الروم أن عمرو بن العاص منحه بسذاجة وغباء فرصة العمر ، فصمم على أن يسايره ويوافقه على رأيه حتى إذا عاد ومعه تلك النخبة من زعماء المسلمين وخيرة رجالهم وقادتهم أجهز عليهم جميعاً بدلاً من أن يُجهز على عمرو بن العاص وحده. أعطى القائد الروماني بإشارة خفية أمره بتأجيل الخطة التي كانت مُعدة لاغتيال عمرو ، وودعه بحرارة أكبر من السابق. ابتسم داهية العرب وهو يغادر الحصن آمناً مطمئناً. في الصباح ، عاد عمرو إلى الحصن ممتطياً سهوة جواده على رأس جيشه ، ثم قام بفتح مصر. 3- القصة الثالثة: النار وتفريق الجمع بعد إسلام عمرو بن العاص! لقد أولى إليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - مهمة تفريق جمعاً لقضاة ، حيث كانوا ينوون غزو المدينة ، فسار عمرو بسرية سُميت "ذات السلاسل" ، وقد استطاع عمرو تحقيق النصر في هذه المهمة وتدبير شؤون المقاتلين ، وخلال عودة الجيش الإسلامي كانوا قليلي العدد وكان الجو بارداً فأرادوا أن يوقدوا ناراً ، ولكن عمرو بن العاص منعهم من ذلك ، فشكوه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال عمرو للرسول حينها أنه خشي أن يلتفت العدو لقلّة عدد المسلمين العائدين معه فيقومون بعمل كمين لقتالهم ، ولهذا منعهم من أن يوقدوا ناراً ، فما كان من الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلا الإشادة بعمله هذا وبُحسن تدبيره للسرية. 4- القصة الرابعة: بين معاوية وعلي والأشعري التحكيم في الخلاف بين علي ومعاوية! وهذا من أكثر المواقف شهرة في حياة عمرو في التحكيم ، وكانت فكرة أبو موسى الأشعري (المُمثّل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه) الأساسية هي أن الخلاف بينهما ، والذي وصل إلى نقطة حرجية ، راح ضحيتها الآلاف ، فلا بد من نقطة بدء جديدة ، تعطي المسلمين فرصة للاختيار بعد تنحية أطراف النزاع ، وأبو موسى الأشعري على الرغم من فقهه وعلمه فهو يعامل الناس بصدقه ويكره الخداع والمناورة التي لجأ إليها الطرف الآخر ممثلاً في عمرو بن العاص (مُمثّل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه) الذي لجأ إلى الذكاء والحيلة الواسعة في أخذ الراية لمعاوية. ففي اليوم التالي لاتفاقهم على تنحية علي ومعاوية وجعل الأمر شورى بين المسلمين. دعا أبو موسى عمراً ليتحدث فأبى

عمرو قائلاً: ما كنت لأتقدمك وأنت أكثر مني فضلاً وأقدم هجرة وأكبر سناً. وتقدم أبو موسى وقال: يا أيها الناس ، إنا قد نظرنا فيما يجمع الله به ألفة هذه الأمة ويصلح أمرها ، فلم نر شيئاً أبلغ من خلع الرجلين - علي ومعاوية - وجعلها شورى يختار الناس لأنفسهم من يروونه لها ، وإني قد خلعت علياً ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من أحببتهم. وجاء دور عمرو بن العاص ليعلن خلع معاوية كما تم الاتفاق عليه بالأمس ، فصعد المنبر وقال: أيها الناس ، ان أبا موسى قد قال ما سمعتم ، وخلع صاحبه ، ألا وإني قد خلعت صاحبه كما خلعه ، وأثبتت صاحبي معاوية. ولم يحتمل أبو موسى المفاجأة ، فلفح عمرو بكلماتٍ غاضبةٍ ثائرة ، فرد عليه عمرو بنفس الأسلوب الجارح. 5- القصة الخامسة: أمير المؤمنين ومتع الدنيا! كان سيدنا معاوية بن أبي سفيان وسيدنا عمرو بن العاص يجلسان - في أخريات حياتهما - يتكلمان معاً ، فيقول عمرو بن العاص لمعاوية: يا أمير المؤمنين: ماذا بقي لك من متع الدنيا؟ قال معاوية: أما الطعام فقد سئمت أطيبه ، وأما اللباس فقد مللت ألينه ، وحظي الآن في شربة ماءٍ باردٍ في يوم صائفٍ تحت ظل شجرة. وهذه كلمة تعطي الإنسان طموحات إيمانية في الكون ، فبعدما صار معاوية خليفةً وأميراً للمؤمنين والكل مقبل عليه قال: حظي في شربة ماء بارد في ظل شجرة في يوم صائفٍ أي يريد راحة البال. ثم قال معاوية لعمرو: وأنت يا عمرو. ماذا بقي لك من متع الدنيا؟ قال عمرو بن العاص: بقي لي أرض خوارة - يعني فيها حيوانات تخور مثل البقر- فيها عين حرارة. أي تعطي ماءً وفيراً لتروي الأرض ، وتكون لي في حياتي ولولدي بعد مماتي ، وكان هناك خادم يخدمهما اسمه (وردان). أراد أمير المؤمنين أن يلاطفه فقال له: وأنت يا وردان ، ماذا بقي لك من متاع الدنيا؟ انظروا إلى جواب العبد كي تعرفوا أن الإيمان ليس فيه سيد ومسود ، فقال له: حظي يا أمير المؤمنين: صنيعة معروفٍ أضعه في أعناق قومٍ كرام لا يؤدونه إليّ في حياتي بل يرده عقبهم في عقبى. 6- القصة السادسة: رسول الخليفة ينتظر عند زيارة عمر بن الخطاب للشام ، لقد حسن عمرو بن العاص للخليفة فتح مصر ، وبين له أهمية الفتح وفوائده ، فاقتنع الخليفة ورجع للمدينة ، بينما أسرع عمرو بن العاص بتجهيز أربعة آلاف مقاتل وتحرك بهم نحو مصر. وعندما اقترب من دخول مصر ، قال له أصحابه: جاء رسول من الخليفة. فطلب من الجيش سرعة التحرك ، فظل الجيش يمشي ورسول الخليفة يركض وراءه برسالته التي يريد تسليمها لعمرو بن العاص ، وعندما لحق الرسول بالجيش وطلب لقاء عمرو بن العاص اعتذر عمرو أكثر من مرة وهو لا يزال يسير بالجيش نحو مصر حتى دخل حدودها ، بعدها طلب لقاء رسول الخليفة ففتح الرسالة وكبار الجيش متعجبون من تصرفه ، فإذا بالرسالة تقول: إذا لم تدخل حدود مصر فارجع. فأرسل عمرو بن العاص رسالة مع رسول الخليفة يقول فيها: لقد دخلنا مصر ونريد المدد. وفاته أثناء فترة خلافة عمر بن الخطاب ، توفي يزيد بن أبي سفيان الذي كان والياً على مصر وقتها ، اقترح عمرو بن العاص على الخليفة عمر أن يذهب لمصر ليفتحها حتى يؤمن جميع الحدود المؤدية إلى بلاد الشام من الروم ، فوافق عمر وتولى عمرو قيادة الجيش الذي ذهب فاتحاً لمصر ونجح في ذلك. توفي عمرو بن العاص في مصر وقد بلغ ثمانية وثمانين عاماً ، ودُفن هناك في منطقة "المقطم" وضريحه موجود بالقرب من ضريح الإمام الشافعي حسبما ورد في التاريخ). هـ. ومن هنا كانت هذه القصيدة المتواضعة في مدح عمر بن العاص! وأعلم علم اليقين أن مقامه أسمى وأجل منها! ولكنه شرف المحاولة يحدوني دائماً! وإني في حقيقة الأمر لأشعر بالفخر والحماسة وأنا أقدم هؤلاء الغر الميامين والأبطال المحجلين للناس ليُدركوا من أخبارهم العظيمة ، حتى

يُطبِقوا مناقبهم ويتمثلوا أخلاقهم! وأتَشرفُ ويتشرفُ شعري أن يكون لديواني: (وداعاً أيها
الشعر) النصيب الأكبر والحظ الأوفر من القصاد عن الصحابة وسيرهم ومواقفهم وأخلاقهم ،
حتى نفتدي بهم وننشبهه!)

مقامك سامي القدر في البذل والخير
وعند (النجاشي) البداية أعلنت
فباعت قريشاً بالهزائم كالهيا
وباع أن يحيا لنصر حنيفة
وهذ (سواعاً) رغم تحذير سادان
وسائل (عماناً) عن هداية قومها
ومن خص (عباداً) بنصح و(جيفراً)
ووالى (أبا بكر) ، وأظهر طاعة
فقال: أنا سهم ، وأنت الذي رمى
وقدت فتوح الشام أرجى قيادة
وناولت (أجنادين) سيف بطولة
وأبدت في (اليرموك) أسمى بسالة
وجئت إلى (مصر) لتتقذ أهلها
وحاصرت (بابلون) ترجو خلاصه
ولقنت روم القوم درساً يفيدهم
وصالحت يا (عمرو) المقوقس تبتغي
وسرت إلى (الفسطاط) رأساً ووالياً
وسرت إلى (الإسكندرية) فاتحاً
فحاصرتها شهراً حصاراً منظماً
وحررتها تحريراً غاز مظفر

تفردت بالعلياء ، والدون للغير
وفيها تخلص (عمرو) عن صولة الشر
تتحيه عن سواى تقود إلى الجور
ويدفع عنها مخلصاً هجمة الكفر!
فأسلم لم يأبه بما ساق من جذر!
وعمن أتاها ناشراً دعوة الخير
فأمسى أميراً صاحب النهي والأمر
ولم يك جباراً يميل إلى الجبر
لتبلغ بعد الرمي مرحلة النصر
فأعظم بدور الفارس الشهم من دور!
وذاقت فلول الروم عاقبة الخسر
وأعملت في الهيجاء ذاكرة المكر
فقد أسرف الرومان في البغي والضير
فأنجيت هذا الحصن بالكر والفر
وحزت سفيناً سلموها إلى البحر
من الله رب الناس مستعذب الأجر
مطاعاً بأمر الله يا عالي القدر
فبارك رب الخلق في ذلك السير
وجاهدتها شهراً بأجنادك الغر
وأمنتها مستغرقاً مدة الشهر

ولمّا يعدّ ظلمٌ يُصيبك بالقهر
يسوسُ بلا حيفٍ ، ويقضي بلا غدر
ويعطفُ في يسرٍ ، ويرأفُ في عسر
وغيرُثّة تغلي كما الماء في القدر!
يُصارعُ ما في النفس من حصّة الختر
وشادوا كميناً عند فوهة البئر!
فأردوه مقتولاً على الدرب في الفجر
فهذا أخو (عمرو) فويلك من (عمرو)
وكان بك البدءُ المُغامرُ في العبر
وفضوا اعتداد الظالمين على الفور!
وسارت بغوث الشهم قافلة الخير
يُراقبها بالحلم والشوق والصبر
فلمّا يكن عيداً يُبشّر بالخير
وشتان بين الحلو في الذوق والمُر!
فهل عيدهم إذ هم يُعزّون في (عمرو)؟
فهل تستضيء الدار في غيبة البدر؟
وأنسه يا ربّاه في وحشة القبر
وثبّته يوم البعث والحشر والنشر!

وأهلوك يا (إسكندرية) ذمّة
رحيمٌ هو (ابن العاص) بالناس حسبة
ويُعطي بلا من عطاءً مُضاعفاً
ويحزمُ في أمر له الحزمُ منشداً
وفي الحق لا تلقاهُ إلا مُجالداً
وبرهانٌ قولي يوم خيره العدا
وأمسى (هشام) للأعادي ضحية
فلم يقوَ جنديّ على وطء جثةٍ
فقلت: ألا سبيروا ، ولا تتحرّجوا
فأنهوا كمينَ المجرمين تشفياً
ولبييت للفاروق عاجلٍ مطلب
وعيرك لم تُخطئ طريقاً لجائع
وفارقت يوم الفطر دنيا وأهلها
لئن حلّ عيدٌ ، فالفجيرة مُرة
لقد أشرفتُ بالعيد وافى ديارهم
لقد فارق البدرُ المضيء ديارهم
عليه من المولى رضاهُ مُكملاً!
وأدخله جناتٍ يدومُ نعيمُها

نعمت الأخت ، وبنس الإخوة!

(كانت أسرة سعيدة هانئة ، يُضرب بها المثل بين الأسر في الصفاء والنقاء! وعندما مات الأب خلف تركة هي عقارات وأراضي! فإذا بالأبناء الذكور يساومون أختهم ويخبرونها بين أخوتهم أو إرثها في أبيها! فحاولت إثناءهم عن هذا المبدأ الخبيث الملعون الذي يغير معالم الحق والحقيقة. وقالتها لهم بكل صراحة: هل كان هذا الأب أباكم وحدكم ، ولم يكن لي بأب؟! كيف لا أرث فيه وأخذ حقي في تركته؟! إنني قادرة على مقاضاتكم وتوكيل أحد المحامين ، وسوف يأتي حقي كاملاً مكملاً! ورغم ذلك كله لم يرتدع هؤلاء الإخوة! فلا وازع من دين وتقوى ، ولا خوف من الله تعالى! ولما لم تجد جدوى معهم ، سلمت أمرها لله تعالى وقالت: أختار إخوتي في الدنيا جمعاً للشمل فقط ، وحسابنا عند الله يوم القيامة! فلم تهزهم هذه الكلمات التي تهز الجبال الرواسي! فكانت بذلك عندي نعمت الأخت ، وكانوا بذلك عندي بنس الإخوة! إن المبدأ لا يتجزأ! وكون الأخ أو الأخت ينصاع لقرار إخوته الجائر في حقه بهدف الإبقاء على الأخوة والمودة لا يغير من كونهم ظالمين ومتجاوزين لحدود الله! ونسأل الله العافية والسلامة! فلقد عشنا في زمان يعتمد بعض الإخوة فيه إلى العودة للجاهلية الأولى وعاداتها وتقاليدها وسلومها وقوانينها! فلقد كانوا لا يورثون البنات! فها نحن أولاء نجد من يفعل ذلك اليوم! يقول الشيخ المنجد – في معرض رده عن سؤال بهذا الصدد – ما نصه: (أولاً: لا يجوز حرمان البنات من الميراث ، وهو من كبائر الذنوب. قال صاحب كتاب: "الزواج عن اقتراف الكبائر" (106/2): "الكبيرة السابعة والثمانون بعد المائة: أكل المال بالبيوعات الفاسدة وسائر وجوه الأكساب المحرمة ، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)... ثم ذكر الأدلة على ذلك... ثم قال تنبيهه: عدّ هذا كبيرة هو صريح ما في هذه الأحاديث وهو ظاهر" انتهى. وسئل الشيخ عبد العزيز رحمه الله: عن التحيل على إسقاط حق المرأة من الميراث: فأجاب: "لا يجوز لأحد من الناس أن يحرم المرأة من ميراثها أو يتحيل في ذلك ؛ لأن الله سبحانه قد أوجب لها الميراث في كتابه الكريم ، وفي سنة رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام ، وجميع علماء المسلمين على ذلك ، قال الله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ) ، وقال في آخر السورة: (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَوَلَهُ أختٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)! فالواجب على جميع المسلمين العمل بشرع الله في الميراث وغيرها والحذر مما يخالف ذلك ، والإنكار على من أنكر شرع الله ، أو تحيل في مخالفته في حرمان النساء من الميراث أو غير ذلك مما يخالف الشرع المطهر. وهؤلاء الذين يحرمون النساء من الميراث أو يتحيلون في ذلك مع كونهم خالفوا الشرع المطهر وخالفوا إجماع علماء المسلمين قد تأسوا بأعمال الجاهلية من الكفار في حرمان المرأة من الميراث" انتهى من "مجموع الفتاوى" (221/20). وسئل الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: ما الحكم الشرعي فيمن يحرمون الزوجات من الإرث بعد أزواجهن وكذلك البنات بعد أبيهن؟ فأجاب: "حرمان الزوجات من ميراث أزواجهن وكذلك حرمان البنات من ميراث آبائهن من فعل الجاهلية ؛ لأن أهل الجاهلية هم الذين يحرمون الإناث من الميراث ، والله جل وعلا جعل

للزوجات ميراثاً لقوله تعالى: (وَلَهُنَّ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ). كذلك جعل للبنات نصيباً من ميراث آبائهن قال تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ). هذا هو دين الإسلام الذي أنصف المرأة وأعطاهما نصيبها قال تعالى: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا). ثانياً: يقسم الميراث بين الذكور والإناث ، للذكر مثل حظ الأنثيين ؛ لقوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ) ، بمعنى أن للذكر ضعف ما للأنثى ، فلو أن الذكر يأخذ ألفاً ، فالأنثى خمسمائة ، وهكذا). هـ. فهل علم ذلك المتنطعون الظالمون الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويحرمون البنات من ميراثهن؟! إن الأمر أوضح من الشمس في رابعة النهار! هؤلاء قوم قد غرتهم الحياة الدنيا واستزلهم الشيطان ولعب بقولهم! ونسأل الله العافية والسلامة! إننا إذ نكثر من الاستشهادات الشرعية من الكتاب والسنة واجتهاد العلماء فإننا نريد بذلك دعم حجتنا فيما كتبناه في قصيدتنا! كما أننا نريد إيضاح الأمر أمام القراء الأعزاء لنلا يقوعوا فيما وقع فيه ظالمو قصيدتنا! وتحت عنوان: (حرمان البنات من الميراث) يقول الباحث الأستاذ محمد شحطة ما نصه: (هناك بعض من عادات المجتمع الجاهلي مازالت قائمة حتى الآن ، ومنها منع البنات من الإرث فهي عادة جاهلية حاربها الإسلام ، وقال قتادة: «كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان»). ألا إن هذا الفعل لا يجوز مطلقاً ، وذلك لما فيه من الظلم وتعدي حدود الله تعالى ومشابهة أهل الجاهلية الذين يمنعون الإناث من الميراث ويؤثرون به الذكور ، فقال الله تعالى :- «لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا». وعدم توزيع التركة سبب من أسباب دخول النار والعياذ بالله! قال تعالى عقب بيان الموارد: «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ». وعادة منع البنات من الميراث ، بحجة أنه سيذهب المال إلى أزواجهن ونحو ذلك من الحجج التي يبطلون بها حقوق العباد ، فليس هذا مسوغاً لها ؛ لأنه عرف فاسد يتصادم مع نصوص الشرع. وحرمان البنات من حقوقهن ، يُعد غصباً ، وحجر الغصب في الدار رهن بخرابها ، منوهاً بأنه لا أحد يأكل أموال الناس إلا ابتلاه الله سبحانه وتعالى بضياح كل المال ، المغتصب وغيره. والله تعالى لم يجعل توزيع التركة مفوضاً إلى أحد ، بل تولى سبحانه وتعالى بيان تقسيم التركة في كتابه الكريم حتى لا يقع خلاف! ومن هنا فلا يجوز شرعاً للأخ منع إخوته البنات من الميراث طالما ثبت لهن حق في التركة. وسبق الإسلام الشرائع والقوانين الوضعية إلى إنصاف المرأة ، وكفالة حقوقها ، وحقق لها ذلك من خلال الآتي: أولاً أبطل الإسلام جميع الممارسات الظالمة ضد المرأة لا سيما ما يخص الميراث ، والتي ذكر طرف منها ، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَنْتَهُبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ..»). هـ. وأشكر للأستاذ شحطة غيرته على القرآن والسنة وبيانه للحق في هذه الفتوى القصيرة اليسيرة المعبرة! فكم أبانت من غامض! وكم أرشدت إلى الحق! والشيخ ابن باز يقول في هذه المسألة ما نصه: (إن عدم إعطاء البنات حصتهن من الإرث ، أمر جاهلي من أمر الجاهلية ، فلقد كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الصغار ، ويقولون: إنما يأخذ المال من يحمل السلاح ويقاوم الرجال ، وهذا غلط كبير جداً ، وقد أنزل الله القرآن العظيم ، وقد بعث رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام

بشرائع محكمة ، وجعل من ذلك أن المال بين الذكور والإناث ، (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ) من الأولاد والإخوة للأبوين أو للأب ، وجعل للإخوة من الأم فرضاً خاصاً. فالواجب على المسلمين أن يسيروا على نهج الشريعة ، وأن يلتزموا بما حكم الله به فيعطوا البنات حقهن والذكور حقهم ، وعليهم أن يودوا للبنات ما سبق أن أخذوه من حقهن إلا إذا سمحن وتنازلن عن حقهن السابق أو اللاحق ، وهن مرشديات بالغات لا بأس بذلك ، وعليهم أن تراجعوا المحكمة الشرعية في كل ما أشكل عليهم ، مما يتعلق بالماضي والحاضر حتى تسير على أمر بين في جميع أمور التركة ، لا في الحاضر ولا في المستقبل ولا في الماضي ، ومن سمح من البنات المتزوجات أو غير المتزوجات وهن مرشديات مكلفات عن بعض حقهن أو عن حقهن بمحض إرادتهن بدون تحيل أو إكراه فلا حرج في ذلك). هـ. والحقيقة أن الشيخ ابن باز قد أبدأ الأمر وأعاد في هذه الفتوى! فلقد قرأت له كلاماً كثيراً واستمعت منه الكثير والكثير حول هذا الموضوع الذي وقع فيه ظالمو قصيدتنا من منعهم إعطاء أختهم حقها في تركة أبيهم! وأما دار الإفتاء المصرية فكان من فتاويها في هذه المسألة: (إن حرمان الأنثى من ميراثها حرام في الشريعة الإسلامية ، وهو أكل للأموال بالباطل ، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} ، ولم يوكل الشارع سبحانه هذه القسمة لا إلى نبي أو رسول ، وإنما أنزلها سبحانه وتعالى قرآناً يتلى إلى يوم القيامة ، ورتب على مخالفتها الوعيد الشديد ؛ بل إن الله تعالى ذكر المواريث ثم قال سبحانه: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم محذراً من أكل الأموال بالباطل: (مَنْ أَقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِنْ قُضِيَ مِنْ أَرَاكِ) رواه مسلم. وعليه ؛ فلا يجوز لأحد الورثة أن يمنع أحداً من حقه في نصيبه الشرعي ، وخاصة البنات من الورثة ، فلا يجوز منعهن من حقوقهن ولا إخراجهن للتنازل عن التركة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لَا يَحِلُّ مَالٌ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ). أخرجه البيهقي في السنن الكبرى. ونوصي بتقوى الله تعالى ، فإن الحرام لا يبارك فيه ، قال عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَصْرَةٌ خُلُوءٌ ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى). رواه البخاري. والله تعالى أعلم). هـ. وإذن فالأمر واضح جداً لكل ذي عينين وعقل! أما المغالطة التي يتعلل بها هؤلاء فهي مكشوفة للجميع! وقال الدكتور نهار بن عبد الرحمن العتيبي تحت عنوان: (حكم حرمان البنات من الإرث) ما نصه: (اتفوا الله في الإناث وفي حدود الله إن كنتم تؤمنون بالله. هناك أناس يمنعون النساء من الميراث ، وهذا من دين الجاهلية ، ومن أخلاق الكفرة ، فلقد كان الكفار لا يورثون النساء ، وهذا باطل ، والواجب توريثهن ما أعطاهن الله ، ولا يجوز لأحد الاعتراض على ذلك ، وهذا نوع من الجاهلية ، ومن استحل هذا كفر ، نسأل الله العافية ، لا بد أن يعطوا ما شرع الله لهن ، فالذي يعاند في هذا عمله من سنة الجاهلية ، وأخلاق الجاهلية ، وإذا جحد ما شرعه الله كفر ، نسأل الله العافية). هـ. وفي فتاوى (نور على الدرب) سائلة تقول: لقد جرت العادة في قريتنا بأن البنات لا يرثن ، وإنما يعطين من بعض المال مقابل أن تتنازل هذه البنات لإخوتهن عن حصتهن في الميراث ، ويقولون بأنه بيع وشراء ، وأنا أحرص على إرضاء والدي ، وقد عرض علينا والدي نحن البنات مبلغاً من المال مقابل التنازل لإخواني عن نصيبنا نحن البنات ، علماً بأن المال من

والدي وليس من إختوتي ، وقد قلت لوالدي بأن هذا لا يجوز ، وبأن ذلك يعرضه للعذاب ، ولكن إختوتي يقولون لأبي بأنهم لن يعملوا بالأرض ولا بالشجر إلا إذا سجل بأسمائهم ، وأبي مُصِر على الموافقة ، فترجو من سماحة الشيخ الإجابة! وكان جواب الشيخ: لا يجوز للأب أن يخص البنين بالإرث ، ولا أن يلزم البنات بأن يأخذن العوض ، هذا منكر ، هذا من عمل الجاهلية ولا يجوز ، بل يجب أن يساعد على الأمر الشرعي ، وأن تكون التركة للجميع ، للبنين والبنات ، للذكر مثل حظ الأنثيين كما قال الله سبحانه: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ). وهكذا الإخوة الأشقاء ، والإخوة لأب ، يرثون للذكر مثل حظ الأنثيين كما قل جل وعلا: (وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ). يعني الإخوة الأشقاء والإخوة لأب ، هذا واجب ، ولا يجوز لأب ولا للأخ أن يحيد عن هذا الأمر ، هذا حرام منكر من سنة الجاهلية ، كان أهل الجاهلية لا يرثون النساء والصبيان ، يرثون الذكور الكبار ، وهذا غلط كبير ، لا يجوز للمسلم أن يتشبه بالكفار ، بل التركة للصغار والكبار ، والذكور والإناث على قسمة الله ، وليس للأب أن يلزم البنات أو يعطيها شيئاً من غير رضاهن لأجل أن يسمحن ، لا ، بل يجب أن يمكن من التركة. وسائلة أخرى تقول: لدينا عادات وتقاليد تحرم المرأة من الميراث بعد الزواج ، علماً بأنها لا تطالب هي بحقها ، فما حكم الشرع في نظركم يا سماحة الشيخ! فأجاب: الزواج ما يحرم من الميراث ، هذه التقاليد باطلة ، كونها تزوجت وهي أخت الميت ، أو بنت الميت ، أو زوجة الميت ، ولها حق تأخذه ، فإذا مات إنسان عن خمس بنات ، أو عشر بنات ، بعضهن متزوج ، وبعضهن لم يتزوج ، فالجميع شركاء في الإرث ، أو مات عن أخوات ، أو مات عن أمه وهي متزوجة ، كل يعطى حقه ، الزواج ما يمنع ، فالتساهل بهذا منكر ، إلا إذا كانت المرأة رشيدة وسمحت لمن لم يتزوج ، قالت: أنا مستغنية بالزواج والحمد لله ، وحقي لكم ، إذا سمحت وهي رشيدة عاقلة ، وقالت: لأخواتها حقي لكم ، فلا بأس ، أما أنها تحرم من أجل الزواج فلا يجوز). هـ. فتاوى نور على الدرب! ويزيد الأمر تفصيلاً ووضوحاً ابن باز تحت عنوان: (حرمان النساء من الميراث) بقوله: (إن من المواضيع الهامة التي يشتكي منها بعض النساء ويتألم من وقعها على النفوس كل قريبة حرمها قريبها هو حرمان بعض النساء من ميراثهن الذي قسمه الله تعالى لهن بنفسه ولم يقسمه غيره ، فتجد المرأة أو الفتاة المحرومة واقعة بين نارين: نار عداوة إخوانها أو أعمامها إن هي طالبت بميراثها ونار أخرى هي فقد مالها الذي استحقته بورثتها له ممن استحققت منه الميراث ، فأصبحت تقاسي الظلم والحسرة ولا حيلة لها إلا بالدعاء لله عز وجل. لقد حدد الله تعالى ميراث النساء في كتابه الكريم وتولى القسمة سبحانه بنفسه مما لا يجعل لأحد عذراً بعدم العدل فالله تعالى هو أعدل العادلين وأحكم الحاكمين فجعل للأُم السدس إن كان لابنها الميت أولاد ، والثلث إن لم يكن له أولاد فقال سبحانه: (وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا). وجعل للبنات النصف إن كانت لوحدها، ونصف حظ الولد أو الاشتراك في الثلث إن كن اثنتين فأكثر إن كان للميت أبناء ذكور فقال سبحانه: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ). كما حدد الله سبحانه وتعالى نصيب الأخوات والزوجات ، وحدد نصيب الجدة والأخوات لأُم وبنات الأخ وغيرهن من النساء الوارثات بأنصبة محددة لا تزيد ولا تنقص ، وهو ملك لهن لا ينازعهن فيه أحد ، لكن وللأسف

الشديد هناك من يأكل ميراث النساء ولا يعطينهن حقوقهن ، والمرأة قد لا تعرف مالها من الميراث فتستغل من بعض الطامعين الذين لا يخافون الله عز وجل ، ويرجع استغلال النساء وأكل ميراثهن للأسباب التالية: أولاً: طمع الأقارب في ميراث المرأة وهذا الطمع إما لعدم علم المرأة بنصيبها ، وإما لضعفها وحاجتها للرجل ، فإذا طالبت بحقها حصل لها من اللوم والتعنيف والمعاملة السيئة ما لا تريده فازداد شقائها شقاء وازداد همها همماً. ولعلاج هذا الظلم الواقع على المرأة لا بد من تضافر الجهود لأن هذه المسؤولية مسؤولية مجتمعية ، وهذا سيسئلزم تدخل الوزارات المعنية كوزارة الشؤون الاجتماعية لأنها هي الممثل الأساسي لكل ما يخص المجتمع ، ومن خلالها يتم حصر الأرامل والأيتام ، ويسنّ نظام لمعرفة المتوفين ومن يرثهم وهل استلم الورثة مالهم أم لم يستلموا؟ ويمكن التنسيق والتعاون مع كتابات العدل في هذا الأمر فقط يحتاج لتنظيم ومتابعة. ثانياً: التأخر في تقسيم التركة وهذا يحدث كثيراً ، وقد يكون ذلك التأخير إما بسبب تهاون الورثة ، أو بسبب تشعب تركة الميت وكثرة أملاكه وتفرقتها في أماكن مختلفة ، وبالتالي لا تعرف المرأة كم نصيبها وربما تأخر حصولها على نصيبها سنوات عديدة. ويمكن علاج هذا السبب بالمبادرة بتوزيع التركة وعدم التأخر ، وأما التركة المتفرقة فيوزع كل ما يتم معرفته مباشرة ، ثم إذا تم معرفة أموال جديدة توزع مباشرة وهكذا حتى يتم انهاء جميع ما للميت ويحصل كل وريث على ما يستحقه من تركة الميت بما في ذلك النساء. ثالثاً: التقاليد والعادات القبلية الجاهلية، فبعض الناس لديهم عادات قبيحة لا يورثون المرأة ويعتبرون حصولها على ميراثها عيب يقدر في رجولة الرجل وهذا النوع قليل لكنه ظلم للمرأة وأكل لحقها بالباطل، ولعلاج هذا الأمر فيمكن من خلال التناصح وبيان حكم الله تعالى الذي فرض للمرأة ميراثاً وعند عدم تجاوب هؤلاء فتبلغ عنهم الجهات الرسمية حتى تعطي المرأة حقها وتبرأ الذمة بذلك. رابعاً: اعتقاد البعض أن المرأة لا تحسن التصرف في مالها وادعاءه أنه يحافظ على مصلحتها وهنا تكمن مشكلة عدم استفادتها من مالها الذي تكون في أمس الحاجة إليه وربما ضياع ميراثها فيما بعد خاصة عندما لا يهتم الولي على المال بالكتابة وتحديد ما للمرأة من مال وأين يوجد هذا المال. ويمكن علاج هذا السبب بإخبار المرأة الوريثة بمقدار مالها من مال وإعطائها ما تحتاجه واستئذنها في المتاجرة بما بقي من المال بعد تحديده فإن أذنت ، فيتم إخبارها الأرباح والخسائر وما يشترطه ذلك الولي من أجل المتاجرة لها في هذا المال. خامساً: دعوى ضياع أموال الأسرة إذا كانت الزوجة من خارج تلك الأسرة أو العائلة ، فتحرم مالها من ميراث زوجها بحجة أنها أجنبية من العائلة أو الأسرة ، فتكون الزوجة من دولة أخرى أو قبيلة أو عائلة أخرى. ولعلاج هذه السبب فلا بد من رقابة مجتمعية من وزارة الشؤون الاجتماعية ويمكن أن تلجأ هذه المرأة للقضاء للحصول على حقها لكنها تحتاج إلى من يساعدها لكي تعرف الإجراءات التي يمكن من خلالها معرفة كيفية المطالبة لدى المحاكم. إن الواجب على كل مسلم أن يتقي الله تعالى وأن يعطي المرأة التي لها ميراث عنده ميراثها ، فلا يجوز لأحد كائناً من كان أن يحرم النساء من ميراثهنّ الشرعي الذي حدده الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وقد توعد الله تعالى في كتابه الكريم من لا يلتزم بقسمة الميراث كما بينها بالنار والعذاب الأليم ، فبعدما بين قسمة الميراث وأنه هو العليم بذلك الحكيم بهذه القسمة قال سبحانه: (وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ * تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ). وقال عز وجل في الآية التي قبل

هذه الآيات: (فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا). كما أن الواجب على ذوي الشأن كل في موقعه أن يأخذ للنساء حقوقهنّ ممن ظلمهنّ وحرمنهنّ من الميراث ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، والظالم متوعد الله بالانتقام منه لقول النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - : (إن الله ليملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ). رواه الإمام البخاري). هـ. ونزيد الأمر إيضاحاً بقولنا: أفلا يراجع هؤلاء الظالمين الذين منوا ق أحتهم من الميراث قبل فوات الأوان؟ لا تزال الفرصة أمامهم! ولا يزال القرآن غضاً طرياً ينذرهم ويحذرهم ويرغبهم في الحلال الطيب! فلماذا يؤثرون الحرام الخبيث؟! وتحت عنوان: (حُوباً كَبِيراً) يقول الأستاذ محمد مسعد ياقوت) نقلاً عن: (موقع رسالة الإسلام) ما نصه: (شاعت في بعض المجتمعات - لا سيما في القرى والأرياف - جريمة أكل حقوق البنات في الميراث ، وكان آكلي حقوق البنات أبوا أن يخرجوا من عصر أبي جهل وأبي لهب ، حيث كان الجاهليون وعبدة الأوثان يأكلون حقوق البنات ، أو أن هؤلاء الفاسقون العصريون أبوا على الإسلام أن يُعطي المرأة حقها في الميراث ، أو كأنهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه ، فهم يصلون ويؤمنون بقول الله تعالى في سورة النساء: {إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا} ، ولسان حالهم وفعالهم ، أنهم لا يؤمنون بقول الله تعالى في نفس السورة: {لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ}. ونقول لهؤلاء الذين فرقوا دينهم ، وطبقوا آية وعطلوا أخرى ، وصلوا ثم ظلموا ، وزكوا ثم بخلوا ، وصاموا ثم تركوا ، وحجوا ثم ختموا حياتهم بحجة إلى الشيطان - إن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: "اللهم إني أخرج حقَّ الضَّعِيفِينَ: الْيَتِيمَ وَالْمَرْأَةَ". [أخرجه أحمد وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة]. أي: أضيِّقه وأحرِّمه على من ظلمهما. إن النبي - صلى الله عليه وسلم - يرى بنور الله ، أن هذين الضعيفين ؛ يضيعان في العائلات الفاسقة ، ويأكل حَقُّهما على مائدة اللنام ، في زمن شاعت فيه أخلاق اللنام ، ونامت فيه أخلاق الكرام ، حيث لا ناصح ينصح ؛ ولا زاجر يزجر ، فلا أب صالح ، ولا ابن فالح. الأب الظالم يُقسِّم قسمةً ضيزى ، والابن يأكل ما ليس له ، ثم هو يقول: قد باء والدي بالذنب! وليت شعري! ليته يعلم أن الإثم قد تحملاه معاً ، كالزانية والزاني ، ويموت الأب الذي لم يعدل ؛ فلا الابن يشكر ، ولا البنت تغفر. . الابن فوق الأرض حياً يتمرغ في نعمة ليست له ، والأب تحت الأرض ميتاً يُحاسب عليه ، والبنات المظلومة بين هذا وذاك ، تقول: اللهم العن هذا والعن ذاك ، فلعنة الله على الظالمين ، أجمعين ، أكتعين ، أبصعين ، أبتعين ، ولو كانوا آباءنا الأولين. وينادي المولى تبارك وتعالى على آكلي حقوق الضعيفين (اليتيم والمرأة): {وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ، وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ، وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً}. أيها الوصي! أيها الأب! أيها الأخ الأكبر! أيها الورثة أجمعون! اعلموا - جميعاً - أنها أموالهم ، وأن الله يأمركم أن تودوا الأمانات إلى أهلها ، "وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ" ، ثم اعلموا يا من أكلتم حق البنات أنكم أكلتم خبيثاً ، وأن آثار ما أكلتموه سيظهر على أجسامكم بالأمراض العُضال ، وبالأسقام العُجاب ؛ وسيظهر في حياتكم بالسنين العجاف ، وبالخراب والدمار والمصائب واليباب ، "وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ" ، ومع ذلك لا زال الله تعالى يناديكم: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ} ، فهو فليس مالكم ، {إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} ، وإثماً فظيماً. {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}. ألا تسمع هذا الوعيد الشديد ، ألا تعلم هذا العقاب الرهيب ، ألا تورق مضجعك هذه الآية العظيمة يا أكل مال اليتيم واليتيمة ، ألا تُفرعك هذه الآية الرعيبة يا من أخرجت إنفاذ حق أختك في ميراثها ، وتحايلت على حقوق الضعفاء من إخوانك

وأخواتك ، وإذا نصحك الناصح وقال لك اعطِ أختك حقها: قلت - وقولك الزور :- (إن البنات لا يرثن أرضاً) ، ألا فتعلم أن البنت ترث مما ورثت أنت ، و{لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ}. وإذا قيل لك لماذا منعتها حقها ، وقلت - وقولك الباطل :- "لماذا أُعطيها وهي في عنق رجل غني" ، ألا فلتعلم أنها ترث من أبيها ولو كانت متزوجة من وزيرٍ يَحْتُو الْمَالَ حَتَّى لَا يَعُدَّهُ عَدَدًا! وإذا زجرك الزاجرُ ، وقال: لا تتحايين على حق أختك ، قلت - وقولك الفسل :- "لا أُعطيها شيئاً ، حتى لا يذهب المال إلى الغريب ، فهي متزوجة من فلان ابن فلان الغريب البعيد"! قلنا: وهل المال مالك؟ وهل زوج أختك غريب؟ وهل ذنب أختك أنها أختك ، أم أن ذنبها أنها متزوجة زواجاً شرعياً من فلان؟ أم هي لن تظل منك شيئاً سواء كانت أم لم تكن؟ بل هو الطمع ، الذي أعمى القلوب ، والجشع الذي لن يُشبع البطن ، وحالك معهن حال البخيل الشحيح ، الذي إذا سأل ألحف وإذا سُئل سَوَّف ، إذا سُئل أرز وإذا دُعي انتهر ، انتبه! استفق! لا يدخل الطمع مدخلاً إلا أعقبه الدمار ، ولا يدخل الشره مدخلاً إلا أعقبه البوار. ألا فلتعلم أن ما أكلت من حق أختك ؛ من مال وعقار ؛ ستطوقه يوم القيامة بإذن الله ، لو ظلمتها جنيهاً سيأتي عليك ناراً ، ولو ظلمتها شبراً من أرضٍ فسيأتي حول عنقك يوم القيامة ناراً من سبع أرضين ، قال الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى: "مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طَوْقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ" [أخرجه البخاري ، في كتاب المظالم]. وهذا الحديث له قصةٌ عجيبة في صحيح مسلم ؛ وذلك أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ - رضي الله عنه - أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئاً مِنْ أَرْضِهَا فَخَاصَمْتَهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، فَقَالَ سَعِيدٌ - وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة :- أَنَا كُنْتُ أَخَذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئاً بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ قَالَ: وَمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: "مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظَلَمًا طَوْقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ". فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لَا أَسْأَلُكَ بَيْنَهُ بَعْدَ هَذَا! فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ - رضي الله عنه :- اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً ؛ فَعَمَّ بَصَرَهَا ، وَأَفْتَلَهَا فِي أَرْضِهَا! قال بعض الرواة: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا ، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ [أخرجه مسلم 3022 ، في كتاب المساقاة]. وقال النبي - صلى الله عليه وسلم :- "خَمْسٌ لَيْسَ لَهُنَّ كَفَّارَةٌ: الشَّرْكَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، أَوْ نَهْبُ مُؤْمِنٍ ، أَوْ الْفِرَارُ يَوْمَ الرَّحْفِ ، أَوْ يَمِينٌ صَابِرَةٌ يَفْتَتِخُ بِهَا مَالًا بِغَيْرِ حَقٍّ" [أخرجه أحمد ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع]. وأحسب - والله - أن جريمة أكلِ حقوق البنات - في الميراث ونحوه - من "نهب المؤمن" ، بل هي من السبع المهلكات - ولا سيما في حال اليتيمات - قال - صلى الله عليه - وسلم :- "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ!" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: "الشَّرْكَ بِاللَّهِ ، وَالسَّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ، إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرَّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالنَّوْلي يَوْمَ الرَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ [أخرجه البخاري]. هذا ، ويجب على الآباء أن يعدلوا بين الأبناء في الهبات ، الجميع سواء ، البنت مثل الابن سواء بسواء ؛ ولا يقولن أحدٌ إن للذكر مثل حظ الأنثيين في الهبات قياساً على الميراث ، فهذا رأيٌ ضعيف لقول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :- "سَوُّوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ ، فَلَوْ كُنْتُمْ مُفَضَّلًا أَحَدًا لَفَضَّلْتُمُ النِّسَاءَ" [أخرجه سعيد بن منصور والبيهقي ، وحسنه ابن حجر ، وضعفه الألباني]. ولقول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :- "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ" [أخرجه البخاري في كتاب الهبة] ، ولفظ الولد لغةً وشرعاً ينسحب على الذكر والأنثى ، فالابن ولد ، والبنت ولد ، وهما ولدان ، وهم جميعاً - ذكورا وإناثا - أولادٌ. وَعَنْ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: سَأَلْتُ أُمَّي أَبِي

بَعْضَ الْمَوْهَبَةِ لِي مِنْ مَالِهِ ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فَوَهَبَهَا لِي ، فَقَالَتْ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخَذَ بِيَدِي ، وَأَنَا غُلَامٌ فَأَتَى بِي النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: إِنَّ أُمَّهُ بِنْتُ رَوَاحَةَ سَأَلْتَنِي بَعْضَ الْمَوْهَبَةِ ، لِهَذَا قَالَ: "أَلَيْكَ وَلَدٌ سِوَاهُ؟!" ، قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: لَا تُشْهَدُنِي عَلَى جَوْرٍ" [أخرجه البخاري في كتاب الشَّهَادَاتِ]. فإذا وهب الأب لابن من أبنائه قطعة أرض على مساحة فدانٍ - على سبيل المثال - ؛ فإنه يجب على الأب حينئذٍ أن يُعطي لجميع الأولاد مثل ما أعطى هذا الولد ، ذكوراً وإناثاً ، للذكر فدانٌ وللأنثى فدانٌ أيضاً ، ولا عذر له ولو تعلل بعلة علية كأن يقول: إن هذا ولد بار وذاك ولدٌ عاق ، أو إن هذا ذكر يأخذ ، وهذه بنت لا تأخذ ، فكل هذه الأفكار باطلّة فاسدة لا تساوي شيئاً! أيسرك أن تأكل ثمرة فاكهة مسمومة ، أو أن تطعمها أولادك ، أو أن ترى رجلاً غافلاً يهتم بأكلها وتتركه؟ أيسرك ذلك؟ لأكلك حقاً ليس لك لهو أخف ضرراً من أكلك طعاماً مسموماً يقتلك ؛ إذ إن أكلك حقاً ليس لك يؤدي بك إلى نار جهنم التي تشوي لحوم الظالمين. ولنن تترك ولدك يشرب سماً ناقعاً زُعافاً ؛ لهو خيرٌ لك وله من أن تتركه يأكل حق أخته من إرثك الذي خلفت. ولنن تُنقذ إنساناً من الوقوع في جريمة أكل حقوق البنات لذلك أعظم خيراً وبركةً من إنقاذه من الموت. فالعمل العمل. هـ. وأنا هنا في هذه القصيدة أحاول وصف تسامح هذه الأخت الكريمة ووصف هؤلاء الإخوة الطماعين الجشعين!

يا قومي ما هذا الضلال المُطَبِّق؟ في أي عهدٍ نحن؟ قولوا واصدقوا!
 ماذا جرى للناس حتى أسرفوا في الموبقات ، وغالطوا وتحذلقوا؟!
 وسببت عقولهم الغواية والهوى فإذا بأغلبهم بما اقترفوا شقوا
 وتنكروا للحق شررتنكر وتغلبوا سُبُل الهداية جهرة
 أفقوا خزعبلاتة بدون تثبت وإذا أتاهم من يُذكر أعرضوا
 وإذا البراهين استبانَتْ غالطوا وتذرّعوا بالجهل ، ثم تفيهاقوا
 وإذا أتوا بالآي يسطغ نصها بالطعن فيما قررتة تشدقوا
 وإذا أتوا بحديث (أحمد) ضعفوا أو شككوا ، أو في التحقق أخفقوا
 وإذا أدينوا كابرُوا وتعالموا وغزا قلوبهم الجدال الموبق
 وإذا دُعوا للعلم يضبط ما ارتأوا فإذا بهم بدجى العقول تعلقوا
 ورأيبت أنصبه الفرائض بُيِّتت ومنارها - في ديننا - يتألق

والفقه متضح الصوى ، وموثق؟!
تتذ النصوص ، وبالضلالة تنطق؟
إني - على من قال ذلك - مُشفق!
وبكل نص - دان جهلك - تشرق؟!
أمسى يُوسّع ما السلام يُضيق!
ولكم ببذعته غويّ يفسق!
ممن أراذلهم - لُحمك - صفقوا
فالحق دوماً للمخارف يمحق
عباشاً تُغربُ في الروى ، وتشرق!
فوق الأحاجي ذات يوم تشرق
وبنص سنة (أحمد) ، فتحققوا
ورثته ، هذا شرع رب يخلق
واتلوا (النساء) بدقة ، وتعمقوا!
بين الشريعة والتخبط فرّقوا!
بل شريعة القرآن هيا طَبّقوا!
حتى تدوم محبة وتعلق
بنس الخيار به لغا من يسرق!
في ظله ينمو الوداد المورق!
وبأختهم في الإرث لم يترفقوا!
إذ خيروها حيلة ، وتملقوا
فيها كلامٌ موهمٌ ومنمق!
والإرث من فضل المهيمن غيدق

أين الغموض وكل شيء مُثبّت
فمِم التعلُّل بالتقاليد التي
من قال: إن البنت يَحْرُمُ إرثها؟
أرأيت نفسك يا جهول مُشرعاً
أم قد غدوت - على الهدى - مُستدرِكاً
اشرق بفسقك ، أنت صاحبُ بدعةٍ
مهما وجدت الدعم من أهل الغبا
مهما احتميت بمن يؤيدُ فريفة
مهما افترضت الجور في شرع الهدى
فلسوف تردُّعك الأدلة ، شمسها
والبنات وارثة بنص كتابنا
إن مات عائلُ أسرةٍ عن تركةٍ
لكن لها نصفُ الفتى في حظه
لم الاحتيال على الشريعة يا غثا؟
أتحكمون الجاهلية بينكم؟
أعطوا الأخيّة حقها ، واسترشدوا
أخبروها ببنين إرث والإخا؟
بنس الأخوة ضاع جوهرها الذي
بنس الأشقاء الألى لم يعدلوا
أكلوا - بلا حق ترجح - إرثها!
هو ليس تخييراً ، ولكن خدعة
هذا هو الظلم الغشوم بعينه

وَيُمْكِنُ الْوُرَاثَ أَنْ يَتَصَدَّقُوا!
حَقّاً - بوارثه هنا - يتعلق؟!
تحتاج من خيراً عليها يُغدق
والظلم أوتاد الأخوة يحرق!
لما أعزّت في الخطاب لمن شقوا!
وعلى مساحته أقيم الفندق!
بل إخوة - حول الخداع - تحلقوا!
ذهبوا إليه ، وزينوه ، وزوقوا
بل حاولت مع من طعوا وتشدقوا
واستسلمت لما جميع تفيهاقوا
عند الذي يُعطي الأنام ويرزق!

يكفي الجميع ، يزيد عن حاجاتهم
فلم المساومة الرخيصة ضيقت
وهي المعوذة ، لم تكن ميسورة
لا ، أن يساومها على إرث لها!
واختارت الأخاء تجملاً
والإرث ضاع ، ونجم عودته خبا!
لم تمتلك لنقول عنه تنازلت
وتوهموا أن أقنعوها بالذي
والله ما اقتنعت ، ولا هي أدعت
والله ما رضخت ، ولكن أخرجت
ولسوف تجتمع الخصوم ، وتلتقي

شكوى امرأة مظلومة (نانا)

نهلة أو - (نانا) كما يحب أن يُناديها زوجها - امرأة مسكينة ، زوجها ضحية أعصابه! وليس يملك نفسه عند غضبه! لذا عانت نهلة في عشرة زوجها مُعانة لا يعلم إلا الله مداها! يحبها؟ نعم! يعشقها؟ نعم! يغار عليها؟ نعم! فلم كل هذا العنت وتلك المعاناة وذاك الضنك؟ والجواب: نستلهمه من قصيدتنا هذي! وذلك عندما أتت اللحظة التي فيها ضرب هذا الزوج نانا زوجته أمام أسرتها أي أمام أطفالها ، إذ هوت كفه على وجهها بقسوة! وتسبب لهم في الخوف والفرع ، ولم يكن لضربها بهذه الطريقة المخالفة للشريعة أدنى مبرر! فحزنت الأم وقالت بعد أن ضربها على وجهها وهي تبكي خوفاً عليهم: سأذهب لأشتكيك. فرد عليها:- ومن قال أنني سأسمح لك بأن تخرجي؟ قالت: أظن أنك إن أوصدت الأبواب وأغلقت النوافذ ، فإنك ستمنعني من شكايك؟ فرد بتعجب:- وماذا ستصنعين! قالت:- سأتصل. قال:- هواتفك كلها معي فاصنعي ما شئت. فاتجهت نحو الحمام على الفور ، وحين دخلت فكر زوجها بأنها قد تهرب من نافذته. فجرى إلى الخارج وانتظر عند النافذة ، فلم يشاهد محاولتها للخروج ، فعاد إلى الداخل ووقف عند الباب ، وخرجت وهي مبتلة من آثار الوضوء بابتسامتها كنقاء الماء الذي عليها وقالت:- سأشتكيك فقط عند الذي أقسمت باسمه ، فلا نوافذك ولا أبوابك ولا هواتفي التي حجبتها عني ستحجبنى عنه ، فأبوابه لا تغلق. انصرف عنها ، وجلس على الأريكة صامتاً يفكر. ذهب هي ، وصلت ، وأطالت في السجود ، وهو يراقبها ، وحين فرغت ، ورفعت يدها ، خطى نحوها وأمسك بيديها. وقال لها:- أما كفك دعاءك علي في سجودك؟ فنظرت إليه ، وقالت بنبرة حانية: أوتراني ساكتفي بعد الذي فعلته بي؟ قال:- والله لحظة غضب لم أقصدُها ، فقالت:- ولهذا لم أكتف من الدعاء لك! والدعاء على الشيطان ، فلست غبية لأدعو على زوجي وقرّة عيني ، فدمعت عيناه ، وقبل يديها ، وقال:- أعاهدك أن لا ألمسك بسوء بعد اليوم! إن ضرب الزوجة ضرباً غير مبرح ، لا يكسر العظم ولا يُسيل الدم لا بأس به عند الضرورة! وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يضرب بعض نساته بالسواك! وليكن معلوماً أن لطم الوجه أو ضرب الرأس منهّي عنه في ديننا ، فهكذا نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ضرب الوجه أو الرأس بقوله: (فإن كان لا محالة فليجتنب الوجه والرأس!) ، وهذه هي المرأة المسلمة التي لطمها زوجها بطلّة قصيدتنا ، قابلت الإساءة بالإحسان والمعروف! وغفرت إساءة زوجها لها وعفت عنه! ومن هنا كان للزواج من المسلمة المؤمنة الموحدة صاحبة الدين والمنهاج قيمته! وأوصانا الله - سبحانه وتعالى - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - بها. فيا معشر الرجال: كونوا لهن يكن لكم ، كما يقول المثلّ العربي الأصيل.)

شكواك كانت - على الإعدار - عنوانا	والقلب - من وقعها - مُستعبراً لاننا
هزت ضميري ، ورجتني عبارتها	وعالجت جفوة سادت وهجرانا
وسربلت سوء أخلاق تعقبني	وصب فوق عذابات وخسرانا
وأذهبت ضجراً أودى بعاطفتي	وأذهبت بعده ضيقاً وأحزاننا
وأطفأت فتنة كادت تُحرقتني	إذ إنها - في اللظى - تفوخ نيراننا

عن اتباع الهدى كبراً وطغيانا
حتى غدا بالذي أوحته يقظانا
صوابه ، فغدا بالغى حيرانا
وزادني صدقها حباً وإيقانا
وشال عني أراجيفاً وأحزاننا
لما أطاعت بما أتته شيطاننا
وخالفت سنة - نهت - وقرآنا
ومن يحقق يجد في الشرع فرقانا
أن تلطم الوجه تأبيناً وسؤلوانا
باطم خد ، وسائل تلق برهانا
كيف اتبعته الهوى هل كنت سكرانا؟
كفي على وجهها ظملاً وعودانا
لم أستطع صد نفس ضبطها حانا
وما حسبت لهذا العيب حسباننا
أمنعت في خطئي الشنيع إمعانا
وأنت أكرم من زوج غفاشانا
وتجعل الزوج للأهلين قربانا
أو كسرت - ويحها - في الفم أسنانا
فضاهات - بعد فقد العين - عميانا
لتأخذ الثأر ، منه قلبها عانى
وليس ما فعلت يحتاج تبياننا
لزوجهال لم تعد تقيم أوزاننا

ونورث رب من أعمته ظلمته
وأيقظت نائماً في تيه غفاته
وألهمت سادراً في الغي معتقداً
وناولتني يقيناً لسنت أنكره
وخلفتني وبني شوق يدعيني
أنا المأموم ، وكفي لا أسامحها
هوت على الوجه ، لم ترحم براءته
لطم الوجوه حرام في شريعتنا
فلا يجوز لفضلي في مصيبتها
ولا يجوز لزوج ضرب زوجته
أنا المغالط ، والنصوص تخرجني
أنا المخالف شرع الله منذ هوت
أنا تجاوزت ، خانتني مقاومتي
أنا المعيب ، وعيبي لا حدود له
أنا المواخذ ، لا أذار تسعفني
فسامحيني على ما كان من خطأ
سواك تجعلها خيانة عظمت
كأنما كفه لما هوت جرحت
أو أفقدت عينها - لتوها - نظراً
سواك ترفع كفاً قبل ما رفعت
كف بكف ، فلا زوج وزوجته!
ذي حرمة كفرت إحسان سيدها

في ساح محكمة تشكو الذي خاننا
وقد تُخَبِّرُ - بالمأساة - جيراننا
حَقُّ لِه اتخَذت رِداءً وأعواننا
وقد تُلاقِي - على الإفساد - أقراننا
تأوي إليه ، ومَرَمَى عِزها كاننا
تردُّ بأس خليل ظلَّمه باننا
طغى فأذعن - للتبرير - إذعاننا
والصبرُ كان على الرضاء عُنواننا
أن يُطفئ الماءَ الأماماً وأضغاننا
فقلتُ: تدعو على مَنْ حُبِه هاننا
وتسألُ اللهَ لي عفواً وغفراننا
وإن بينهما شـتاتان شـتاتنا
لم يحترمها ، ولا وداها صاننا
وكم حوت نبرة النشيج تحناننا
ولستُ أنصرُ بعد اليوم شيطاننا
وأمسك الكف إما صرت غضباننا
على الصفاء وبذل الخير يا (نانا)!
وبالوصال غدا البُيوتُ إيواننا!
جازاك ربي على الإحسان إحساننا!
إنني لأشكر ما فعلت شكراننا!

سِواكِ ترفعُها قضية عُلمت
سِواكِ تفضحُ في كل مُصطدم
سِواكِ تجعلُ منهُ عِبرة ، ولها
سِواكِ في لحظة تبيع عِشرتها
سِواكِ تُخربُ بيتاً كان جنتها
سِواكِ إن مَد زوج كفه قطعت
لكن حلمت على زوج تهوَّره
كظمت غيظك - بالدعاء - قانعة
ثم انطلقت إلى الوضوء موقنة
رفعت كفيك للرحمن ضارعة
فإذ بها تطلقُ اللسانَ خاشعة
كفان قد رُفعا ، كل لغائته
كفي على خدَّها أمام أسرتها
وكفها لمليك الناس داعية
لكِ احترامي وأشواقي صباح مسا
وأضبط النفس يا زوجي ، وأردعها
أدام ربك في الدنيا علاقتنا
(نانا) عهدتُك للوصال صاننة
(نانا) تحملتني في كل نازلة
يا (نهلة) الخير رقي في مُعاملتي

دقيق الوصف في سيرة ابن عوف!

(إن مناقب الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - كثيرة ومتعددة ، وتستحق قصائد بعدها! ونحاول في قصيدتنا هذي الإشارة إلى بعضها! حيث نعجز عن الإتيان بها كاملة غير منقوصة! **أولاً:** عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة ، **وثانياً:** أنه من أهل بدر ، **وثالثاً:** من الذين بايعوا تحت الشجرة! **ورابعاً:** أنه كان عظيم البر بأمهات المؤمنين - رضوان الله عليهم - . **وخامساً:** أنه كان شديد الخوف والبكاء على بسط الدنيا ، **وسادساً:** أنه كان شديد التواضع ، **وسابعاً:** أنه كان تاجراً موفقاً عالمياً بأمور التجارة! **وثامناً:** أنه كان كثير الإنفاق في سبيل الله ، **وتاسعاً:** أنه عزل نفسه من الأمر وقت الشورى واختار للأمة من أشار به أهل الحل. **وعاشراً:** أنه كان شديد الزهد في الإمارة ، **وحادي عشر:** أن له مكانة سامية القدر بين الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين -! أفلا تستحق هذه المناقب - وقد اجتمعت في رجل واحد - قصيدة تقدم للناس شيئاً عن سيرته العطرة؟! وإذا لم نكتب عن أصحاب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم ورضي الله عن صحابته - فعن أي الناس نكتب؟! وإذا لم يعطر أصحاب محمد دواويننا الشعرية وأسفارنا النثرية ، فهل تعطرها الكتابة عن المفسدين في الأرض بغير الحق؟! وتحت عنوان: (منهج عبد الرحمن بن عوف في إدارة الشورى.. دروس وعبر) يقول الدكتور علي الصلابي ما نصه بتصرف: (قاد عبد الرحمن بن عوف ركب الشورى بمهارة وتجرد ، ويستحق أعظم التقدير. حيث عرف عمر - رضي الله عنه - أن الشورى لن تكون بين الستة فقط ، وإنما ستكون في أخذ رأي الناس في المدينة ، في من يتولى الخلافة ، حيث جعل لهم أمد 3 أيام ، فيمكنهم من المشاورة والمناظرة لتقع ولاية من يتولى بعده عن اتفاق من معظم الموجودين حينئذ ببلده التي هي دار الهجرة ، وبها معظم الصحابة ، وكل من كان ساكناً في بلدٍ غيرها كان تبعاً لهم فيما يتفقون عليه ، فما زالت المدينة حتى سنة 23 هـ مجمع الصحابة ، حيث استبقاهم عمر إلى جانبه ، ولم يأذن لهم بالهجرة إلى الأقاليم المفتوحة. ولم يكد يفرغ الناس من دفن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حتى أسرع رهط الشورى وأعضاء مجلس الدولة الأعلى إلى الاجتماع في بيت عائشة أم المؤمنين ، رضي الله عنها ، وقيل: إنهم اجتمعوا في بيت فاطمة بنت قيس الفهرية (أخت الضحاك بن قيس) ليقتضوا في أعظم قضية عرضت في حياة المسلمين - بعد وفاة عمر - وقد تكلم القوم ، وبسطوا آراءهم ، واهتدوا بتوفيق الله إلى كلمةٍ سوائٍ رضيها الخاصة والكافة من المسلمين (عرجون ، 1981، ص63). وعندما اجتمع أهل الشورى ، قال لهم عبد الرحمن بن عوف: "اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم" ، فقال الزبير: "جعلت أمري إلى علي" ، وقال طلحة: "جعلت أمري إلى عثمان" ، وقال سعد: "جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف". وأصبح المرشحون ثلاثة علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، فقال عبد الرحمن: "أيكما تيراً من هذا الأمر فنجعله إليه ، والله عليه والإسلام ؛ لينظرن أفضلهم في نفسه" ، فأسكت الشيخان ، فقال عبد الرحمن بن عوف: "أفتجعلونه إليّ؟ والله علي أن لا ألو عن أفضلكما؟!"" قالوا: "نعم". وبدأ عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - اتصالاته ومشاوراته فور انتهاء اجتماع المرشحين الستة صباح يوم الأحد ، واستمرت مشاوراته واتصالاته 3 أيام كاملة ، حتى فجر يوم الأربعاء الرابع من محرم ، وهو موعد انتهاء المهلة التي حددها لهم عمر ، وبدأ عبد الرحمن بعلي بن أبي طالب فقال له: "إن لم أبايعك فأشُر عليّ ، فمن ترشح للخلافة؟" قال علي: "عثمان بن عفان" ، وذهب عبد الرحمن إلى عثمان وقال له: "إن لم أبايعك فمن ترشح

للخلافة؟" فقال عثمان: "علي بن أبي طالب". وذهب ابن عوف بعد ذلك إلى الصحابة الآخرين واستشارهم ، وكان يشاور كل من يلقاه في المدينة من كبار الصحابة وأشرفهم ، ومن أمراء الأجناد ، ومن يأتي للمدينة ، وشملت مشاوراته النساء في خورهن ، وقد أبدى رأيهن ، كما شملت الصبيان والعيبد في المدينة ، وكانت مشاورات عبد الرحمن بن عوف أن معظم المسلمين كانوا يشيرون لعثمان بن عفان ، ومنهم من كان يشير إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. وفي منتصف يوم الأربعاء ، ذهب عبد الرحمن بن عوف إلى ابن أخته المسور بن مخرمة ، وطرق البيت ، فوجد المسور نائماً ، فضرب الباب حتى استيقظ ، فقال: "أراك نائماً ، فوالله ما اكتحلت هذه الليلة بكثير نوم ، فادع الزبير وسعداً" ، فدعوتهما له ، فشاورهما ، ثم دعاني فقال: "ادع لي علياً" ، فدعوته ، فواجه حتى ابهار (طال) الليل. ثم قام علي من عنده. ثم قال: "ادع لي عثمان" ، فدعوته ، فواجه حتى فرغ بينهما المؤذن للصبح (الخالدي ، 1995 ، ص 106-117). واختلف علماء السير في اليوم الذي بويع فيه لعثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ فروى الواقدي عن شيوخه: "أنه (عثمان) بويع يوم الاثنين لليلة بقية من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، واستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين" ، وهذا غريب جداً. وروى الواقدي أيضاً عن ابن جرير عن ابن أبي مليكة قال: "بويع لعثمان بن عفان لعشر خلون من المحرم بعد مقتل عمر بثلاث ليال" ، وهذا أغرب من الذي قبله. وكذا روى سيف بن عمر عن عامر الشعبي أنه قال: "اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث خلون من المحرم سنة أربع وعشرين ، وقد دخل وقت العصر ، وقد أذن مؤذن صهيب ، واجتمع الناس بين الأذان والإقامة فخرج فصلى بهم العصر". وقال سيف عن خليفة بن زفر ومجالد قالوا: "استخلف عثمان لثلاث خلون من المحرم سنة ثلاث وعشرين ، فخرج فصلى بالناس العصر ، وزاد الناس - يعني: في أعطياتهم - مئة ، ووفد أهل الأمصار ، وهو أول من صنع ذلك". قلت: ظاهر ما ذكرناه من سياق بيعته يقتضي أن ذلك كان قبل الزوال ، لكنه لما بايعه الناس في المسجد ذهب به إلى دار الشورى على ما تقدم فيها من الخلاف ، فبايعه بقية الناس ، وكأنه لم يتم البيعة إلا بعد الظهر ، وصلى صهيب يومئذ الظهر في المسجد النبوي ، وكان أول صلاة صلاها الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان بالمسلمين صلاة العصر ، كما ذكره الشعبي وغيره (ابن كثير ، البداية والنهاية ، الجزء 7 ، ص 148). ونفذ عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - خطة الشورى بما دل على شرف عقله ، ونبل نفسه ، وإيثاره مصلحة المسلمين العامة على مصلحته الخاصة ونفعه الفردي ، وترك عن طواعية ورضا أعظم منصب يطمح إليه الإنسان ليجمع كلمة المسلمين ، وحقق أول مظهر من مظاهر الشورى المنظمة في اختيار من يجلس على عرش الخلافة ، ويسوس أمور المسلمين ، فهو قد اصطنع من الأناة والصبر والحزم وحسن التدبير ما كفل له النجاح في أداء مهمته العظمى ، وقد كانت الخطوات التي اتخذها كالاتي: بسط برنامج في أول جلسة عقدها مجلس الشورى في دائرة الزمن الذي حدده لهم عمر ، وبذلك أمكنه أن يحمل جميع أعضاء مجلس الشورى على أن يدلوا برأيهم ، فعرف مذهب كل واحد منهم وممرماه ، فسار في طريقه على بيئة من أمره. وخلع نفسه ، وتنازل عن حقه في الخلافة ليدفع الظنون ، ويتمسك بعروة الثقة الوثقى. وأخذ في تعريف نهاية ما يصبو إليه كل واحد من أصحابه وشركائه في الشورى ، فلم يزل يقلب وجوه الرأي معهم حتى انتهى إلى شبه انتخاب جزئي ، فاز فيه عثمان برأي سعد بن أبي وقاص ، ورأي الزبير بن العوام ، فلاحته إليه أغلبية آراء الحاضرين معه. وعمد إلى معرفة رأي كل واحد من الإمامين (عثمان

وعلي) في صاحبه بالنسبة لوزنه في سائر الرهط الذين رشحهم عمر ، فعرف من كل واحد منهما أنه لا يعدل صاحبه أحدا إذا فاته الأمر. وأخذ في التعرف على رأي من هم وراء مجلس الشورى من خاصة الأمة وذوي رأيها ، ثم من عامتها وضعفائها ، فرأى أن معظم الناس لا يعدلون أحدا بعثمان ، فبايع له ، وبايعه عامة الناس. لقد استطاع عبد الرحمن بن عوف بكياسته وأمانته واستقامته ونسيانه نفسه بالتخلي عن الطمع في الخلافة ، والزهد بأعلى منصب في الدولة ، أن يجتاز هذه المحنة ، وقاد ركب الشورى بمهارة وتجرد ، مما يستحق أعظم التقدير (الصلابي ، 2010 ، ص99). قال الذهبي: ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزله نفسه من الأمر وقت الشورى ، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد ، فهض في ذلك أتم نهوض على جميع الأمة على عثمان ، ولو كان محابياً فيها لأخذها لنفسه ، أو لولاها ابن عمه ، وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص. وبهذا تحققت صورة أخرى من صور الشورى في عهد الخلفاء الراشدين ، وهي الاستخلاف عن طريق مجلس الشورى ليعينوا أحدهم بعد أخذ المشورة العامة ، ثم البيعة العامة).هـ. ونشكر من قلوبنا أستاذنا الدكتور الصلابي – وكم له علنا من أيداء بيضاء – في أن بصرنا بقطوف من سيرة ابن عوف – رضي الله عنه –! وجاء في: (إسلام أون لاين) ، وتحت عنوان: (عبد الرحمن بن عوف الغني الشاكر أحد العشرة المبشرين بالجنة) ما نصه بتصريف زهيد: (الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف شخصية عظيمة من الشخصيات الإسلامية المعروفة في التاريخ الإسلامي ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ومن السابقين الأولين في الإسلام ، اشتهر بأنه كان غنياً ومهراً في التجارة لكنه كان كريماً ومتواضعاً ، حتى لُقّب بالغني الشاكر ، وكان شجاعاً عفيفاً و زاهداً لدرجة أنه رفض الخلافة مرتين. هاجر عبد الرحمن بن عوف الهجرتين ، وقد بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، فهو بذلك أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وقد شهد غزوة بدر و شارك في كل المعارك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و أخى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الخزرجي ، و بعثه صلى الله عليه وسلم إلى دومة جندل ففتح الله عليه وتزوج بنت ملكهم وهي تماضر بنت الأصبغ الكلبي ، وجاء بها إلى المدينة وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن. وبعد موت عمر بن الخطاب كان عبد الرحمن أحد الرجال الذين عملوا مجلس للشورى ليختاروا من يتولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب. فمن هو عبد الرحمن بن عوف؟ إنه عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر. كان اسمه الحقيقي عبد عمرو ، وقيل عبد الحارث وعبد الكعبة ، فغيره النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى عبد الرحمن. وأمه هي الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، وكان له أخ هو الأسود بن عوف. وعلى هذا فيكون عبد الرحمن بن عوف وأبوه وأمه والنبي محمد صلى الله عليه وسلم – أبناء عمومة بعيدة! وأما زوجاته فهن: (أم كلثوم بنت عتبة بن ربيعة ، وأم كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط ، وتماضر بنت الأصبغ ، ومجد بنت يزيد ، وأم حريث ، وأم حكيم بنت قارظ ، وزينب بنت الصباح ، وبادنة بنت غيلان ، وسهلة بنت عاصم ، وبنت أبي الخشخاش ، وغزال بنت كسرى ، وبحرية بنت هاني وأسماء بنت سلامة). وأما أبنائه فهم (سالم الأكبر ، وسالم الأصغر ، وأم القاسم ، ومحمد ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وأمة الرحمن الكبرى ، وعبد الله ، وأمة الرحمن الصغرى ، وحמיד ، وحميذة ، وزيد ، ومعن ، وعمر ، وعثمان ، وأم يحيى ، وجويرية ، وعروة الأكبر ، وعروة الأصغر ،

ويحيى ، وبلال ، وعبد الرحمن ، وسهيل ، ومصعب ، وأميمة ، ومريم ، وأبو بكر). ولد عبد الرحمن بن عوف بعد عام الفيل بعشر سنوات ، سنة 43 قبل الهجرة وسنة 581 ميلادياً ، وهو بذلك أصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر سنوات. كيف أسلم عبد الرحمن بن عوف؟ كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من السابقين الأولين في الإسلام ، وقد أسلم على يد أبي بكر الصديق ، حيث كان أبو بكر محبوباً في قومه وكان تاجراً ويعرفه رجال قومه فكان يدعو للإسلام من يثق بهم فأسلم على يده: الزبير بن العوام وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ، وذهبوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلنوا إسلامهم. وكان عبد الرحمن يبلغ من العمر حين ذلك ثلاثون عاماً ، وكان إسلامه قبل أن يدخل النبي دار الأرقم بن أبي الأرقم ، ثم أسلم معه أخوه الأسود بن عوف. وأما عن أخلاق وصفات عبد الرحمن بن عوف 1- عفته: فعندما آخى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع ، عرض عليه سعد بن الربيع أن يقاسمه ماله وزوجاته ، فقال له عبد الرحمن: بارك الله لك في مالك وزوجك ، ولكن دنني على السوق! وعمل بالتجارة وربح مالاً كثيراً. 2- مهارته في التجارة: عندما عمل بالتجارة كان تاجراً ماهراً وربح كثيراً وفتح الله عليه وأصبح من أغنى الأغنياء. 3- شجاعته: كان عبد الرحمن بن عوف يتميز بالشجاعة والإقدام في المعارك ولا يفر ولا يهاب الأعداء وكان مقاتلاً بارعاً. 4- جوده: قال قتادة أن عبد الرحمن بن عوف تصدق بنصف ماله: أربعة آلاف دينار. 5- تواضعه وزهده: رغم ثرائه إلا أنه كان متواضعاً وزاهداً ، فكان يمشي بين ممالিকে ، فلا يعرف أنه بينهم من شدة تقشفه وتواضعه. ماذا قال عليه وسلم عن عبد الرحمن بن عوف؟ 1- عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، وسعد بن أبي وقاص في الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة". 2- عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأزواجه: "إن الذي يحنو عليكن بعدي هو الصادق البار ، اللهم اسق عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة". 3- عن أبي سعيد الخدري: "كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء ، فسبّه خالد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أحداً من أصحابي ، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ، ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه". 4- عن عائشة بنت أبي بكر: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يحنو عليكن من بعدي إلا الصابرون ، سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة". 5- عن عبد الرحمن بن عوف قال: "قطع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أرضاً بالشّام يقال لها السليل فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يكتب لي بها كتاباً وإنما قال لي: "إذا فتّح الله علينا الشّام فهي لك". وتركته من الذهب فطعت بالفؤوس ، بدأت بأقطٍ وسمن! وكان عبد الرحمن - رضي الله عنه - عصامياً ، فقد بدأ بجمع ثروته من الصفر. وروى أحمد في مسنده من حديث أنس - رضي الله عنه - أن عبد الرحمن أثرى ، وكثر ماله ، حتى قدمت له مرة سبعمئة راحلة تحمل البر والدقيق". وقال: "ترك ألف بعير ، ومائة فرس ، وثلاثة آلاف شاة ترعى بالبقيع. وكان نساؤه أربعاً ، فافقتسن ثمنهن ، فكان ثلاثمائة وعشرين ألفاً ، لكل واحدة منهن ثمانين ألفاً. وقد بلغت ثقته باحترافه في مجال التجارة ، أنه قال: لقد رأيتني ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذهباً أو فضة! قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكان عامة ماله من التجارة. كان الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف نموذجاً فريداً في الشكر مع الغني ، لذا لقب بـ "الغني الشاكر".

ويقال أنه عندما توفي ترك ذهباً فُطع بالفؤوس حتى تورمت أيدي الرجال منه. وروى عنه حفيده أنه أتى بطعام وكان صائماً فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني وكفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه وإن غطي رجلاه بدا رأسه. وقال: وقتل حمزة وهو خير مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة ، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا! ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام. وحكى عنه بعض جلساؤه فقال: "كان عبد الرحمن لنا جليساً ، وكان نعم الجليس ، وأنه انقلب بنا يوماً حتى دخلنا بيته ودخل فاغتسل ثم خرج فجلس معنا ، وأتينا بصحفة فيها خبز ولحم ، فلما وضعت بكى عبد الرحمن بن عوف. فقلنا له يا أبا محمد ما يبكيك؟ فقال: مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ، ولا أرانا أخرنا لها لما هو خير لنا ، ومن تواضعه أنه كان لا يُعرف من بين عبده". وبينما عائشة رضي الله عنها في بيتها إذ سمعت صوتاً رجّت منه المدينة فقالت: ما هذا؟ قالوا: غير قدمت لعبد الرحمن بن عوف من الشام وكانت سبعمائة راحلة. فقالت عائشة: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً فبلغ ذلك عبد الرحمن فاتاها فسألها عما بلغه فحدثته ، قال: فإني أشهدك بأنها بأحمالها في سبيل الله عز وجل. وباع عبد الرحمن - رضي الله عنه - أرضاً له من عثمان بأربعين ألف دينار ، فقسم ذلك المال في بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين. وبعث إلى عائشة بمال من ذلك المال فقالت عائشة: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لن يحنو عليكن بعدي إلا الصالحون" سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة. وتصدق عبد الرحمن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف ثم تصدق بأربعين ألفاً ، ثم تصدق بأربعين ألف دينار ، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله تعالى ، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله تعالى ، وكان عامة ماله من التجارة. ونسأل: كم بلغت ثروة عبد الرحمن بن عوف؟ وبماذا تصدق؟ سعى كثيرون إلى تقدير ثروة عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - فقالوا إنها في حدود "ثلاثة ملايين ومائتي ألف دينار" ، وهو ما يساوي اثنين وثلاثين مليون درهم فضة ، لأن الدينار الذهبي يساوي عشرة دراهم. يقول الحافظ ابن حجر في الفتح: "جميع تركة عبد الرحمن بن عوف ثلاثة آلاف ألف ومائتي ألف (أي ثلاثة ملايين ومائتا ألف) ، وهذا بالنسبة لتركه الزبير بن العوام قليل جداً ، فيحتمل أن تكون هذه دنانير ، وتلك دراهم ، لأن كثرة مال عبد الرحمن مشهورة جداً". وقد فتح الله على عبد الرحمن بن عوف في التجارة ، كما فتح الله عليه في الصدقة. 2- تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف دينار ثم تصدق بأربعين ألف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله تعالى ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله تعالى. 3- أوصى لمن شهد بدماءً بأن يعطى كل واحدٍ منهم أربعمائة دينار ، فوجدوا مائة رجل بدري ، أي أوصى لهم بأربعين ألف دينار. 4- أوصى بألف فرس في سبيل الله. 5- أوصى لأمهات المؤمنين بحديقة فقومت بمائة ألف. لقد اندهش الكثير من الناس من سر نجاح تجارة عبد الرحمن بن عوف ، وفي قصة نجاح هذا الصحابي الجليل عبرة يجب على كل شاب مسلم أن يقتدى بها وأن يتخذ الصحابي عبد الرحمن بن عوف مثلاً أعلى له في النجاح المالي والكسب الحلال والمشروع بدون غش أو اختلاس. فماذا عن عبد الرحمن بن عوف في عهد الخلفاء الراشدين؟! كان لعبد الرحمن بن عوف منزلة كبيرة في عهد الخلفاء الراشدين خاصة في عهد عمر ، فكان عمر بن الخطاب يستشيريه ، فلما حدث طاعون عمواس سنة 18 هـ ، ثم

انتشر في بلاد الشام. كان عمر بن الخطاب يريد أن يذهب للشام وقتها ، فلما كان بسرغ بلغه أن الوباء قد وقع بالشام ، فنصح عبد الرحمن بن عوف بالحديث النبوي: "إذا سمعتم بهذا الوباء ببليد ، فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع وأنتم فيه فلا تخرجوا فراراً منه" ، فعاد عمر وصحبه إلى المدينة المنورة. ولمّا فُتِحَت بلاد فارس سنة 22 هـ ، اختلف الصحابة في أخذ الجزية من المجوس ، فجاء عبد الرحمن بن عوف وأخبر عمر أن النبي أخذ الجزية من مجوس هجر ، فأخذ عمر بشهادة عبد الرحمن ، فبعث عمر بن الخطاب كاتباً لجزء بن معاوية: "أن انظر مجوس من قبلك فخذ منهم الجزية ، فإن عبد الرحمن بن عوف أخبرني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر." وفي سنة 23 هـ ، استخلفه عمر بن الخطاب على الحج في تلك السنة ، فحج عبد الرحمن بالناس ، وحج مع عمر أيضاً ، وهي آخر حجة حجها عمر سنة ثلاث وعشرين ، وأذن عمر تلك السنة لأزواج النبي في الحج ، فحج في الهوادج ، وبعث معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف. ولمّا طعن عمر بن الخطاب وندت وفاته أوصى بأن يكون الأمر شورى بعده في ستة ممن توفي النبي محمد وهو عنهم راضٍ وهم: عثمان بن عفان ، علي بن أبي طالب ، طلحة بن عبيد الله ، الزبير بن العوام ، عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص. رفض ابن عوف الخلافة مرتين في عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان ، كان عبد الرحمن بن عوف يحظى بمنزلة مشابهة لمنزلته في عهد عمر ، ففي عام 24 هـ ، استخلفه عثمان على الحج في تلك السنة ، فحج عبد الرحمن بالناس ، وكان عبد الرحمن زاهداً في الإمارة ، فقد أرسل سعد بن أبي وقاص إلى عبد الرحمن رجلاً وهو قائم يخطب: "أن ارفع رأسك إلى أمر الناس (أي: ادع إلى نفسك)" ، فقال عبد الرحمن: "ثكلتك أمك ، إنه لن يلي هذا الأمر أحد بعد عمر إلا لامه الناس". وكان عثمان يريد أن يوصي له بالخلافة من بعده ، فلمّا اشتكى عثمان رعافاً ، دعا كاتبه حمران فقال: "اكتب لعبد الرحمن العهد من بعدي" ، فكتب له ، وانطلق حمران إلى عبد الرحمن فقال: "البشري!" ، قال: "وما ذاك؟" قال: "إن عثمان قد كتب لك العهد من بعده" ، فقام عبد الرحمن يدعو بين القبر والمنبر فقال: «اللهم إن كان من تولية عثمان إياي هذا الأمر ، فأمتني قبله» ، فلم يمكث إلا ستة أشهر حتى مات. ورغم أن قيادة الأمة الإسلامية مهمة جليلة خاصة أن من تولها في صدر الإسلام كانوا أكابر الصحابة ، الذين سطروا أروع سطور التاريخ الإسلامي وكتبوا أنصع صفحاته ، لكن ابن عوف أثر أن يكون ضمن المعاونين للخلفاء وليس هو واحداً منهم ، رغم الفرصة التي أتته سانحة حينما اختاره الفاروق عمر بن الخطاب ليكون واحداً ضمن المرشحين السنة لتولي أمر الخلافة من بعده ، لكنه بادر في خلع نفسه من الترشيح ، واختار أن يسهم في الاختيار دون أن يكون هو مرشحاً. وبذل ابن عوف جهداً في استطلاع رغبة المرشحين الآخرين وأهل المدينة بعدهم ، فوجد كفة عثمان بن عفان رجحت ، فبايعه على الخلافة ، وكان سنداً له ، وفي آخر خلافته وجد عثمان نفسه متعباً فأرسل إلى ابن عوف ليعرض عليه أمر الخلافة من بعده ، وذهب بالفعل له ليبشّره بالأمر ، لكن من ترك طلب الخلافة مرة لم يكن ليطلبها مرة أخرى ، فوقف عبد الرحمن بن عوف في روضة النبي محمد ودعا ألا مرة أخرى. وفاته توفي عبد الرحمن بن عوف سنة 32 هـ في خلافة عثمان بن عفان ، وقيل سنة 31 هـ والأول أشهر ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، وقيل أنه عاش ثمانية وسبعين ، وقيل خمس وسبعين سنة ، وكان قد أوصى لمن بقي من أهل غزوة بدر لكل رجل أربعمئة دينار ، وكانوا مائة ، فأخذوها ، وأخذها عثمان فيمن أخذ: وأوصى بألف فرس في سبيل الله. ودفن في البقيع

وصلى عليه عثمان بن عفان ، ويقال الزبير بن العوام ، وكان علي بن أبي طالب يقول في جنازته: "أَذْهَبُ عَنْكَ ابْنُ عَوْفٍ ، فَقَدْ أَدْرَكْتَ صَفْوَهَا وَسَبَقْتَ رَنْفَهَا." ، وكان سعد بن أبي وقاص فيمن حمل جنازته فكان ممسكاً بقائمتي السرير وهو تحته يقول: "واجبلأه." ورؤى أنه أُعْمِيَ عليه قبل وفاته).هـ. هذا ، ولقد صلى وراءه النبي صلى الله عليه وسلم: ففي غزوة تبوك ، يقول المغيرة بن شعبه: (عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه في غزوة تبوك قبل الفجر ، فعدلت معه ، فأناخ النبي صلى الله عليه وسلم فقضى حاجته ، ثم جاء فسكبت على يده من الإداوة ، فغسل كفيه ، ثم غسل وجهه ، ثم حسر عن ذراعيه ، فضاق كما جبته ، فأدخل يديه ، فأخرجهما من تحت الجبة فغسلهما إلى المرفق ، ومسح برأسه ثم توضعاً على خفيه ، ثم ركب فأقبلنا نسير حتى نجد الناس في الصلاة قد قدموا عبد الرحمن بن عوف ، فصلى بهم حين كان وقت الصلاة ، ووجدنا عبدالرحمن وقد ركع بهم ركعةً من صلاة الفجر ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصفاً مع المسلمين فصلى وراء عبد الرحمن بن عوف الركعة الثانية ثم سلم عبدالرحمن ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته ففرغ المسلمون فأكثرُوا التسبيح ؛ لأنهم سبقوا النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة ، فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: قد أصبتم ، أو قد أحسنتم). ولقد كان رضي الله عنه شجاعاً لا يبارى ، وأسدًا من أسود الله تعالى ؛ فقد شهد عبدالرحمن بدرًا والمشاهد كلها ، وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، حتى إنه حصلت له إصابات بالغة ، فقيل: إنه أصيب يوم أحد بعشرين جراحة ، وأن إحدى هذه الإصابات تركت عرجًا دائمًا في إحدى ساقيه ، كما سقطت يوم أحد بعض أسنانه ، فتركت خللاً واضحاً في نطقه وحديثه. وكان من النفر القليل الذي ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يفر كما فر غيره ؛ قال الحارث بن الصمة: (سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وهو في الشعب: هل رأيت عبدالرحمن بن عوف؟ قلت: نعم يا رسول الله ، رأيتَه إلى جنب الجبيل ، وعليه عسكر من المشركين ، فهويت إليه لأمنعه ، فرأيتك ، فعدلت إليك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما إن الملائكة تقاتل معه ، قال الحارث: فرجعت إلى عبد الرحمن ، فأجده بين نفر سبعة صرعى ، فقلت له: ظفرت يمينك ، أكل هؤلاء قتلته؟ قال: أما هذا لأرطاة بن عبد شريحيل ، وهذان فأنا قتلتهما، وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره ، قلت: صدق الله ورسوله). ولقد قدمت قافلته رافدةً وافدة ، تجوب المدينة ، سبعمائة جمل محملة بالزبيب والحبوب ، والطعام والثياب ، فاجتمع عليها التجار ، وأرادوا نهبها بالشراء ، فقال: كم تطوني في الدرهم الواحد؟ قالوا: نعطيك في الدرهم درهمًا ، قال: وجدت من زادني ، قالوا: نعطيك درهمين ، قال: وجدت من زادني ، قالوا: نعطيك ثلاثة ، قال: وجدت من زادني ، فقالوا: نحن تجار المدينة ولا يزيدك على ما زدناك أحد ، قال: لا والذي نفسي بيده ، قد زادني رب العالمين إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة؛ فقال: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) ، أشهدكم ، وأشهد الله وملائكته أنها في فقراء المدينة ، وفي مساكين المدينة فقسمت في غداة واحدة ، وتوزع الناس يقولون: سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة. من أجل ذلك كله كانت هذه القصيدة عن بعض مناقب ابن عوف – رضي الله عنه وأرضاه -!

روائع أخبار – على البال - تخطرُ

ألا ليت شعري يستفيق ويذكرُ

مناقِبُ لولاها النهى لا يُعْطَرُ

تُعْطَرُ أسماعاً تحنُّ لذكرها!

وتسـمو بألباب تتـوق لنشـرها
ومـن كـابن عـوفٍ أصـطفـيها لوصـفه
ولسـتُ - عـلى ربي - أزكـي عـبادـه
ألا يا (ابن عوفٍ) شـاقتي منـك ما تـرى
لقد كنت نبراساً ، (بنو زهرة) به
دعـاك (أبو بكر) فلبـيت مـقبـلاً
ولله كـانـت نـسـبـة لا لـكـعبـة
ووافقت ما جادلت ، هـذي سـجـية
وأمسيت في فقـه الشـريعة عالمـاً
وأفتيت واستفتيت في شـرع ربنا
وأبناؤك العـشـرون كـانوا كـتـيـبة
وجاهدت في (بدر) جهاداً مباركاً
وأرديت (تيمياً) بعاجـل ضـربة
وشـبلان كلّ يسأل الفـذ سـؤـله
يقولان: يا عمّاه بالله ذلنا
فقلـت: انظـرا هـذا العـتل ، فإنه!
وجاء (ابن مسعودٍ) ليكـمل مشـهداً
وفي (أحدٍ) جاهدت مـسـتـجمـع القـوى
ونصبت ثرساً جسمك الصـائب حـسـبة
وعشرين جرحاً قد جـرحت ثـعـيبة!
وجـهزت جيشاً في (تبوك) تفضلاً

ولولا مراميهـا فلـيس تُنشـر
وإني - بهـذا الشـهم - والله أفـخر
ولكنه ظني ، وشـعري يُحـبـر
مـن الحـب للسمت الذي بات يُخـبـر
ثبـاهي ، وتطري في البوادي ، وتُكـبـر
وجئت (نبي الله) فوراً تُبشـر
وأضحى رسول الله الاسم يُغـيـر
وهاجرت لـما أصـبح الظالم يقـهـر
وفي علم هذا الدين أضـحيت تُبـجـر
وبشـرت بالجنات ، والنصُ مُشـهـر
تجاهدُ من عاداك ، والحق تنصر
وأنت - بنصر الدين والحق - أجدر
لأن (عميراً) كان بالشـرك يـجـهـر
بكل إباءٍ ، ثم شـبـلٌ يـكـرر!
فأين (أبو جهل)؟ لأناس نثار
وكان الذي كلّ يـكـن ويضمـر!
وولى عدو الله ، ما عاد يُذـكـر
ودافعت من يطغى ومـن يتـجـبـر
حميت (نبي الله) مـمـن يُدبـر
وظلّع برجل - من جراحك - أكبر
وأجر ملك الناس قد كنت تنظر

وكانت صلاة الصبح ، هذا مُسَطَّر
بصِدِّيقنا ، فالبدء ما كان يَحْضُر
فكنت ظهيراً ، إذ بك الحق يُظْهِر
على هذه المولى المهيمن يُشكر
وحاربْتهم حرباً ضروساً تُدمر
تُقَوِّيه حيناً ، ثم حيناً تُصَبِّر
ولما استشاروا بعضهم كنت تُنكر
أحبُّ إلى قلبي من الأمر قررروا
وتقواك غالت ماله القومُ شمروا
وآثرت أخرى ، إذ لها السعي يُثمر
وكنت لأهل السوء تقلو وتهجر
تحنُّ إلى النعمى ، وأخراك تحذر
لتلقى ثمارَ الخير إذ عشت تبذر
ووارى رفاتَ الشهم قبرٌ مُنور

وصلى وراء الشهم (أحمدُ) خاشعاً
قد انتم (مولانا) بغيرك مرة
وشاركت في (فتح الفتوح) بمكة
وبُشراك مات (المصطفى) عنك راضياً
وجابهت قوماً عندما ارتدَّ جمعهم
وكنت لفاروق الحنيفة ساعداً
وما كنت ترجو أن تكون خليفة
تقول: لأن أدبح بأمضى مُدَيَّة
وهم قررروا أن يرفعوك خليفة
وخفت من الدنيا ومما يزينها
وعشت - على التقوى - راضياً وزاهداً
ومت على مولاك يا فذ مُقبلاً
وضممتك أحضان (البيوع) مُمدداً
عليك من المولى الرضا يا حبيبنا

فتنة الغربة!

(اغترب كثيرون عن بلادهم في طلب العلم ، أو في طلب المال ، أو في سبيل الزواج ، أو في سبيل هذه الأشياء مجتمعة! والنية عند الله! لأنه سبحانه هو الذي يعلمها ويكافئ عليها وعلى العمل المنشود من ورائها! وصدق الله تعالى إذ يقول: (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة). وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول: (إنما الأعمال بالنيات ، وإن لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)! رواه البخاري ومسلم في صحيحهما ، جاء في (إسلام ويب) تعليقاً على هذا الحديث ما نصه: (لقد نال هذا الحديث النصيب الأوفر من اهتمام علماء الحديث ؛ وذلك لاشتماله على قواعد عظيمة من قواعد الدين ، حتى إن بعض العلماء جعل مدار الدين على حديثين: هذا الحديث ، بالإضافة إلى حديث عائشة رضي الله عنها: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) ؛ ووجه ذلك: أن الحديث السابق ميزان للأعمال الظاهرة ، وحديث الباب ميزان للأعمال الباطنة. والنية في اللغة: هي القصد والإرادة ، فيتبين من ذلك أن النية من أعمال القلوب ، فلا يُشرع النطق بها ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يتلفظ بالنية في العبادة ، أما قول الحاج: "لبيك اللهم حجاً" فليس نطقاً بالنية ، لكنه إشعارٌ بالدخول في النسك ، بمعنى أن التلبية في الحج بمنزلة التكبير في الصلاة ، ومما يدل على ذلك أنه لو حج ولم يتلفظ بذلك صح حجه عند جمهور أهل العلم. وللنية فائدتان: أولاً: تمييز العبادات عن بعضها ، وذلك كتمييز الصدقة عن قضاء الدين ، وصيام النافلة عن صيام الفريضة ، ثانياً: تمييز العبادات عن العادات ، فمثلاً: قد يغتسل الرجل ويقصد به غسل الجنابة ، فيكون هذا الغسل عبادةً يُثاب عليها العبد ، أما إذا اغتسل وأراد به التبريد من الحرّ ، فهنا يكون الغسل عادة ، فلا يُثاب عليه ، ولذلك استنبط العلماء من هذا الحديث قاعدة مهمة وهي قولهم: "الأمور بمقاصدها" ، وهذه القاعدة تدخل في جميع أبواب الفقه. وفي صدر هذا الحديث ابتدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (إنما الأعمال بالنيات) ، أي : أنه ما من عمل إلا وله نية ، فالإنسان المكلف لا يمكنه أن يعمل عملاً باختياره ، ويكون هذا العمل من غير نية ، ومن خلال ما سبق يمكننا أن نرد على أولئك الذين ابتلاهم الله بالسوساس فيكررون العمل عدة مرات ويوهمهم الشيطان أنهم لم ينووا شيئاً ، فنطمئنهم أنه لا يمكن أن يقع منهم عمل باختيارهم من غير نية ، ما داموا مكلفين غير مجبرين على فعلهم. ويستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم: (وإنما لكل امرئ ما نوى) وجوب الإخلاص لله تعالى في جميع الأعمال ؛ لأنه أخبر أنه لا يخلص للعبد من عمله إلا ما نوى ، فإن نوى في عمله الله والدار الآخرة ، كتب الله له ثواب عمله ، وأجزل له العطاء ، وإن أراد به السمعة والرياء ، فقد حبط عمله ، وكتب عليه وزره ، كما يقول الله عز وجل في محكم كتابه: {فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً}. وبذلك يتبين أنه يجب على الإنسان العاقل أن يجعل همه الآخرة في الأمور كلها ، ويتعهد قلبه ويحذر من الرياء أو الشرك الأصغر ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم مشيراً إلى ذلك: (من كانت الدنيا همه ، فترق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة نيته ، جمع الله له أمره ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة). رواه ابن ماجه. ومن عظيم أمر النية أنه قد يبلغ العبد منازل الأبرار ، ويكتب له ثواب أعمال عظيمة لم يعملها، وذلك بالنية ، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لما رجع من غزوة تبوك: (إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم

مسيراً ، ولا قطعتم وادياً ، إلا كانوا معكم ، قالوا يا رسول الله: وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة ، حبسهم العذر) رواه البخاري. ولما كان قبول الأعمال مرتباً بقضية الإخلاص ، ساق النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً ليوضح الصورة أكثر ، فقال: (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه) ، وأصل الهجرة: الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام ، أو من دار المعصية إلى دار الصلاح ، وهذه الهجرة لا تنقطع أبداً ما بقيت التوبة ؛ فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها). رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي في السنن ، وقد يستشكل البعض ما ورد في الحديث السابق ؛ حيث يظن أن هناك تعارضاً بين هذا الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا هجرة بعد الفتح) كما في "الصحيحين" ، والجواب عن ذلك: أن المراد بالهجرة في الحديث الأخير معنىً مخصوصاً ؛ وهو: انقطاع الهجرة من مكة ، فقد أصبحت دار الإسلام ، فلا هجرة منها. على أن إطلاق الهجرة في الشرع يراد به أحد أمور ثلاثة: هجر المكان ، وهجر العمل ، وهجر العامل ، أما هجر المكان: فهو الانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان ، وأما هجر العمل: فمعناه أن يهجر المسلم كل أنواع الشرك والمعاصي ، كما جاء في الحديث النبوي: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) متفق عليه ، والمقصود من هجر العامل: هجران أهل البدع والمعاصي ، وذلك مشروط بأن تتحقق المصلحة من هجرهم ، فيتركوا ما كانوا عليه من الذنوب والمعاصي ، أما إن كان الهجر لا ينفع ، ولم تتحقق المصلحة المرجوة منه ، فإنه يكون محرماً. ومما يلاحظ في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خص المرأة بالذكر من بين متاع الدنيا في قوله: (أو امرأة ينكحها) ، بالرغم من أنها داخلة في عموم الدنيا ؛ وذلك زيادة في التحذير من فتنة النساء ؛ لأن الافتتان بهن أشد ، مصداقاً للحديث النبوي: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) متفق عليه ، وفي قوله: (فهجرته إلى ما هاجر إليه) ، لم يذكر ما أراده من الدنيا أو المرأة ، وعبر عنه بالضمير في قوله: (ما هاجر إليه) ، وذلك تحقيراً لما أراده من أمر الدنيا واستهاناً به واستصغاراً لشأنه ، حيث لم يذكره بلفظه). هـ. ألا وإن الهجرة والاعتراب تعقبهما فتنة عارمة ، تضغط على أعصاب المغترب أو تغريه ليقدم التنازلات تلو التنازلات! والفتنة مصطلح قرآني ونبوي له دلالاته وأدلته! قال الإمام ابن كثير في التعليق على آية العنكبوت ما نصه: (وقوله: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون) استفهام إنكار ، ومعناه: أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان ، كما جاء في الحديث الصحيح: "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ، ثم الأمتل فالأمتل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء". وهذه الآية كقوله: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) ، ومثلها في سورة "براءة" وقال في البقرة: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب). هـ. وأما آية سورة التوبة التي أشار إليها ابن كثير – رحمه الله فنصها: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَهٍّ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ). ويعلق الإمام القرطبي على آية العنكبوت بقوله: (أحسب استفهام أريد به التقرير والتوبيخ ومعناه الظن أن يتركوا في موضع نصب بـ (حسب) وهي وصلتها مقام المفعولين على قول

سيبويه. و(أن) الثانية من (أن يقولوا) في موضع نصب على إحدى جهتين بمعنى: لأن يقولوا أو: بأن يقولوا ، أو: على أن يقولوا. والجهة الأخرى أن يكون على التكرير ؛ والتقدير الم أحسب الناس أن يتركوا أحسبوا أن يقولوا آمنة وهم لا يفتنون قال ابن عباس وغيره: يريد بالناس قوماً من المؤمنين كانوا بمكة ، وكان الكفار من قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام ؛ كسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وياسر أبوه وسُمّية أمه وعدة من بني مخزوم وغيرهم ، فكانت صدورهم تضيق لذلك ، وربما استنكر أن يمكن الله الكفار من المؤمنين ؛ قال مجاهد وغيره: فنزلت هذه الآية مسلية ومعلمة أن هذه هي سيرة الله في عباده اختباراً للمؤمنين وفتنة. قال ابن عطية: وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب أو ما في معناه من الأقوال ، فهي باقية في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، موجوداً حكمها بقية الدهر ، وذلك أن الفتنة من الله تعالى باقية في ثغور المسلمين بالأسر ونكاية العدو وغير ذلك. وإذا اعتبر أيضاً كل موضع ففيه ذلك بالأمراض وأنواع المحن ، ولكن التي تشبه نازلة المسلمين مع قريش هي ما ذكرناه من أمر العدو في كل ثغر. قلت: ما أحسن ما قاله ، ولقد صدق فيما قال رضي الله عنه. وقال مقاتل: نزلت في مهجع مولى عمر بن الخطاب كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر ؛ رماه عامر بن الحضرمي بسهم فقتله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ: سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة ، فجزع عليه أبواه وامراته فنزلت: (ألم أحسب الناس أن يتركوا) وقال الشعبي: نزل مُفتتح هذه السورة في أناس كانوا بمكة من المسلمين ، فكتب إليهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الحديدية ، أنه لا يقبل منكم إقرار الإسلام حتى تهاجروا ، فخرجوا فأتبعهم المشركون فأذوهم. فنزلت فيهم هذه الآية: (ألم أحسب الناس أن يتركوا) فكتبوا إليهم نزلت فيكم آية كذا فقالوا: نخرج وإن اتبعنا أحد قاتلناه ؛ فاتبعهم المشركون فقاتلوهم ، فمنهم من قتل ومنهم من نجا فنزل فيهم: (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا). وهم لا يفتنون يمتحنون ؛ أي أظن الذين جزعوا من أذى المشركين أن يقتنع منهم أن يقولوا إنا مؤمنون ولا يمتحنون في إيمانهم وأنفسهم وأموالهم بما يتبين به حقيقة إيمانهم). هـ. وليس يدرك قيمة هذا الكلام المرتزقة الذين لا ينظرون فتنة الغربية ليقدموا تنازلاتهم الجمّة ، بل يُبادرون - أخزاهم الله تعالى - بالتنازلات من أجل الدنيا! فما الفتنة؟ ولماذا كان للغربة فتنة عارمة؟ والجواب نجده عند الأستاذ الفاضل محمد المنجد حيث إن له تعريفاً عجيباً غريباً وجامعاً مانعاً للفتنة: يقول ما نصه: (أولاً: الفتنة في اللغة:- قال الأزهري: جماع معنى الفتنة في كلام العرب: الابتلاء ، والامتحان وأصلها مأخوذ من قولك: فتنتُ الفضة والذهب ، أدبتهما بالنار ليمتيز الردي من الجيد ، ومن هذا قول الله عز وجل: "يوم هم على النار يفتنون" أي يحرقون بالنار. (تهذيب اللغة 14 / 296). وقال ابن فارس: "الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على الابتلاء والاختبار" (مقاييس اللغة 4 / 472). فهذا هو الأصل في معنى الفتنة في اللغة. وقال ابن الأثير: الفتنة: الامتحان والاختبار... وقد كثر استعمالها فيما أخرجها الاختبار من المكروه ، ثم كثر حتى استعمل بمعنى الإثم والكفر والقتال والإحراق والإزالة والصرف عن الشيء. (النهاية 3 / 410). وبنحو من هذا قال ابن حجر في الفتح (13 / 3). وقد لخص ابن الأعرابي معاني الفتنة بقوله: "الفتنة الاختبار ، والفتنة: المحنة ، والفتنة: المال ، والفتنة: الأولاد ، والفتنة: الكفر، والفتنة: اختلاف الناس بالآراء ، والفتنة: الإحراق بالنار". (لسان العرب لابن منظور). ثانياً: معاني الفتنة في الكتاب والسنة: 1- الابتلاء والاختبار: كما في قوله تعالى: (أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا

أَمَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) العنكبوت/2 أي وهم لا يبتلون كما في ابن جرير. 2- الصد عن السبيل والرد: كما في قوله تعالى: (وَاحْذَرُوا أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) قال القرطبي: معناه: يصدوك ويردوك. 3- العذاب: كما في قوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) ، فتنوا: أي عذبوا. 4- الشرك ، والكفر: كما في قوله تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) ، قال ابن كثير: أي شرك. 5- الوقوع في المعاصي والنفاق: كما في قوله تعالى في حق المنافقين: (وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ) ، قال الإمام البغوي: أي أوقعتموها في النفاق وأهلكتموها باستعمال المعاصي والشهوات. 6- اشتباه الحق بالباطل: كما في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) فالمعنى: "إلا يوالى المؤمن من دون الكافر ، وإن كان ذا رحم به (تكن فتنة في الأرض) أي شبهة في الحق والباطل." كذا في جامع البيان لابن جرير. 7- الإضلال: كما في قوله تعالى: (ومن يرد الله فتنته) ، فإن معنى الفتنة هنا الإضلال. البحر المحيط لأبي حيان (4 / 262). 8- القتل والأسر: ومنه قوله تعالى: (إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا). والمراد: حمل الكفار على المؤمنين وهم في صلاتهم ساجدون حتى يقتلوهم أو يأسروهم. كما عند ابن جرير. 9- اختلاف الناس وعدم اجتماع قلوبهم: كما في قوله تعالى: (ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة) أي يوقعوا الخلاف بينهم! كما في الكشف. 10 - الجنون: كما في قوله تعالى: (بأيكم المفتون). فالمفتون بمعنى المجنون. 11- الإحراق بالنار: لقوله تعالى: (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات). قال ابن حجر: ويعرف المراد حيثما ورد بالسياق والقرائن. الفتح (11 / 176). وقال ابن القيم رحمه الله: "وأما الفتنة التي يضيفها الله سبحانه إلى نفسه أو يضيفها رسوله إليه كقوله: (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) وقول موسى: (إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) فتلك بمعنى آخر وهي بمعنى الامتحان والاختبار والابتلاء من الله لعباده بالخير والشر بالنعم والمصائب ، فهذه لون وفتنة المشركين لون ، وفتنة المؤمن في ماله وولده وجاره لون آخر ، والفتنة التي يوقعها بين أهل الإسلام كالفتنة التي أوقعها بين أصحاب علي ومعاوية وبين أهل الجمل ، وبين المسلمين حتى يتقاتلوا ويتهاجروا لون آخر. زاد المعاد ج: 3 ص: 170). هـ. وأختم تقديمي للقصيدة بإيضاح الفرق بين فتنة الشبهات وفتنة الشهوات! وتحت عنوان: (تعريف الفتنة وأنواعها) تقول الأستاذة الأديبة دعاء دار خليل ما نصه بتصريف يسير: (الفتنة في اللغة ؛ هي مصدر فتنَ وجمعها فتنات وفتنٌ ، قيل إنَّ الفتنة هي الاختبار بالنار ، ومن معانيها أيضاً الابتلاء ، نقول فتنة الدنيا أي ابتلاء الدنيا ، والفتنتان هما: المال والولد ، والفتنة بضم الفاء تعني نوع من أنواع شجر السنط وزهره أصفر اللون. وتعرَّفُ الفتنة في الاصطلاح: أنها ما يبين فيها حال الإنسان وطبيعته من خير وشر ، وقيل إنها البلية أي هي المعاملة التي تُظهر ما في باطن الأمور ، وقيل إنها الامتحان أو الاختبار الذي يُذهب العقل والمال أو الذي يقوم بإضلال الحق. وفي القرآن الكريم ذكر الله - تعالى - كلمة الفتنة وبيَّن معانيها ، ومن ذلك ما يأتي: قال - تعالى - : (أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) ، جاءت في الآية الكريمة بمعنى الابتلاء والاختبار في الدنيا. قال - تعالى - : (وَاحْذَرُوا أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) ، أي احذر أيها الإنسان من أن يصدوك ويردوك عن سبيل وطريق ما أنزل الله - تعالى - . قال - تعالى - : (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) ، المقصود بمعنى الفتنة في الآية الكريمة هو العذاب.

قال - تعالى :- (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً) ، أي الكفر والشرك. قال - تعالى :- (وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِي) ، جاء معنى قوله - تعالى :- (فَتَنَّتُمْ أَنْفُسَكُمْ) ، أي أهلكتموها في المعاصي ، وأوقعتم بها في النفاق. قال - تعالى :- (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) ، أي الذين أحرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار. قال - تعالى :- (وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُنِلُوا الْفِتْنَةَ لَاتَّوَّهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا) ، جاءت الفتنة هنا بمعنى القتال. قال - تعالى :- (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ، جاءت الفتنة هنا بمعنى القتل. أنواع الفتن الفتنة نوعان ، قد يجتمعان كلاهما في العبد أو يكون فيه نوعاً واحداً فقط ، وهما كما يأتي: فتنة الشبهات يكون سببها ضعف في البصيرة وقلة في العلم ، خصوصاً إذا ارتبط ذلك بفساد المقصد وحصول الهوى في الإنسان ، وهذه الفتنة نهاية طريقها إلى الكفر والنفاق وهي مخصصة لأهل المنافقين وأهل البدع ، وذلك على حسب مراتب بدعة ، ويكون سبب نشأة هذه الفتنة في الإنسان من الفهم الفاسد تارة ، ومن النقل الكاذب وغير الصحيح تارة أخرى. ومن أسباب نشأتها في نفس الإنسان يكون بغرض فاسد وهوى قد اتبعه صاحبها ووصل إلى طريق الفتنة ، فهي عمى في البصيرة وفساد في الإرادة ، والسبيل الوحيد للنجاة من هذه الفتنة هو اتباع أوامر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأن تكون في كل أمور الدين سواء أكانت ظاهرة أو باطنة. فتنة الشهوات جمع الله - سبحانه وتعالى - الفتنتين في قوله: (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) ، والمقصود بهذه الآية هو تمتع الإنسان بنصيبه بالدنيا وما كان فيها من ملذات وشهوات. ومعنى الخلاق هو النصيب المقدر من الله - تعالى - ، ثم قال - سبحانه وتعالى :- (وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا) ، فهنا المقصود بالخوض هو الخوض بالباطل وهو الشبهات ، فقد وضَّح الله - تعالى - في هذه الآية ما يحصل لقلب الإنسان من فساد والاستمتاع بالخلاق ، والخوض بالباطل). هـ. وعود للحديث عن غريب قصيدتنا الذي فتنته الغربية وانتصر عليها رغم إغراءاتها المتعددة! والحقيقة أنني تناولت الغربية في قصائد متعددة ، وأفردت لها مجموعات شعرية كذلك! وحاولت تصوير آلام الغربية وعذاباتها وأشواقها ودروسها! ولكن وجه اختلاف هذه القصيدة عن سابقتها هو أنني أبارك لأحد الغرباء الأبطال الأفاضل من طلبية العلم ، وكان قد هاجر وتغرب ، ولم ينتازل في غربته عن ثوابته ومبادئه وتوحيده وعقيدته أبداً! ثم عاد إلى بلاده بكل ما كان يحمل من توحيد وعقيدة ومبادئ وقيم! ولم يفرط في شيء من هذا كما يفعل غيره من الذين فتنتهم الغربية ، وكان بريق فتنتها في أعينهم أشد من بريق مبادئهم الخاوية وثوابتهم الهشة! حيث شاهدناهم غير مرة يضحون بكل ما يملكون من عقيدة أو عرض أو كرامة أو شرف ، من أجل عرض من الدنيا قليل! ولكنني أعجبت بهذا الغريب الثابت القوي أمام إغراءات الغربية وضغوطها! إن مأساة غريب قصيدتنا أنه عانى الأمرين في غربته من ضغوطها وفتنتها وعذاباتها ، في الوقت الذي عامله أهلوه ورفقاء دربه معاملة الميت! وأكاد أجزم أن الميت يترحم عليه أهله وأصحابه ، ويزورونه في قبره! لكن هؤلاء ما فعلوه مع هذا الغريب ما ينبغي فعله للميت! لقد توارثوه حياً والعياذ بالله! فلا أثر للدار التي بناها في دياره قبل رحيله! ولا أثر للمتاع ولا للآثام ولا للمقتنيات الشخصية! وكأنها هجمة تترية لا تبقى ولا تذر! فهل كانت هذه الدار بما حوت إلا أمانة عندهم ريثما يعود الغريب؟! إنه لعسير على الغريب أن يواجه فتنة غربته في الداخل

والخارج! فبعيداً عن دياره يُعاني فتنة الغربة للتنازل عن ثوابته ومعتقده! وفي دياره يُعاني السلب والنفي! وعند الله تعالى تجتمع الخصوم! ومن هنا استحق هذا الغريب أن أحبيه وأشيد به وأبارك له ثباته في وجه التحديات خارج دياره أمام فتنة الغربة ، وثباته وهو يرى سلب ممتلكاته ومُقتنياته ، ويُقابل ذلك كله بصبر وثباتٍ وعزيمة!

خصصتُك بالمديح العذب أنتا
لأنك لم تبغ ديناً بدينيا
ولا آثرت ما يفنى فتردى
على الأقدار لم تسخط بتاتاً
وضاقت عيشة ، فصبرت ترجو
وحاولت الخلاص تُريدُ حلاً
وقررت الرحيل إلى ديار
ورب الناس يسر كل صعب
ولم يملأ فراغك عبقري
وعانت صُحبة وليت عنها
وهاج الشوق ، لكن دون جدوى
فبيئتُك حازه قوم رِعاع
وما احترموا أمانة من تولى
ولأكوا عرضك الميمون عمداً
وقالوا: نحن أحسننا إليه
وقالوا: نحن لولانا لقاسى
وقالوا: نحن زللنا صعباً
وأنت تحار في كذب صراح
إذا الكذاب بالغ في التجني

لأنك - في اغترابك - ما فتنتا
ولا أخراك - يا مغوار - بعنا
وما أكثرت - عند الضيق - ليتا
معاذ الله ، بل كنت ارتضيتنا
من الرحمن أخرى إذ دعوتنا
وأعواناً - على البلوى - التمسنا
ثعابين خيرها إنا ارتحلتنا
وبلغك السبيل إذ انتويتنا
يقول الحق بعدك ، مذ مضيتنا
وأنت تُريدُ رؤية من صحتنا
وجابهت الصعاب بما تآتى
فقد غصبوا متاعك والبئيتنا
حلال - للأصاغر - ما ملكتنا!
وقتوا عنك ما قالوه قتا
وقالوا: نحن زوجناه بنتنا
من الدنيا المصائب جد شتى
وداومنا - على كتفيه - ربتنا
وتوئز أن يكون الرد صمتنا
وتسأله متى تخزى وحتىى

ولم يُقَصِّرْ عن الدعوى استغاثت
فقطعاً لن تدوم له الأحاجي
وضاقتْ غربة بلغت مداها
وواجهت الأنعام بما لديهم
وأرشدت الجميع إلى هداهم
فما اتبعوا ، ولا انصاعوا لذكرى
وبعضٌ منهم نكر الوصايا
لذا استعدى الأعداء لم يُبالوا
غريباً أنت عن أهل ودار
وتبحث في اغترابك عن صديق
ويمنحك العزيمة لا تُبارى
ويُلهمك الثبات إذا توالى
يعينك إن ركنت إلى التديني
يُشاركك التمسك بالمعالي
غريباً أنت غربتُك استبدت
فجاءت تحتويك لها احتراز
تريدك أن تُطوِّع نص شرع
تريد لك ارتزاقاً بالسجايا
ألسنت تريد أموالاً وقوتاً
فقلت لها وفي القلب احتساب
ألا إن افتتاني ليس سهلاً
ألا يا ذا الغريب لك احتراممي

وأنت لِمَا يقول أشدُّ مقتا
ويوماً يُبهِت الخداع بهتا
وأنت - بها وبالأوضاع - ضقتنا
من العثرات أنت لها انتبهتا
دعوت ليخلعوا وثناً وجبتنا
كأنك - للفضائل - ما هديتنا
وأخرس - للغريب الشهم - صوتنا
بحق في البقاع الجرد قلتنا
فجّل القوم قد لفظوك أنتنا
يردك للصواب إذا ضللتنا
ويُخرج منك تضيقاً وكتبنا
عليك نوائب الدنيا فثقتنا
وينصح أن ضياعك إن ركنتنا
إذا أنت الأفاضل قد عدمتنا
برأي فيك أنت به عرفتنا
وتطلب منك أمراً قد أبيتنا
لتريح ما تريد إذا افتريتنا
لتغديق خيرها إما ارتزقتنا
لتدرك ما تريد إذا اغتيتنا؟
حديثك قد غدا عجباً ولتنا
أموت ولا يُقال لي: افتتنتنا!
لأنك - في الدغاول - قد ثبتنا

أضلُّ طريقة ، وأضلُّ سَمْتا
وعنهم يا أخوا التقوى اختلفتا
فأنت بنصر دينك قد ظفرتا
فأنت بجنة الرحمن فزرتا
فإنك - باعتزازك - قد سعدتا
فأنت لها شمخت ، وما رضختا
وغربثك اصطلت قهراً وكبتا
وأنت غضنفر فيهم ظهرتا
وكيف تعيش إن ديناً خسرتا؟!

ولم تك مثل أصحاب الترائي
يبيعون الديانة بارتزاق
ومنهم قد رُئيت أجل شأناً
لئن هم عمروا الدنيا بمال
لئن سعدوا بألقاب وصيت
لئن رضخوا لغربتهم ، وضلوا
وغربتهم بهم فخرت وشادت
عبيد هم لغربتهم لنام
تهون حياتنا ، والدين يبقى

تحية للأستاذ مهدي سعد زغلول!

(جاءنا مختاراً أو مكرهاً من محافظة السويس الباسلة أرض البطولات والتضحيات ، إحدى مدن القناة الثلاث: بورسعيد – الإسماعيلية – السويس! وقد علينا الأستاذ الفاضل المحترم / مهدي سعد زغلول ليُدرّسنا اللغة العربية وآدابها في مدرسة تفتيش كفر سعد الإعدادية الثانوية في الفترة ما بين 1978م وحتى 1980م! فألفيته معلماً جليلاً وأستاذاً نبيلاً ، عف السريرة ونافذ البصيرة! يُذكرنا بمعلمي الخمسينات في أنافته ولباقته! وكنتُ أخاف منه للوهلة الأولى لجديته وصرامته – كغيري من الطلاب - في صفنا الثالث من المرحلة الإعدادية! ثم ما لبثتُ أن تأقلمتُ معه وأحببته ، واستفدتُ من علمه الجم وأخلاقياته العظيمة! أما لماذا اهتمامي باللغة العربية ومعلميها أكثر من غيرهم؟! فيرجع هذا إلى أهمية اللغة العربية ، فهناك نقاط جلية تبرز مدى أهمية اللغة العربية في حياتنا على مختلف العصور والأزمنة: فمن هذه الاعتبارات اعتبار اللغة العربية لغة القرآن الكريم والأحاديث والدين الإسلامي ككل ، وبمقدار قصور المرء في اللغة العربية بمقدار قصوره في فهم القرآن والسنة ، والعكس بالعكس!. وأيضاً التنوع الهائل الرهيب والكم الكبير من المفردات والمعاني التي احتوتها معاجمها القديمة والحديثة. وكذلك التأثير الكبير للغة العربية على غيرها من اللغات نظراً لتاريخها الممتد منذ حقبة زمنية طويلة ، فلقد أدركتُ بحكم تخصصي في اللغة الإنجليزية كيف تأثرت اللغة اللاتينية بالعربية! وكذلك اعتبار اللغة العربية واجهة للثقافة والعالم العربي وهي أول ما يتوجه لتعلمه الشخص الأجنبي. وكذلك إعلاء قيمة كل من يتعلم اللغة العربية لما فيها مصاعب كثيرة في تعلمها. والسفر في ذلك كله أصل اللغة العربية حيث تعتبر اللغة العربية أم اللغات السامية التي شغلت مناطق شبه الجزيرة! وسبب هذه التسمية يعود لحفاظها على مقوماتها الأساسية من عوامل الاختلاط باللغات الثانية ، لكون اقتصر استخدامها على العرب فقط ، فكانت اللغات السامية المنبثقة منها منتشرة على مستوى قارتي آسيا وأفريقيا لتكون لغات رسمية لعدة حضارات سامية أبرزها كان اللغة الأكادية والكنعانية والآرامية والسيديية والأمهرية وغيرها من اللغات السامية الأخرى ، وعلى صعيد آخر فقد حازت اللغة العربية على ألقاب عديدة أهمها ما كان مرتبطاً بالقرآن فسميت بـ "لغة القرآن" وذلك لنزول القرآن الكريم باللغة العربية بالإضافة إلى لقب "لغة الضاد" لتفردها بحرف الضاد عن دون باقي لغات العالم. وأكبر دليل على أن اللغة العربية تملك في ذاتها مقومات بقائها أن اللغة اللاتينية قد اندثرت اليوم لأنها لم تملك يوماً مقومات بقائها! وتحت عنوان: (الأعباء الجسام الملقاة على عاتق معلم اللغة العربية!) يقول أستاذنا الدكتور محمود أبو فنه الباحث والكاتب وعضو مجمع اللغة العربية في الناصرة – فلسطين ما نصه: (كثيراً ما كُتِبَ عن مهنة التعليم ، وكم هي مضيئة للمعلمين في جميع التخصصات والمواضيع الدراسية ، تتطلب منهم تيقظ الحواس ، وقوة الأعصاب ، والصبر والأناة ، والتجدد الدائم في المواد الدراسية وفي أساليب التدريس والتقويم! لكن ، من تجربتي في حقل التربية والتعليم توصلتُ إلى قناعة مفادها: أن معلم اللغة العربية المخلص ، بالذات ، مثقلٌ بالأعباء ، مُنهكٌ بالمهام الجمة الملقاة على عاتقه! فتدريس اللغة العربية لا يقتصر على إكساب الطالب مهارات: القراءة الواعية المعبرة ، وعلى فهم المقروء والمسموع بمستويات الفهم المختلفة ، وعلى التعبير الجيد بنوعيه: الشفهي والكتابي ، بل يشمل كذلك صقل شخصية الطالب وبلورتها ، وتعزيز الانتماء للهوية ، وتقدير التراث ، واكتساب القيم بأبعادها ومجالاتها المختلفة: الشخصية والاجتماعية والوطنية والقومية والإنسانية. ولنندكر:

أنّ التمكن من مهارات اللغة وسيلة لتحقيق التقدّم والنجاح في جميع مواضيع التعليم في المدرسة. ولذلك ، فإنّ معلّم اللغة العربيّة مُطالب بالتجدد على الدوام لأنّه يتعامل مع موضوع اللغة العربيّة بنحوها وصرفها وآدابها ، الأمر الذي يستدعي سعة الأفق والمعرفة ، وذائقة أدبيّة راقية ، وإطلاعا دائماً على ما يصدر من روائع الأعمال الأدبيّة ، ومن الدراسات النقديّة والبحوث في اللغة. والأصعب: أنّه مُطالب بتصحيح/تقويم المنات من كتابات طلابه كلّ شهر/أسبوع ضمن حصّة التعبير الكتابي! وكذلك ، يعتبر معلّم اللغة العربيّة المسؤول المباشر والرئيسي عن غرس عادة المطالعة الذاتيّة وتدويتها لدى طلابه – رغم اعتقادي بضرورة تعاون جميع معلّمي المدرسة على ذلك – وهذا يتطلّب منه اتّباع أساليب وطرائق متنوّعة في تحبيب المطالعة للطلاب وتشويقها بعيداً عن الإكراه والإلزام! ثمّ ، المفروض أن يكون معلّم اللغة العربيّة واعياً لدوره في اكتشاف مواهب طلابه الإبداعيّة ، وأن يعمل جاهداً على تشجيع الإبداع لديهم في شتى الفنون الكتابيّة! وأضيف: إنّ اعتماد معلّم اللغة العربيّة في تدريسه على الكتب وليس على المنهاج الذي يُفترض أن يكون المرجع ونقطة الانطلاق في تدريس الموضوع – اعتماده على الكتب – خاصّة في المرحلة الابتدائيّة – التي قد تفتقد المعايير التربويّة في إعدادها، يضاعف معاناة معلّم اللغة العربيّة. ثمّ هناك مسألة إعداد معلّم اللغة العربيّة وتأهيله قبل الالتحاق بالمهنة ، فبحسب اعتقادي ، وعلى ضوء تجربتي ، يمكنني القول إنّ ذلك الإعداد – خاصّة في الجامعات – غير كافٍ لإكساب المعلّم المهارات والمعارف في الأساليب وطرائق التدريس والتقويم التي من شأنها تنجيع عمله ونجاحه! ومما يضاعف من معاناة معلّم اللغة العربيّة في إكساب مهارات اللغة العربيّة والنهوض بها عدم مساهمة معلّمي المواضيع الأخرى في ذلك ، فغالبيتهم يدرّسون باللغة المحكيّة ، وأحياناً كثيرة – خاصّة في المدارس الثانويّة والخاصّة – قد يكون التدريس بلغة أجنبيّة! وهناك معضلة أخرى يواجهها معلّم اللغة العربيّة وهي: ضعف الحافز والدافعيّة لدى الطلاب لتعلّم الموضوع ، فهم ، وبتأثير الأهل والثقافة السائدة ، يعتبرون دراسة الموضوع غير مُجدية ، ولا تفتح أمامهم مجالات التقدّم في المستقبل ، وجني الدخل العالي الوفير ، ناهيك عن استهتارهم بالموضوع! وأخيراً ، إنّ غلبة اللغة المحكيّة الدارجة ، وتغلغلها في جميع مجالات الحياة اليوميّة ، وفي وسائل الإعلام المقروءة والمرئيّة والمسموعة ، وفي المسرح والسينما ، يُعيق مهمّة معلّم اللغة العربيّة الشاقّة في إكساب اللغة العربيّة المعياريّة الفصيحة ، وفي تحبيب الطلاب بها وبالأعمال الأدبيّة التي يتعلّمونها. لكلّ ذلك ، أسمح لنفسي أن أقول بدون تحفظ: (كان الله في عون معلّم اللغة العربيّة المخلص!). هـ. وأنا مع الدكتور محمود أبو فنه: (كان الله في عون معلّم اللغة العربيّة المخلص!) ومرة ثالثة (المخلص) المعلم المخلص الذي يبكي على مجد العرب والعربيّة! وليس المعلم المأجور المرتزق الذي ليس من العربيّة في شيء! ولقد كنتُ أحس ذلك في الأستاذ مهدي أنه يختلف كثيراً عن المعلم المرتزق! فلقد تمتع بصفات ومواهب وقدرات في تدريس اللغة العربيّة ، لم نكن نحسها في سواه! ربما ساعده على ذلك – بعد فضل الله عليه – كونه تخرج في كلية دار العلوم! فلندرس صفات معلم اللغة العربيّة الناصح الناجح الراجح لنقيس عليه الأستاذ مهدي العبقرى الجهد! ولا نزكي على الله ربنا أحداً بل هذا ظننا به لأمارات وجدناها فيه! وتحت عنوان: (صفات معلم اللغة العربيّة) تقول إسلام غنيمات ما نصه بتصريف زهيد: (هناك جملة من الصفات والمهارات التي يفضل أن تتوافر في معلم اللغة العربيّة حتّى يكون فعالاً في مسيرته التدريسية ، ومن أبرز تلك المهارات والصفات نذكر ما

يلي: أولاً: امتلاك مهارات عالية في قواعد النحو والصرف. وثانياً: أن يكون نموذجاً للطلاب من ناحية التمكن اللغوي. وثالثاً: التحدث باللغة العربية الفصحى المبسطة. ورابعاً: حفظ ما يكفي من الشعر العربي. وخامساً: أن يكون مثقفاً في الأمور العامة. وسادساً: إثراء مواضيع الدروس بمعلومات إضافية. وسابعاً: إدارة الصف بفعالية واقتدار. وثامناً: إيصال المعلومات بطريقة مبسطة. وتاسعاً: الإعداد المسبق للدروس بشكل جيد. وعاشراً: توظيف استراتيجيات التعلم الحديثة مثل: (العصف الذهني ، والتعلم التعاوني ، ولعب الأدوار ، والتعلم التبادلي). وحادي عشر: تطوير أسلوب التدريس لمواكبة الاتجاهات الحديثة في تعلم اللغة وتعليمها. وثاني عشر: إتاحة الفرصة للطلبة بممارسة اللغة العربية في مواقف حياتية هادفة. وثالث عشر: تكليف الطلبة بأعمال وواجبات يبتية بشكل مستمر. ورابع عشر: بث حب اللغة العربية في نفوس الطلبة. وخامس عشر: الجدية والحماسية في العمل. وسادس عشر: عدم التشدد مع الطلبة والمرونة في التعامل معهم. وسابع عشر: الاهتمام بالأناقة والمظهر العام. وثامن عشر: أن يكون عادلاً في تعامله مع الطلبة. وتاسع عشر: القدرة على ضبط الانفعالات وهدوء النفس). هـ. وأشهد أن الأستاذ مهدي كان يملك جُل هذه المقومات مجتمعة ويزيد عليها! فكن له السمات التدريسية والتربوي والتعليمي والمنظر اللائق والنظافة. وكانت له الشخصية القوية. واتصف بالأمانة والصدق في الأداء. وكانت لديه الدقة والانضباط في الوقت ، فلم يكن ليتأخر عن حصة من حصصه إلا لظهور قاهر. وتمتع الأستاذ مهدي بالذكاء والفتنة والحيدة والموضوعية. ودرج على استخدام الوسائل التعليمية المتنوعة المتاحة في ذلك الزمان بالطبع. وكان عنده التنوع في استخدام طرق التدريس المختلفة ، وكان يجمع في ذلك بين الأصالة والتجديد. وتمتع بالإلمام بالمادة التعليمية وأهدافها وطرق تدريسها المتنوعة. وكان لديه امتلاك روح الدعابة والمرح داخل الصف بالإضافة إلى الهيبة والشموخ. فلقد عُرف الأستاذ مهدي الطرفة والنكتة في غير إسفاف أو ركاكة أو سخف! وكان لديه الالتزام بالحياد بعيداً عن العنصرية. وكانت لديه مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب وقدراتهم. وتمتع بالمقدرة على ربط المادة الدراسية بالحياة الواقعية لتسهيل فهم الطالب وحفظه للمعلومة. وفوق ذلك كله كان الأستاذ مهدي مثقفاً ولديه معرفة واسعة بالمجالات المختلفة. وتمتع بالقراءة والاطلاع دائماً. وتمتع بالتعاون مع الطلبة خاصة فيما يكلفهم به ، ثم يكتشف أنهم غير قادرين على إنجازهم. وتمتع بالقدرة على مواجهة المواقف الطارئة والسريعة. وتمتع بالتمكن من مادته الدراسية على أحسن وجه. وتمتع بالأخلاق الحسنة. وتمتع بالخبرة في التدريس. وتمتع بضبط النفس خاصة في المواقف الاستفزازية. وتمتع بالتواضع. وتمتع بالقدرة على جذب انتباه الطلاب وتشويقهم لغة العربية. وكانت لديه روح التعاون والمحبة للطلاب. باختصار كان الأستاذ مهدي مدرسة متكاملة في تدريس اللغة العربية! وفي عام 1979م أمسكت بقلمتي ، وكتبت له تحية شعرية لها شكل القلب الشعري ، والله أعلم بركاكتها وضالتها ، ويشفع لها فقط أنها تحية طالب في سن مبكرة لمعلمه! ثم أرجعت فيها البصر لأدرك ما بها من فطور ، ثم أرجعت البصر كرتين فانقلب إليّ البصر خاسناً وهو حسير! فدققت فيها النظر ، وارتأيت أن أعيد صياغتها ، معالجاً ركاكتها ، وجابراً كسورها ، ومصححاً أخطاءها النحوية والبلاغية والإعرابية والصرفية والاشتقاقية! وقمتُ بذلك كله محافظاً على الخواطر والمشاعر والأحاسيس التي حوتها! وخشيتُ أن أنشرها في ديواني الشعري على ما هي عليه ، ولكنني خشيتُ أن يقول الناس: وأين علم الأستاذ مهدي وطالبه يكتب له تحية شعرية ركيكة ضحلة فيها من الأخطاء

اللغوية والشعرية ما الله به عليم؟! وجعلتها جزءاً من ديوان (السليمانيات) ، عرفاناً بجميل الأستاذ مهدي سعد زغلول عليّ! وأعتقد اعتقاداً جازماً أن بها من الأخطاء – بعد تصحيحي لها – ما يدركه ويعلمه الأستاذ مهدي بحكم تخصصه في اللغة العربية! ولكنه شرف المحاولة يحدوني ويشفع لي عنده! فتقبلها مني يا أستاذ مهدي في نص جاوز الخمسين بيتاً!

تحية من صميم القلب يا (مهدي) فاحت شذوى كشذوى الأزهار والورد
 ما الياسمين وما الريحان إن نفحا بجانب الشعر؟! ذا أذكى من الرند!
 تحية ساطعت كالشمس مشرقة تُهدي الضياء بلا وهج ، ولا صهد
 تحية نفح التلميذ زبدتها حتى يراها الورى في ذروة المجد
 تحية تألف العيون طلعتها وما لها - في تحايا الناس - من ند
 تحية تشتهي الألباب أحرفها فكم تزيل الذي تحوي من السهد!
 تحية عذبة الألفاظ يانعة فليس تجمع بين الضد والضد
 فيها التناسق لا يُزري بفكرتها بذلت في نظمها شيئاً من الجهد
 كعقد ماس زها في صدر غانية وقد تكون بدا أحلى من العقد
 تحية حوت الفخار أجمعه وسجلت باقية من خالص الود
 حيينت فيها الذي البيان علمني في قالب مزج المزاح بالجد!
 وعلم النحو وكى يُقيم منطقتنا وفي دراسته معاقب الفيد
 وعلم الصرف للطلاب مُحسباً مُعطراً درسه بالفرح والسعد
 وبعث علمنا النصوص زاخرة بطيب القيم العصماء والرشد
 ولم يكن - بلسان الضاد - مرتزقاً لا يستوي الحر - في القياس - بالعبد
 لم يأل جهداً ، ولم يبخل بخبرته على يديه بصُرت الضاد كالشهد
 يا ابن (السويس) حباك الله مكرمة والضاد بعد الهدى من أعظم الرغد
 عاهدت ربك أن ترقى بمن درسا ثم انبريت تفي يا (مهدي) بالعهد
 وكنيت واعدتنا ألا تُغنتنا ولم تُخالف عن الوفاء بالوعد

عِشْتِ الْغَرِيبَ الَّذِي تَكْفِيهِ عِزَّتُهُ
عِشْتِ الْعَفِيفَ الَّذِي اسْتَغْنَى بِعِفَّتِهِ
وَعِشْتِ تَزْرَعُ فِينَا كُلَّ عَارِفَةٍ
خِفْنَاكَ لَمَّا اتَّخَذْتَ الْحِزْمَ تَوْطِنَةً
لَكُنْ وَجَدْنَاكَ تُطْرِينَا وَتَمْدُخُنَا
وَبَعْدَ لَايَ عَرَفْتُ الْقَصْدَ مَتَضِحاً
أَسْتَاذُنَا عِنْدَهُ التَّدْرِيسُ مُوَهَّبَةٌ
وَكَانَ يُدْرِكُكَ رِسَالَةٌ عَظُمَتْ
(كَفَرُ سَعْدٍ) بِهِ تَخْتَالُ مَائِسَةٌ
يَا فُخْرَ (دَمِيَاظٍ) بِالضَّيْفِ الَّذِي نَدَبَتْ
تَرَاهُ فَارِسَ أَحْلَامٍ بِهِ شَرَفَتْ
أَسْتَاذُنَا كُنْتَ نَبْرَاساً يُضِيءُ لَنَا
وَلَا نَزَكِي عَلَيَّ رَبِّ السَّمَا أَعْدَاءُ
أَسْتَاذُنَا لَمْ يَكُنْ فِي دَرَسِهِ شَبْحاً
وَكَانَ شَهْماً كَرِيماً فِي تَعَامُلِهِ
هَذَا التَّحِيَّةَ مِثْلَ الدِّينِ فِي عُنُقِي
لَهُ جَمِيلٌ عَلَيَّ شِعْرِي وَتَجْرِبَتِي
أَلَا أَكُونُ بِهَا وَفِيئْتُ حَقَّ أَبِ
فَصَحَّ النَّصَّ يَا أَسْتَاذَ دُونَ هَوَى
آتَاكَ رَبِّكَ - فِي التَّصْرِيحِ - مَدْرَسَةٌ
إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فِيمَا قَلْتُ مَجْتَهَداً
فَأَنْتَ أَوْلَى بِعُذْرِي أَوْ مَوَاحِدَتِي

عَنْ طَلِبَةٍ مِنْ كِرَامِ النَّاسِ بِالْيَدِ
عَنْ أَنْ يُقَرَّ - لِغَيْرِ اللَّهِ - بِالْحَمْدِ
وَعِشْتِ تَغْرَسُ فِينَا قِيَمَةَ الزُّهْدِ
إِذْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا فِي الْهَزْلِ مَنْ جَدَّ
وَكَنْتُ أَسْأَلُ: ذُلُونِي عَلَى الْقَصْدِ
وَمَا انْتَبَهْتُ - مِنَ الرَّفَاقِ - مِنْ رَدِّ
وَإِذَا رُبِّكَ كُلَّ الْأَجْرِ وَالْحَصْدِ
لَهَا مَكَانُهَا فِي النَّاسِ وَالْبُلْدِ
بَيْنَ الْبِلَادِ كَمِثْلِ الْغَادَةِ الْخَوْدِ
وَلَيْسَ تَحْمَلُهُ يَوْمَماً عَلَى عَوْدِ
فَدَرَسُ أَبْنَائِهَا حَصِيلَةَ الْغَدِ
حَنَادَسَ الدَّرْبِ تُرْدِي عِزْمَةَ الْوَالِدِ
وَهَلْ يُقَارَنُ رَبُّ النَّاسِ بِالْعَبْدِ؟!
وَقَلْبُهُ مَا بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْحَقْدِ
شَتَانُ شَتَانٍ بَيْنَ الشَّهْمِ وَالْوَعْدِ!
الْيَوْمَ أَسْطَرَّهَا سَمَّحاً بِلَا قَيْدِ
وَذَاكَ رَدِّي ، وَبِي شَيْءٌ مِنَ الْوَجْدِ
فَعِنْدَهُ النَّصُّ مَعْرُوضٌ عَلَى النَّقْدِ
وَجُدُّهُ بِتَدْقِيقِهِ بِالْجِزْمِ وَالْحَيْدِ
فَأَخْرَجَ السَّيْفَ إِنْ صَرَّحْتَ مِنْ غَمْدِ
أَوْ كُنْتُ جَاوِزْتُ فِيمَا صَغَفْتُهُ حَادِي
وَأَنْتَ أَجْدَرُ بِالتَّيْسِيرِ وَالتَّيْدِ

ليحمل المدحة الزهراء (المهدي)
يوماً سيهزم مثل البرق والرعد
برغم إنكار أهل المكر والجحد
طبيعة البحر بين الجزر والمد
فالبجر قاهر أهل الجهل والعند
من الأصاغر أهل العيب والكيد
كف الكريم بلا حصر ولا عد
وكنت يوم الجزا في جنة الخلد!

والشعر يبقى دهوراً بعد شاعره
وإن يكن - في زمني - غير مشتهر
كالبحر يزخر بالخيرات مطمّرة
وإن يكن هدّه جزر ، وجندله
مهما تنقصه الأغرار عن رغم
والبحر مغرق من عابوا سجيته
(مهدّي) مدحتك عرفاناً بما بذلت
أبقاك ربي لنشر الضاد تكملة

بُشْرَى لِمَرَضَى السَّرَطَانِ!

(عاشت سيدة فرنسية في الجزائر ، واعتنقت الإسلام وحدها ، بينما أهلها كلهم غير مسلمين في فرنسا ، ثم أصيبت بمرض بالسرطان ، وذهبت إلى الطبيب الذي تابع حالتها وقال لها بأن المرض انتشر في جسمك كله (يعني لا أمل في الشفاء) وما هي إلا مسألة وقت قصير وتموتين ، وعمل لها ملفاً ، ووضع تقاريره وصور الأشعة وغيرها في الملف. وعندما علم أهلها بمرضها قالوا لها: هذا غضب الرب عليك لأنك أسلمت ، ارجعي عن دين الإسلام عسى الرب أن يعفو عنك ويشفيك. فلم تستمع لكلامهم وتمسكت بدين الإسلام ، فعرضوا عليها أن تأتي فرنسا ويكشف عليها أطباء كبار أفضل من أطباء الجزائر! فسافرت إلى فرنسا وهم يعلمون تمام العلم أنه لا أمل في الشفاء ، ولكن قصدهم أن تكون عبرة لمن يعتبر ممن أراد أن يُسلم ويدخل في دين الإسلام! فراحوا يلفوا بها على الكنائس ويقولوا للناس: هذا جزاء من يدخل في الإسلام! فبكت المرأة بكاءً شديداً بعد ما عرفت قصدهم! ثم رجعت إلى الجزائر تنتظر الموت على دين الإسلام! وفي ليلة من الليالي فكرت أنها لو ماتت ستكون عبرة لمن لم يعتبر من أهل بلدها وسيقولون بأنها ماتت لأنها دخلت في الإسلام! فتوضأت في جوف الليل وفرشت سجادة الصلاة ، وقامت الليل تدعو الله وتتاجيه وتُلح عليه قائلة: (يا رب إني لا أخاف أن أموت وألقاك ولكنني أخاف أن أموت ويشمتوا في لأني أسلمت ، ويخاف الناس من الإسلام ، يا رب اشفني وعافني لكي يعلم الناس قدرتك ورحمتك ، ويدخل الناس في الإسلام ولا أكون أنا السبب في تنفير الناس من الإسلام)! ثم أغشي عليها وراحت في غيبوبة حتى استفاقت في العصر من اليوم التالي ، ولم تشعر بأي ألم ، فعرفت أنها صحوة الموت وأنها ستموت الآن! ولكن عندما جاء الليل لم تمت ، وقامت الليل حتى الصباح ، ولم تمت فاندحشت ولم تشعر بأي ألم! فذهبت إلى طبيبها المتابع لحالتها! وبعد ما أجري لها الطبيب جميع الفحوصات ، سألها من أنت؟ قالت: أنا فلانة وملفي عندك! قال الطبيب: إنك إنسانة أخرى غير التي في الملف ، الملف يقول إنك عندك سرطان في حالة متأخرة! وأنت ليس عندك سرطان نهائي لم تصابي بالسرطان مطلقاً! من أنت؟ فسجدتُ لله حمداً وشكراً! إننا نجعل هذه القصيدة بهذه القصة الجميلة باباً للأمل والتفاؤل لمرضى السرطان خاصة ، ولكل المرضى الميؤوس من علاجهم عامة! أيها المرضى ادعوا الله ، وألحوا عليه سبحانه بالدعاء! فإن شفاكم فيها ونعمت! وإن كانت الأخرى فإن لقاء الله أفضل من كل لقاء!)

دُعَاءَ مَا ظَنَنْتُ بِأَنْ يَخِيْبَا!	أَنَا الْأُمَّةَ الَّتِي دَعَتِ الْقَرِيْبَا
وَرَبُّ النَّاسِ كَانَ هُوَ الرَّقِيْبَا	وَدَمَعُ الْعَيْنِ كَانَ قَرِيْنِ سُوْلِي
وَعَانِي الْقَلْبُ - فِي الْبَلْوَى - النَّحِيْبَا	وَحَوْلِي النَّاسُ حَارُوا فِي مَصِيْرِي
أَمْوَتْ بَعْلَتِي أَهْجُو الْخَطُوْبَا	وَأَلَمَ مُهْجَتِي قِيْلُ الْخَزَايِيْبَا
وَشَمْسُ الْعُمْرِ وَدَعَتِ الْغُرُوْبَا	أَمْوَتْ لِأَنْنِي أَسْلَمْتُ طَوْعاً
وَتَمَنَّهَهَا مُصَيَّبَتْهَا الْوَجِيْبَا	أَمْوَتْ بِحَسْرَتِي وَالنَّفْسُ تَأْسَى

أموتُ وفيّ قد شمت الأعداي
أموتُ ، ولا أوَمَلْ بعضَ ذكري
وأصْبِحُ عبْرَةَ بَلْغَتْ مَداها
وقومي بالجفا جرحوا شعوري
وبعضُ القول الغاَزُ دَهْنَتِي
يُواسِي البعضُ ، والخِذْلانُ أقوى
وَحَجَّـتَهم بأن الطيب وافى
هو (السرطان) خلفها سراباً
هو (السرطان) جندها ، فصارت
فما جَدوى العلاج أو التداوي
وما جَدوى التعلق بالأمتاني
ألم تقصدُ أساتذة التداوي؟
وكم أجرتُ فحوصاتٍ توالى!
وأجمَعُ أهلَه ألا شفاءً
وأن الموت يرمقها ببعين
فقلتُ أخاطبُ المولى ، وأبكي
أموتُ ، وإن لقيتُ الله فوزاً
ولكن مِيتتِي تُغري فريقياً
فيا رب اشفني كي يسْتَفيقوا
شِفائي اليوم يُخزي من تحدى
شِفائي اليوم مُعجزة ونصرٌ
شِفائي اليوم أمنيّة أراها

وفرحتهم بدتُ أمراً مُريباً!
وأمسى العيشُ بالسواى مشوباً
يكادُ القلبُ منها أن يذوباً
وبات كلامهم عني غريباً
أمدحاً قال قومي؟ أم نسيباً؟!
وتشكو الروح - من خذل - لغوباً
بنص قاطع ليس المعيباً
وأفنى قبلُ شُباناً وشيباً
تُصارعُ واقِعاً ينسأ كنيباً
وقد بات الرحيلُ هو النصيباً
وهل معلولة تلبو الطبيباً؟!
شمالاً سافرتُ ، وكذا جنوباً!
وأجرى طُبها الكشف العجيباً
لقد أمسى الشِفا أملاً كذوباً
تتابعها ، وعنهما لن تغيباً
بدمع يُشبه الغيث السكوباً
يُحب مليكنا العبد المُنيباً
على ألا يوحّد ، أو يتوباً
من الوهم الذي أعمى القلوباً
وكان كلامه سيباً قشيباً
يُشجّع مُقبلاً فطناً ألبباً
تؤيدُ من يؤمّل أن يثوباً

ويجعله بلا شك طروباً!
ومن يهب الشفا إلا القريباً؟!
وظني منذ دعوت بأن يجيباً
فقلت: دعوت من صرف الكروباً
جديراً ربنا أن يسـتجيباً
لرب ما علمت له ضرباً
ويغفر - للألى تابوا - الذنوباً
ويعلم - عز مولانا - الغيوباً
وأجساماً تعقب والجيوباً
غضنفر غابة يُردي ، وذيباً
وخذ القوم قد خاض الحروباً
بدت قفراً من السكنى حديباً
ويكشف عنكم البأس الرهيباً
يكاد الطفل منها أن يشيباً
بلقيا العبد مولاه الحسبياً
وحق لها بذلك أن تطيباً

شيفاني اليوم يُذهب غيظ قلبي
فيارب الورى أسعد فؤادي
ورب الناس أبراً من سقام
وقال الطب: كيف شُفيت؟ قولي!
وكنت على يقين أن أعافى
أنا الأمة التي رفعت يديها
رحيم رحمة ليست تُبارى
ويعلم كل ما شهدت عيون
فيامن أثار السرطان فيهم
وخلفهم كمثل الشاة خافت
وجر عليهم السويلات تُثرى
وفرغ منهم الأصقاع حتى
ألا فادعوا الإله يشد أزرأ
ويشفيكم من الأمراض أضحت
فإن لم يستجب ، فالخير حتماً
ولقيا الله تسعد خير نفس!

الوشاخ السُنْدُسِيّ فِي مَدْحِ سَلْمَانَ الْفَارْسِيّ!

(إن الشعر ليشرف بالكتابة عن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ! وإنه لشرف أكبر للشاعر أن يسخر قلمه وشعره ونثره وأدبه للكتابة عن أصحاب رسول الله! وأحدهم سلمان الفارسي - رضي الله عنه - . يقول الأستاذ محمد مروان عنه: (يعود أصل الصحابي الجليل سلمان الفارسي - رضي الله عنه - إلى بلاد فارس ، من بلد يُسمّى: رامهرمز ، وقيل من: من مُدن أصبهان ، وكان اسمه: مابه بن بوذخشان ، حيث كان مجوسياً ؛ لأنّ قومه كانوا يعبدون النار ، وكان يقوم على تزويدها بالحطب وخدمتها لكي لا تنطفئ ؛ لأنّ أباه كان من رؤساء القرية ، ويُسمّى عندهم: دِهْقَان ، كما أنّه كان أحبّ أبنائه إليه ، وذات يوم انشغل أبوه بإقامة جدار له ، فطلب منه أن يذهب إلى مزرعتهم ويحضر له شيئاً ، فمرّ بكنيسته ودخل فيها ، وسمع أصوات صلاتهم ، فوَقعت النصرانية في قلبه ، وبقي عندهم إلى غياب الشمس ، وسأل عن أصل دينهم ، فأخبروه أنه بالشام. فلما سمع أبوه بالخبر حبسه وقيده ، فأرسل سلمان إلى النصارى يُخبرهم بقصته ويسألهم أن يعلموه إذا جاء وفد منهم يريد الشام ، ولما حضر الوفد أخبروه ، فنزع السلاسل من قدميه وذهب معهم يريد النصارى في الشام ، فلما وصل قام على خدمة أحد أساقفتهم ، ولكّنه كان سيئاً ، حيث كان يأمر النصارى بالصدقة ، ثم يأخذها لنفسه ، فمات وأخبر سلمان الناس بسوء خلقه ، فوضعوا مكانه أسقف لم ير سلمان مثل أخلاقه من قبل! فلما حضرته الوفاة قال له سلمان: بمن توصيني أن ألحق؟ فأوصاه بواحد منهم ، وبقي ينتقل بين علماء النصارى حتى أخبره أحدهم بأنّه هناك نبيّ سوف يُبعث ، فأوصاه عند موته بالذهاب إلى الحرم ، حيث سيُبعث فيها نبيّ ، وذكر له علامات نبوته ، وهي أنّ بين كتفيه خاتم النبوة ، ويأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، وكان سلمان قد اكتسب من العمل عنده غنم وبقرات ، وأوصاه بالبحث عن النبيّ الذي سيُبعث في أرض العرب ، ووصفها بأنّها أرض بين حرتين ؛ بينهما نخل ، وأخبره أنّه سيُبعث بدين إبراهيم وهو الحنيفيّة ، وأنّه سيخرج في أرض العرب ، فلما مات الراهب ، بقي سلمان بعده في عمورية بعض الوقت حتى جاء نفرٌ من تجار كلب ، وطلب منهم أن يذهب معهم إلى أرض العرب ، ويُعطيهما ما معه من غنم وبقر ، فوافقوا وأخذوه ، وفي الطريق غدروا به وباعوه عبداً. باعوه إلى رجلٍ من اليهود ، فأخذوه إلى المدينة! وعندها رأى سلمان النخل الذي وصفه له الراهب ، وبقي في المدينة حتى سمع بمبعث النبيّ محمد - عليه الصلاة والسلام - في مكة ، فجاء رجلٌ يُخبر أنّ النبيّ محمد - عليه الصلاة والسلام - قد قدم إلى المدينة ، وأنّه جالسٌ بين أصحابه ، فلما سمع سلمان الفارسي هذا الكلام أصابته رعدةٌ من البرد والحمى. ولما حضر المساء جاء إلى النبيّ محمد - عليه الصلاة والسلام - وهو في قُبَاء ، ومعه شيءٌ من التمر ، فأخبره أنّه أحضرهم لوجود بعض الفقراء من الصحابة ، فلما أخذها ولم يأكل منها ؛ كانت تلك العلامة الأولى - أنّ النبيّ لا يأكل الصدقة - ثمّ رجع إليه مرةً أخرى وقال له: هذه هديةٌ لك ، فأكل منها ، فتحققت عنده العلامة الثانية التي أخبره بها راهب عمورية ، ثمّ تبعه في جنازة إلى البقيع ، ولما رآه النبيّ محمد - عليه الصلاة والسلام - وعلم مُرادَه كشف له عن خاتم النبوة ، فلما رآه قبله وبكى. وحث النبيّ محمد - عليه الصلاة والسلام - سلمان على تحرير نفسه من العبوديّة بالمكاتبة بعد أن كان عبداً عند رجلٍ من اليهود ، فذهب إلى سيده يعرض عليه المكاتبة ، فكاتبه على أن يغرس له ثلاثمئة ، وقيل: خمسمئة من صِغار النخل ، مع أربعين أوقيةً من الذهب ، ثمّ ذهب إلى النبيّ محمد - عليه الصلاة والسلام - وأخبره بما تم الاتفاقُ عليه بينهما ، فأخبر النبيّ - عليه الصلاة والسلام -

الصحابه الكرام بأن يُعينوه في مكاتبتة ، فجمعوا له النخلات وحفروا معه ، وكان النبي - عليه الصلاة والسلام - يضع النخل في الحُفر بيده ، فقال سلمان: "فما ماتت واحدةً منهمُنَّ" ، ثم جاءه رجل معه مثل بيضة الدجاجة من ذهب ، فأخذها سلمان وباعها ، فكانت أربعين أوقية ذهباً ، ثم أعطاها لسيده اليهودي ، وحرّر بها نفسه من رق العبودية. رواه أحمد في المسند (441/5) وقال المحققون : إسناده حسن. وذكر البخاري في صحيحه أن سلمان تنقل في عبوديته بين بضعة عشر من الأسياد ، فأثنى عليه النبي - عليه الصلاة والسلام - وقال كما جاء في الحديث الذي يرويه أبو هريرة: (كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأُنزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ: {وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثًا ، وَفِينَا سَلْمَانَ الْفَارِسِيُّ ، وَضَعَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ ، ثُمَّ قَالَ: لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثَّرَيَا ، لَنَالَهُ رِجَالٌ - أَوْ رَجُلٌ - مِنْ هَؤُلَاءِ). وكان سلمان الفارسي - رضي الله عنه - هو من أشار على النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - بحفر الخندق في غزوة الخندق ، وكان ذلك لما سمع المسلمون بقدوم جيش كبير من المشركين إلى المدينة ، فبدأ النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - يُشاور أصحابه ، فأشار عليه سلمان بحفر الخندق في الجهة التي يخشى منها المسلمون قدوم جيش المشركين ، وكانت هذه فكرة الفرس في حروبهم ، ولم يكن للعرب عهدٌ بها ، فاقتنع النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - بفكرته ، وبدأ مع المسلمين بحفر الخندق في الجهة الشمالية للمدينة ؛ لأن باقي الحدود كانت مليئةً بالنخل والبيوت ولا يمكن للمشركين الدخول منها ، وعاون أصحابه وكان يُشجعهم ويذكرهم بالآخرة. وكان سلمان الفارسي يُقال له: ابن الإسلام ، وسلمان الخير ، وكان من العلماء الزهاد! شهد الخندق وبقية المشاهد ، كما شارك في فتح العراق ، وتولى المدائن ، وخدم النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - ، وروى عنه العديد من الأحاديث ، وأخرج له البخاري أربعة أحاديث ، ونزلت في فضله العديد من الآيات ، كما أنه كان من الزهاد ، سواءً في أكله أو إمارته ، فكان يأكل من عمل يده ، ويقسم الأموال بين الرعية ، فقد جاءه في يوم خمسة آلاف درهم وهو أمير فوزعها على رعيته كلها ، وكان يستظل الفيء من الجدر ، فعرض عليه أحدهم أن يبني له بيتاً فأرشده أن يكون صغيراً ؛ بحيث إذا نام فيه مست رجله الجدار ، وإذا قام مس رأسه السقف. وكان سلمان الفارسي - رضي الله عنه - محبباً للإيمان والدين ، ويظهر ذلك من خلال بحثه عن الإسلام ، فقد سعى في ذلك بجد وإرادة ، وفي حفر الخندق قال المهاجرون: "سلمان منا" ، وقال الأنصار: "سلمان منا" ، فقال لهم النبي - عليه الصلاة والسلام - أن سلمان منهم من أهل البيت ؛ وذلك لقوته ، وأخبر النبي - عليه الصلاة والسلام - أنه من الصحابة الأربعة الذين يُحبُّهم ، وأن الجنة تشتاق له ، كما أنه كان واعظاً ، وذات يوم وعظ الناس وحثهم على الحياء وقال إن هذا الخلق لا يأتي إلا بخير ، ومن نزع منه كان مقبلاً ممقناً. هـ. ونزيد الأمر وضوحاً في الإسهاب ن قصة سلمان الفارسي بأنه كان عبقرياً بكل ما تعنيه الكلمة من معانٍ! وتحت عنوان: (سيرة سلمان الفارسي رضي الله عنه) يقول الدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي ما نصه بتصريف: (كان سلمان الفارسي لبيباً حازماً من عقلاء الرجال ، وعبادهم ، وزهادهم ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير من الأحاديث ، ولزمه ، وأحسن صحبته ، إنه سلمان ابن الإسلام أبو عبد الله الفارسي ، سابق الفرس إلى الإسلام ، وكان ببلاد فارس مجوسياً سادن النار. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث الحسن قال: لما احتضر سلمان بكى، وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا عهداً ، فتركنا ما عهد إلينا ، أن يكون

بلغة أهدنا من الدنيا كزاد الراكب ، قال: ثم نظرنا فيما ترك ، فإذا قيمة ما ترك بضعة وعشرون درهماً ، أو بضعة وثلاثون درهماً. وكان وفاته سنة خمس وثلاثين في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه ، روى عبدالرزاق عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال: دخل ابن مسعود على سلمان عند الموت ، قال ابن حجر: فهذا يدل على أنه مات قبل ابن مسعود ، ومات ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - قبل سنة أربع وثلاثين ، فكأنه مات سنة ثلاث أو ستة وثلاثين!«). هـ.

يا شِعْرُ ذُرِّ شُعَاعِكَ الْمُزْدَانَا وانشِرْ عَلَى الضَّيْفِ الْكِرَامِ جُمَانَا
شِنْفٌ بِأَخْبَارِ زَكَاةٍ أَسْمَاعِهِمْ أَوْ مَا تَرَاهُمْ أَطْرَقُوا الْآذَانَا؟!
فَأَفْضُ عَلَيْهِم بِالْمِنَاقِبِ تَزْدَهِي وَالْحَقُّ زَادَ بِهَاءِهَا تَبْيَانَا
ذُرٌّ سَمَتْ أَخْبَارُهَا عَن كَذِبَةٍ خَصَّ الرِّوَاةَ بِذِكْرِهَا (سَلْمَانَا)
وَاسْتَنْطَقَ التَّارِيخُ ، وَاسْبُرْ غَوْرَهُ حَتَّى يُفِيدَكَ سَرْدُهُ اسْتِيقَانَا
وَاعْمُدْ إِلَى أَزْكَى الْمَصَادِرِ حُقُوقَتْ حَتَّى تَزِيدَكَ دِقَّةً وَبَيَانَا!
وَتَحَرَّرَ لَا تَذَكُرْ عَزِيفًا مُغْرَضًا وَمِبَالِغَاتٍ مَجَّاتِ الرُّجْحَانَا
كَمْ مِنْ مَرَاجِعَ لَا تُسَاوِي حَبْرَهَا كَلَا ، وَلَا وَرَقًا حَوَى الْبُهْتَانَا!
وَلَكُمْ قِرْآنَا لِلْأَلْيِ لَعِبُوا بِنَا إِذْ إِنَّ أَسْلُوبَ الْغَوَاةِ سَبَابَانَا!
كَمْ رَوَّجُوا لَضَعِيفِ آثَارِ ، وَلَمْ يَتَّبِعُوا ، أَوْ يَحْسِبُوا حُسْبَانَا!
(سَلْمَانِ) سَيِّرْتُكَ الزَّكِيَّةَ مَنَهْجَ فِي الْبَحْثِ عَمَّا يُصْلِحُ الْإِنْسَانَا
فِي أَرْضِ (فَارِسِ) لَمْ تَرَقِّكَ طُقُوسُهُمْ فَهَجَرْتَهَا ، وَنَكِرْتَهَا نَكَرَانَا
خَابَ الْمَجُوسُ ، فَكَمْ أَضَلُّوا شَعْبَهُمْ! حَتَّى اسْتَكَانَ ، وَأَلَّهَ الْأَوْثَانَا
وَتَفَرَّدُوا بِمَخَارِفِ شِرْكِيَّةِ أَهْدَتْهُمْ الْإِشْرَاقَ وَالْكَفْرَانَا
فَبَرَحْتَ (فَارِسَ) ، وَاتَّجَهْتَ لَشَامَانَا تَسْتَكْنِيهِ السَّدْعَاتِ وَالْأَدْيَانَا
وَلِزِمْتَ مِنْ بَيْنِ النَّصَارَى أَسْفَقًا أَبْدَى لَكَ الْإِخْلَاصَ وَالْإِحْسَانَا
حَتَّى إِذَا اكْتَنَزَ الزَّكَاةَ لِنَفْسِهِ فَاصْلَتْهُ كَيْ لَا تَكُونَ مُدَانَا
فَتَبِعْتَ آخِرَ تَهْتِدِي بِرَشَادِهِ وَرَأَيْتَ فِيهِ لِمَنْ مَضَّوْا سُلوَانَا

كبي تبليغ الإسلام والإيماننا
ثم اتبع يا صاحبي (العدنانا)!
تفدي النبي ، وتعبدُ الرحماننا
سُلبت من العبد المُباع زماننا
وعلى الجهاد تُقدّم البرهاننا
خبرَ الحروب ، وأتقن الإثخاننا
- في ساحة الهيجاء تلك - حصاننا
والبحرُ جَنَّب موجهه الفرساننا
والبحرُ كان مَفَازة وأماننا
يحمي الحمى ، ويُحَكِّم القرآننا
ترعى الذمار ، وتدفعُ العُدواننا
بل عشت تخشى الواحدَ الديقاننا
عن قلبك الأحقادَ والأضغاننا
وطرحت عنك الغل والشناننا
وسُمو نفسك جنودَ الشيطاننا
سويت سرر البذل والإعلاننا
والبعضُ يسأل: هل رأيت فلاننا؟!
ورآك بعضهم تُعدُّ خواننا
لك دابغاً - بين الورى - دُهقاننا
مُتفضلاً مُتَبذلاً معواننا
خبرَ البذور ، وعالجَ الأطياننا!
فلقد أنفست الخيلَ والبُعراننا

وإليك ساق نصيحة أولاهها
قال التمس زمن النبوة عاجلاً
وأتييت للمختار (أحمد) مُسلماتاً
وإليك عادت يا فتى حُريرة
وشهدت أماتِ المعارك ضيغماً
و(الخدق) انطلقت تشيدُ بفارس
ورئييت يوم (القادسية) راكباً
والله ذليل للفوارس بحرّه!
ووعودُ (سلمان لسعد) نفذت!
وعلى (المدائن) صيرت واليهما الذي
وبقيت فيها - رغم عِزك - زاهداً
لم تتخذ شرفَ الولاية مغنماً
وخدمت أفرادَ الرعيّة نافضاً
أديت حق الناس مُحْتفلاً بهم
ووأدت حظ النفس كي تسمو بها!
ورآك بعض الناس مُبتذل الصوى
فرأوك حمّالاً لأثقل سِلعة
ورأوك تنسجُ خوصة وتبيغها
ورأوك تدبغ جلد شاة ، لم تجد
ورأوك تعجنُ عامداً متعمداً
ورأوك تزرعُ بقعة زرع الذي
ورأوك مُمتطياً حمازك عازماً

لَمَّا أَلْفَتِ الْفَقْرَ وَالْغُبْدَانَ
أَحْتَاجُ - إِنْ وَصَفْتُهَا - أَعْوَانَا
هَذَا الَّذِي رَأَتْ الْجَمُوعُ عَيَانَا
وَلِهَ سَأَلْتُ إِلَهَنَا الرُّضْوَانَ
أَحَدًا ، فَعَنَ هَذَا النَّبِيَّ نَهَانَا
يَا رَبِّ أَدْخِلْ جَنَّةَ (سَلْمَانَ)!

وَرَأَوْكَ فِي هَذَا الَّذِي مَتَقَشَّفًا
فِي الزَّهْدِ مَرْتَبَةً أَنْوَعُ بِوَصْفِهَا
إِنِّي لِأَحْسَبُهُ ، وَرَبِّي حَسْبُهُ
وَتَوَاتَرْتُ أَخْبَارُهُ وَصِيفَاتُهُ
وَعَلَى إِلَهِي الْحَقِّ لَسْتُ مُزَكِّيًّا
عَنْهُ أَرْضَ يَا رَبِّ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَرْضِيهِ

أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي)

(من منا لا يعرف محمداً بن إدريس الشافعي إمام المذهب – رحمه الله رحمة واسعة -! كلنا يعرفه فقيهاً مناظراً مفحماً للبدعة وأهلها ، وناصرأً للسنة وأهلها! فقد أغناه كتاب (الأم) في الفقه عن التعريف به كفقيه ، وأغناه كتابه (مسند الشافعي) عن التعريف به كمحدث! ولكن القليل منا يعرفه شاعراً نحريراً ، لأن الله له البيان والبديع والبلاغة والإبانة والفصاحة! فقد حظي ديوانه الموسوم بـ (الجوهر النفيس في شعر محمد بن إدريس) عن التعريف به كشاعر! قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى مشفقاً على نفسه ومتهماً إياها بالتقصير في جنب الله:

أحب الصالحين ولست منهم *** وأرجو أن أنال بهم شفاعته

وأكره من تجارته المعاصي *** وإن كنا سواء في البضاعة

فقال له الإمام أحمد رحمه الله تعالى مادحاً الشافعي ومثنيأً عليه ومطمناً له ومهنئاً ومبشراً:

تحب الصالحين وأنت منهم *** ومنكم سوف يلقون الشفاعته

وتكره من بضاعته المعاصي *** حماك الله من تلك البضاعة

ولقد قرأت شروحات كثيرة لبيتي الشافعي الأوليين! ولكنني وجدت الأستاذة الأديبة فاطمة علي تشرح البيتين للشافعي بطريقة إبداعية - وكأنها ابنة الشافعي أو تلميذته - فتقول ما نصه: (من قول الإمام الشافعي: (أحب الصالحين ولست منهم لعلي أنال بهم شفاعته) فهو يقول عن نفسه بأنه يحب الأشخاص الصالحين الذين يفعلون الخير. ويتجنبون فعل السيئات ويسعون إلى رضا الله سبحانه وتعالى وطاعته. فيتجنبون كل فعل سيء قد يدخلهم النار ويحاولون دائماً الإصلاح من أنفسهم. ويكمل الإمام كلامه بقوله: "لست منهم" وذلك تواضعاً وإقراراً بتقصيره. وذلك لأنه يعلم أن المؤمن مهما فعل فسيظل مقصر. ولا يكفي فعله لشكر فضل الله ورحمته ، وكلنا كذلك نسأل الله العفو والعافية. ويقول الإمام بعد ذلك: "لعلي أنال بهم الشفاعته" ، وهو يقصد أن: لعله ينال الشفاعته بسبب حبه للصالحين. فمن يحب سوف يعمل على تقليد من يحبه في كل أفعاله الحسنه. وقد أخبرنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أن المرء مع من يحب! فعن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: وما أعددت للساعة؟ قال: حب الله ورسوله ، قال: فإنك مع من أحببت ، قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم : فإنك مع من أحببت. قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر. فأرجو أن أكون معهم ، وإن لم أعمل بأعمالهم. وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله. كيف ترى في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المرء مع من أحب. وأما عن البيت الثاني والذي يقول فيه الإمام الشافعي: "وأكره من تجارته المعاصي ولو كنا سواء في البضاعة": فهنا يقول الإمام الشافعي أنه يكره من يتاجر بالمعاصي. أي أنه لا يحب الأشخاص الذين لا يخفون ذنوبهم بل يجاهرون بها. ويفعلون الذنوب دون ندم أو خجل من فعلها. ويكمل قوله: "ولو كنا سواء في البضاعة" أي أنه يعترف أن لديه ذنوباً ومعاصي. فكلنا مخطئون ولدينا ذنوبنا ، ولكنه هنا يقول بأنه ليس معصوم. فهو أيضاً له ذنوبه! وسبب كرهه لمن يتاجرون بالمعاصي ليس أنهم

عاصون. فكلنا كذلك بل سبب الكره أنهم يتاجرون بها ولا يندمون عليها. فهذه القصيدة ليس الغرض منها أن يمدح الإمام الشافعي في نفسه ؛ والدليل على ذلك أننا لا نجد فيها أبداً ما يدل على الشكر في الذات وتمجيدها سواء بالتعبير المباشر أو حتى باستخدام الكناية. بل إنه ليعترف بكونه بشراً يخطئ ويصيب ، ولكنه يحب الأشخاص الصالحين ، ويأمل أن يكون حبه لهم وإنكاره فعل من يتاجرون بالمعاصي أن يكون سبباً في الشفاعة له ودخوله الجنة). هـ. ومن فاطمة على إلى فاطمة عبد المقصود ، حيث تقول تحت عنوان: (أحب الصالحين ولست منهم) ما نصه بتصريف زهيد: (كثيراً ما تهفو الروح إلى أولئك الطيبين ، الذين تشعر حين تلقاهم أنهم أصحاب قلوب رائقة لا تأبى لعوارض الدنيا ، ولا تتشوق لنيل حظوظها ، تلقاهم فيرتاح القلب ، ويود لو يرتقي فيصِل إلى سماتهم العالية ، تعلم أن بينك وبينهم أمداً بعيداً ؛ فهم على الطريق يهرولون إلى الخيرات وإلى نبع النور ، بينما أنت تتلفت هنا وهناك مرّات ومرات قبل أن تكمل على الطريق خطوةً ، لكنك تشد من عزمك ، وتغذي طموحك كلما رأيت غدوهم ورواحهم. وإنك لتفقد صبرك أو تجور على غيرك ، وإنك لتغفل عما هو حقٌ وواجبٌ ، ويغيب عنك كثيرٌ من الخلق الرفيع ، وتدعي أنك على الحق والخير ، فإذا ظهروا عرفت أين مكانك ، ورأيت كيف هدوهم وصبرهم وجلدُهم ، ورأيت حرصهم على الواجبات وتغافلهم عن المسيئين ، ورأيت بذلهم وأدبهم ، فإذا بهم قد علموك كثيراً دون أن تنطق شفاهم بحروف كثيرة. هم ذلك الطيف الذي تراه فتشعر أن الهواء من حولك نسمات صافية ، تطيب معها القلوب والأبدان ، هم أولئك الذين لا يملأون وقتك بسفاهات الفارغين ، بل تجد في كل كلمة لهم مغزى تنتفع به. إنهم كصديقتي التي لم أكن ألتقيها إلا قليلاً ؛ لأنها شغلت أوقاتها جميعاً بما يصلح أحوالها وينفعها ، تترك في ذلك الأثر الذي يدفع إلى الخير ، ويحبب إلي الترقى. لن نعدم أن تجد أحداً منهم بجوارك إن بحثت ، وقد يكونون أقرب ما يكون إليك ؛ في أسرتك الصغيرة ، أو عائلتك الكبيرة فيمن تعرف من الأصدقاء أو زملاء العمل ، أو حتى من كانوا في رفقتك يوماً ، أو من التقيتهم عرضاً في موقف من مواقف الحياة. هم الذين تحتاجهم الروح والألم تجد أنيساً ، ويرتاح بهم القلب وإلا بقي مشتتاً حزيناً ، فلا تتردد في البقاء إلى جوارهم إذا ظفرت يوماً بهم ؛ لعلك تقتبس من خصالهم وأخلاقهم ما ترتقي به ، وتندفع إلى سباق الخيرات). هـ. وإذن فالمعنى المراد أن المرء محشور يوم القيامة مع من أحب! وهذا الذي نفهمه من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ونفهمه كذلك من بيتي الشافعي - رحمة الله تعالى عليه -! وتحت عنوان: "المرء مع من أحب" يقول الأستاذ أبي محمد محمود ما نصه: (غاية الإكرام أن تحب إنساناً فتبلغ منك في اللحاق به وإن قصر بك عملك عن درجته ، وقد وقعت هذه البشارة موقعها من قلوب المحبين المتولهن بحب النبي صلى الله عليه وسلم وحب أصحابه لما سمعوا منه فقد قال قائلهم (والكاتب هنا يعني أنس بن مالك) :- "ما فرحنا بعد الإسلام بشيء فرحنا بهذا الحديث". وكان ثوبان رضي الله عنه مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب له وكان يراوده هذا الهاجس ، يخاف ألا يلقي النبي صلى الله عليه وسلم بعد الموت بسبب تفاوت الدرجات ، وفيه نزلت آية سورة النساء ، قال القرطبي: كان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحب له قليل الصبر عنه ، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه ، يعرف في وجهه الحزن ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "ما غير لونك؟! ، قال: يا رسول الله.. ما بي ضر ولا وجع ، غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك ، لأنني عرفت أنك تُرفع مع النبيين

– عليهم صلوات الله وتسليماته - ، وأنى إن دخلت الجنة كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك ، وإن لم أدخل لا أراك أبداً ، فأنزل الله عز وجل قوله: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}. وعند الطبراني من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: والله إنك لأحب إلي من نفسي ، وإنك أحب إلي من أهلي ومالي ، وأحب إلي من ولدي ، وإنني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإنني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك. فلم يرد عليه النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – شيئاً حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} الآية. بهذه المحبة الصادقة وبهذا التعلق استحقوا هذا الإكرام "المرء مع من أحب"! فيا لها من نعمة على المحبين سابغة. يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض أسفاره ، إذ هتف بنا أعرابي بصوت جهوري فقال: يا محمد! فقال له النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ما تشاء؟ فقال: المرء يحب القوم ولا يعمل بأعمالهم؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: المرء مع من أحب. وفي رواية البخاري: "كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ ، فقال: المرء مع من أحب". فألحقه عليه السلام بحسن النية من غير زيادة عمل بأصحاب الأعمال الصالحة! كما يقول الخطابي رحمه الله. ومما ينسب إلى ابن حجر رحمه الله قوله:

وقائل هل عمل صالح ... أعدده يدفع عنك الكرب

فقلت حسبي خدمة المصطفى ... وحببه فالمرء من أحب

ولحاق المحبوب بمن أحب وكونه معه لا يلزم منه أن تكون منزلته وجزاؤه مثله من كل وجه! قال ابن حجر في الفتح قوله: "إنك مع من أحببت أي ملحق بهم حتى تكون في زميرتهم ... وإن تفاوتت الدرجات" اهـ. ليس الأمر هنا على إطلاق المحبة فليست كل دعوى محبة نافعة لصاحبها" فلا ينتفع من ادعى محبة قوم ، وخالفهم في أخلاقهم ، وأعمالهم رغبة عنها بمحبتهم ، ولا يلحقه ذلك بهم. وكذلك – أيضاً – لو كان مشتغلاً عن متابعتهم ، وموافقهم بما هو فيه من شهوات النفس ، وثرّهات الهوى ، والعكوف على تحصيل الدنيا بأي وجه تيسرت به ، بحيث غلب عليه الظلم والغش والمكر والخديعة وغير ذلك ؛ فإن ما يدهيه من محبتهم لا ينفعه ، ولا يلحقه بهم ؛ لأنه مجرد تَمَنٍّ ، ومحض ادعاء لا يجدي ، وكيف تثبت له محبتهم وقد عكف على أوصاف من سواهم ، وجاء بأعمال من عداهم ممن ليسوا منهم؟ ومن هذا القبيل محبة الظلمة والفسقة للصلحين ، وتقريبهم من المباركين بعرض أموالهم عليهم ، وإرسال الهدايا إليهم ، وهم مكبؤون على ظلمهم للناس ، وإسرافهم على أنفسهم ، فهؤلاء لا تنفعهم محبة الصالحين ، ولا تلحقهم بهم. وأما من كانت مخالفته لهم لا على طريق الرغبة عن أخلاقهم ، ولا على سبيل الأنفة من أحوالهم ، بل كان ذلك على سبيل العجز والتقصير عن بلوغ درجاتهم ، والانحطاط عن علو همتهم ، أو على وجه غلبة الهوى عليه ، وضعفه عن مصادمته ومخالفته ، فوَقعت منه الزلة ، وألمَّت تلك اللمة ، ولو تيسر له اللحاق بهم في وصف لم يتأخر عن الاتصاف به ، أو في خلق لم يتوان عن التخلق به ، فهذه المخالفة والتقصير لا يُقعدانه عن اللحاق بمن يحبهم ، ولا يؤخره عن الكينونة معهم ، وعلى ذلك تحمل الأحاديث والآثار الواردة

في ذلك". كما قال الغزي رحمه الله تعالى في حسن التنبيه لما ورد في التشبيه. المحبة إذن تجارة رابحة ، لكنها تستلزم الموافقة والمتابعة وإلا كانت مجرد دعوى).هـ. ومن هنا كانت مساجلتي ومحاكاتي الشعرية للشافعي – رحمه الله تعالى - ، في هذين البيتين الرائعين! واتبعْتُ في ذلك النمط من المعارضات الشعرية منهج الإمام أحمد بن حنبل تلميذ الشافعي في الثناء على الشافعي وإبراز مكانته ، فيما يبدو لنا والله حسيبه ووكيله! ولا نزكي على الله ربنا أحداً!)

كَمَثَلِ الْبَدْرِ يُهْدِيهِمْ شُعَاعُهُ	تُحِبُّ الصَّالِحِينَ ، وَأَنْتَ فِيهِمْ
تَرَى الْعِصْيَانَ مِنْ أَخْزَى الْبِضَاعَةِ	وَتَكْرَهُ مَنْ يُجَاهِرُ بِالْمَعَاصِي
وظنني أن يُبلغك الشفاعة	مآلات الأرض علماً لا يُبارى
وفقهة الدين والتقوى صناعة	وفقهت العجافرة احتساباً!
إماماً كلهم يرجو اتباعه	وعلمت الأصول ، وكنيت فيها
إليها أشهر الفذ اندفاعه	وناولت المناقب كل فذ
بزورق مبحر أعلى شراعه	وخضت البحر لم تحذر غباباً
كأنك كنت تزرعها زراعة	ودرست المبادئ والسجايا
وكل منهم أبدي انتفاعه	وربيت الأماجد تصطفاهم
ولم تأخذ من الدنيا لعاهة	ورسخت التمسك بالمعالي
تفوق الدر - صدقاً - في النصاعة	وقدمت القصائد كاللآلي
تزين نصوصه طرس الطباعة	و(جوهرك النفيس) دليل قولي
وفيهما يشتهي القاري متاعه	وفذ في (الرسالة) عبقري
يصد الخصم مُحتملاً نزاعه	وففي (الأم) التفقهُ مُستنير
رواه البعض ، أو روت الجماعة	و(مُسندك) احتوى كم من حديث
وغيرك ساق - في البلوى - وجاعه	وجابهت الطواغي دون خوف!
وخالف علمك الجم القناعه	وناظرت الخصوم بفيض علم
وبعض منهم لفظ ابتداعه	ولكن لا بداع البعض بأس

فأبدي - في المناظرة - التياغه
وكم عاملت تُجاراً وباعه!
وإن يكُ لم يُناولك استماعه
ولطفٍ رافعاً كَف الضراعة!
وشيمتك التفضل والوداعة!
يُعاني الناسُ - في الدنيا - انقطاعه!
لتدفعَ ما افتري أهل الوضاعة!
وقد ذهبَتْ بحِكمته الإشاعة!
لأجلِك قانعاً عقد اجتماعه
وقال: أمرُ تجد سمعاً وطاعة!
ونظف ما اعتري - أسفاً - ذراعَه
فقال: اذهبْ ، ولكنْ بعد ساعة
فأرهفَ - في تداولها - سماعه
فكلَّ منهمُ أزجى خِداغه
وبالغ في التنطع والفظاعة
وكان كلامُه أنكى شناعة
وأبطل باطلاً يُغري سِباعه
وجنود منكَراً يُزجي ضِباعه
كبكر عندما لقيتْ (خزاعة)
ومتعك المهيمُن بالشِفاعه
وخففَ عنك - في المأوى - وجاعه!

وأفحمت المُنأوى في التلاحي
وكم سافرت أسفاراً طوالاً!
وكم أهديت نصحك من تعدى
وكم قابلت مُفعلاً بجلِمْ
وكم أحسنت في سِر وجهر
وكم أخلصت ترجو لَمْ شَمْل
وكم أبعدت في إيصال رأي
وأقنعت (الرشيد) بلا افتتاتِ
فقال: (الشافعي) إمامُ حق!
وقدرَ ما تُقدّم من علوم
وفكّ القيد معتذراً لشيخ!
فقلت: أعودُ منتصراً عزيزاً
وكانت عنده شتى القضايا
على أهل الكلام زُيّت ليثاً
وسَعَرَ حقه حربه ضروساً
وأشهرَ سيفه حسداً وحنقاً
وجاء (الشافعي) فردّ كيداً
ودافع عن حياض الدين فرداً
وأخمدَ فتنةً بلغتْ مداها
ألا يا (شافعي) لك التحايا
شِفاعه (أحمد) يوم التنادي!

إتحاف الخواص في مدح سعد بن أبي وقاص

(إنه ليقاسُ عندي مقدار حب الشاعر المسلم لأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم ورضي الله عن صحابته - بعدد القصاص التي صاغها عن صحابته! وكانت لي قصائد عن الصحابة في مواقف متعددة من حياتهم ، وأحياناً أتناول سيرهم شعراً بعد نثر! وهذا أحدهم الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص القائل: "ما أسلم أحدٌ إلا في اليوم الذي أسلمتُ فيه ، ولقد مكثتُ سبعة أيامٍ وإنِّي لتُثُتُ الإسلام!" يقول الأستاذ الأديب الكاتب: د. أمين بن عبد الله الشقاوي تحت عنوان: (سيرة سعد بن أبي وقاص) ما نصه: (هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهد بدرًا وأحدًا والخندق ، وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة ، أسلم وعمره لم يتجاوز السابعة عشرَ عامًا ، وكان من السابقين إلى الإسلام. وكان قائدًا لجيش المسلمين في معركة القادسية الشهيرة ، وعلى يديه فُتِحَتْ مدائنُ كِسْرَى ، وهو أوَّل من أراق دمًا في سبيل الله ، وأوَّل من رمى بسهمٍ في الإسلام ، وقد فداه النبي - صلى الله عليه وسلم - بأبويه يوم أُحُدٍ ، عندما رأى شجاعته واستبساله في الدفاع عنه - صلى الله عليه وسلم - وهو أحدُ العشرة المبشرين بالجنة ، وهو أحدُ السَّنة الذين توفي النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو عنهم راضٍ. قال عنه الذهبي: "الأمير أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص ، واسم أبي وقاص: مالك بن أهيب القرشي الزُّهري المكي ، وله قرابةٌ من النبي صلى الله عليه وسلم فهو من بني زُهرة ، وأم النبي صلى الله عليه وسلم أمينة بنت وهب زُهريَّة ، وهي ابنة عمِّ أبي وقاص". عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «هذا خالي ، فُئِرني امرؤُ خالهِ». قالت عائشة بنت سعد: "كان أبي قصيرًا ، دُخْدَخًا ، غليظًا ، ذا هامة" ، وجاء في بعض الروايات: أنه كان يميل إلى السُّمرة. عن مصعب بن سعد ، عن أبيه رضي الله عنه أنه نزلت فيه آياتٌ من القرآن ؛ قال: "حَلَفْتُ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تَكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ ، قَالَتْ: "زَعَمْتُ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ ، وَأَنَا أُمُّكَ ، وَأَنَا أَمْرُكَ بِهَذَا" ، قال: مَكَّثْتُ ثَلَاثًا ، حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ: عُمَارَةُ ، فَسَقَاهَا ، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}. وفي روايةٍ أنه قال: "يا أُمَّة ، تعلمين والله لو كانت لك مائة نفسٍ ، فخرجت نفسًا نفسًا ؛ ما تركت ديني هذا ؛ فإن شئت فقلّي وإن شئت لا تأكلي ، فأكلت". وقد كانت لسعد مواقف عظيمة ، تدلُّ على شجاعته ونصرتَه لهذا الدِّين ، فمن ذلك ما رَوَتْهُ عائشة رضي الله عنها قالت: "سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مَقْدِمَةَ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ: «لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ» ، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ سَمِعْنَا حَشْحَشَةَ سِلَاحٍ ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا»؟ ، قَالَ: "سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ" ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا جَاءَ بِكَ»؟ ، قَالَ: "وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَنَّتْ أَحْرَسَةً" ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام ، قالت عائشة: فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعتُ غَطِيظَةً. ومنها ما رواه قيسٌ ، قال: سمعتُ سعدًا رضي الله عنه يقول: "إني لأوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَكُنَّا نَغْرُو مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ ، حَتَّى إِنْ أَحَدُنَا لَيَضَعُ الْبَعِيرَ أَوْ الشَّاةَ ، مَا لَهُ خَلْطٌ" ، قَالَ الشُّرَّاحُ: أَيُّ لَجْفَافِهِ وَيُبْسِهِ. وقد أبلَى سعدٌ في موقعة أُحُدٍ بلاءً عظيمًا ؛ فقد جاء عن أبي عثمان أنه قال: "لم يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ طَلْحَةَ وَسَعْدٍ ، عَنْ حَدِيثِهِمَا" ؛ ا هـ. وكانا يقاتلان عن

النبي صلى الله عليه وسلم أشد القتال ، وكان ذلك في موقعة أُحد ، وكان سعد من أمهر رُماة العرب. عن عبد الله بن شداد رضي الله عنه قال: سمعتُ علياً يقول: "ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه لأحدٍ غير سعد بن مالك ؛ فإنه جعل يقول له يوم أُحد: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» ، وهذا الحديث يدلُّ على كفاءته العظيمة ، ومنزلته عند النبي صلى الله عليه وسلم. ومن المواقف التي تدلُّ على ورعه وتقواه: أنه اعتزل الفتنة التي حدثت بين الصحابة ، وجاء إليه أصحابه ، وقالوا: "يا سعد ، ألا تُشارك معنا في القتال اليوم؟" ، قال: "لا ، حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان ، يقول: هذا مؤمنٌ ، وهذا كافرٌ ، وأنشد شعراً في هذا الصدد يقول فيه: (لَا تَخْلُطَنَّ حَبِيبَاتٍ بِطَبِيبَةٍ ♦♦♦ وَأَخْلَعْ نَيْابِكَ مِنْهَا وَأَنْجُ عُرْيَانًا!) ، ومنها ما رواه عامر بن سعد قال: "كان سعد بن أبي وقاص في إبله ، فجاء ابنه عُمر ، فلما رآه سعد قال: "أعوذ بالله من شرِّ هذا الرَّكاب" فنزل فقال له: "أَنْزَلْتُ فِي إِبْلِكَ وَعَنْمِكَ ، وتركت الناس يتنازعون المُلْكَ بينهم؟" ، فضرب سعد في صدره فقال: "اسكتْ ، سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله يُحبُّ العبدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ). والمراد بالغني: غني النفس ، والخفي: المنقطع إلى العبادة ، والاشتغال بأمور نفسه ، لا يبغي منصباً ولا شهرة. وذكر الذهبي في "سيره": "إنه لما احتضِر ، قال ابنه مصعب بن سعد: كان رأسه في حجرِي ، فبكيْتُ ، فرفع رأسه إليّ ، فقال: أَي بُنْيَ ، ما يبكيك؟ ، قلت: لِمَكَانِكَ ، وما أرى بك ، قال: لا تبك ؛ فإن الله لا يُعَذِّبُنِي أبداً ، وإني من أهل الجنة ؛ قال الذهبي: صدقَ اللهُ؛ فهنيئاً له". هـ. وجاء في: (إسلام أون لاين) ما نصه: (سعد بن أبي وقاص خال الرسول والرامي الأول أحد العشرة المبشرين بالجنة قاد الجيش في معركة القادسية ، وهزم الفرس ، وهو فاتح مدائن كسرى ، وباني الكوفة في العراق. وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله ، لم يسبقه في الإسلام إلا أبو بكر وعلي وزيد وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة والستة الذين رشحهم عمر بن الخطاب لتكون إمارة المسلمين فيهم. يُعد سعد بن أبي وقاص أحد أكثر الشخصيات تبجيلاً عند أهل السنة والجماعة ، حيث أنه من السابقين الأولين إلى الإسلام ، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام ، وأنه من العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من رمى بسهم في سبيل الله ، وحامل إحدى رايات المهاجرين الثالث يوم فتح مكة ، وأحد قادة الفتح الإسلامي لفارس ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين اختارهم عمر بن الخطاب ليختاروا الخليفة من بعده ، وقد وردت أحاديث وأثار عديدة تبين فضل سعد ومكانته. نشأ سعد في قريش ، واشتغل في بري السهام وصناعة القسي ، وهذا عمل يؤهل صاحبه للاندلاع مع الرمي ، وحياة الصيد والغزو ، وكان يمضي وقته وهو يخالط شباب قريش وساداتهم ويتعرف على الدنيا من خلال معرفة الحجاج الوافدين إلى مكة المكرمة في أيام الحج ومواسمها ، المتباينة الأهداف والمتنوعة الغايات. لقد كان لسعد بن أبي وقاص مواقف كثيرة ومشهودة وعظيمة ، تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين ، فمن ذلك أهمها: 1- ثباته يوم غزوة أُحد ، فقد أبلى بلاءً حسناً ، وقيل إنه في هذا اليوم لم يبقَ حول النبي إلا رجلان ، هما سعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، وكانا يقاتلان عنه أشد القتال. 2- اعتزاله للفتنة التي حدثت بين الصحابة من أهم مواقفه المشهودة ، فعندما جاء إليه بعض الصحابة يسألونه القتال معهم ، أخبرهم بأنه لن يقاتل معهم حتى يعطوه سيفاً له عينان ولسان يقول هذا مؤمن وهذا كافر. 3 - الرامي الأول والأفضل لم يكن أحد من بين صحابة رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، في مثل مهارة سعد بن أبي وقاص ، في الرمي بالسهام. فقد عُرف بلقب في الإسلام امتاز به واشتهر ونال به الشرف العظيم ، وهو أنه أول من رمى بسهم في سبيل الله ، حتى كان

هو نفسه يذكر ذلك تحدثاً بنعمة الله عليه ، وشكراً له بها ، فيقول مفتخراً بحق وصدق: "والله ، إنني لأول رجل من العرب ، رمى بسهم في سبيل الله. ولرمية سعد الأولى قصة ، ففي السنة الأولى للهجرة النبوية إلى المدينة ، بعث رسول الله ، أول سرية لمهمة استطلاع أخبار وشؤون المشركين في مكة ، وعقد الراية فيها لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وجعله أميراً على ستين رجلاً من المهاجرين ، ليس فيهم أحد من الأنصار ، كان من بينهم سعد ، فمضت السرية في طريقها لتحقيق ما أمرت به ، فبينما هم في مسير طريقهم ذلك ، إذ رأوا عدداً غير قليل يفوق عددهم من كفار قريش ، تحت إمرة أبي سفيان بن حرب ، ولأن رسول الله كان بعثهم سرية استطلاعية لا قتالية ، لم يبادر أحد من المسلمين بمهاجمة المشركين ، فلم يقع بين الفريقين قتال ، إلا أن سعداً البطل المقدم ، أبى إلا أن يصيب منهم بيديه القويتين في الحق ، الماهرتين في الرمي ، فأطلق على المشركين عدداً من سهام كنانته ، أصاب بها بعض رجالهم ودوابهم ، فكان بذلك أول من رمى بسهم في سبيل الله ، نصرة للإسلام ، ودفاعاً عن المسلمين. ولسعد بن أبي وقاص في رواية الحديث جملة أحاديث صالحة ، له في صحيح البخاري ومسلم خمسة عشر حديثاً متفق عليهما ، وانفرد له البخاري بخمسة أحاديث ، ومسلم بثمانية عشر حديثاً ، وله في مسند أحمد بن حنبل مائة سبعة وسبعون حديثاً ، وروى عنه: عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعائشة بنت أبي بكر ، وعبد الله بن عباس ، والسائب بن يزيد ، جبير بن مطعم ، وجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، والمسور بن مخرمة ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة. كما روى عنه كذلك آخرون منهم بنوه: عامر ، وعمر ، ومحمد ، ومصعب ، وإبراهيم ، وعائشة ، وقيس بن أبي حازم ، وسعيد بن المسيب ، وأبو عثمان النهدي ، وعمرو بن ميمون ، والأحنف بن قيس ، وعلقمة بن قيس النخعي ، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، ومجاهد ، وشريح بن عبيد الحمصي ، وأيمن المكي ، وبشر بن سعيد ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو صالح نكوان ، وعروة بن الزبير ، وغيرهم. ومن الأحاديث التي رواها عن النبي أنه قال: "دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إنني كنت من الظالمين ، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له." وسعد آخر من توفي من المهاجرين عام 55 من الهجرة في العقيق على بُعد 10 أميال من المدينة المنورة وحمل إليها ، ودفن بالبقيع ، وكان عمره حين الوفاة 77 عاماً. وكان سعد قد أوصى أهله أن يكفن في جبة كان يرتديها يوم غزوة بدر ، قائلاً: (كفوني بها ، فإني لقيت المشركين فيها يوم بدر وهي علي وإنما خباتها لهذا اليوم) ، ثم حمل جثمانه إلى المدينة المنورة ، وصلى عليه المسلمون في مسجد رسول الله ، ودفن بالبقيع ، وكان آخر من توفي من المهاجرين).هـ.

في مدح (سعد) يَطِيبُ البَشْرُ والسعدُ	والشعرُ في مدحه يشدو به المجدُ
برى السهامَ ، وسواها ، وأصلحها	وكان منه بها الدفاعُ والذود
رمى بها في سبيل الله من كفروا	وما اعتدى ، إنما في كنج من صدوا
والبدء كان برؤيا ليس يعبرها	إلا خبيرٌ به يُستظهر القصد
رأى ظلاماً بدرب مثل مجهالة	لا يُستبانُ به سهلٌ ولا نجد

فما لظلمةٍ (سعد) هذه حد!
وبات ملتصقاً تأويلها (سعد)!
وبعد أولها بما به الفيد
في الجاهلية ، والظلام مُشدت
وقاد عبداً - إلى إسلامه - الرشد
سهماً بسهم ، وعز الحصر والعَد
في جبةٍ دمها كأنه الورد
ألقى بها الله ، نعم الثوب والبُرد!
ولم يُثبِطهُ إرعادٌ ولا كيد!
فاز الجهاد! وفاز البذل والجهد!
وما احتوى سيفه في حربه الغمد
فقيادة خلفهم يُجاهدُ الجند
والقلبُ فيه الأباة السادة الأسد
فلم يكن من لقا جيوشهم بُد!
فما أتى مددٌ لهم ولا رِفد!
وللمليك - على تمكينه - الحمد
رأساً ، فعزتْ به الأمصارُ والبُلد!
والخر فيها استمى كما استمى العبد
وفي (البقيع) طوى جثمانه اللحد!
إذ غاله الخُزنُ والإيلامُ والوَجْد
بجنيةٍ لك فيها الخيرُ والخذ!

لذا استغاث ، ولم يُغثه من أحدٍ
وفجأة عمّه - بنوره - قمرٌ
فقصصها ، وله (الصديق) مُنتصت
وقال: تسعى بلا هدى ولا رشدٍ
والقصدُ أدركه (سعد) بدون هوى
وجاهد الشرك في (بدر) يُبادلُه
وأثخنثه جراحُ الحرب دامية
وقال: هذي ضعوها بعدُ في جدثي
وجابه الكفر في (أحد) بلا خور
خاض المغازي معتزلاً بمِلاته
وحارب الردة الرعاء مُحْتسباً
و(القادسية) سعدٌ كان نسقها
وتلك ميمنة ، وتلك ميسرة
وجادلوا (رُستمًا) ، فاختار حربهم
وجرّعوا الفرسَ نار الحرب ساعة
وفي (المدائن) صلى (سعد) مبتهلاً
وكان (سعد) على البلاد يفتحها
وظل في (الكوفة) العصما يُمصّرُها
وفي (المدينة) كان الموتُ مرتصداً
وادي (العقيق) بكى على رحيله أسفاً
يا(سعد) أبشر بما دعا محمدنا

الحيدة في مدح أبي عبيدة

(إن حبنا لأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم ورضي الله عن صحابته - عبادة من العبارات وشعيرة من الشعائر! وإن الدفاع عنهم عبادة وشعيرة كذلك! واليوم أبين حبي لأمين أمي أبي عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه. وهو من هو بين الصحابة! عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: "ثلاثة من قريش أصبح الناس وجوهاً ، وأحسنها أخلاقاً ، وأثبتها حياءً ، إن حدثوك ؛ لم يكذبوك ، وإن حدثتهم ؛ لم يكذبوك: أبو بكر الصديق ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن الجراح". وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: "أخلائي من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة: أبو بكر ، وعمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح". وروي عن ثابت البناني أن أبا عبيدة قال: "أيها الناس! إني امرؤ من قريش ، وما منكم من أحمر ولا أسود يفضلني بتقوى إلا وددت أني مكانه ، - وفي لفظ: مسلاخه -". وأبو عبيدة هو الذي انتزع حلقتي المغفر من وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد حتى سقطت ثنيتاه. وورد عن عائشة رضي الله عنها أنها لما سئلت: من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مستخلفاً لو استخلف؟ قالت: "أبو بكر". فقيل لها: ثم من؟ قالت: "عمر". ثم قيل لها: ثم من؟ قالت: "أبو عبيدة". وروي أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لما طعن قال: "لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً ؛ لاستخلفته". وعن سعيد المقبري قال: "لما أصيب أبو عبيدة قالوا لمعاذ بن جبل: صل بالناس ، فصلى معاذ بهم ، ثم خطب ، فقال: أيها الناس! إنكم فجعتم برجل ما رأيت أحداً من عباد الله قط أقل حقداً ولا أبرأ صدراً ولا أبعد غائلة ولا أشد حياءً ولا أنصح للعامّة منه ، وذلك هو أبو عبيدة بن الجراح ، فترضوا عليه رضي الله عنه". وقد روي عن خليفة بن خياط قال: "كان أبو بكر قد ولى أبا عبيدة بيت المال ولم يكن بعد قد عد بيت المال على عهد أبي بكر ، ولكن المراد أموال المسلمين". وورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوماً لأصحابه: "كل منكم يتمنى أمنيته ، فتمنى كل منهم ما يريد وما يرغب. فقال عمر رضي الله عنه: أما أنا ؛ فإني أتمنى بيتاً مثلنا رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه". فما أعلى همة أمير المؤمنين! وما أصدق رغبته في الآخرة! رضي الله عن عمر. ولما سمع معاذ بن جبل من ينتقص أبا عبيدة ، خطب وقال: "إنه والله ؛ لمن خيرة من يمشي على وجه الأرض". يروي أن أمير المؤمنين عمر لما سمع عن وقوع الطاعون بالشام ؛ كتب كتاباً مستعجلاً إلى أميره بالشام أبو عبيدة بن الجراح قائلاً فيه: "إني قد بدت لي بك حاجة لا غنى لي عنك فيها ، فإذا أتاك كتابي ؛ فإني أعزم عليك ألا تصبح إلا وأنت سائر إلي ، لا تقعد بعد وصول خطابي هذا". غير أن أبا عبيدة قد عرف قصد أمير المؤمنين عمر وهو خوفه على أميره الذي يساوي الدنيا عنده كلها بأكملها ، ثم كتب إليه أبو عبيدة يعتذر منه ، وأنه لا يتمكن من السير إليه ، فلما جاء الكتاب إلى عمر وقرأه ؛ بكى بكاءً شديداً ، فقيل له: أمات أبو عبيدة يا أمير المؤمنين؟ قال: "لا ، ولكن الموت منه قريب". فلم يلبث إلا قليلاً حتى جاءه خبر وفاته. رضي الله عن الجميع. وإن قصة جبلة بن الأيهم رئيس الغساسنة مع أبي عبيدة لتدل دلالة قاطعة على عدل وعلم أبي عبيدة! كان أبو عبيدة بن الجراح بعيداً عن المجاملة والحيدة عن العدل بين الناس مهما كان اختلاف منازلهم. لما كان في زمن ولايته على الشام روي أن جبلة بن الأيهم بعدما دخل في الإسلام ، فبينما هو يسير في طريقه في أسواق دمشق وطأ رجلاً من مزيّنة ، فوثب المزني ، فلطم وجه جبلة ، فأخذ المزني ، فانطلقوا به إلى أبي عبيدة الوالي ، فقالوا: إن هذا لطم جبلة في وجهه. قال أبو عبيدة رضي الله

عنه: فليطمه في وجهه كما لطمه. قالوا: أوما يقتل؟ قال: لا. قالوا: ما تقطع يده؟ قال: لا ، إنما أمر الله تعالى بالقصاص. قال جبلة عن ذلك: أوترون أني جاعل وجهي نداءً لوجه جدي ، جاء من عمق ، ثم ارتد نصرانياً. عياداً بالله من الكبر ، وترحل بقومه حتى دخل بلاد الروم. وفي الحقيقة أن هذه القصة من المؤرخين من يراها مع عمر بن الخطاب ، ومنهم من يراها مع أبي عبيدة. وتحت عنوان: (فضائل أبي عبيدة بن الجراح) قال أستاذنا الشيخ محمد حسن عبد الغفار ما نصه بتصريف: (على المسلم أن يقرأ سير السلف الصالح وخصوصاً سير الصحابة رضي الله عنهم ، حتى يعرف ما كانوا عليه من العبادة والصالح والشهامة والتضحية في سبيل هذا الدين ، فيحاول أن يقتدي بهم وأن يسلك منهجهم ، فإنه لن يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، ومن هؤلاء الرجال الأماجد الأبرار الذين يقتدى بهم: أمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه. فن أو عبيدة؟ إنه أمين هذه الأمة ، واسمه: عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهري المكي ، أحد السابقين الأولين ، شهد له الصديق قبل توليه الخلافة ، وأشار به في كمال أهليته ، فإن أبا بكر قال في السقيفة: وأرضى لكم أحد الرجلين ، يقصد بذلك عمر وأبا عبيدة بن الجراح. يجتمع أبو عبيدة في النسب مع النبي صلى الله عليه وسلم في فهر. شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وسماه أمين هذه الأمة ، ومناقبه شهيرة كثيرة ، روى أحاديث معدودة ، وغزا غزوات مشهودة. عن يزيد بن رومان قال: انطلق ابن مظعون وعبيدة بن الحارث وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد وأبو عبيدة بن الجراح ، حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليهم الإسلام وأنبأهم بشرائعه فأسلموا في ساعة واحدة ، وذلك قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها إلى الإسلام. شهد أبو عبيدة بدماءً فقتل يومئذ أباه ، حتى يثبت لله جل وعلا - والله أعلم بذلك - أنه لا هوادة في قلبه للمشركين ، بل لا يوجد فيه إلا ولاء لله وبراءة من كل مشرك وأبلى يوم أحد بلاءً حسناً ، ونزع يومئذ حلقتي من حلق المغفر دخلتا في وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضربة أصابته ، فانقلعت نثيتاه ، فحسن ثغره بذهابهما ، حتى قيل: ما رئي هتم أحسن من هتم أبي عبيدة بن الجراح ، مكافأة لما فعل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الزبير بن بكار: قد انقرض نسل أبي عبيدة وولد إخوته جميعاً ، وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة. وكان أبو عبيدة بن الجراح - أمين هذه الأمة - معدوداً فيمن جمع القرآن العظيم ، قال موسى بن عقبة في مغازيه: في غزوة ذات السلاسل التي حدثت بعد إسلام عمرو بن العاص بأشهر قليلة ، فقد أمره الرسول صلى الله عليه وسلم على جيش أو على سرية ثم إن عمرو بن العاص طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم المدد ؛ لكثرة الأعداء وقلة المسلمين وهذه الغزوة كانت في مشارف الشام ، فانتدب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وكثيراً من المهاجرين ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم أبا عبيدة بن الجراح ، فأبو عبيدة كان أميراً على أبي بكر وعمر ، فلما قدموا على عمرو بن العاص قال: أنا أميركم. فقال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح. فقال عمرو بن العاص: إنما أنتم مدد أمددت بكم ، فلما رأى ذلك أبو عبيدة تذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم له: (تطوعاً ولا تختلفاً) ، وهو الذي يسمع لرسول الله ويطيع ، وكان رجلاً حسن الخلق ، لين الشكيمة ، متبعاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده ، فسلم الإمارة لعمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين ، وهذا الذي جعل عمرو بن العاص يظن أن له مكانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من غيره من الصحابة ، ولذلك لما رجع إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال له: (يا رسول الله! إني سائلك ، قال: سل ، قال: من أحب الناس إليك؟) وكان يتوقع أن يقول: أنت؛ لأنه أمره على أبي بكر وعلى عمر وعلى أبي عبيدة بن الجراح ، أكارم وأماجد وأفاضل الصحابة ، فقال صلى الله عليه وسلم: (عائشة ، فقال: لست عن النساء أسأل ، بل عن الرجال أسأل ، فقال: أبوها، فقال: ثم من؟ قال: عمر ، قال: ثم من؟ قال: عثمان ، وفي رواية قال: أبو عبيدة بن الجراح ، فسكت عمرو بن العاص). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه وأرضاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن لكل أمة أميناً ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح) ، لذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه في مرض موته: (لو كان أبو عبيدة حياً لوليته عليكم ، أو لاستخلفته عليكم ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن لكل أمة أميناً ، وأمين هذه الأمة هو أبو عبيدة بن الجراح). وعن عمرو بن العاص قال: (قيل: يا رسول الله ، أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة . قيل: من الرجال؟ قال: أبو بكر. قيل: ثم من؟ قال: أبو عبيدة بن الجراح). وكان أبو عبيدة رضي الله عنه موصوفاً بحسن الخلق وباللحم والتواضع ، قال عمر لبعض جلسائه: تمنوا ، فتمنى كل واحد أمنية - انظر كيف تمنى عمر بن الخطاب ما لم يتمن لنفسه ولا لشخصه ، إنما تمنى لله ولنفع هذه الأمة - فقال عمر: لكني أتمنى بيتاً ممتلئاً رجالاً أمثال أبي عبيدة بن الجراح ، فالأمة تفوز وتنتصر بوجود مثل أبي عبيدة بن الجراح. قال ابن المبارك: عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: بلغ عمر رضي الله عنه أن أبا عبيدة حوصر بالشام ونال منه العدو ، فكتب إليه عمر: أما بعد: فإنه ما نزل بعد مؤمن شدة إلا جعل الله بعدها فرجاً ، وإنه لا يغلب عسرٌ يسرين ، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا) ، قال: فكتب إليه أبو عبيدة رضي الله عنه: أما بعد: فإن الله الأموال والأولاد في وتكأثر بينكم وتفاخر وزينة ولهو لعب الدنيا أنما يقول: (اعلموا شديد عذاب الآخرة وفي خطأ ما يكون ثم فتراه مصفراً يهيج ثم نبأته الكفار أعجب عيث كمثل الغرور) ، قال: فخرج عمر بكتابه فقراه متاعاً إلا الدنيا الحياة وما ورضوان الله ومغفرة من على المنبر فقال: يا أهل المدينة ، إنما يعرض بكم أبو عبيدة أو بي ، أي: أنه يرغب في الجهاد وكأنه يبين أن هذه الدنيا - التي تمسكنم بها - زائلة ، فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً ، انفروا أو استحقوا العذاب ، فعمر بن الخطاب فهم هذا ، من هذه الآية: (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) فقال: إما يعرض بي أو يعرض بكم ، اخرجوا إلى الجهاد). هـ. فله درك يا أبا عبيدة! لقد كنت بليغاً في الرد ، حيث اختصرت الحياة والأحياء في آية من كتاب الله! جاء في: (إسلام أون لاين) ما نصه ترف: (أمين الأمة الإسلامية المحرر الصحابي الجليل وأحد المبشرين بالجنة أبو عبيدة بن الجراح الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى نجران يعلم أهلها الإسلام والقرآن ، ويقضي بينهم بالقسط والميزان. قائد الجيوش الإسلامية ، وفتح الديار الشامية ، وأمين الأمة المحمدية صاحب الخلق القويم ، والسلوك المستقيم ، والقلب الرحيم ، والعقل الحكيم. أبو عبيدة بن الجراح هو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، حيث قال النبي: "أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعلي في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، وسعد بن أبي وقاص في الجنة ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة". عاهد أبو عبيدة بن الجراح النبي أن ينفق حياته في سبيل الله وأوفى بعهده وأبر بوعده. وهو من أصحاب الهجرتين ، فقد هاجر إلى الحبشة ، في الهجرة الثانية ، وهاجر من مكة إلى المدينة. وشهد غزوتي بدر وأحد وسائر الغزوات ، وواصل الجهاد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر رضي الله

عنهما. روى 14 حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي قال عنه: نعم الرجل أبو عبيدة. وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم جاء من يبايعه على الخلافة لكنه رفض ، وقال: أتبايعونني وفيكم أبو بكر الصديق؟ عندما علم خالد بقرار أمير المؤمنين بعزله وولاية أبي عبيدة قال: أيها الناس بعث عليكم أمين هذه الأمة. وقال أبو عبيدة عن خالد: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: خالد سيف من سيوف الله ، نعم فتى العشييرة. هاجر أبو عبيدة من مكة إلى المدينة المنورة ، فنزل على كلثوم بن الهدم الأوسي ، وبعد وصول النبي محمد إلى دار الهجرة ، آخى بين المهاجرين والأنصار ، وقد روى مسلم في الصحيح عن أنس بن مالك: أن رسول الله آخى بين أبي عبيدة بن الجراح وبين أبي طلحة (زيد بن سهل بن الأسود الخزرجي). روى البخاري والمسلم عن أنس بن مالك أن النبي محمداً قال: "إن لكل أمة أميناً ، وإن أميننا أيتها الأمة: أبو عبيدة بن الجراح". وقال ابن حجر العسقلاني: "والأمين هو الثقة الرضي ، وهذه الصفة وإن كانت مشتركة بينه وبين غيره لكن السياق يُشعر بأن له مزيداً في ذلك ، لكن خصَّ النبي صلى الله عليه وسلم كلَّ واحد من الكبار بفضيلة ووصفه بها ، فأشعر بقدر زائد فيها على غيره ، كالحياة لعثمان ، والقضاء لعلي ونحو ذلك". وروى مسلم عن أنس: أن أهل اليمن قدموا على رسول الله فقالوا: "ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام" ، قال: فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: "هذا أمين هذه الأمة". وروى ابن سعد عن مالك أن عمر أرسل إلى أبي عبيدة بأربعة آلاف أو بأربعمائة دينار ، وقال للرسول: "انظر ما يصنع بها" ، قال: فقسمها أبو عبيدة ، قال: ثم أرسل إلى معاذ بمثلها ، فقسمها إلا شيئاً قالت له امرأته نحتاج إليه ، فلما أخبر الرسول عمر قال: "الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا". ومن أقوال أبو عبيدة بن الجراح الخالدة: (مثل قلب المؤمن ، مثل العصفور ، يتقلب كل يوم كذا وكذا مرة). أم أبو عبيدة رضي الله عنه مرة قوماً ، فلما انصرف قال: ما زال الشيطان بي آنفاً ، حتى أريت أن لي فضلاً على غيري ، لا أوم أبداً. وددت أني كبش فذبحني أهلي ، فأكلوا لحمي ، وحسوا مرقي. ما من الناس من أحمر ولا أسود ، حر ولا عبد ، عجمي ولا فصيح ، أعلم أنه أفضل مني بتقوى ، إلا أحببت أن أكون في مسلاخه. ويذكر أنه في السنة الثامنة للهجرة أرسل الرسول عمرو بن العاص إلى أرض بليّ وعُدرة في غزوة ذات السلاسل ، ووجد عمرو بن العاص أن قوة أعدائه كبيرة ، فأرسل إلى الرسول يستمده ، فندب النبي الناس من المهاجرين الأولين ، فانتدب أبو بكر وعمر في آخرين ، فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح مدداً لعمرو بن العاص ، فلما قدموا عليه ، قال عمرو: أنا أميركم ، فقال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك ، وأبو عبيدة أمير المهاجرين ، فقال: إنما أنتم مددي. فلما رأى ذلك أبو عبيدة ، وكان حسن الخلق ، متبعاً لأمر رسول الله وعهده ، فقال: تعلم يا عمرو أن رسول الله قال لي: "إن قدمت على صاحبك فتطاوعا" ، وإنك إن عصيتني أطعتك. في غزوة بدر لم يجد الابن أو عبيدة مهرباً من التصدي لأبيه ، وتقابل السيفان ، فوقع الأب المشرك قتيلاً ، بيد ابنه الذي آثر حب الله ورسوله على حب أبيه ، فأنزل الله فيه هذه الآية: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. وكان أبو عبيدة خبيراً بفنون الحرب وحيل القتل لذا جعله الرسول (قائداً على كثير من السرايا) ، وقد حدث أن بعثه النبي أميراً على سرية سيف البحر ، وكانوا ثلاثمائة رجل فقل ما معهم من طعام ، فكان

نصيب الواحد منهم تمرّة في اليوم ثم اتجهوا إلى البحر ، فوجدوا الأمواج قد أَلقت حوتًا عظيمًا يقال له العنبر ، فقال أبو عبيدة: ميتة ، ثم قال: لا ، نحن رسل رسول الله وفي سبيل الله ، فاكلوا منه ثمانية عشر يومًا. [متفق عليه]. وكان أبو عبيدة - رضي الله عنه - كثير العبادة يعيش حياة القناعة والزهد ، وقد دخل عليه عمر - رضي الله عنه - وهو أمير على الشام ، فلم يجد في بيته إلا سيفه وترسه ورحله ، فقال له عمر: لو اتخذت متاعًا (أو قال: شيئًا) فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين ، إن هذا سيبلِّغنا المقييل (سيكفينا). جهاده وأعماله أيام الخلافة شارك أبو عبيدة - رضي الله عنه - في غزوتي بدرٍ وأُحدٍ والحديبية ، أرسله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على سرية جيش ذات الخبط ، كما أرسله والياً إلى أهل نجران ، وكان أحد الأمراء في بلاد الشَّام بعد أن عزل عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - خالد بن الوليد - رضي الله عنه - ، فوضع أبا عبيدة - رضي الله عنه - مكانه ، وكان نَقش خاتم أبي عبيدة: "الخُمس لله". وقال ابن حجر - رحمه الله -: "كان فتح أكثر بلاد الشَّام على يده" ، كما جعله أبو بكر - رضي الله عنه - في خلافته على بيت مال المسلمين ، وجعله عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - أمير الأمراء في الشَّام ، وكان أمير الجيش يوم فتح دمشق ، وبعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلف عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل ليمدّه بالجيش ، وأيام طاعون عمواس أرسل إليه عر بن الخطاب برسالة يريد بها إنقاذه ، فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب عرف أن أمير المؤمنين يريد إنقاذه من الطاعون فتذكر قول النبي: "الطاعون شهادة لكل مسلم" [متفق عليه]. فكتب إلى عمر يقول له: إني قد عرفت حاجتك فحللني من عزيمة ، فإني في جند من أجناد المسلمين ، لا أرغب بنفسي عنهم . فلما قرأ عمر الكتاب ، بكى ، فقيل له: مات أبو عبيدة؟! قال: لا ، وكان قد (أي : وكأنه مات). فكتب أمير المؤمنين إليه مرة ثانية يأمره بأن يخرج من عمواس إلى منطقة الجابية حتى لا يهلك الجيش كله ، فذهب أبو عبيدة بالجيش حيث أمره أمير المؤمنين ، ومرض بالطاعون ، فأوصى بإمارة الجيش إلى معاذ بن جبل ، ثم توفي - رضي الله عنه - في طاعون عمواس وعمره 58 سنة ، وصلى عليه معاذ بن جبل ، ودفن ببيسان بالشَّام). هـ. فرضي الله تعالى عنه ، ونفعنا بسيرته العطرة ، وأعاننا على التأسى به!)

يا(عامرُ) يا لحنَ حياتي	يا شمساً تُشرقُ في ذاتي
سـيرتك العذبة مدرسة	تحوي مـذخور النفحات
كـالطير يُغـرد يُطربنا	طرباً مُبتشـر النغمات
يا كـفـاً مُدّت لغريق	ولـه ألقـت طـوق نجاة
وقـريشُ بكم فخرتُ زماناً	بمناقـب عـزت وسمات
والأم (أميمة) كـم سـعدت	بـابن هـو مـن خير ثـقاة!
أسـلمت الأم ، وذا شـرف!	مـن تعدلها في الأمـات؟!!
وكـذا أسـلم (عامرُ) طوعاً!	والقلـبُ شـدا بالإخبـات

وغدا يروي بسين رواة
يسقي الصرعى كأس مومات
إذ حارب في جيش عداة
خير بلاء دون شكاة
هم شر أناس وعتاة
فغدا أهتم بعد غزاة!
سألوا (أحمد) خير دعاة
بالأمر ينفذ بأناة!
بالخير أتى ذاك الآتي
إذ جاء بأرجى الخيرات
إذ جاهد حقاً بثبات
لم يعبأ يوماً بطغاة
لوباء يؤذن بوفاة
ولأبدل موتاً بحياة
والسيد واجبه بثبات
والدفن جرى بعد صلاة
واجعلن مثواه الجنات!

وأميناً صار لأمتاه
وغدا صديداً في (بدر)
هو قتل أباه بلا خور
وهناك في (أحمد) أبلسى
وحمى (أحمد) من شرذمة
وانتزع الحلقة مفتدياً
وأتى (نجران) يعلم من
والى (البحرين) مضى قدماً
وأتى بالجزية تقدماً
والقوم بمقدمه سورا
بشر بالجنة في ملاء
لم يتخلف عن معركة
والشام أبى أن يبرحها
لو خير (عمواس) تخلص
ذهب الطاعون بسيدنا
والروح هنالك قد فاضت
يارب تقبله شهيداً

مروعة ولى زمانها!

لقد كتبت كثيراً من قصائدي عن المروعة وأهلها! ولكن قصيدتي هذي تتميز بأن تكون خاتمة القصائد عن المروعة في ديواني الأخير: (وداعاً أيها القريض). وتحكي قصيدتنا عن رجلين عاشا صديقين يُوقر كل منهما صاحبه ، ويحمل كل منهما هموم الحياة عن صاحبه! وذات يوم ابتلي أحدهما بمرض أقعده في الفراش حيناً من الدهر! فلم يتخل عنه صديقه ، بل كان له كالخادم تماماً! وساهم بما يستطيع في شراء الدواء والغطاء والغذاء والكساء ، ووصل به الحال إلى اقتسام راتبه مع صاحبه ، الأمر الذي دعاني إلى كتابة هذه القصيدة! روى البيهقي في السنن الكبرى من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: «حَسَبَ الْمَرْءَ دِينُهُ ، وَمُرُوَّتُهُ خُلُقُهُ ، وَأَصْلُهُ عَقْلُهُ». وروى الطبراني في الكبير من حديث الحسن بن علي - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ ، وَأَشْرَافَهَا ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا». وقال أعرابي: (مروعة الرجل في نفسه نسبٌ لقوم آخرين ، فإنه إذا فعل الخير عُرف له وبقي في الأعتاب والأصحاب ، ولقيه يوم الحساب) [البصائر والذخائر ، لأبي حيان التوحيدي]. وقال صاحب (كلىة ودمنة): (الرجل ذو المروعة يُكرم على غير مال ، كالأسد يُهاب وإن كان رابضاً ، والرجل الذي لا مروعة له يُهان وإن كان غنياً ، كالكلب يهون على الناس وإن عسى وطوف) [الصناعتين: الكتابة والشعر ، لأبي هلال العسكري]. وقيل لبعض العرب: (ما المروعة فيكم؟ قالوا: طعام مأكول ، ونائل مبدول ، وبشر مقبول) [أدب الدنيا والدين للماوردي]. وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا» ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا ، فَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ ، فَقَالَ: أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوْتُ صِيبَانِي ، فَقَالَ: هَيْبِي طَعَامَكَ ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكَ ، وَتَوَمِّي صِيبَانِكَ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً ، فَهَيَّاتِ طَعَامَهَا ، وَأَصْبِحْتِ سِرَاجَهَا ، وَتَوَمَّتِ صِيبَانَهَا ، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصَلِّحُ سِرَاجَهَا فَاطْفَأَتْهُ ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ ، فَبَاتَا طَاوِيئِينَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ عَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ ، أَوْ عَجِبَ ، مِنْ فَعَالِكُمَا» ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (وَيُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). وقال ربيعة بن أبي عبد الرحمن: "للسفر مروعة ، وللحضر مروعة ، فأما مروعة السفر: فبذل الزاد ، وقلة الخلف على الأصحاب ، وكثرة المزاح في غير مساخط الله. وأما المروعة في الحضر: فالإدمان إلى المساجد ، وتلاوة القرآن ، وكثرة الإخوة في الله عز وجل. وسئل سفيان الثوري عن المروعة: ما هي؟ قال: "الإنصاف من نفسك والتفضل ؛ قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) وهو الإنصاف ، (وَالْإِحْسَانَ) وهو التفضل ، ولا يتم الأمر إلا بهما ؛ ألا تراه لو أعطى جمع ما يملك ولم يُنصف من نفسه ، لم تكن له مروعة؟! لأنه لا يريد أن يُعطي شيئاً إلا أن يأخذ من صاحبه مثله ، وليس مع هذا مروعة". ويأتي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بقاعدة المروعة الرصينة فيقولون: (إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)! رواه البخاري. والنبي صلى الله عليه وسلم إنما أتى ليطمئناكم عن أنفسكم ، وليخبر الأمة المسلمة المؤمنة الموحدة كما في الحديث الصحيح: (إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ ، وَمَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ ، وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا)! رواه الحاكم وصححه. وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الناس مروعة ، فلقد روى البخاري في صحيحه من حديث سهل رضي الله عنه: أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ ، فِيهَا حَاشِيَتُهَا ، أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالُوا: الشَّمْلَةُ ، قَالُوا: نَعَمْ ، قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَجِئْتُ لِأَكْسُوَكَهَا ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارَةٌ ، فَحَسَنَتْهَا فَلَانَ ، فَقَالَ: اكْسُنِيهَا ، مَا أَحْسَنَتْهَا ، قَالَ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنَتْ ، لِبِسَتْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عليه وسلم مُحْتَاَجًا إِلَيْهَا ، ثُمَّ سَأَلْتَهُ ، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَزِدُّ ، قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ ، مَا سَأَلْتَهُ لِأَلْبَسَهُ ، إِنَّمَا سَأَلْتَهُ لِتَكُونَ كَفَنِي ، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ. ولقد تعددت أقوال السلف في المروعة ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كَرَّمَ الْمُؤْمِنِ تَفَوَّاهُ ، وَدَيْبُهُ حَسْبُهُ ، وَمُرْوَعُهُ خُلْفُهُ ، وَالْجُرْأَةُ ، وَالْجُبْنُ غَرَائِزُ يَضَعُهَا اللَّهُ حَيْثُ يَشَاءُ ، فَالْجَبَانُ يَفِرُّ عَنْ أَبِيهِ ، وَأُمُّهُ. وَالْجَرِيءُ يُقَاتِلُ عَمَّنْ لَا يُوُوبُ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ ، وَالْقَتْلُ حَتْفٌ مِنَ الْخُتُوفِ ، وَالشَّهِيدُ مِنَ احْتِسَابِ نَفْسِهِ عَلَى اللَّهِ. وَقَالَ أَيْضًا: لَا تَصْغُرَنَّ هِمَّتُكَ فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَقْعَدَ عَنِ الْمَكْرَمَاتِ مِنْ صِغَرِ الْهَمِّ. وَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه لابنه الحسن في وصيته له: يَا بَنِيَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَأَفْعَلْ ، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا ، فَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَكْرَمٌ وَأَعْظَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ غَيْرِهِ ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ مَنْهُ كَثِيرًا. وَقَالَ أَبُو حَاتِمِ البِسْتِي: «الواجب على العاقل تفقد الأسباب المستحقة عند العوام من نفسه حتى لا يئثم مروعته ، فإن المحقرات من ضد المروعات ، تؤذي الكامل في الحال بالرجوع في القهقري إلى مراتب العوام وأوباش الناس». وقال الماوردي رحمه الله تعالى: «وأما الإسعاف في النوائب ، فلأن الأيام غادرة ، والنوازل غائرة ، والحوادث عارضة ، والنوائب راکضة ، والإسعاف في النوائب نوعان ، واجب وتبرع ، فأما الواجب فيما اختص بثلاثة أصناف وهم الأهل ، والإخوان ، والجيران ، فيجب من حقوق المروعة وشروط الكرم في هؤلاء الثلاثة تحمل أثقالمهم وإسعافهم في نوائبهم ، وأما التبرع ففيمين عدا هؤلاء الثلاثة من البعداء». وسأل ابن زياد رجلاً من الوجهاء والحكماء: (ما المروعة فيكم؟ قال: أربع خصال: أن يعتزل الرجل الريبة ، فلا يكون في شيء منها ؛ فإنه إذا كان مريباً كان ذليلاً ، ومن كان ذليلاً لم تكن له مروعة ، وأن يصلح ماله ؛ فإن من أفسد ماله لم تكن له مروعة ، وأن يقوم لأهله بما يحتاجون إليه ؛ حتى يستغنوا به عن غيره ، فإنه من احتاج أهله إلى الناس لم تكن له مروعة ، وأن ينظر فيما يوافقه من الطعام والشراب فيلزمه ؛ فإن المروعة ألا يخلط على نفسه في مطعمه ولا مشربه). وقال بعضهم: (اعلم أن من المروعة أيضاً عشر خصال ؛ لا مروعة لمن لم يكن فيه: الحلم ، وصدق اللهجة ، وترك الغيبة ، وحسن الخلق ، والعفو عند المقدرة ، وبذل المعروف ، وإنجاز الوعد ، وأن تعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك وألا تعمل في السر ما يستحيا منه في العلانية). وقيل لسفيان بن عيينة: قد استنبطت من القرآن كل شيء ، فأين المروعة فيه؟ فقال: في قوله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ). ففيه المروعة ، وحسن الأدب ، ومكارم الأخلاق ، فجمع في قوله: (خُذِ الْعَفْوَ) صلة القاطعين ، والعفو عن المذنبين ، والرفق بالمؤمنين ، وغير ذلك من أخلاق المطيعين. ودخل في قوله: (وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ): صلة الأرحام ، وتقوى الله في الحلال والحرام ، وغضُّ الأبصار ، والاستعداد لدار القرار. ودخل في قوله: (وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ): الحض على التخلق بالحلم ، والإعراض عن أهل الظلم والتنزه عن منازعة السفهاء ، ومساواة الجهلة والأغبياء ، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة ، والأفعال الرشيدة. وقال الشعبي: "تعامل الناس بالدين زماناً طويلاً ، حتى ذهب الدين ، ثم تعاشرنا بالمروعة حتى ذهبت المروعة ، ثم تعاشرنا بالحياء ، ثم تعاشرنا بالرغبة والرغبة ، وأظننه سيأتي بعد ذلك ما هو شر منه". وقال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: "كمال المروعة: الفقه في الدين ، والصبر على النوائب ، وحسن تدبير المعيشة". وقال ميمون بن ميمون: "أول المروعة: طلاقة الوجه ، والثاني: التوؤد ، والثالث: قضاء الحوائج". وقال ابن سلام: "حدُّ المروعة: رغي مساعي البر ، ودفع دواعي الضر ، والطهارة من جميع الأذناس ، والتخلُّص من عوارض الالتباس ، حتى لا يتعلق بحاملها لوم ، ولا يلحق به ذم ، وما من شيء يحمل على صلاح الدين والدنيا ، ويبعث على شرف الممات والمحيا ، إلا وهو داخل تحت مسمى المروعة. وعن المروعة وأصحابها جاء في الدرر السنية ما نصه بتصريف: (المروعة هي كمال الرجولية ، والكلمة مصدر من: مَرَوْ يَمْرُؤُ مَرْوَعَةً ، فهو مَرِيءٌ أي: بين المروعة ، وتمراً

فلان: تَكَلَّفَ المروعة. وقيل: صار ذا مُروعةٍ ، وفلان تَمَرَّأَ بالقوم: أي سعى أن يوصف بالمروعة بإكرامهم ، أو بنقصهم وغيبيهم. قال الماوردي: (المروعة مراعاة الأحوال إلى أن تكون على أفضلها حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد ، ولا يتوجَّه إليها ذمٌ باستحقاق!) وقال ابن عرفة: (المروعة هي المحافظة على فعل ما تركه من مُباحٍ يُوجبُ الذمَّ عُرفاً... وعلى ترك ما فعله من مُباحٍ يوجبُ ذمَّه عُرفاً...!) وقال الفيومي: (المروعة آداب نفسانية ، تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق ، وجميل العادات!) يقول الماوردي: (وفي اشتقاق اسم المروعة من كلام العرب الخُص ما يدل على فضيلتها عندهم ، وعظم خطرها في نفوسهم ، ففيه وجهان: أحدهما: مشتقة من المروعة والإنسان ، فكأنها مأخوذة من الإنسانية ، والوجه الثاني: أنها مشتقة من المريء وهو ما استمرأه الإنسان من الطعام ، لما فيه من صلاح الجسد ، فأخذت منه المروعة لما فيها من صلاح النفس). (وهي خلق رفيع القدر ، يستعمله الأدباء في المدح ، وعلماء الأخلاق والنفس في مكارم الأخلاق وسمو النفس ، وعلماء الشرع من فقهاء ومحدثين في صفات الراوي والشاهد ؛ ليوثق بكلامهما ، والقاضي ليطمئن إلى عدل ، فتجدها في كتب أصول الفقه في صفات الراوي ، وكذلك في كتب الحديث ، بينما تجدها في كتب الفقه في كلِّ باب يتعرض للعدالة بالشرح والتفصيل ، كالقضاء والشهادة والوقف). فأكثر العلماء ، والفقهاء ، والأدباء ، والشعراء ، من ذكرها وبيان كُنْهها ، وماهيتها وبمَّ تكون ، وكيف تكون ، فتنوعت فيها الأقوال ، وتعددت فيها الآراء ، وتباينت فيها العبارات (فمن قائل: المروعة ثلاثة: إكرام الرجال إخوان أبيه ، وإصلاح ماله ، وقعوده على باب داره ، ومن قائل: المروعة إتيان الحق ، وتعاهد الضعيف ، ومن قائل: المروعة تقوى الله ، وإصلاح الضيعة ، والغذاء والعشاء في الألفية ، ومن قائل: المروعة إنصاف الرجل من هو دونه ، والسمو إلى من هو فوقه ، والجزاء بما أتى إليه ، ومن قائل: مروعة الرجل صدق لسانه ، واحتماله عثرات جيرانه ، وبذله المعروف لأهل زمانه ، وكفُّ الأذى عن أباعده وجيرانه ، ومن قائل: إن المروعة التباعد من الخلق الدني فقط ، ومن قائل: المروعة أن يعتزل الرجل الريبة ، فإنه إذا كان مريباً كان ذليلاً ، وأن يصلح ماله ، فإن من أفسد ماله لم يكن له المروعة ، والإبقاء على نفسه في مطعمه ومشربه ، ومن قائل: المروعة حسن العشرة ، وحفظ الفرج واللسان ، وترك المرء ما يُعاب منه ، ومن قائل: المروعة سخاوة النفس وحسن الخلق ، ومن قائل: المروعة العفة والحرفة ، أي: يعف عمّا حرم الله ، ويحترف فيما أحل الله ، ومن قائل: المروعة كثرة المال والعرض والولد ، ومن قائل: المروعة الحقيقية أنك إذا أعطيت شكرت ، وإذا ابتليت صبرت ، وإذا قدرت غفرت ، وإذا وعدت أنجزت ، ومن قائل: المروعة حسن الحيلة في المطالبة ، ورقة الظرف في المكاتب ، ومن قائل: المروعة اللطافة في الأمور وجودة الفطنة. ومن قائل: المروعة النظافة وطيب الرائحة ، ومن قائل: المروعة الفصاحة والسماحة ، ومن قائل: المروعة طلب السلامة واستعطاف الناس ، ومن قائل: المروعة مراعاة العهود ، والوفاء بالعقود ، ومن قائل: المروعة التذلل للأحباب بالتملُّق ، ومداراة الأعداء باللين والترفق ، ومن قائل: المروعة ملاحاة الحركة ورقة الطبع ، ومن قائل: المروعة هي المفاكهة والمباسمة... إلى غير ذلك من الأقوال والآراء في حقيقة المروعة وحدِّها الذي تعرف به ، وفي تنوع هذه الأقوال دليل على فضل هذه السجية الكريمة ، وعلو شأنها ورفعة قدرها ، وبيان ما تنطوي عليه من الفضائل التي تسمو بالنفس عن منزلة البهيمية الحيوانية ، إلى منزلة الإنسانية الكاملة. وإنَّ الاختلاف في تعريف المروعة ليس من باب اختلاف التضاد والتباين ، بل هو من باب اختلاف التنوع وتعدد الأجناس تحت الأصل الواحد ، فكلُّ هذه التعاريف مندرجة تحت لواء المروعة مستتلة بظلالها الوارف ، فهي تشمل كل ما ذكر من فضائل وسجايا وأخلاق كريمة ، وكفى بذلك فضلاً وشرفاً. قال أبو حاتم: (اختلفت ألفاظهم في كيفية المروعة ومعاني ما قالوا قريبة بعضها من بعض). ويتكلم ابن القيم عن

حقيقة المروعة فيقول: حقيقتها: (اتصاف النفس بصفات الإنسان ، التي فارق بها الحيوان البهيم والشیطان الرجيم ، فإنَّ في النفس ثلاثة دواع متجاذبة: أولاً: داع يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الشيطان، من الكبر، والحسد، والعلو، والبغي، والشَّرِّ، والأذى، والفساد، والغشِّ. وثانياً: وداع يدعوها إلى أخلاق الحيوان، وهو داعي الشهوة. وثالثاً: وداع يدعوها إلى أخلاق الملك: من الإحسان ، والخير والنصح ، والبرِّ ، والعلم ، والطاعة ، فحقيقة المروعة: بغض ذنك الداعيين ، وإجابة الداعي الثالث ، وقلة المروعة وعدمها: هو الاسترسال مع ذنك الداعيين ، والتوجه لدعوتها أين كانت ، فالإنسانية والمروعة والفتوة: كلها في عصيان الداعيين ، وإجابة الداعي الثالث). وثمة فرق كبير بين المروعة والفتوة: فلقد يظنُّ ظانُّ أنَّ المروعة والفتوة شيء واحد لا يختلفان في معناهما ، وليس ذلك بصحيح ، بل بينهما فرق واضح وهو أنَّ المروعة أعمُّ من الفتوة ، فالمروعة هي ما يتخلَّق به الإنسان مما يختص به في ذاته ، أو يتعدَّى إلى غيره ، بينما الفتوة ما يتخلَّق به الإنسان ويكون متعدياً إلى غيره. قال ابن القيم في التفريق بينهما: (أن المروعة أعمُّ منها ، فالفتوة نوع من أنواع المروعة ، فإنَّ المروعة استعمال ما يجمل ويزين مما هو مختصُّ بالعبد أو متعلِّ إلى غيره ، وترك ما يُدنِّس ويشين مما هو مختصُّ أيضاً به ، أو متعلِّ بغيره ، والفتوة إنما هي استعمال الأخلاق الكريمة مع الخلق). هل ثمة علاقة بين المروعة والعقل؟ سنلُّ بعض الحكماء عن العلاقة بين العقل والمروعة فقال: (العقل يأمرُ بالأُنفع ، والمروعة تأمرُ بالأجمل!) وثمة فرق كبير بين المروعة والكرم ، (الكرم والمروعة... قرينان في الفضل ، ومتشاكلان في العقل ، والفرق بينهما مع التشاكل من وجهين: أحدهما: أن الكرم: مراعاة الأحوال، أن يكون على أنفعها وأفضلها ، والمروعة: مراعاة الأحوال ، أن يكون على أحسنها وأجملها. والثاني: أن الكرم ، ما تعدى نفعه إلى غير فاعله. والمروعة: قد تقف على فاعلها ولا تتعدى إلى غيره ، فإن استعملها في غيره ما زجت الكرم ، ولم ينفرد بالمروعة وصار بالاجتماع أفضل ، وإن افترقا كان الكرم أفضل لتعدي نفعه ، وتعدي النفع أفضل. وليس واحد من الكرم والمروعة خلقاً مفرداً ، ولكنه يشتمل على أخلاق يصير مجموعها كرمًا ومروعةً). فهل حث القرآن الكريم على المروعة ومدحها ومدح أهلها؟ قال الله تبارك وتعالى في صفات عباده الذين اتصفوا بأعلى صفات المروعة ووصلوا إلى غاياتها: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا وَالَّذِينَ يَبِيِّنُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاعَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا). وقال فيهم أيضاً شاهداً لهم بالفلاح: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتغى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ). وقال أيضاً في وصفهم: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا). وقال الله عزَّ وجلَّ: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ

إِيَّكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ). قال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى في هذه الآية: (فيها عين المروعة وحقيقتها). وقال الله تبارك وتعالى حاكياً عن لقمان وهو يعظ ابنه ويعطيه دروساً في القيم ومعالم في المروعة: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ). وقال الله تبارك وتعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ عُزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْتُلُواكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ). وقد جعل سفيان الثوري المروعة مبنية على ركنين استمدهما من هذه الآية الكريمة ، حيث سئل عن المروعة ما هي؟ فقال: (الإنصاف من نفسك ، والتفضل لله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ، وهو الإنصاف ، والإحسان ، وهو التفضل ، ولا يتم الأمر إلا بهما ، ألا تراه لو أعطى جميع ما يملك ، ولم ينصف من نفسه لم تكن له مروعة ؛ لأنه لا يريد أن يعطي شيئاً إلا أن يأخذ من صاحبه مثله ، وليس مع هذا مروعة). فكلُّ هذه الآيات وما سواها - وما أكثرها في كتاب الله تبارك وتعالى - متضمنة لأصول المروعة وركائزها التي تبنى عليها ، وإن كانت لا تدلُّ على المروعة بحروفها. كان هذا عن المروعة في كتاب الله فماذا عنها في السنة النبوية؟ لقد وردت كثير من الأحاديث تشير إلى بعض ما تضمنته صفة المروعة من حسن الخلق وجميل المعاشرة ، والتحذير من كلِّ ما يشين الإنسان ، ويدنس عرضه ، وسنقتصر على عرض بعض هذه الأحاديث: (قيل: يا رسول الله ، من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم الله. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: يوسف نبي الله ، بن نبي الله ، بن خليل الله. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فعن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)! قال النووي: (معناه أنَّ أصحاب المروعات ومكارم الأخلاق في الجاهلية ، إذا أسلموا وفقهوا فهم خيار الناس). ومن ذلك حديث عائشة أم المؤمنين في بدء الوحي ، والذي فيه قول خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلًّا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق...). وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ، وجهاد في سبيله. قلت: فأَيُّ الرقاب أفضل؟ قال: أعلاها ثمناً ، وأنفسها عند أهلها: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تُعين صانعاً ، أو تصنع لأخرق. قال: فإن لم أفعل؟ قال: تدع الناس من الشرِّ ، فإنها صدقة تصدق بها على نفسك). وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الساعي على الأرملة والمسكين ، كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال: وكالقائم لا يفتر ، وكالصائم لا يفطر). وعن سهل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطى ، وفرج بينهما شيئاً). هـ. وإذن فللمروعة شأن عظيم في ديننا ، أثبتنا ذلك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه - وسلم وأقوال الحكماء واللغويين والسلف الصالح! وجاء في (إسلام ويب) عن المروعة ما نصه: (إن المروعة سجيةٌ جُبلت عليها النفوس الزكية ، وشيمةٌ طبعت عليها الهمم العلية ، وضعفت عنها الطباع الدنية ، فلم تطق حمل أشراتها السنية. إنها حلية النفوس العظيمة ، وزينة الهمم العالية ، فما هي حقيقتها؟ إن حقيقة المروعة اتصاف النفس بصفات الكمال الإنساني التي فارق بها الحيوان البهيم ، والشيطان الرجيم ، إنها غلبة العقل للشهوة ، وحدُّ المروعة: استعمال ما يُجمل العبد ويزينه ، وترك ما يدنسه ويشينه ، سواءً تعلق ذلك به وحده ، أو تعداه إلى غيره. قال بعض السلف: خلق الله الملائكة عقولاً بلا شهوة ، وخلق البهائم شهوة بلا عقول ، وخلق ابن آدم وركب

فيه العقل والشهوة ، فمن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة ، ومن غلبت شهوته عقله التحق بالبهائم. وعموماً مروءة كل شيء بحسبه: فإذا علمنا أن المروءة هي استعمال كل خلق حسن ، واجتناب كل خلق قبيح ؛ فإن لكل عضو من الأعضاء مروءة على ما يليق به: (فمروءة اللسان: حلاوته وطيبه ولينه. ومروءة الخلق: سعته وبسطه للحيب والبغض. ومروءة المال: بذله في المواقع المحمودة شرعاً وعقلاً وعرفاً. ومروءة الجاه: بذله للمحتاج إليه. ومروءة الإحسان: تعجيله وتيسيره ، وعدم رؤيته ، وترك المنة به. وهذه هي مروءة البذل والعطاء ، أما مروءة الترك فتعني ترك الخصام والمعاتبة ، والممارة ، والتغافل عن عثرات الناس. ومن أعظم دواعي المروءة شيان: أحدهما: علو الهمة. والثاني: شرف النفس. أما علو الهمة: فلأنه باعث على التقدم والترقي في المكارم أنفة من خمول الضعة ، واستكثاراً لمكانة النقص ، وقال عمر رضي الله عنه: "لا تصغرن هممكم ؛ فإني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمة". هـ. ولقد اهتم علماء السنة في القديم بحث اس على المروءة! فمن ذلك تلك المحاضرة الشهيرة الجهيرية التي عنوانها: (المروءة المروءة) يقول الأستاذ الدكتور فيصل بن سعود الحليبي ما نصه بتصريف زهيد: (المروءة كلمة مضيئة تجمع تحتها فضائل جليلة ، وتنطلق على السنة الناس حينما يرون مظاهرها تتجلى على النفوس الطيبة ، وينفونها إذا صدمت أعينهم بروية ما يُخل بها. والمروءة تلك الصفة التي تتطلع إليها الأرواح الكريمة ، وتنشأ على مبادئها بيوت عباد الله الصالحين: إنها كما يعرفها العلماء: (صفة نفسية تحمل الإنسان على الأخذ بحميد الأخلاق وترك ردينها). فالإسلام كما حرص على تربية المؤمن بالأخذ بالواجبات وترك المحرمات ، حرص عليه كذلك أن يكون أنموذجاً متكاملًا في كل ما يشرفه في نسبه إلى دينه ، فإذا أقدم المرء على فعل من الأفعال ، أو قول من الأقوال فليتذكر أنه مسلم مؤمن ، فهل يجب إذا فعل ذلك الفعل أو قال ذلك القول أن ينسب إلى فئة المسلمين! المروءة زينة للمؤمن وأي زينة ، بها يبيض وجهه نوراً وإشراقاً ، وتعلوه بها الهيبة والوقار ، ويقبل الناس عليه حباً وألفةً ووفاءً ، هكذا ترى المؤمن في مروءته لا يفعل إلا ما يزينه ويعلي شأنه ، يترفع عن دناءة التصرفات المزرية ولو فعلها من فعلها ، ويسمو عن دنايا المشارب فلا يدنو منها ، فإتلك ترى الحياء عليه حارساً يصونه عن الخطى المشبوهة ، والرذائل المشينة. لقد ارتضى الله تعالى في الشهادة الشرعية من عرف بمروءته دون من افتقدها ، فقال: {فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ}. إن المحطة الأولى التي ينبغي على المؤمن أن ينطلق منها في مروءته ، هي مروءته مع خالقه سبحانه ، الذي أكرمه بجميل الخلق ، وهدهد إليه ، وأحسن إليه بنعمه التي لا تعد ولا تحصى ، فهل من المروءة أن يجحد به خالقاً ورباً وربيّاً؟ وهل من المروءة أن يجاهر المرء بالمعصية ، أو يستكبر عن الهداية؟! التفت يا رعاك الله إلى وصف الكريم لأحابيه حينما وصف مروءتهم فقال: {وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا} ، إنها سمة عالية من الأدب الجم حينما يقبل العبد على كلام ربه أو كلام نبيه صلى الله عليه وسلم ، يصغي إليه بقلبه وقلبه وبكل جوارحه ، إنها مروءة يتبعها العمل الجاد ، والإخلاص المثمر. والمروءة مع النفس ، حينما يرتضي لها أجل المواضع وأزكاها ، فغدت نفسه كريمة زكية نبيلة ، ظاهرة صافية نقية ، {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}. والمروءة مع الخلق ، حينما يكون معهم كلؤلؤة في وسط عقد ، يزينهم ولا يشينهم ، يقابل إساءتهم بالعفو ، ويعرض عن جهلهم عليه ، ولا تستثيره طباعهم ، بل يختار لهم أجمل الحديث ، وطلاقة المحيا ، وأحلى الابتسامات ، وأرق المشاعر ، إن صاحب المروءة قوي الإرادة مع الناس حينما يدعوه بعضهم إلى الحرام فيمتنع عن المسير معهم ، وإن صاحب المروءة لين الجانب مع الناس حينما يوصونه بسنة ويعلمونه هدياً. وربما كان محل المروءة العقل ، فعليه ألا يفكر أبداً إلا فيما يجمله عند ربه وبين خلقه ، ومن أجمل مظاهرها إتقان الأعمال ؛ فإنه إذا أحب أحدكم أن يعمل عملاً

فليتقنه ، ويلمع بريق المروعة في المنازعات والخصومات ؛ لتتضح المعادن الأصيلة من المزيفة ، فلا يغير الخصام في ذي المروعة وجهًا ، ولا يسف فيه لسانًا ، بل يزيده بهاءً وحكمة وروية ، {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} ، {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا} . أيا صاحب المروعة: ألا توافقني الرأي أن من هرم المروعة العتيد أن يتجنب المرء جميع مواقع الشُّبه ، وأماكن الريبة ، فكريًا وسلوكيًا ، فإن الاقتراب من حمى الباطل ذريعة للوقوع فيه ، والناس ليس لهم إلا الظاهر ، فاربأ بنفسك أن تضع نفسك في دائرة التهمة بالانحراف وأنت أبعد الناس عنه ، {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} . وإن من المروعة طلب الرزق ، وحبس اليد عن السؤال من غير حاجة ، والسير في الطريق الوسط في المال ، فلا تبذير يفلس الإنسان ، ولا بخل يحط من قدره ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ، فَيَأْتِيَ بِحَزْمَةِ الْخَطْبِ عَلَى ظَهْرِهِ ، فَيَبِيعَهَا فَيْكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ) رواه البخاري. ويقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (نحن معشر قريش نعد العفاف وإصلاح المال من المروعة). إن من أصدق مظاهر المروعة أن يحفظ المرء لسانه من الخوض في أعراض الناس بل وعرض نفسه أيضًا ، ويصون لسانه من الاستهزاء والسخرية والتعليق على أخطائهم وزللهم ، فليس هذا من شيم الرجال أو أصحاب العقول الراجحة ، (يقول عمر بن عثمان المكي: المروعة التغافل عن زلل الإخوان). ولك أن تعجب ممن يدعي المروعة وهو يطير بالإشاعات التافهة ، أو ينشر مشكلات الآخرين ، أو يشتمت بالمؤمنين ، يتلبس بلبوس الأخلاق وهو عار منها ، أو هناك أشنع من أذية المؤمنين؟! قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا} . وإن من أسمى معاني المروعة أن تحفظ للناس ودَّهم ، وتشكرهم ولو على القليل من معروفهم وكريم معاملتهم ، ورحم الله سفيان الثوري يوم أن قال: (إني لأريد شرب الماء ؛ فيسبقتني الرجل إلى الشربة ، فيسقينها ، فكأنما دقَّ ضلعاً من أضلاعي ؛ لا أقدر على مكافأته). وما أجمل من يتوج مروءته بجمال مظهره في ثيابه وعطره ، فإن الله جميل يحب الجمال ، غير أن من خوارم المروعة تقليد المنحرفين في ملبوساتهم ما دامت لا تتفق مع الدين أو الأعراف. المروعة المروعة أيها المربون ، نربي عليها أجيالنا ؛ فهي حارس الواجبات والمحرمات ، إذا لم نصنها ربما استخف الناس بأوامر الله ونواهيهِ. المروعة لباس الجمال الذي ارتداه عباد الرحمن، وينبغي أن ترتديه وتلبسه النشء، لنظهر ديننا في أبهى حلتها، وفي أجمل نماذجها). هـ. شكر الله للدكتور الحلبي هذه النفحات التي تحمل بين طياتها الغيرة على الإسلام والمسلمين! ومن الحلبي في نفحاته وغيرته إلى الدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي حيث يقول: (المروعة هي: استعمال ما يجمل العبد ويزينه من الأعمال والأقوال والهيئات ، وترك ما يندسه ويشينه في كل ذلك ، سواء مع الخالق أو مع المخلوق ، وسواء تعلق ذلك به أو تعداه إلى غيره. قال ابن حبان رحمه الله: والمروعة عندي خصلتان: «اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال ، واستعمال ما يحب الله والمسلمون من الخصال». وللمروعة ثلاث درجات: الأولى: المروعة مع الحق تعالى ، ويكون ذلك بالاستحياء من نظره إليك واطلاعه عليك في كل لحظة ونفس ، وإصلاح عيوب نفسك جهد الإمكان فإنه قد اشتراها منك وأنت ساع في تسليم المبيع ، وليس من المروعة تسليمه على ما فيه من العيوب وتقاضي الثمن كاملاً. الثانية: مروعة المرء مع نفسه ، وهي أن يحملها قسرًا على فعل ما يجمل ويزين ، وترك ما يقبح ويشين ، ليصير لها ملكة في العلانية ، ولا يفعل خاليًا ما يستحي من فعله في المأل. الثالثة: مروعة المرء مع الخلق بأن يستعمل معهم شروط الأدب والحياء والخلق الجميل! ولا يظهر لهم ما يكرهه هو من غيره لنفسه. ولتخذ الناس مرآة لنفسه ، فكل ما كرهه ونفر عنه ، من قول أو فعل أو خلق فليجتنبه ، وما أحبه من ذلك واستحسنه فليفعله». هـ. ويحسن

بنا أن نتناول شيئاً عن خوارم المروعة ، تلك الأشياء التي يقع فغيها كثير من الناس اليوم ، إن بقصد أو بغير قصد ، وقد عدّها كثير من أهل العلم من خوارم المروعة! فعن خوارم المروعة جاء في موقع (تيار الإصلاح) ما نصه: (خوارم المروعة: المقصود من كلمة الخوارم تلك النقائص التي تفقد الشيء تمامه ؛ ولأن كثيراً من الناس قد اختلف عندهم ميزان المروعة منذ أزمنة سابقة ، إلا أن الأمر زاد في هذا الزمان ، ولم يعد أكثرهم محافظاً على كثير من آدابها الفاضلة وأخلاقها الكريمة ، وصفاتها الحميدة ؛ فإن هناك عدداً من خوارم المروعة وقوادحها التي انتشرت بين الناس ، وأصبحت غير مستنكرة عندهم لكثرة من يمارسونها. ويمكننا أن نصنف خوارم المروعة إلى نوعين اثنين: الأول: خوارم للمروعة بحسب الشرع. والثاني: خوارم للمروعة بحسب العرف السائد. فالأولى لا تتغير ولا تتبدل بتبدل الأحوال والأزمان ؛ لأنها تستمد ثباتها من الشرع الحنيف! وعليه فكل من وصف بأنه منخرم المروعة بواحدة من تلك الخوارم فهو مخروم المروعة في كل حين ، كأخذ الأجر على التحديث عند من يرى حُرمة ذلك ، فمن خرمت مروعته لهذا فإنه لا يزال على ذلك أبداً ، وكذلك من خرمت مروعته بسبب السفه وبذاءة اللسان ؛ لأن المسلم لا يكون بذنباً ولا سفيهاً. وأمّا الخوارم التي ترجع إلى مخالفة عرف سائد ، فإنّ المحققين من العلماء لا ينظرون إليها سواءً بسواء مع تلك الخوارم التي ترجع إلى مخالفة أصل شرعي ؛ لجواز أن يتغير العرف السائد ، فما يعدّ من الخوارم في زمن لا يكون كذلك في زمن آخر ، وما يعد من الخوارم في بلد لا يكون كذلك في بلد آخر ؛ لاختلاف العرف في هذين البلدين ؛ مثل: كشف الرأس ، فقد يكون مستقبلاً في بلد للعرف السائد فيه ، فيكون قادحاً في المروعة والعدالة ، وقد لا يكون مستقبلاً في بلد آخر ، فلا يكون قادحاً في العدالة ؛ ولهذا فإن المروعة في مثل هذا هي مراعاة العرف السائد. يقول الدكتور عبد الكريم زيدان: «ولا شك أن خوارم المروعة تخضع إلى حد كبير إلى العرف السائد ، فما يكون قبيحاً وقادحاً في المروعة في بلد ما قد لا يكون كذلك في بلد آخر ؛ لاختلاف العرف في هذين البلدين ؛ مثل كشف الرأس ، فقد يكون مستقبلاً في بلد للعرف السائد فيه فيكون قادحاً في المروعة والعدالة ، وقد لا يكون مستقبلاً في بلد آخر فلا يكون قادحاً في العدالة ؛ ولهذا فإن المروعة في مثل هذا هي مراعاة العرف السائد». ومن صفات الأفعال حتى تكون خارمة للمروعة: الأول: أن تكون الأفعال والأقوال محرمة شرعاً ، ولو فعلها لمرة واحدة ، أو المكروهة بشرط التكرار ، أو الصغائر بشرط الغلبة على الطاعات ، أمّا المباحات فيشترط فيها حتى تكون خارمة للمروعة قبحها في العادات والأعراف المعتمدة شرعاً ، إذ لا يؤمن معها الجرأة على الكذب والإدمان على فعلها. الثاني: الإدمان أو الإصرار أو الغلبة: خوارم المروعة من المحرمات لا يشترط فيها الإدمان ، وكذلك صغائر الخسة ، أما الصغائر ورتائل المباحات فيشترط فيها الإدمان ؛ وذلك لأن الإنسان لا يسلم من يسير اللهو ، أو فعل بعض المباحات ؛ لعدم العصمة ، وليس هذا شرطاً متفقاً عليه. وللمروعة خوارم تُسقط من قدرها ، وقد تذهب بها نهائياً ، فمن خوارمها: أولاً: الخبل في العقل (أي الفساد فيه): إن الإنسان سمي مرعاً أو امرعاً أي عاقلاً ، ووصف بالمروعة لأنه لا يتصف بخلافها إلا الحمقى ، وقد ورد ذلك في أثر عمر ، فجعل العقل هو المروعة ، فقال: كرم المرء دينه ، ومروعته عقله ، وحسبه خلقه ، ومن هنا كان الخبل في العقل سبباً في إقتراف خوارم المروعة ، والذي يجعلنا لا نثق بكلامه فنرد شهادته بسببه. ولا تستغرب هذا ؛ بل من الحكماء من جعل المروعة أعلى درجة من العقل ، فقال: العقل يأمرك بالأنفع ، والمروعة تأمرك بالأرفع ، فمن أخل بمروعته رضي بالدون ولم يكرم نفسه مما يشينها. ويلتقي هذا مع اشتراط الفقهاء الفطنة ، وعدم التغفل في الشهود ولو كانوا عدولاً ، وعدم قبول شهادة المجنون ابتداءً. ثانياً: نقصان الدين: إن الفسق علامة على النقص في الدين! فلا يقدم على الكبائر مثلاً إلا فاسق غير مبال بدينه ، وكذا خوارم المروعة لا يقدم عليها حتى تخرم مروعته إلا ناقص دين ، فكان أحد

الأسباب التي تخرم المروعة. ثالثاً: قلة الحياء: إن من أسباب فعل الخوارم قلة الحياء ؛ لأن فاعلها لا يستقبح القبيح ، ولا يبالي بكلام الناس ، وقلة حيائه تعطيه الجسارة في فعل خوارم المروعة. وفيما يلي نذكر أمثلة على بعض خوارم المروعة التي تنتشر في مجتمعنا المعاصر ، سواءً أكانت قولية أم فعلية ، ومنها: - أن يباعد الإنسان بين فترات الاستحمام حتى يتدرن ثوبه وتفوح الرائحة الكريهة منه ، ويتجنب الناس مجالسته لهذا السبب ، قال القرطبي: «النظافة وهي مروعة آدمية ، ووظيفة شرعية». - ومن خوارم المروعة أن يأكل الإنسان السحت (المال الحرام) ، قال القرطبي: «سُمي الحرام سُحْتًا لأنه يسحت مروعة الإنسان». - ومن خوارم المروعة الوقوع في الشبهات ؛ كالجلوس مع النساء الأجنبية في الأماكن العامة ، ودخول الأماكن التي فيها انتهاك حرمان الله ، ولو لم يكن هو كذلك ، قال ابن حجر في الفتح: «(فمن اتقى المشبهات) ؛ أي: حذر منها ، قوله: (استبرأ) بالهمز بوزن استفعل ، من البراءة ، أي: برأ دينه من النقص وعرضه من الطعن فيه ؛ لأن من لم يُعرف باجتنب الشبهات لم يسلم لقول من يطعن فيه ، وفيه دليل على أن من لم يتوقَّ الشبهة في كسبه ومعاشه فقد عرض نفسه للطعن فيه ، وفي هذا إشارة إلى المحافظة على أمور الدين ومراعاة المروعة». - ومن خوارم المروعة كثرة المزاح والجلوس في الطرقات لرؤية النساء ، قال ابن حجر في الفتح: «كثرة المزاح واللهو وفحش القول ، والجلوس في الأسواق لرؤية من يمرّ من النساء من خوارم المروعة». كثرة المزاح والمداعبة القولية والفعلية ، ولا سيما مع من لا يعرفهم الإنسان ؛ لما في ذلك من إسقاط هيئته ، والإقلال من مكانته ، ولأن كثرة المزاح مدعاةٌ لحصول الخصام ، وإثارة الأحقاد في النفوس. وهنا يجدر التنبيه إلى أن هذا لا يعني أن يكون الإنسان عبوسًا منقبضًا ؛ فإن هذا مما يذم ويكره ، ولكن هدي الإسلام أن يكون الإنسان جادًا في قوله وعمله وكل شأنه ، مع شيءٍ من البشاشة وطلاقة الوجه ، لما روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ، ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلقٍ». كما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى عماله: «امنعوا الناس المزاح ؛ فإنه يذهب بالمروعة ، ويوغر الصدور» ، وقال بعض الحكماء: «تجنب سوء المزاح ونكد الهزل ، فإنهما بابان إذا فتحا لم يغلقا إلا بعد غم» ، وما ذلك إلا لما ينتج عن كثرة المزاح ، في الغالب ، من الاستخفاف ، وقلة الهيبة ، وذهاب الحشمة. - ومن خوارم المروعة مخالفة لباس أهل بلده ، والتفنن في الغرابة في اللباس ، قال في الفتح وهو يتكلم عن لبس الثوب الأحمر: «وقال الطبري: الذي أراه جواز لبس الثياب المصبغة بكل لون ، إلا أني لا أحب لبس ما كان مُشَبَّعًا بالحُمْرة ، ولا لبس الأحمر مطلقًا ظاهرًا فوق الثياب ؛ لكونه ليس من لباس أهل المروعة في زماننا ، فإن مراعاة زي الزمان من المروعة ما لم يكن إثمًا ، وفي مخالفة الزي ضرب من الشهرة ، والتحقيق في هذا المقام أن النهي عن لبس الأحمر إن كان من أجل أنه زي النساء فهو راجع إلى الزجر عن التشبه بالنساء ، فيكون النهي عنه لا لذاته ، وإن كان من أجل الشهرة أو خرم المروعة فيمنع حيث يقع ذلك». وكذلك ارتداء بعض الناس ، وبخاصة من هم في سن الشباب ، الملابس التي وفدت إلينا من مجتمعاتٍ غير محافظة على القيم والأخلاق الإسلامية ، والتي قد تكثُر عليها الرموز والشعارات والعبارات المخالفة لتعاليم ديننا الحنيف ، أو المخلة بالأداب ، والمنافية للأذواق السليمة ، أو تكون من الملابس المضحكة المزرية ؛ لما قد يكون فيها من التشبه بأهلها ، أو لأنها لا تليق بالإنسان المسلم العاقل المُتزن ، لا سيما في المساجد ، والأسواق ، والمجالس ، والأماكن العامة. - من خوارم المروعة ألا يأكل مما يليه ، يأكل من جوانب القصعة أو وسطها ، قال النووي رحمه الله تعالى: «من السنة الأكل مما يليه ؛ لأن أكله من موضع يد صاحبه سوء عشرة وترك مروعة ، فقد يتقدّره صاحبه لا سيما في الأمرار وشبهها». والإكثار من تناول الطعام والإقبال عليه بنهم شديد ، لا سيما عندما يكون الإنسان مدعواً إلى وليمةٍ

أو نحو ذلك ؛ لما في ذلك من منافاة للأدب ، ولما فيه من مخالفة لهدى الإسلام عند تناول الطعام. وهنا تجدر الإشارة إلى أن من أسوأ العادات وأكثرها أذى في الصلاة أن يتجشأ أكل الثوم ، أو البصل ، أو الكراث في صف المصلين ، فيزعجهم ويقطع خشوعهم ، وتخرج من فمه رائحة كريهة يؤدي بها عباد الله من الملائكة والمصلين ؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تجشأ رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «كف عنا جُشاءك ، فإن أكثرهم شبعًا في الدنيا أطولهم جوعًا يوم القيامة». - ومن خوارم المروعة أن يتحدث الإنسان إلى جلسائه ببعض الأحاديث المخلة بالآداب ، وأن يُخبرهم ، صادقًا أو كاذبًا ، ببعض القصص والمغامرات والأحداث الفاضحة بحجة الإمتاع والمؤانسة ، وهذا أمرٌ مخالفٌ لما أمر الله به عباده من الستر وعدم نشر الفاحشة بين المسلمين ، كما يتبع هذه المخالفة أن يتحدث الإنسان عما يقع بينه وبين امرأته من أمور خاصة ، أو وصف تفاصيل ذلك ، لما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أشر الناس عند الله منزلةً يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتُفضي إليه ثم ينشر سرها» ؛ وما ذلك إلا لما في هذا الأمر من خيانة للأمانة ومخالفة للمروعة وآداب المسلم ، التي تمنعه من مجرد التعرض لهذا الأمر تصريحًا أو تلميحًا ، وأما مجرد ذكر الوقاع فإذا لم يكن حاجةً فذكره مكروه ؛ لأنه خلاف المروعة. قال النووي: «تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمر الاستمتاع ، ووصف تفاصيل ذلك ، وما يجري من المرأة فيه من قول أو فعل ونحوه ، فأما مجرد ذكر الجماع فإن لم تكن فيه فائدة ولا إليه حاجة فمكروه ؛ لأنه خلاف المروعة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت». - إضاعة الوقت بالجلوس لوقتٍ طويلٍ في المقاهي والاستراحات وما في حكمها لغير حاجةٍ ملحّة. يُضاف إلى ذلك ما في ارتياد هذه الأماكن من هدرٍ للوقت وإضاعته فيما لا فائدة منه ولا نفع فيه ، ولا سيما في هذا الزمان ، الذي كثر فيه الفساد والانحراف ؛ وهنا يجدر بنا أن نتذكر ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه إلا كان عليهم ترة (أي: حسرة وندامة) ، وما مشى أحدٌ ممشى لم يذكر الله فيه إلا كان عليه ترة ، وما أوى أحدٌ إلى فراشه ولم يذكر الله فيه إلا كان عليه ترة». كذلك أن يلهو الرجل كبير السن الساعات الطوال على شاشات التلفاز ، يتابع الأفلام والمسلسلات ، ولا يأبه لتقدمه في السن وقربه من لقاء الله سبحانه وتعالى ، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعذر الله إلى امرئٍ أخَّرَ أجله حتى بلَّغَهُ ستين سنة». قال ابن حجر في الفتح: «الإعذار: إزالة العذر ، والمعنى أنه لم يبق له اعتذار ، كأن يقول: لو مدّ لي في الأجل لفعلت ما أمرت به». - ومن خوارم المروعة الجدل مع الأصحاب لمجرد الجدل ؛ لأن الموافقة من المروعة ، والمنافقة من الزندقة. - ومن خوارم المروعة إخفاء الزاد عن الأصحاب في السفر ، وكثرة الخلاف معهم ، قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن: «للسفر مروعة وللحضر مروعة ؛ فأما المروعة في السفر فبذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح في غير مسأخظ الله ، وأما المروعة في الحضر فالإدمان إلى المساجد ، وتلاوة القرآن وكثرة الإخوان في الله عز وجل». - ومن خوارم المروعة أن تأكل المرأة في الشارع ، وكذا الرجل ما لم يكن جائعًا ، أو صاحب عمل في السوق... ، واستتنى البلقيني من الأكل في السوق من أكل داخل حانوت مستترًا. - ومن خوارم المروعة أن يستأثر الرجل بالطعام ، ويأكل أكثر من إخوانه إذا كان الطعام مشتركًا ، وكانوا يدفعون ثمنه تشاركًا بينهم ، قال النووي: «يستحب اشتراك المسافرين في الأكل واستعمالهم مكارم الأخلاق ، وليس هذا من باب المعارضة حتى يشترط فيه المساواة في الطعام وألا يأكل بعضهم أكثر من بعض! بل هو من باب المروعات ومكارم الأخلاق ، وهو بمعنى الإباحة ، فيجوز وإن تفاضل الطعام واختلفت أنواعه ، ويجوز وإن أكل بعضهم أكثر من بعض ، لكن يستحب أن يكون شأنهم إيثار

بعضهم بعضاً». - ومن خوارم المروعة أن يتحدث الإنسان عن أهل الفضل والعلم والمشهود لهم بالخير لمجرد أنهم ارتكبوا صغيرة من الصغائر ، فعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود». - ومن مروعة الرجل أن يخدم الأكبر منه سنًا والأكثر علمًا ، ولا يُعد هذا إنقاصًا من قدره ، قال النووي: «ويجوز للفاضل أن يخدمه المفضول ويقضي له حاجة ، ولا يكون هذا من أخذ العوض على تعليم العلم والآداب ؛ بل من مروعات الأصحاب وحسن العشرة ، ودليله من قصة موسى حمل فتاه غداهما ، وحمل أصحاب السفينة موسى والخضر بغير أجرٍ لمعرفتهم الخضر بالصلاح». - قص شعر الرأس بأشكالٍ غريبةٍ وغير مألوفة ، وكُلنا يعلم أنه قد انتشرت في هذا الزمان بعض قصات الشعر المضحكة المبكية ، وخاصة بين الشباب والشابات ، والتي يعلم الله أنها تُشوه الشكل ، وتدل على فساد الذوق ، وحب التقليد ؛ كما تؤكد أن من يفعلها عمدًا مُتعمدًا ضعيف العقل ممسوخ الهوية ؛ لأنه مُقلدٌ للآخرين ممن لا دين لهم ولا مروعة ولا حياء. - الرقص والتصفيق والتمايل مع الأنغام المحرمة ، وهز بعض أعضاء الجسم أو تحريكها ، وغير ذلك من الحركات الساقطة التي يؤديها البعض في الاحتفالات والأعراس ونحو ذلك ، مما لا يليق بالإنسان المسلم ذكراً كان أو أنثى ، حتى إن بعض أهل العلم وصف الرقص والتصفيق والتمايل إذا صدر عن الرجال بأنه خفة ورعونة مشبهة لرعونة الإناث ، لا يفعلهما إلا أرعن. - أن يأتي الإنسان ببعض الأقوال أو الأفعال الهزلية التي تُضحك منه الناس ؛ كأن يُقلد شخصًا في كلامه ، أو حركاته ، أو نحو ذلك لغرض السخرية منه وإضحاك الآخرين عليه. - امتهان الشحاذة ومدُّ اليد للناس من غير حاجةٍ ضروريةٍ تدعو إلى ذلك! وما عُدَّ التسول مما يُخالف المروعة إلا لما في ذلك الفعل من احتمال الكذب ، والخداع ، والتحايل ؛ الأمر الذي يُسقط مروعة الإنسان ، ويذهب ماء وجهه في الدنيا ولحمه في الآخرة ؛ فقد روي عن حمزة بن عبد الله عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله وليس في وجهه مُرعةٌ لحمٍ». - الادهان عند العطار دون أن ينوي الشراء ، ومثله تدوق الأطعمة أو الفواكه والخضروات عند الباعة ، وفي نيته ألا يريد الشراء. - التكلم بالأعجمية وترك العربية من غير حاجة ، قال عمر رضي الله عنه: «ما تكلم الرجل الفارسية إلا خبٌّ ، ولا خبٌّ إلا نقصت مروعته» ، وقال ابن تيمية رحمه الله: «وأما اعتياد الخطاب بغير اللغة العربية ، التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن ، حتى يصير ذلك عادة للبلد وأهله ، أو لأهل الدار أو للرجل مع صاحبه أو لأهل السوق ، أو لأهل الديوان ؛ فلا ريب أن هذا مكروه فإنه من التشبه بالأعاجم». فليكن معلوماً أن هناك وسائل معينة على اكتساب المروعة: يقول ابن حبان البستي: «الواجب على العاقل أن يلزم إقامة المروعة بما قدر عليه من الخصال المحمودة ، وترك الخلال المذمومة ، وقد نبغت نابعةً اتكلوا على آباءهم واتكلوا على أجدادهم في الذُّكر والمروعات ، وبعدوا عن القيام بإقامتها بأنفسهم، إلى أن قال: «ما رأيت أحداً أخسر صفقة، ولا أظهر حسرة ، ولا أخيب قصداً ، ولا أقل رشداً ، ولا أحمق شعاراً ولا أدنس دثاراً من المفتخر بالأباء الكرام وأخلاقهم الجسام ، مع تعريه عن سلوك أمثالهم وقصد أشباههم ، متوهماً أنهم ارتفعوا بمن قبلهم ، وسادوا بمن تقدمهم ، وهيهات أنى يسود المرء على الحقيقة إلا بنفسه ، وأنى ينبل في الدارين إلا بكده». هـ. هذا ، وأعتذر الاعتذار كله عن طول مقدمتنا عن المروعة! وما ذلك إلا لحمل القراء الأعزاء على المروعة ، وتحذيرهم من خوارمها! جعلنا الله جميعاً من أهل المروعات والنبل والشهامة والنجدة ، وجنبنا الله خوارم المروعة ونقائص الشهامة!

شِعْرٌ عَرَبِيٌّ بِمُرْوَعَةِ الْكُرْمَاءِ وَمَعِي احْتِفَالٌ بَتَعْلُفِ الشَّرَفَاءِ

تسبي النهى في رونق وبهاء!
لتخصّها بنضارة وضياء
وتسوقه للقصد والإيحاء
وبها الرموز تُعجّ بالإيماء
كالزهر ماس بروضة غناء
من عاش يشفع عيشه بعطاء
وبنى أوامرها ببلذ وفاء
جلت عن الأندال والوضعاء
نبتت صداقته عن الأسواء
وبعدها أشقى قلبى وجفاء
والغدر طبع البهت والجبناء
والشخ - إن عاينت - أخبث داء
والمَن سَمَت البله والسفهاء
ذاق الصديق مرارة البأساء
إلا ثواب الله خير جزاء
أبدى الصديق به جميل سخاء
والمراء بين تمنع وبلاء!
يكفى الألى لعقوا لظى الأرزاء
ذهبت بما أوتوا من النعماء
مستصحباً مالا وبعض دواء
من طلعة الإصباح للإمساء
حتى يُخفف وطأة البلاء

وصنع احترامك يا وفي قصيدة
وتمل من ذرر البيان جمالها
وتخيّر الألفاظ تسحر قارئاً
وتخيّر الأنعام عاطرة الشذى
وتخيّر الصور الجميلة تزدهي
حتى نحى بالقريض أخطا الوفا
خبّر الصداقة كهفها ورقيمها!
إن الصداقة جواهرٌ وحقيقة
أما صديقٌ قصيدنا فمكرم
لما تكن لنوال منفعته بها
هو لم يخن يوماً ، ولم يك غادراً
هو لم يكن يوماً بخيلاً ممسكاً
هو لم يئن بجوده وعطائه
هو لم يقل: لولا بذلت مروعتي
هو لم يُرد - للتضحيات - مقابلاً
إن كنت أنسى ، لست أنسى موقفاً
يوم ابتلى رب السماء صديقه
لزم الفراش ، ولم يكن من مورد
 واحتاج عائلهم ، وباتت أزمة
فتطوع الشهم الصديق مؤاسياً
ولخدمة الأولاد جنده نفسه
ومضى يُوفّر كل محبوباتهم

والأمرُ متضحٌ لعين الرائي
من مطعم ومشارب وكساء
لما تدثرَ عيشُهم بشطاء
لما استبد الصيفُ بالغبراء
وكانهم في ساحة الهجاء!
تمكينهم من عيشة السعداء
ولقد تكونُ بعالم الشعراء
من أحقق الجهال والبلاء
بل يراعون لسيء الأهواء
وترى المبادئ في دنيا خفاء!
حتى إذا انتفعوا انبروا لعداء
ورعاع إن قصيدوا لأي حياء!
في الجود مثل الريح والدماء
ولربما استعصى على الفهماء
أعطى عطاء الصفوة الكرماء

وكانهم - بين الورى - أولاده
وأتى لهم بالشيء يصعبُ جأبه
وأتى لهم بملابس شتويةٍ
وأتى لهم بملابس صيفيةٍ
فأحالهها جمراً يُحرقُ أهلها
وبنصف راتبه تفضلَ يرتجي
هذي المروعة قد تولى عهداً
ولقد يُصارغ ذو المروعة طغمة
لا يراعون لمبدأ أو قيمةٍ
فترى المروعة فيهم موعودة
إما استفادوا أظهروا إخلاصهم
أبطال إن أخذوا ، وسادة موقفٍ
لكنّ ليث قصيدنا مُتفردٌ
مهما وصفتُ فلن أوفي حقه
فجزاه رب الناس خيراً ، إنه

مكافأة لا قصاص!

(هذا هو عمر بن عبد العزيز وهو على فراش الموت علم بأن خادمه هو من وضع السم له في طعامه وشرا به ، فداده الخليفة عمر وقال له: ويحك لماذا وضعت السم في طعامي؟ فارتعب الخادم وقال له بخوف شديد: سيدي أمراء بني أمية أعطوني ألف دينار ، ووعدوني بأن أصبح حراً إذا فعلت ذلك. فقال له الخليفة العظيم: ضع الألف دينار في بيت مال المسلمين ، واذهب فانت حر لوجه الله ، ولقد عفوتُ عنك. فعمر رغم أنه على وشك الموت كان يفكر في بيت مال المسلمين ، ويضرب أروع الأمثلة في العفو عند المقدرة ، لأن العلماء قالوا عنه ، ما مشى عمر خطوة واحدة إلا وكان له فيها نية لله. لذلك استطاع في عامين ونصف فقط أن يحو الفقر وينشر العدل. حتى أن المنادي كان ينادي في شوارع المسلمين: من أراد الزواج أو سداد الديون أو الحج فكل ذلك من بيت مال المسلمين. ففضى على الديون وتأخر سن الزواج ففاض الخير وانتشرت البركة ، لدرجة أنه قال للعمال: ألقوا فائض القمح والبذور في الصحراء لتأكل الطيور حتى لا يقول الناس جاع الطير في بلاد المسلمين. ورغم عدله الكبير كان شديد الخوف من علام الغيوب حتى قال عنه العلماء: كان يبكي إذا سمع القرآن وكان النار لم تخلق إلا له ، وكان يرفض النفاق وأهله فكان يجمع العلماء الصالحين ليتذكروا أمر الآخرة. فقال له أحدهم: يا أمير المؤمنين صم عن الدنيا ، وأفطر على الموت ، واجمع الزاد لليلة صباحها يوم القيامة. هذه الكلمات هزت قلبه وسكنت روحه ، فأخذ يعيش وكأنه راهب في بيته ، وملبسه وحياته تدل على أنه أفقر الفقراء ، رغم أنه كان يحكم ربع الكرة الأرضية. لكن تلميذ النبي محمد وحفيد الفاروق عمر تجنب الهوى حتى تجنب الهوى وطلق الدنيا ثلاثاً واشترى بها جنات خالدة والدليل عند وفاته كان آخر ما نطق به لسانه المبارك قوله تعالى: "تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين". سعدت روحه الطاهرة إلى رضوان الله الذي عاش حياته من أجل رضاه لدرجة أنه في عصره كان الذئب يرضع مع الغنم والسبب كما قال أحد رعيته: إن عمر أصلح ما بينه وبين الله فأصلح الله ما بين الذئب والغنم. لذلك صدق فيه قول القائل: وإذا سألك عن العدل في بلاد المسلمين فقل لهم: "لقد مات عمر". وأنا في هذه القصيدة تخيلتُ عمر بن عبد العزيز ، ذلك الخليفة الذي يعد أياماً يصارع فيها السم المستشري في جسمه ، وراح يعتب على خادمه الذي رباه وعلمه واتخذ صاحباً ورفيقاً لدرجة أنه كان يحضر بعض مجالسه ، ولم يبخل عليه بماله ولا بطعامه ولا بشرا به ولا بشيابه! ثم هو يفعل هذا الصنيع الخسيس الدنيء معه! فأنشدتُ على لسان الخليفة أقول:

وَضَعْتَ السُّمَّ - فِي المَشْرُوبِ - أَنْتَا	تُشْرَاكَ بِقِتْلَتِي هَذَا أَمْرَتَا
وَرَبُّ النَّاسِ قَدَّرَهَا ، وَإِنِّي	سَأَتْرِكُ مُرْغَمًا مُلْكًا تَأْتِي
وَأَعْجَبُ مِنْكَ كَيْفَ أَطَعْتَ قَوْمًا!	وَلَوْ خِفْتَ الْمَلِيكَ لَمَا أَطَعْتَا
ضَعُفْتَ أَمَامَ إِغْرَاءِ بِمَالٍ	تَظُنُّ بِمَالٍ مَن ظَلَمُوا انْتَفَعْتَا
وَهَلْ جَنْنَا الحَيَاةَ لَجَمْعِ مَالٍ!؟	سَيَذْهَبُ عَنْكَ مَالٌ قَدْ جَمَعْتَا
سَتَسْأَلُ مِنْ حَلَالٍ أَمْ حَرَامٍ؟	وَتَتَدَمُّ ، مَا يَفِيدُكَ إِنْ نَدَمْتَا!؟

ويشمت فيك قوم إن سفلتنا
لقد نلت الهوان بما طلبت!
وجدك فت عزم القلب فتا
متى لا تستقيم أخي وحتى؟!
وينطفئ البريق إذا عقلتنا
وقد صدقتها لما ضللتنا
تردك للصواب إذا انتبهتنا؟!
وتنحت عرضك الأنام نحتنا
وقد تترتاح لو عنهم رحلتنا
من الوسواس حتى إن شغلنا
وإن تك - في المقاومة - اجتهدنا
وإن تك - في المخاوف - ما سبحنا
ولو أصلحت سعيك ما حلمنا
فليتك - للمساوي - ما سعيتنا
فليتك عفتها يوم انحدرنا
وخيرك قد مضى لما غدرنا
بلا جرم؟ فليتك قد رشدنا
أعن أخراك يا هذا صرفتنا؟!
فخببت ، وخاب قطعاً ما أردنا!
أجلك يا غبيد حيث كُننا
على الإنفاق كفك كم شددنا!

سُفولك بالحرام هو التذني
وهل بالقتل تطلب نيل مال؟
هي الدنيا عملت لها جدي
فلم تبصر حلالاً من حرام
أعمتُك النقود لها بريق
أغرَّتْكَ الوعود تُثيرُ رباً
ألم تنتبه يوماً لعقبى
وبين الناس بُوت بشر فعل
ستحيا بين شكٍ وارتباب
ستقتلك الشكوك ، ولسيت تنجو
ستغرق في الهواجس والأحاجي
ستسبح - في بحار الخوف - دهرأ
ستذهب نومك الأحلام تترى
وخاب السعي إن أزرى بعبد
وهل عيش يقوم على الدنيا؟
وهل بالغدر تُدرك أي خير؟
وهل في شرعنا إزهاق نفس
وكيف تبيع أخرة بدنيا؟!
أردت بسعيك الدنيا فضاعت
وكنيت لذي محترماً عزيزاً
وعندي المال حيث علمت عني

وعني الأمر مشتهراً علمتاً
فمن زاد الخليفة كم طعمتاً!
ومن شرب الخليفة كم شربتاً!
رأيك مولعاً لو أن لبستاً!
أتذكر في المجالس كم جلستاً؟
وتسأل أين كنت؟ وأين سرتاً؟
فليتك - بالذي قلت - انتصحتاً!
فهل بالنصح يا هذا عملتاً؟!
رأيك بالذي عنى علمتاً!
وأسعد بالذي منى فهمتاً!
وتقتلني هنالما كبرتاً!
كأنك - في المربع - ما حضرتاً
يسأل عنك عبداً أين غبتاً
فأمياً إلى الدنيا أتيتاً
فعلمناك ، ثم لنا كتبتاً
وأسمعت الخلاق ما قرأتاً
فوأسفى رأيك قد هدمتاً!
وصدقاً في قياسك ما عدلتاً
بحمقك هذه الدنيا رفعتاً
ولو كنت اتقيت لماركبتاً
وأنت بعشقتها دوماً عرفتاً!
فكم نفساً بأموال قتلتاً؟!

ولم أبخل عليك بأي مال
وزادي ما حرمتك منه يوماً!
وشربي كم سقيتك بعد منة
وكم أهديتك الأثواب لمتاً
وكم جنبني جلست تقول رأياً!
وكم سرنا معاً بين الرعايا!
ونصحي لم أؤخر عنك يوماً
وكم بالنصح صح متاب عبداً!
وكم علمتُك الأخلاق أرجو
وكم فهمتُك القِيم الغوالي
أتذكر يوم جئت لنا صغيراً؟
وكنيت إذا حضرت فلا احتفالاً
وإن غيبت لم أسمع سؤوالاً
ولم تك قارئاً تتلو كتاباً
ولم تك كاتباً لخط نصاً
وأقتنت القراء باقتدار
وفيك بنيت يا كم من خصال!
تساوت عندك الدنيا بأخرى
وجاوزت الحدود تُحب دنيا
ركبت هواك مختالاً فخوراً
عرفت بزهد دنيا عن يقين!
أتقتلني بألف ثم عتق؟

ألسنت بنادم عما اقترفتا؟
ونفسك قبل صحبتنا نحررتا!
لداعي القتل والسواى خلقتا!
تُراكَ بميتتي هذي سُررتا؟
وتُفأح إن بنفسك قد نجوتنا
وهم أدري بما أنت اجترحتنا
وليس يزول عنهم إن شركتنا
ألا اسْتَغْفِرْ لِيُغْفِرَ مَا جَنَيْتَنَا
سَيَقْبَلُكَ الْمَهِيْمُنُ إِنْ صَدَقْنَا!
تُكْفِرُ يَا عِبِيدُ مَا اجْتَرَحْنَا!
أعوذ بربنا مما صنعنا
علمت بما أخْبِرُ أم جهلتنا!
أو الأخرى تُعَذِّبُ أَنْ قَتَلْنَا
ألم تلق المليك وقد ظلمتنا؟!
من الدنيا ، وقيل أشد مَقْتًا!
هنالك في القيامة إذ بُعثنا
يُلاقون المصانرَ فيه شتى
وتلقى الله خُلك قد أدتنا
ألا اسْتَرْنَا ، ويُفأح من سترتنا!

أتخسرُ خاتمي وتبيحُ وُدِّي؟
أتنحرُ صُحبة دامت سنيناً؟
كأنك في انتقامك جعظرياً
ومسـموماً أموتُ بغير ذنب
ألا فادفع لبيت المال ألفاً
سَتُقْتَلُ إِنْ بَقِيَتْ هُنَا ، ففارقُ
بموتك ينقضني سرّ دفينٍ
وعنك أنا عفوُث لنيـل حُسني
ألا واندم وتُوب واصل وصابراً!
وأفك دُسسها في بيت مال
وذي فتوى ورأيٍ ليس إلا
وأمرُك في المشيئة دون شك
فإن شاء الإله عفا ، فأبشراً!
وعدل الله عدل لا يُبـازي
وقتل النفس أعظم عند ربي
وداعياً يا أخِي إلى لقاء
وقد بُعث الخلائقُ في صعيدٍ
بأحوال تُحَيِّرُ كل حي
فيا رب الأنام اغفر وسامح

أصابتك عشقٌ أم رُميتَ بأسهم؟!

(بينما كنتُ أسيرُ وأحدُ أصحابي في طريق عام ، استوقفتُ إحدى النساءِ صاحبي ، وكانت حشيمة لا يرى منها إلا عيناها! وعجبتُ من جرأتها في التحدث إلى صاحبي ، فظننتها تعرفه ويعرفها ، وقلتُ في نفسي لعلها إحدى القريبات أو الجارات ، وعندها مشكلة تلتبس حلها عنده! وبعد حوار هامس معها لم يستغرق الدقائق الثلاث ، أخرج صاحبي مبلغاً من المال هو نصفُ ما معه من الدراهم وأعطاه إياها! فدعتُ له بخير ثم انصرفت عنه! فسألته بفضول: من هذه المرأة؟ وما قصتها؟ فقال صاحبي: امرأة غريبة شكنتُ إلي حاجة وعوزاً وعيلاً وزوجاً مريضاً ، فأخذتني رقة ذلك فأغدقتُ عليها من مال الله الذي آتاني حِسبة الله – عز جل -! وإلى هنا فأنا أرى بأن الأمر طبيعي ، ويُمكن أن يحدث معي ومع غيري! ولكن حال صاحبي لم يستقم بعد موقفه هذا! حيث رأيتُه شارداً أغلب الوقت يُفكر فيها! فقلتُ له كما قال معلم يزيد بن معاوية لما رأى خادمة الأول (حُبابة) فسقط الإبريق من يده في الطست ، فقال المعلم له: (أصابتك عشقٌ أم رُميتَ بأسهم) وردَّ عليه يزيد بقصيدة حوالي ثمانية وعشرين بيتاً من البحر الطويل! صاغ زيد قصيدته وهو ابن أحد عشر عاماً ، وكانت هذه أول قصيدة كتبها يزيد! ولأن قصيدتي محاكاة لقصيدة يزيد ، رحبُ أنكر على صاحبي كل هذا الاهتمام الزائد عن الحد! ذلك الاهتمام الذي ليس في محله مطلقاً؟! حيث إنها امرأة متزوجة ، فهي في عصمة رجل مريض بعلّة أقعدته في الفراش! ومرضه لا يعني وفاته ولا عشق زوجته؟ فتلك دناوة وخِسة ياباها الطبع القويم فضلاً عن الدين المستقيم! فكيف يعشق امرأة في عصمة رجل؟! وأي امرأة؟ إنها امرأة حشيمة بعباءة فضفاضة سميكة لا تشف ، وخشنة لا تصف ، سوداء سواد الليل البهيم ، ونقاب سميك وسيع يُخفي معالم وجهها ، وقفازين يُخفيان تقاسيم ولون كفيها ورسغيها ومعصمها وأصابعها ، وحذاء أسود ملتصق بالأرض! عجيبٌ هذا العشقُ ، وأعجب منه ذلك العاشق! فأنشدتُ أنصح له وأحثه على الاستقامة! فطفقتُ أقول له مبعثاً وعاتبا: إن هذا لا يجوز في ديننا! وتحت عنوان: أصابتك عشقٌ أم رُميتَ بأسهم؟ - من روائع الشعر العربي ليزيد بن معاوية) يقول الكاتب الأستاذ: سالم عطيّر ما نصه: (تعد هذه القصيدة من روائع الشعر العربي وهي للشاعر يزيد بن معاوية ، ومن الناحية الأدبية يعد يزيد بن معاوية شاعراً فذاً له الكثير من القصائد الحاضرة حتى يومنا هذا ، وكغيره من الشعراء القدامى ، تعرض شعر يزيد إلى الكثير من التحريف والتغيير ، مما أدى إلى نسب أبيات له لم يقلها ، وتجمعت قصائده في ثلاثة مجلدات شعرية. ومن أجمل الأقوال الماثورة عنه: (إذا مرض أحدكم مرضاً فأشفي ثم تماثل ، فليُنظر إلى أفضل عمل عنده فليُنزله ، وليُنظر إلى أسوأ عمل عنده فليُدعه. وتعد قصيدة: (أصابتك عشقٌ أم رُميتَ بأسهم؟) من روائع الشعر العربي ، وتغنى بها الكثير من المطربين كموشح للأغاني والقصائد المغناة!). هـ. وهناك شرح لقصيدة (أصابتك عشقٌ) للأديبة الأستاذة أحلام بكري تقول فيه: (تعدّ قصيدة (أصابتك عشقٌ) من القصائد مجهولة القائل في الشعر العربي على رأي من الآراء النقدية المنصفة ، وفيما يأتي شرح لأبياتها ، يقول الشاعر:

أصابتك عشقٌ أم رُميتَ بأسهم فما هذه إلا سجيّة مُغرَم!

أصابتك سهم أم رُميتَ بنظرةٍ فما هذه إلا خطيئة من رُمي!

ويتابع الشاعر فيقول: إنني أغار على جسدها من الشباب التي تلتصق به ، وأحسد الكأس التي تلامس شفيتها عندما تشرب ، ثم ينصرف ليصف حاله في العشق فيقول إنَّ الطيور قد رثت لحاله ، ويقول إنَّه ميت في عشقها وقد استحلت دمه ، فيقول: سلوا المحبوبة كيف أراقت دمه ومن جعل دمه حلالاً لها ، ويقول أخيراً: قولوا للحبيبة إن رأيتموها إنني قتل حبك).هـ. ونعرض لكم شرح قصيدة (أصابك عشق) ، ومن هو كاتبها؟ يتساءل العديد من الأشخاص عن شرح قصيدة (أصابك عشق) ، والتي ترجع إلى الشعر الأموي لدى العرب ، وقد أشار البعض أنها تعود للشاعر قيس بن الملوح (مجنون ليلى) وذلك بسبب وجود البيت الذي يقول فيه فدع عنك ذكر العامرية إنني أغار عليها من فم المتكلم! ولذا يمكننا القول بأن المقصود من كلمة العامرية هنا في هذا البيت: هي ليلى حبيبة قيس ، إلا أن هناك قصيدة مشابهة لها قد قالها يزيد بن معاوية ، ونظراً لأن الشاعرين قد عاشا في نفس العصر ، فقد تداخلت القصيدتين معاً. وإذن فكاتب هذه القصيدة هو قيس بن الملوح بن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، العامري الهوازني ، والذي اشتهر في هذا العصر الأموي باسم مجنون ليلى. وأما قصيدة (أصابك عشق) ليزيد بن معاوية فيقول مطلعها:

أراك طروباً ذا شجا وترنم تطوف بأكتاف السجاف المخيم

أصابك عشق أم رميت بأسهم؟ وما هذه إلا سجية مغرم

على شاطئ الوادي نظرت حمامة أطالت علي حسرتي والتندم

فإن كنت مشتاقاً إلى أيمن الحمى وتهوى بسكان الخيام فأنعم

أشير إليها كالبنيان كأنما أشير إلى البيت العتيق المعظم

وختم أبياته لها بقوله:

خذوا بدمي منها ، فإني قتيلاً وما مقصدي إلا تجود وتنعم

ولا تقتلوا ، إن ظفرتم بقتلها ولكن سلوها كيف حل لها دمي؟

وتحت عنوان: (قصة قصيدة أصابك عشق أم رميت بأسهم؟) تقول الأستاذة الأدبية دعاء العضيبيات ما نصه: (أمّا عن التعريف بشاعر هذه القصيدة: فهو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي ، ويُنادى بأبي خالد ، أمه ميسون بنت بحدل الكلبيّة ، وهي شاعرة من أهم الشاعرات ، وكانت أمراً ذكية ولبيبة ، وأبوها من أشراف قبيلة كلب. وُلد يزيد في سنة 26هـ ، وقد أرسله أبوه لقبيلة أخواله ليعيش معهم بعد طلاق ميسون ومعاوية ، فتأثرت حياة وطريقة عيش يزيد بالبادية ، حيث تعلم الفصاحة والشعر والخطابة والكرم والشجاعة ، وبعد عودته لوالده تفاجأ أهل الشام من طريقة لباسه ، حيث إنّه لم يلبس عمامة أو سيفاً ، فجلب له والده معلماً ومؤدباً ليعلمه ، وهو دغفل السدوسي الشيباني ، وكان يحضر المجالس مع معاوية ليتعلم سياسة الحكم ، ولكن استمر تعلقه بالبادية وأثر ذلك على طريقة لباسه وعدم تكلفه. وأمّا عن وفاته: فلقد توفي يزيد في سنة 64هـ ، وكان بمدينة

حوران ، وكانت مدة حكمه ثلاثة سنوات ونصف تقريباً ، وكان عمره حينها تسع وثلاثون عاماً فتولى الخلافة بعده ابنه معاوية بن يزيد وهو ثالث الخلفاء الأمويين ، حيث بويع له بالخلافة بعد موت أبيه. وأما عن قصة قصيدة (أصابك عشق أم رميت بأسهم؟) فإن هذه القصيدة من القصائد الغزلية التي نسبت إلى الخليفة يزيد بن معاوية ، فلقد كان ذا شعر حسن وبلاغة مرموقة أخذها عن الحكماء والفقهاء ، فكتب أول قصيدة ولا زالت تتردد إلى يومنا هذا ؛ لأنها مليئة بالصور الشعرية والمحسنات البديعية وذات كلمات مُغناه. ولهذه القصيدة أصابك عشق أم رميت بأسهم اقترنت بقصة، وهي أنه بينما كان يزيد يصب الماء على معلمه فمرت من أمامه جارية غاية في الجمال تدعى حُبابه فلما رآها اندهش من جمالها ووقعت جرة الماء من يد يزيد فرفع معلمه رأسه وقال له:

أراك طروباً والهأ كالمتميم تطوف بأكناف السحاب المخيم
أصابك سهم ام بليت بنظرة فما هذه إلا سجية مغرم

فرد عليه يزيد بن معاوية بقصيدة اعتبرت من أجمل القصائد ، وكانت أول قصيدة له وقال:

أراك طروباً والهأ كالمتميم تطوف بأسلاف السجاف المخيم
أصابك سهم أم بليت بنظرة فما هذه إلا سجي تبرم

إلى أن ختمها بقوله:-

ألا فاسقتني كاساتِ خمر و غن لي بذكر سُليمي والرباب وزمزم
وأخر قولي مثلما قلت أولاً أراك طروباً والهأ كالمتميم

وذات يوم دخلت زوجة يزيد عليه وقالت له: يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك من أمر الدنيا شيء؟ فقال لها: نعم حُبابة ، فبعثت زوجته واشترتها ، وألبستها وأحسنّت هندانها ، وأدخلتها عليه وعندما رآها طلب أن يختلي بها في القصر لوحده من دون أن يكون عندهم أحد ، فجهزوا له القصر بأجمل الفرش وأطيب المأكولات وغادروا القصر. وبينما هما في القصر يلهوان ويمرحان رماها بحبة عنب وهي تضحك فشرقت وماتت ، وبعدما ماتت أبقاها عنده يقبلها ويحضنها حتى انثنت وجفت. فأمر بدفنها وبعد أن دفنت بقي لزيد بيته حتى مات هو الآخر).هـ. ولقد قسم العلماء المحبة إلى مراتب عديدة ، ومن هؤلاء العلماء ابن قِيم الجوزية الذي أوصلها إلى عشر مراتب ، وهي كما يلي: أولها: العلاقة ، وسمّيت علاقةً لتعلق القلب بالمحبوب. الثانية: الإرادة ، وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له. الثالثة: الصّابة ، وهي انصباب القلب إليه ، بحيث لا يملكه صاحبه ، كانصباب الماء في الحدور. الرابعة: الغرام ، وهو الحبُّ اللّازم للقلب ، الذي لا يفارقه ، بل يلازمه كملازمة الغريم لغريمه. الخامسة: الوداد ، وهو صفو المحبة. السادسة: الشّغف يقال: شغف بكذا. فهو مشغوفٌ به. وقد شغفه المحبوب. أي وصل حبه إلى شغاف قلبه ، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحبُّ المستولي على القلب، بحيث يحجبه عن غيره. والثاني: الحبُّ الواصل إلى داخل القلب. والثالث: أنه الحبُّ الواصل إلى غشاء القلب. والشّغاف غشاء القلب إذا وصل الحبُّ إليه باشر القلب. السابعة: العشق ، وهو الحبُّ المفرط ، الذي يخاف على صاحبه منه. الثامنة: التّميم ، وهو التّعبُّد ، والتّذلُّل. التاسعة: التّعبُّد

وهو فوق التَّيْم ، فإنَّ العبد هو الذي قد ملك المحبوب رَقَه ، فلم يبقَ له شيء من نفسه البتَّة ، بل كلُّه عبد لمحبوبه ظاهراً وباطناً ، وهذا هو حقيقة العبوديَّة. ومن كَمَل ذلك فقد كَمَل مرتبتها. العاشرة: مرتبة الخَلَّة التي انفرد بها الخليلان ، إبراهيم ومحمَّد صلى الله عليهما وسلم). هـ. والذي أراه - على فرض صحة الرواية - أن يزيد بن معاوية وقع في مرتبة التَّيْم حقيقة! وعلى هذا الأساس يمكن أن يكون قيس بن الملوح قد عارض يزيداً! وأنا إذ أحاكي فأحاكي الأصل أي أحاكي نص يزيد بن معاوية لا نص قيس بن الملوح! ذلك أن نص قيس هو في ذاته ضربٌ من المحاكاة والمساجلة والمعارضة! وذلك أقوله على الراجح من أقوال النقاد المنصفين! وما كانت هذه القصيدة التي زادت على التسعين بيتاً على البحر الطويل إلا حُباً في يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الملك البجيل والشاعر الأصيل - رحمه الله تعالى ، وغفر له ذنوبه وخطاياها ، وتجاوز عن سيئاته بما جاهد في سبيله ، ورضي الله تعالى عن أبيه معاوية بن أبي سفيان كاتب الوحي والتنزيل والصحابي المخلص الكامل ، ورضي الله تعالى عن جدِّه أبي سفيان بن حرب الصحابي الجليل والمسلم النبيل - ، وكذلك كانت هذه المحاكاة الشعرية حُباً في نص يزيد بن معاوية ، ذلك النص الجميل الذي هو من عيون شعر العرب بشهادة النقاد في القديم والحديث! وإن احتوى عيوباً فنية وأخرى شرعية ، ولكنه صاغه وهو ابن الأحد عشر ربيعاً! وهذا كافٍ لالتماس العذر له!

أصابك سَهْمٌ يَا جَرِيحَ التَّيْمِ	فأصبحت تشكو من عذاباتٍ مُغرم؟! ←
وأودى بك العشقُ الذي ما قصدته	ولمّا تُحاذِرُ في الهوى أي مندم!
أخِذتِ بأقوالٍ دَهَتْكَ حروفُها	فهل كان أنسُ الأذن تعجيلَ مَغْنَم؟
وكيف يُثِيرُ النفسَ ترجيعُ أحرفٍ	فثفتن - بالترجيع - رغم تغمغم؟! ←
وهيتم تُمني النفسَ حُباً ، وتشتهي	برغم جوار هَامسٍ ومُهَيمن
وصارعتِ وُدّاً دَثَرَ القلبُ بعضه	وجاوزت - بالإشهار - حَدَّ التَّكْمِ
شغفت بها ، ثم اصطليت بوصلها	وأمسى وصالُ السِّتِ أعتى التَّائِمِ
فهل أنت صَبٌّ يَفْتِنُ الحُبَّ قلبه	فإن صُدَّ أبدى غضبة المتجهم؟! ←
أتخترعُ الأعذارَ تُزري بفاضل؟! ←	فجنني بعُذرٍ مُستبينٍ وقِيمِ!
فما استويا اللفظان: خافٍ وواضح	وهل يتساوى يعرُبي بأعجمي؟! ←
أخذعني يا خُلَّ تبريرُ عاشق؟! ←	أتودي بلؤمي مُسكة المُتبرم؟! ←
إذا قلت: أغرانِي تبرجُها الذي	يُسَلي فؤادَ المُستتهامِ المُتيمِ
لقلت: كفى زوراً وإفكاً ومُنكراً	فذي حُسْنُها بالصَّونِ والستِ يستمي

فشفت سَمعي مُنصتاً للترنم
فما في حوار الهمس أدنى تنغم
فليس لهذا الوجه في الغيد من سَمي!
ويُدرِكُ ما أرويهِ أهْلُ التفهم
تساوى الذي أبصرَ الوجهَ بالعمي!
وقد زيتنا - للنَّاظرين - بَعْدَم
بُعِيضاً ولا كلاً ، ولا أي مَعْلَم
ومدا لرُسغيتها مُروراً بمِعصم
أسيراً لرناتِ كمثل التحمم
لماذا يشوبُ القولَ بعضُ التبرم؟!
تُجندلُ مهمما صَدَّها كل ضيغم
بوجهٍ عن المكياج في الدرب مُحجم
فهل زينتنا - مثلَ السماء - بأنجم
صوابي ، وتقديري دهى خاطري الظمي
أما في كتاب الله أُمِرَ لمُسلم؟!
وزدت كلام العين بعضَ التبسّم؟!
صُرعتُ يقيناً بالشذى المُتبغم!
وهل يا تُرى هذا الشذى عِطرٌ منشم؟!
سئصلى بوضع العطر نارَ جهنم
وعند البخاريّ الحديثُ ، ومُسلم
تُخالفُ عن شرع قويم ومُحكَم

وإن قلت: صادتني ترانيم صَووتها
لقلت: الذي تحكيهِ من أشنع الفِرى
وإن قلت: أغرنتني بطلّة وجهها
ففي الوجه كلُّ الحُسن والزين والحلا
لقلت: لقد أخفى النقابُ جماله
وإن قلت: كفاها نظرتُ إليهما
لقلت: هو القفاز لم يُبِدِ منهما
أطالتهما حتى تُوارِي ما بدا!
وإن قلت: خلخال الصبية ساقتي
لقلت: جِذاء الست ما طق طقة
وإن قلت: للمكياج سيفٌ وحربة
لقلت: نأى المكياج عنها فلم تزن
وإن قلت: عيناها نظرتُ إليهما
وقد نال مني جاذبُ السحر ، فاكتوى
لقلت: لماذا لم تغضّ تعبُداً؟!
أكلتها والعينُ في العين جهرة
وإن قلت: شدتني إليها عطورها
لقلت: وهل كنت الوحيد تشمة؟!
وما وضعتُ عطرراً لتلفت أعيناً
وتُحرمَ بالتعطير جناتِ ربها
وإن قلت: أغوتني ثيابُ مخالّة

وتزري ببكر ، والظفير ، وخنثعم
فحقيق ، ودقيق ، ثم بعد تكلم!
يُصيبك - يا مسكين - منه بأسهم
وعن كل ما يُزكي سعير الهوى صم
فأبئس بعادٍ - في العطيّة - مجرم!
فهل طيب يُعطي ليحظى بمزعم؟!
فهل عودة عجلي لدرب مقوم؟!
ألا إن هذا الحُسن بالله يحتمي!
حنانيك كن رداءً لخيرى ومُعدّم!
وهل عاقلٌ في عشق هاتيك يرتمي؟!
فأحسن وأجمل! ثم زد في التكرم!
تريث وفكرٌ تحي شهماً وتغنم!
فإن الذي جاسته درب التندم!
أطعني ، وجنبها سبيل التائم
وجلم الفتى يعتاده بالتحم
وربك هم أشقى عداةٍ ولوم؟!
لئلا تقلها: لات ساعة مندم!
ويُفضي إلى درب عسير ومظالم
ويخسرُ هيمانً بسهم الهوى رُمي!
وهذا اختيارٌ ليس قط بمبهم
فهل تُصبحن يا صاح غير مكرم؟!
ويُخذ نار العيش إذ وهجها حمي

وتلفظها داراً وأهل وعادة
لقلت: وهل جلبابها يُظهرُ الحلا؟
تورع عن العشق الحرام ، فإنه
وقاوم طيوف العشق أضناك وخزها
أعطيتها حتى تُذل كيانها؟
أعطيتها حتى تفوز بعشقتها؟
ألا إنه دين ، ومن أهلك الوفا!
وهل تستحل الحُسن راعيه قد غفا؟
وهل تستغل الست جاءت لحاجة؟!
وكيف تُحب الحُرمة اعتل زوجها؟!
وهل موجعات الزوج تعني وفاته؟
وهل بات إحساناً له عشقُ زوجته؟
ألا فاردع النفس اللجوج ، ودأوها
ترفع بهذي النفس عن وهدة الخنا
ألا واقبل الإرشاد بالحلم راضياً
أتجعل سلطاناً عليك من الألى
وماذا يقول الناسُ عنك ألا انتبه
ألا إنه عارٌ عليك اجتنابه
نصحتك أقصر ، إنما الغي مهلك
ألا إنها اختارتك شهماً يُعينها
رأت فيك إنساناً عفيفاً مكرمأ
رأت فيك غطيفاً يُقيل عثارها

وظننتك شهماً لا تُشـينك ريبية
وخالـتـك لا تحتـال في حـبـك كـلمة
وأدليت ذلواً لانتـشـال همومها
فكيف تُضـحـي بالمناقب أهـديت
وكيف تُجيز الأمر ما جاز حـله؟!
وهل ترتضي عـشـقاً لزوجك مثلما
يـهـيم بها في كل وادٍ وضـيعة
ويجعل منها مثـالـة لاحتـاطـه
ويهدر عن عمدٍ دماها رخيصة
فهل أضـحـيت من أهل التغرب والخنا
يـحـب كما يهوى ، ويأتي الذي اشتـهـى!
وهل ترتضي زوجاً تُحب عشيقها؟
بأنك لا ترضى ، وهـذي حـقـيـقة
يميناً عهدت الخـل في البأس صامداً
لماذا تمادي في الخطايا بنظرة
ألا إنها سـهـمٌ إليـه مـصـوبٌ
بقية رُشدٍ تُرجع الخـل سـالـماً
فزايل ضلالاً أورد النفس حتفها
ونفسك علمها التقى تغد عفة!
وأختك هـذي أوجب الله حبها
وأعني بهذا الحب حب أولي النهى

وتحيا عزيز النفس غير مُذم
وماذا يُرجى من عزيفٍ مُنـمـم؟!
بهمة مغوار وبأس مُصمم!
وكفك جادت للضحايا ببلسم؟!
وهل هذه فتوى خبير مُعلم؟!
فعلت ، ولو للدار والأهل ينتمي؟!
ويكتب فيها شعر صـب ومـلـهم!
كـل سـفـيـه - في المخاليق - أيهم
فيا ضيعة الأخلاق والعرض والدم!
فـ (للـبـوي فرند) الحـق ، لـيـس بمـجـرم!
فلـخـب بنتُ الناس أمسـت كسـوم!!
فجـذ بجواب من سنا الحق مُفحم!
يُخالفها من عاش غير معظم
لماذا أراه اليوم كـالـمـتـوهم؟!
وليس على فعل الخطايا بمرغم!
أخارت قـوى خـلي بسـهم مـسـم؟!
ومن يتبع القرآن يرشـد ويسلم
باتيان أمر - في هـدانا مـحـرم!
وتعليمها هذا التقى بالتعلم!
وذي نعمة من واسع الفضل مُنعم
من المؤمنين الشم أهل التكرم!

رضا ربنا الرحمن أطيب مغنم
ألا إن هذا الحب أحقر مآثم!
فكان بداعي الحب أخير درهم
فتعسأ لما تحسو ، وتعسأ لمطعم!
فتضبيع ما أنفقتَه جد مؤلم
بنص صريح ليس يبدو كطلم
وأفديكما بالنفس والروح والدم
وأشفق من عشق تراءى كمأزم!
قصيداً جرى لحناً حزيناً على فمي!
ووصفت صبا قد أصيب بأسهم
ويشكو عذاب الحب أودى بمغرم
ولم أدخر وعظي ، ولم أخف بلسمي
مساواته ، فالفضل للمتقدم
وإني بعون الله أرقى وأستمي

نحب أولي الإيمان نرجو بحبهم
فهل حُبها يعني اشتهاً جمالها؟
تصدقت ، والأجرُ الجزيلُ تناله
فهل طعمة الوجعِ مُقابلُ عشقها؟
فسددُ وقاربُ ، لا تُضيعُ مثوبة
وسامحُ صديقاً قدّمَ اليومَ نصحه
أراك أخي طبعاً ، وهذي أختي
أغارُ عليها من توله عاشق!
وترجمتُ إحساسي وغيره شاعر
وحاكيثُ ما قال (اليزيدُ) تكلفاً
فأمسى يُعاني موجعاتِ غرامه
وناصحتُ لم أبخل بنصي لي عاشق
وإن كنتُ حاكيثُ (اليزيدُ) فليس لي
وأجري على ربي ، وربّي موفقي

بعض معاني الكلمات الصعبة

التتيم: شدة الحب والعشق. مغرم: محب عاشق. أودى بك: دهاك. مندّم: ندم. مغنم: غنيمة!
يُنير: يهيج. ترجيع: ترديد الصوت. تغمغم: هو الهمس بصوت غير واضح. وهمت: توهمت أو
عشقت. مُهينم: مقول بطريقة هامسة خافتة. دثر: خبأ. التكتّم: إخفاء الأمر عن الآخرين. شغفت
بها: عشقتها. اصطليت: احترقت. الست: المرأة. التائم: الإثم. صب: عاشق. صد: امتنع عنه
محبه. المتجهم: الذي أخذته سورة الغضب. تُزري: تعيب. مُسكة: مُسكة الشّيء: ما يَتَمَسَّكُ بِهِ
مُسكَةُ البَابِ: مَقْبِضَةُ مُسكَةِ الرَّجُلِ: عَقْلُهُ الوَافِرُ يَعيشُ فِي مُسكَةٍ: فِي بَحْلِ مَا فِيهِ مُسكَةٌ: لَا
حَيرَ فِيهِ لَيسَ لِأمرِهِ مُسكَةٌ: أَي لَا أَصلَ لَهُ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِيهِ! فِيهِ مُسكَةٌ مِنْ حَيرٍ: أَي بَقِيَّةُ مَا فِي
إِنانِهِ مُسكَةٌ مِنْ ماءٍ: أَي قَليلٌ مِنْهُ. المتبرم: المراوغ المتهرب. المستهام: المصاب بالسهام.

المتيم: العاشق. إفك: كذب صُراح. بالصون: بالصيانة والحماية والوقاية. يستمي: أي يتسامى عن النقائص. الترغم: التنغم بالصوت. الفرى: الأكاذيب والأغاليط. طلة وجهها: إشراقه وجهها. الغيد: البنات الجميلات. الحلا: الجمال والحلاوة. العمي: الأعمى. عند: الحناء اليمانية التي لونها بين السُمرة والحُمرة. لرسغيها: الرسغ هو مفصل ما بين السَّاعد والكف ، أو بين السَّاق والقدم "ينبغي-عند الوضوء- أن تغسل يديك إلى الرُّسغين" ، رُسغ القدم: المفصل المشكَّل من ربط عظام القدم السفليَّة مع عظم الكاحل. معصم: موضع السُّوار من السَّاعد "أحاط به إحاطة السُّوار بالمِعصم". التحمم: الصوت غير الواضح ، مأخوذة من الفعل: يتحمم ، تحمُّمًا ، فهو مُتحمم ، تحمحم الفرس: حمم ؛ صات صوتًا دون العالي ، سهل سهيلًا خافتًا ؛ وذلك إذا طلب العلف. ضيغم: أسد. محجم: ممتنع. تغض: أي تصرف بصرك عن المرأة عند الحديث إليها. الشذى المتبغم: أي العطر فاتح الرائحة تملأ المكان. عطر منشم: عطر صعب الدق وكَثَاوًا يَقُولُونَ (دقوا بينهم عطر منشم) اشتدت الحَرْبُ بَيْنَهُمْ. ومسل: إشارة إلى صحيح الإمام مسلم. بكر والظفير وخثعم: قبائل عربية عُرفت بغيرتها الشديدة على نساءها. أضناك: أتعبك وأجهدك. يُزكي: يُشعل. عاد: أي معتد. مزعم: مطمع. أهلك: أي أهل بيتك من زوج و بنت. عجلي: سريعة. غفا: غفل عن زوجه لمرضه. حنانيك: اسم فعل أمر بمعنى ترفق وتمهل. حيرى: أي حيرانة. معدم: فقير. الحُرمة: المرأة. موجعات: آلام وإحن. التكرم: التفضل. تريت: أي تمهل. اللجوج: أي التي تهوى ركوب المعاصي والأهواء. وداوها: أي عالجها. جاسته: سارت فيه. عداة: أعداء. لوم: شديدو اللوم. ولات ساعة مندم: مأخوذة من قول الشاعر: (نَدِمَ البُغَاةُ ولات ساعة مندم) ... والبعغي مرْتَعُ مُبْتَغِيهِ وخيمُ ندموا ولات ساعة مندم ، والأصل: (ليست الساعة ساعة مندم) أو (لات الساعة ساعة مندم) ونحو: {ولات حين مناص}. اجتنابه: الابتعاد عنه. الغي: الضلال. هيمان: عاشق متوله. مبهم: غامض. غطريف: هو السيد لشريف. عثارها: عثرتها. وهجها: شدة حرارتها. لا تشينك: لا تعيبك. مذمم: مذموم معيب. وخالتك: وظنتك. عزيف: العزيف صوت الجن وهو غير مفهوم. منمم: مزخرف مزين. المناقب: الصفات الحسنة. البلسم: الدواء. أهل التغرب: أي الغب الذي لا يغار على بناته. الابوي فرند: في الإنجليزية هو الخدن أو العشيق! الخب: المخادع المراوغ. مرغم: مُجبر. حتفها: موتها. عفة: أي عفيفة تتورع عن الحرام. أولي الإيمان: أصحاب الإيمان. الوجعي: الموجهة المتألِّمة. مثوبة: ثواب وأجر. طلسم: لغز ، شيء غامض ومبهم "طلسم غريبة - طلسم عجيب" ، فكَّ طلاسَمِ الشَّيء: وضَّحه وفسَّره وكشف أسراره خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفليَّة لجلب محبوب أو دفع أذى ، وهذا من الخرافات التي لا نؤمن بها طرفة عين أبداً. توله: أي شدة الحب والإعجاب. مأزم: أي أزمة ومعضلة. اليزيد: هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان – رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له ذنوبه وسامحه.

زلزال تركيا المدمر!

(إنه في فجر يوم الاثنين الموافق السابع من فبراير لعام ألفين وثلاثة وعشرين ضرب زلزال مدمر الأراضي التركية والسورية! وكانت هناك منات الهزات الارتدادية والعواصف الرعدية والزلزالية ، والتي هي من أسباب "توحش" هذا الزلزال! وأشارت أنقرة - سكاى نيوز العربية إلى أن حصيلة قتلى زلزال تركيا وسوريا إلى أكثر من 15 ألف قتيل ، خلاف أضعاف هذا العدد من الجرحى ، وأضعاف هذا العدد من المفقودين الذين لم يُعلم مصيرهم حتى كتابة قصيدتنا! مع توالي أرقام حجم الدمار للزلزال الذي ضرب سوريا وتركيا. روى البخاري عن أبي هريرة قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْفِتْلُ! حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ). لقد جاءهم الزلزال بعد هجوع الناس ، جاءهم بياتاً وهم لا يشعرون! لقد جاءهم الزلزال بعد هجوع الناس ، جاءهم بياتاً وهم لا يشعرون! إن ما يجب أن يعلمه كل إنسان أن الكون كله ، بإنسائه وجنّه ، وأرضه وسمائه ، وهوائه ومائه ، وبرّه وبحره ، وكواكبه ونجومه ، وكل مخلوقاته ما علمنا منها وما لم نعلم - كلها مسخرة بأمره سبحانه ، يمسك ما يشاء عمّن يشاء ، ويرسل ما يشاء إلى من يشاء. وكيف لا تُدرِك عظمة الجبار جلّ جلاله وضعف جبابرة الأرض مهما أوتوا من قوة؟! إن هذه الحوادث والقوارع توقظ قلوباً غافلة ؛ لتراجع توحيدها وإخلاصها ، فلا تشرك معه في قوته وقدرته وسلطانه أحداً ، ويفيق بعض من غرتهم قوتهم ؛ فيتذكرون أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ، وبخاصة أولئك المستكبرون ممن غرتهم قوتهم وطال عليهم الأمد ، فيفوق هؤلاء المستكبرون الطغاة ويتذكروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة: (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ)! وينتشر مصطلح "العواصف الزلزالية" ، كأحد أكبر أسباب الدمار الواسع ، وتفاقم عدد الضحايا على مدار الساعة. فيما لا يزال عناصر الإنقاذ يحاولون العثور على ناجين عالقين تحت الأنقاض. ولقد فسر أستاذ الزلازل بالمعهد القومي للبحوث الفلكية والجيوفيزيقية لموقع "سكاى نيوز عربية" حجم قدرة زلزال تركيا التدميرية بقوله: إن هذا الزلزال هو الأقوى منذ 1975م ، ويُصنف على أنه قوي جداً ؛ فلم تشهد المنطقة زلزالاً بهذه القوة وعلى هذا العمق الذي يتراوح بين 15 إلى 18 كيلومتراً ، ورغم وجود تباين في تحديد العمق إلا أنه بسيط. ولقد ساعدت طبيعة المنطقة على انتشار الموجات ؛ مما أثر بشكل غير معهود على المناطق المتضررة. ومن المعروف أن المنطقة تتعرض لخطر زلزالي كبير ، حيث تبين خرائط الشدة الزلزالية الأوروبية أن الخطر الزلزالي مرتفع جداً. والمنطقة التي تعرضت للزلزال معروفة بـ"فالق شرق الأناضول" ، وهي نشطة زلزالياً منذ القدم. والتاريخ الجيولوجي يقول بأن "الصفحة العربية" المكونة للجزيرة العربية و"الصفحة الإفريقية" المكونة لقارة إفريقيا كانتا جزءاً واحداً ، وعندما حدث صدع على طول البحر الأحمر بدأ يتسع جنوباً ، ممتداً إلى خليج السويس ثم إلى خليج العقبة ، ثم إلى البحر الميت ، وتسببت الحركة التي كانت من من العقبة إلى البحر الميت في أن الصفحتين صارتا تتحركان بسرعة مختلفة تجاه الشمال. والتصادم الذي تم بين الصفحتين مع "صفحة أوراسيا" أو الصفحة الأوروبية تسبب في انزلاق صفيحة تحت صفيحة أخرى وهو ما يسمى بالتصادم القاري ، الذي كوّن سلاسل الجبال العالية في منطقة جبال زاغروس ومنطقة هضبة شرق تركيا وأيضاً غرب تركيا. والحركة التقاربية بين الألواح أحدثت كسراً على طول فالق تركيا ؛ مما أدى

إلى تحرك الجزء التركي إلى ناحية الغرب بسرعة حتى يستوعب الحركة التضاغطية بين الصفيحتين العربية والأوراسية. ومن مثيرات الدمار الكبيرة في الزلزال ما يسمى بـ"العواصف الزلزالية" ويُعرفها عمر الشرقاوي بأنه "في بعض المناطق النشطة يكون هناك زلزال أكثر قوة ، هو "الزلزال الرئيسي" ، تسببه أحياناً هزات أقل شدة وتسمى بالزلازل الأولية ، وبعدها تأتي الهزات الارتدادية ، ثم يسود هدوء تدريجي ، إلى أن تخرج الطاقة المختزنة في باطن الأرض". وما حدث في زلزال تركيا أن المنطقة تعرضت لمنات التوابع ، أقواها سجل 7.6 ريختر وهي قوية جداً ؛ مما تسبب في دمار كبير جداً. وحصلت الزلازل المتوالية في منتصف تركيا ، وامتدت على طول فالق شرق تركيا ، ثم ناحية الجنوب الغربي على طول الفالق ، الذي يصل إلى 200 كيلومتر ، وكذلك توابع أخرى على الحدود التركية السورية. وهذه التوابع أثرت على سوريا ؛ وبالتالي حدث تهشيم للمنطقة ، مما زاد عدد الضحايا بهذا الشكل. فإلى متى تستمر العواصف؟ واستمرار العاصفة الزلزالية مرتبط بخرائط الشدة الزلزالية التي تعطى انطباعاً عن كمية الطاقة المختزنة ، ويتم حسابها من خلال عدد الزلازل التي وقعت في منطقة ما ، بحسب أستاذ الزلازل بالمعهد القومي للبحوث الفلكية والجيوفيزيقية. ويشدد هنا على أنه من الممكن تقدير نسبة النشاط الزلزالي ، ولكن تقدير فترة النشاط أو عدد التوابع يدخل في إطار التنبؤ نتيجة التكسير أو التهشيم حسب طبيعة التفاعل ما بين الصفائح التكتونية أو القارات مع بعضها البعض. وذكر المركز الأوروبي المتوسطي لرصد الزلازل ، يوم الثلاثاء ، أن زلزالاً قوته 5.6 درجة هز وسط تركيا. وقال المركز إن الزلزال كان على عمق كيلومترين فقط. ويأتي الزلزال الجديد بعد يوم من تعرض تركيا وسوريا لزلزال قوي بلغت شدته 7.8 درجة على مقياس "ريختر". ووفق علماء الزلازل فإن زلزال يوم الاثنين قد يكون أحد أكثر الزلازل تسببا في وقوع ضحايا خلال السنوات العشر الماضية ، حيث تسبب في صدع يمتد طوله لما يزيد على 100 كيلومتر بين الصفيحة الأناضولية والصفيحة العربية. وقال روجر موسون ، وهو باحث فخري في هيئة المسح الجيولوجي البريطانية "إذا تتبعنا الزلازل (الكبيرة) التي سجلتها مقاييس الزلازل ، فلن نجد شيئا يذكر". ولم تسجل المنطقة سوى ثلاثة زلازل فقط بقوة 6 درجات منذ عام 1970م ، وفقاً لهيئة المسح الجيولوجي الأمريكية. ولكن في عام 1822م ، تعرضت المنطقة لزلزال بقوة سبع درجات ، مما أدى إلى مقتل نحو 20 ألف شخص. ولقد بلغ متوسط الزلازل التي تتجاوز قوتها 7 درجات أقل من 20 زلزالاً على مر التاريخ ، مما يجعل زلزال اليوم حدثاً خطيراً. وبالمقارنة مع الزلزال الذي ضرب وسط إيطاليا في عام 2016 بقوة 6.2 درجة وأودى بحياة نحو 300 شخص ، فإن الطاقة المنبعثة عن الزلزال الذي ضرب تركيا وسوريا تزيد بمقدار 250 مرة عن زلزال إيطاليا ، ووفقاً لجوانا فور والكر رئيسة كلية لندن الجامعية للحد من المخاطر والكوارث ، لم يسجل نفس قوة زلزال شرق المتوسط سوى زلزالين فقط من أكثر الزلازل فتكاً في الفترة من 2013 م إلى 2022م. ونحاول هنا في التقديم لقصيدة: (زلزال تركيا المدمر)! أن نسأل هنا: لماذا كان الأمر شديد الخطورة؟!

فلقد صدع شرق الأناضول هو خط زلزالي عبارة عن كسر في الصخور يؤدي إلى انزلاقات زلزالية تتدافع بموجبها ألواح صخرية صلبة على امتداد خط الصدع الرأسي ، مما يؤدي إلى زيادة الضغوط حتى تنزلق إحداها في النهاية في حركة تفضي إلى إطلاق قدر هائل من الطاقة التي يمكن أن تتسبب في حدوث زلزال. وربما يكون صدع سان أندرياس في كاليفورنيا أشهر هذه الصدوع في العالم ، ويحذر العلماء منذ وقت طويل من احتمال وقوع زلزال كارثي هناك.

هذا ، ولقد بدأ وقوع الزلزال التركي السوري على عمق ضحل نسبياً ، وبحسب ديفيد روثيري عالم جيولوجيا الكواكب في الجامعة المفتوحة في بريطانيا: "ربما كان الاهتزاز على سطح الأرض أشد من تأثير زلزال على مستوى أعمق بنفس القوة عند المصدر". وتحت عنوان: (دروس من الزلازل والكوارث) يقول الأستاذ محمد بديع موسى ما نصه: (قال تعالى: (قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ * فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ). إن هذه الأرض التي نعيش عليها من نعم الله الكبرى علينا ، فإن الله سبحانه وتعالى قد مكنا من هذه الأرض ، نعيش عليها ، ونسير على ظهرها ، ونستنبت فيها ما نأكله وترعى به أنعامنا ، ونستخرج من الخيرات العظيمة التي بداخلها ما نستكشفه يوماً بعد يوم ، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ دَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ). ومن رحمته عز وجل أن أودع في هذه الأرض كل ما يحتاجه الخلق الذين يعيشون على ظهرها ، فبارك فيها وقدر فيها أقواتها! قال تعالى: (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) ، ثم سبحانه وتعالى سخرها لنا وجعلها ثابتة مستقرة لا تتحرك وأرساها بالجبال ، حتى نتمكن من البناء عليها والعيش على ظهرها ، وفي بعض الأحيان ، يجعل الله عز وجل هذه الأرض جنداً من جنوده ، فتتحرك وتميد فتحصل الزلازل المدمرة ، تخويفاً للعباد ، وتاديباً للبعض الآخر ، (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) ، (وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ). أولاً: من علامات الساعة: لقد كثُر في زماننا وقوع الزلازل المروعة التي تدمر العمران وتهلك الإنسان ، ويذكر العلماء ويتحدث الإحصائيون عن تكاثر المتغيرات الكونية على هذه الأرض وتتابع الحوادث والكوارث في هذا العصر ، حتى قالوا: إن الزلازل في السنوات القريبة الماضية أكثر منها أربع مرات مما لم يحصل مثله سوى مرة واحدة طوال عشرين سنة أو أكثر في أوائل القرن الماضي ، ويقولون: إنه كلما تقدّمت السنوات زاد عدد الزلازل وأنواع الكوارث. روى البخاري عن أبي هريرة قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ). إنها علامات أخبر بها من لا ينطق عن الهوى ، وهي تتحقق كما أخبر تماماً ؛ فقد تتابع حدوث الزلازل في عصرنا ففي سنين متقاربة ، حدث زلزال عظيم في الجزائر ، ثم أعقبه زلزال عظيم في إيطاليا ، ثم أعقبه زلزال عظيم في اليمن ، ثم أعقبه زلزال عظيم في المكسيك وفي تركيا ثم في مصر والعقبة وتبوك. وها نحن اليوم نسمع عن الزلزال المروع في هايتي ، وقد دُمر في هذه الزلازل خلال لحظات مدن بأكملها ، وهلك فيها مئات الألوف من البشر ، وشُرد فيها مئات الألوف من مساكنهم ، مما تسمعون أخباره المروعة ، ويشاهد الكثير منكم صورته المفزعة تعرض على شاشة التلفاز. وإن مما يؤسف له ويدعو إلى العجب: ما درجت عليه وسائل الإعلام من إظهار هذه الكوارث على أنها ظواهر طبيعية ، وأن سببها تصدع في باطن الأرض ضعفت القشرة عن تحمله ، فترتب من جراء ذلك حدوث تلك الهزات المُزلزلة. والسؤال الذي يوجه إلى هؤلاء وأمثالهم: من الذي قدر لهذا الصدع أن يحدث؟ ومن الذي أضعف قشرة الأرض أن تتحمله؟ أليس هو الله؟! إنما كان ذلك بسبب فشوق المنكرات ، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير ، والغفلة عن مكر الله. لقد جاءهم الزلزال بعد هجوع الناس ، جاءهم بيئاتاً وهم لا يشعرون ، فاللهم إنا نسألك عفوك ولطفك. ثم يأتي بعد حدوث الزلزال من ينشغل بتقدير الخسائر في الأموال والممتلكات ، ومدى تأثير ذلك على عجلة الاقتصاد ، ويتناسى قول الله: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ

الْقَرَى آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ، ويتعمى عن قول الله: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). ينظرون إلى الكوارث المهلكة الفتاكة نظرة الجاهلين ممن ابتلاهم الله بقسوة القلب ممن قال من أسلافهم: (قد مس آباءنا الضراء والسراء) فهي ظواهر طبيعية عندهم لا تستحق الوقوف عندها وتأمل أسبابها ، بل ولا معرفة خالقها ومقدرها ومراده من ذلك. ثانيًا: العبرة من الكوارث: أ- الكون كله مسخر لله: إن ما يجب أن يعلمه كل إنسان أن الكون كله ، بإنسيه وجنّه ، وأرضه وسمايه ، وهوائه ومائه ، وبرّه وبحره وكواكبه ونجومه ، وكلّ مخلوقاته ما علمنا منها وما لم نعلم - كلّها مسخرة بأمره سبحانه ، يمسك ما يشاء عمّن يشاء ، ويرسل ما يشاء إلى من يشاء. وكيف لا تُدرِك عظمة الجبار جلّ جلاله وضعف جبايرة الأرض مهما أوتوا من قوة؟! كيف لا تدلّ على عظمة الجبار ومنها ما يهلك أممًا ويدمر ديارًا في ثوانٍ وأجزاءٍ من الثواني؟! ومنها ما ينتقل عبر الماء ، ومنها ما يطير في الهواء ، ومنها ما يرى ، ومنها ما لا يرى ، نُدرُ وآيات ، وعقوبات وتخويفات ، لا تدفعها القوى ، ولا تطبيقها الطاقات ، ولا تقدر عليها القدرات ، ولا تتمكّن منها الإمكانيات ، ولا تفيد فيها الرّاصدات ولا التنبؤات ، لا تصل إليها المضادّات ولا المصدّات ، من حيث يحتسبون ومن حيث لا يحتسبون ، إنها آيات الله وأيامه ونذره ، تظهر فيها عظمة ذي الجلال وقدرته وقوته وعظيم سلطانه وعزّته وتمام ملكه وأمره وتدييره. (يُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ).

ب- إيقاظ الغافلين واعتبار المؤمنين: إنّ هذه الحوادث والقوارع توقظ قلوبًا غافلة ؛ لتراجع توحيدها وإخلاصها ، فلا تشرك معه في قوته وقدرته وسلطانه أحدًا ، ويفيق بعض من غرتهم قوتهم ؛ فيتذكروا أنّ الله الذي خلقهم هو أشدّ منهم قوة ، وبخاصة أولئك المستكبرون ممّن غرتهم قوتهم وطال عليهم الأمد ، فيفوق هؤلاء المستكبرون الطغاة ويتذكروا أنّ الله الذي خلقهم هو أشدّ منهم قوة: (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) ، أجل لقد فرحوا بما عندهم من العلم. صار علم التاريخ لديهم للتسلية لا للاعتبار ، والسياحة وروية آثار السابقين للمتعة والمجون لا للتعاظ والادكار. (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ). ج - الانتقام من العصاة والمذنبين: إن الله سبحانه توعّد الذين لا يتعظون بالمصائب ، ولا تؤثر فيهم النوازل فيتوبون من ذنوبهم ، توعدهم بعاجل العقوبة في الدنيا ، وهذه الزلازل والفيضانات والأوبئة المنتشرة لا شك أنها عقوبات على ما يرتكبه العباد من الكفر والمعاصي والمخالفات: (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ). إننا في نعمة من الله تامة ، أمن في أوطاننا ، وصحة في أبداننا ، ووفرة في أموالنا ، وبصيرة في ديننا ، فماذا أدينا من شكر الله الواجب علينا؟ فإن الله وعد من شكره بالمزيد ، وتوعّد من كفر بنعمته بالعذاب الشديد: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ). إن الله سبحانه وتعالى يري عباده من آياته ليعتبروا ويتوبوا ، فالسعيد من تنبه وتاب ، والشقي من غفل

واستمر على المعاصي ولم ينتفع بالآيات. كم نسمع من الحوادث ونشاهد من العبر ، حروب في البلاد المجاورة أتلقت أمما كثيرة وشردت البقية عن ديارهم ، أيتمت أطفالا وأرملت نساء ، وأفقرت أغنياء وأذلت أعزاء ، ولا تزال تتوقد نارها ، ويتطاير شرارها على من حولهم ، وغير الحروب هناك كوارث ينزلها الله بالناس. نعم إن ما يحدث في الأرض اليوم من الزلازل المدمرة والأعاصير القاصفة والحروب الطاحنة ، والمجاعات المهلكة ، والأمراض الفتاكة - كل ذلك يحدث بسبب ذنوبنا ومعاصينا ، كما قال تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ). إنه يحدث من الذنوب والآثام التي منها ما هو كفر كترك الصلوات المفروضة ، وما هو من الكبائر الموبقة كأكل الربا ، والرشوة ، وتبرج النساء ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفعل الفواحش وغير ذلك مما نتخوف منه نزول العقوبة صباحا ومساءً! (أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * وَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ). تركت الصلوات ، وأهملت الواجبات ، ضعف الخوف من الله في قلوب الناس ، تغيرت أخلاقنا ، سلوكننا. هل اعتبرنا يا عباد الله بما يحدث؟ هل غيرنا من حالنا من سيئ إلى حسن؟ (أَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ * وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيفَ كَانَ نَكِيرٍ). د- النعم قد تكون استدراجا: إن كثيرا من الناس الغافلين عن ذكر الله ، المعرضين عن آياته ، الغارقين في شهواتهم والمنغمسين في ملذاتهم - يحسبون أنهم بعيدون عن بطش المنتقم الجبار ، ولا يدركون أن من سنة الله في مثل هؤلاء أن يمدهم الله بالنعم استدراجا لا إكراما ، ثم يأخذهم على حين غفلة أخذ عزيز منتقم ؛ ليكون ذلك أقسى عليهم. روى البخاري عن أبي موسى قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ). قَالَ ثُمَّ قَرَأَ: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ). ولقد ذكر الله قصة أقوام ابتلاهم بالشدة ليتضرعوا ويتوبوا إليه ، ولكن قست قلوبهم وازدادوا طغيانا ، فكان أن انتقم الله منهم بأن أمدهم بأموال وبنين ، وفتح عليهم خيرات الأرض ؛ فانغمسوا بها ، وظنوا أنهم تمكنوا من كل شيء ؛ فأخذهم الله عندئذ على غرة ، وقطع دابرهم ، واستأصل شأفتهم عن بكرة أبيهم. (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). عن عقبة بن عامر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج) ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) ؛ رواه الإمام أحمد. لقد عرف النبي صلى الله عليه وسلم شدة بأس هذه الزلازل ؛ فاستعاذ بالله منها كما في البخاري عن جابر رضي الله عنه ، قال: "لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ) ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَعُوذُ بِوَجْهِكَ). قَالَ: (أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) ؛ قَالَ: (أَعُوذُ بِوَجْهِكَ). (أَوْ يَلْبِسُكُمْ شَيْعًا وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بِأَسَ بَعْضٍ) ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هَذَا أَهْوَنُ) ، أَوْ (هَذَا أَيْسَرُ)". قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ: "وَكَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ.

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَى النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرَحُوا رَجَاءً أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ ، وَأَرَأَيْكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عَرَفْتُمْ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ! قَالَتْ: فَقَالَ: (يَا عَائِشَةُ ، مَا يُؤْمِنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؟! قَدْ عَذَّبَ قَوْمٌ بِالرَّيْحِ ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا: هَذَا عَارِضٌ مُمَطِّرُنَا ؛ فقال الله: (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) ، حتى إذا نزل المطرُ سرِّي عنه عليه الصلاة والسلام. إن من تأمل أحوال بعض الناس ومواقفهم ومسالكهم رأى أموراً مخيفة ؛ فيهم جرأة على حرمان الله شديدة وانتهاك للموبيقات عظيمة ، وتضييع لأوامر الله، وتجاوزاً لحدوده ، وتفريط في المسؤوليات في العبادات والمعاملات ، وإضاعة للحقوق! ب- النهي عن المنكر: إننا على كثرة ما نسمع ونرى بأعيننا من الحوادث المروعة والعقوبات الشديدة - لا يزال الكثير منا مُصِرّاً على معاصيه ، من أكل الحرام ، وترك الصلاة ، وهجر المساجد ، وفعل المنكرات ، حتى أصبح كثير من البيوت أوكاراً للفسقة والعصاة والتاركين للصلاة ، والعاكفين على قنوات الرذيلة ومواقع الفاحشة والمجون! ولا ينكر عليهم صاحب البيت ولا جيرانه ولا من يعلم بحالهم! وفي الحديث: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ؛ أوشك أن يعمهم الله بعقاب) ؛ أبو داود. أيها الناس تخيلوا زلزالاً يهز الأرض كلها - وسيحصل هذا بلا شك - فهل أخذتم حسابكم واحتياطكم للزلزال الأكبر الذي سيضرب الأرض كلها ، لا بلدة وحدها ولا الجزيرة وحدها ، ولا قارة آسيا أو إفريقيا ، لكنه زلزال عظيم ، سيصيب الأرض من قاعها لا قشرتها فحسب ، كما قال الله وصدق الله: (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَسْتَاتًا لَّيْرَؤًا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ). هـ. {وما نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} وكانت هناك نصيحة حول الزلازل للعلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز نورد منها قوله: (لا شك أن ما حصل من الزلازل في هذه الأيام في جهات كثيرة هو من جملة الآيات التي يخوف الله بها سبحانه عباده. وكل ما يحدث في الوجود من الزلازل وغيرها مما يضر العباد ويسبب لهم أنواعاً من الأذى ، كله بأسباب الشرك والمعاصي ، كما قال الله عز وجل: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) وقال تعالى: (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ) ، وقال تعالى عن الأمم الماضية: (فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ). قال سبحانه: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) وقال تعالى في أهل الكتاب: (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) ، وقال تعالى: (أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ). وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - ما نصه: (وقد يَأْذَنُ اللَّهُ سبحانه للأرض في بعض الأحيان بالتنفس فتحدث فيها الزلازل العظام ، فيحدث من ذلك لعباده الخوف والخشية ، والإنابة والإقلاع عن المعاصي والتضرع إلى الله سبحانه ، والندم كما قال بعض السلف ، وقد زلزلت الأرض: (إن ربكم يستعجبكم). وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد زلزلت المدينة ، فخطبهم ووعظهم ، وقال: (لئن عادت لا أساكنكم فيها) انتهى كلامه رحمه الله. وروي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان يكتب إلى أمرانه عند وجود الزلزلة أن يتصدعوا. ولا تزال نذر الله تعالى على عباده تتابع ، تلك النذر والآيات التي تأتي بصور عديدة

وأشكال متنوعة: فتارة عبر رياح مُدمرة ، وتارة عبر فيضانات مُهلكة ، وتارة عبر حروب طاحنة ، وتارة عبر زلازل مروعة. ولقد حدث في الأيام الماضية زلزال عظيم دمر الكثير من العمران ، فكم من عمارة شاهقة سقطت على من فيها؟! وكم من منازل تهدمت على أصحابها؟! هلك فيه ألوف من البشر ، وشرد فيه خلق كثير ، وذلك كله في دقائق! (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ). والأمر كما يصف الشيخ الهيدان من أن هذه الزلازل ما هي إلا عقوبة من الجبار جل جلاله على ما يرتكبه العباد من الإعراض عنه سبحانه وعن العمل بدينه وارتكاب محارمه والمجاهرة بها بدون حياة من الجبار ولا وجل من القاهر. إنها آيات لأولي الألباب ودلالة على قدرة الله الباهرة حيث يأذن الله جل جلاله لهذه الأرض أن تتحرك بضع ثوان أو دقائق فينتج عن ذلك هذا الدمار العظيم ، وهذا الهلاك الفاجع ، الذي قد يروح ضحيته أكثر من ثمانمائة ألف قتيل كما حدث في شانكي بالصين في عام 1556م. إن هذا كله وما يحدث من الرعب المجلجل للقلوب لعل الناس يعودون إلى ربهم ويتوبون إليه ويستغفرونه (وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً). إن عقوبة الله إذا نزلت شملت الصالح والطالح ، الصغير والكبير ، الذكر والأنثى على حد سواء ثم يبعثون على نياتهم روى الإمام أحمد من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله بعذاب من عنده ، فقلت يا رسول الله أما فيهم يومئذ أناس صالحون؟ قال: بلى ، قلت: كيف يصنع بأولئك؟ قال: يصيبهم ما أصاب الناس ، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان). ولقد وضح صلى الله عليه وسلم أسباب هذه الزلازل فقال فيما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا اتخذ الفيء دولا ، والأمانة مغنماً ، والزكاة مغرماً ، وتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته ، وعق أمه ، وأدنى صديقه ، وأقصى أباه ، وظهرت الأصوات في المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وظهرت القينات والمعازف ، وشربت الخمر ، ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسحاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع). رواه الترمذي. ولتعم الفائدة أكثر ، تعالوا بنا نعيش مع صحيفة الرياض وفي ملحقها: (الإسلام الي) هناك تقرير إخباري عن الزلازل في مائة عام تلخصه في هذه السطور: (في 1906م: سلسلة من الهزات العنيفة مدتها دقيقة واحدة ضربت سان فرانسيسكو في الولايات المتحدة ، وقتلت نحو ثلاثة آلاف شخص بسبب انهيار المباني أو الحرائق. وفي 1923م: زلزال (كانتو) ومركزه خارج العاصمة اليابانية مباشرة ، يحصد أرواح مائة واثنين وأربعين ألف شخص في طوكيو. وفي 1931م: زلزال قوته خمس درجات ونصف الدرجة بمقياس ريختر مركزه ساحل بحر الشمال في بريطانيا. كانت الخسائر في الأرواح قليلة. وفي 1948م: زلزال فوكوي في شرق بحر الصين ، دمر مناطق غرب اليابان ، وقتل ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبعين شخصاً. وفي 1950م: زلزال عنيف ضرب ولاية أسام شمال شرقي الهند. أدت الهزات إلى تسجيل مستويات مختلفة الشدة إلا أنها سُجِّلت رسمياً بدرجة تسع بمقياس ريختر. وفي 1954م: زلزال ضرب مدينة الأصنام (الشلف) الجزائرية التي كان اسمها آنذاك (أورليانزفيل) ، وقتل ألفاً وستمائة وسبعة وخمسين شخصاً. وفي 1960م: أقوى زلزال على النطاق العالمي سجل في تشيلي ، وبلغت قوته 9.5 على مقياس ريختر ، وقد أزال عن وجه الأرض قرى بكاملها ، وقتل الآلاف من البشر. وفي 1976م: تحولت مدينة تانغشان الصينية إلى أنقاض بفعل زلزال أتى على أرواح

خمسمائة ألف شخص. وفي 1980م: مقتل المئات في هزات أرضية في مناطق جنوب إيطاليا. وفي أكتوبر 1980م: زلزالان عنيفان متتاليان. الأول: بقوة سبع درجات وثلاثة أعشار الدرجة. والثاني: بقوة ست درجات وثلاثة أعشار الدرجة حسب مقياس ريختر ، يضربان مدينة الأصنام (الشلف حالياً) في غرب الجزائر ويؤديان إلى مقتل نحو ثلاثة آلاف شخص ، ويدمران معظم أجزاء المدينة. وفي سبتمبر 1985م: زلزال عنيف يهز العاصمة المكسيكية يدمر المباني ، ويقتل عشرة آلاف شخص. وفي أكتوبر 1989م: زلزال (لوما بريتا) يضرب كاليفورنيا ، ويسبب مقتل ثمانية وستين شخصاً ، ويلحق أضراراً بقيمة سبعة ملايين دولار. وفي 1990م: مقتل أكثر من أربعين ألف شخص في منطقة غيلان شمال إيران. وفي أكتوبر 1992م: زلزال بقوة خمس درجات وثمانية أعشار الدرجة يضرب مصر ويؤدي إلى مقتل نحو ثلاثمائة وسبعين ، وإصابة أكثر من ثلاثة آلاف شخص. كان مركز الزلزال جنوب غربي القاهرة بالقرب من الفيوم والجيزة التي ضربت بعنف. وفي سبتمبر 1993م: زلزال يؤدي إلى مقتل نحو اثنين وعشرين ألف قروي في جنوب وغرب الهند. وفي يونيو 1994م: مقتل ألف شخص في زلزال وانزلاقات أرضية في كولومبيا. وفي يناير 1995م: زلزال يهز مدينة كوبي اليابانية ويؤدي إلى مقتل ستة آلاف وأربعمائة وثلاثين شخصاً. وفي نوفمبر 1995م: زلزال يضرب منطقة الشرق الأوسط مركزه في خليج العقبة ويشمل مناطق الساحل السياحية في مصر إضافة إلى الأردن وإسرائيل والمملكة العربية السعودية ، ويشعر به سكان لبنان وسوريا وقبرص. وفي مايو 1995م: زلزال بقوة سبع درجات ونصف الدرجة يضرب جزيرة ساخالين الروسية النائية ويقتل ألفاً وتسعمائة وتسعة وثمانين شخصاً. وفي فبراير 1997م: زلزال بقوة خمس درجات ونصف الدرجة حسب مقياس ريختر يهز المناطق الريفية في شمال غربي إيران ، ويقتل ألف شخص. وبعد ثلاثة أشهر تقع هزات عنيفة تؤدي إلى مقتل ألف وخمسمائة وستين شخصاً في شرق إيران. وفي مايو 1998م: زلزال في أفغانستان يقتل أربعة آلاف شخص. وفي يونيو 1998م: هز زلزال منطقة أضنه في جنوب شرقي تركيا مما أدى إلى مقتل مئة وأربعة وأربعين شخصاً. وبعد أسبوع من ذلك شهدت المنطقة هزتين ارتداديتين سببتا جرح أكثر من ألف شخص. وفي يوليو 1998م: قُتل أكثر من ألف شخص في الساحل الشمالي الغربي في (بابوا) غينيا الجديدة بفعل الأمواج التي سببها زلزال وقع تحت سطح البحر. وفي يناير 1999م: هزة أرضية في مدينة أرمينية الكولومبية قتلت نحو ألف شخص. وفي مارس 1999م: زلزالان هزّا (أتار براديش) في شمال الهند وأديا إلى مقتل أكثر من مئة شخص. وفي أغسطس 1999م: زلزال مروّع تتراوح قوته بين ستة درجات وثمانية أعشار الدرجة ، وسبع درجات على مقياس ريختر يهزّ شمال غربي تركيا مسبباً عشرات الآلاف من القتلى والجرحى. وفي سبتمبر 1999م: هزة أرضية قوية تقع في اليونان وتبلغ شدتها خمس درجات وتسعة أعشار الدرجة على مقياس ريختر ، ومركزها بالقرب من أثينا. أدت الهزة إلى مقتل تسعة وأربعين شخصاً. وفي سبتمبر 1999م: أعنف زلزال يضرب تايوان تبلغ قوته سبع درجات وستة أعشار الدرجة على سلم ريختر ، يؤدي إلى مقتل ألف وخمسمائة شخص ، وإصابة وتشريد ألوف آخرين. وفي نوفمبر 1999م: ومع أفول القرن أيضاً تتعرض تركيا لزلزال عنيف تزيد قوته على سبع درجات ، ويؤدي بأرواح أكثر من أربعمائة وخمسين شخصاً. وفي ديسمبر 1999م: في الأيام الأخيرة من القرن العشرين ضرب زلزال شدته خمس درجات وثمانية أعشار الدرجة مناطق في غرب الجزائر ، وقتل ثمانية وعشرين شخصاً ، وأصاب مئة وخمسة وسبعين آخرين). هـ. والزلزال كانت للانتقام من العصاة والمذنبين: إن الله سبحانه توعد الذين لا يتعظون بالمصائب ، ولا تؤثر فيهم النوازل فيتوبون من ذنوبهم ، توعدهم بعاجل العقوبة في الدنيا ، وهذه الزلازل والفيضانات والأوبئة المنتشرة لا شك أنها عقوبات على ما يرتكبه العباد من الكفر والمعاصي والمخالفات:

(أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ). وتأتي هذه القصيدة عزاءً في الضحايا المؤمنين من أهل تركيا وأهل الشام. وسلواناً للضحايا المنكوبين من الناجين والمصابين!)

خطفَ الزلزَالِ وَغَيَ الناظِرِينَ
واسمى عن أي وصفٍ أو رؤى
غال - في التدمير - ألباب الورى
حصد العُمرانَ حصداً ماجقاً!
جنـدلُ الأرضِ ، وأفنى أهلها
باطنُ الأرضِ غداً ظهراً لها
والصروح من قوى الهول هوت
مثلُ أوراقٍ لأشجار هوت
وإذا الأبراج نرّ في الهوا
وإذا الأرضُ تـراباً أو ثـرى!
والبنايات تهـاوت فوقها
بعضها ضمته أنقاض الردى
قطعت أوصالهم في لحظة!
مزقاً في كل واد جندت
وسنط أحجار تردت من عل
أصبح البرج خطاماً يُزدرى
وإذا السـكانُ باتوا تحتـه
ودهى البعض حصاراً مُحكم
والجراحات غزت بعض الورى

وسبا - في مشهد الهدم - العيون
ليت شعري! وتحدى الواصفين
واعتلى متن الحكايا والظنون
بحقوق الناس أمسى يستهين
مثلما تفنى البلياء والمنون
رغم أن البدء بالريح السفون
مادهاك اليوم يا هذي الحصون؟!
مشهدٌ يذهب بالعقل الرزين
منظرٌ يفضي لمسّات الجنون
وظهورٌ - للضواحي - كالبطون!
وضحايا كل مبنى بالمئين
مسلماً نفساً وروحاً للفتون
وغدت أجسامهم مثل العجين
ودم الأشلاء يُبكي المسعفين
ويح برج رائع المبنى مكين
وإذا الأدوار تـذرى كالطحين!
وإذا الحال سُكونٌ في سُكون
فيه ساد الخوف من بعد الدجون
والدما سالت كما الغيث الهتون

رَوَعَتْ شَجَوَاكُ قَوْمًا آمِنِينَ
فِي الْبُيُوتَاتِ بِرُؤْيَا النَّائِمِينَ
مُمْسِكًا بِالْحَبْلِ فِي الْبُئْرِ الشَّطُونِ
نَامَ فِي الْمَهْدِ ، وَيَصْحُو بَعْدَ حِينٍ
وَبَقَايَا الْأَكْلِ فِي بَعْضِ الصَّحُونِ
وَلِهَذَا فَقَدَ الْكَفَّ الْحَنُونِ!
شَرَّ آلَامِ تَوَالِثِ مَنْ سَنِينِ
لِسِقَامٍ - كَمْ تَعَانِيهِ - زَمِينِ
وَلَهُمْ ذُو الْقُوَّةِ الرَّبِّ الْمَتِينِ!
طَامَعِينَ فِي بَنَاتٍ أَوْ بَنِينَ!
بَنَاتٍ فَرْدًا دُونَهُمْ! يَا لِلطَّعِينِ!
مُخَدِّثًا مَا لَا يُرَجَّى أَنْ يَكُونَ
وَالْخِرَابُ عَنِ شِمَالِ وَالْيَمِينِ
فِي بَنَائَاتٍ أَقِيمَتْ مِنْ قُرُونِ
وَأَصَابَتْ أَهْلَهَا شَتَى الْخُزُونِ
غَالَهَا الزَّلْزَالُ ، فَاهْتَاجَ الْأَنِينِ
وَالْوَفَّ النَّاسُ مَا تَوَا عَنْ يَقِينِ
وَهِيَ تَبْكِي الدُّورَ دُكَّتْ وَالْحُصُونِ!
إِذْ تَهَاوَى كُلُّ بُنْيَانٍ حَصِينِ
إِذْ بَدَا الزَّلْزَالُ مُسْوَدَّ الْجَبِينِ
أَثَرَ التَّهْدِيمِ فَوْقَ الْمَيْتِينَ
وَرثَا الْمَوْتَى بِهَا الدَّمْعُ السَّخِينِ

أَيُّهَا الزَّلْزَالُ مَا أَقْسَاكَ ، إِذْ
أَطْفَأُوا الْأَنْوَارَ حَتَّى يَنْعَمُوا
فَإِذَا بِالمَوْتِ يُدْلِي دَلْوَهُ
أَيُّهَا الزَّلْزَالُ لَمْ تَرْحَمْ فَتَى
أَوْ صَبِيحًا حَوْلَهُ أَلْعَابُهُ
أَوْ رَضِيحًا أُمَّهُ قَدْ فَارَقَتْ!
أَوْ مُسْنَنًا ضَاعَفَتْ أَمْرَاضُهُ
أَوْ عَجُوزًا عَايَنْتْ وَقَتِ الدَّوَا
أَوْ يَتَامَى عَائِلٍ تَحْتَ الثَّرَى
أَوْ أَيَامَى أَمَلُوا تَزْوِجَهُمْ
أَوْ فَقِيدٍ غَابَ عَنْ أَحْبَابِهِ
فَإِذَا الزَّلْزَالُ يُنْهِي عَيْشَهُمْ
وَإِذَا الْعَمْرَانَ يُضْنِيهِ الْفَنَاءُ
وَارْتَاهُ النَّاسُ فِي (مَلْطِيَّةِ)
وَكَذَا فِي (مَرْعَشِ) عَمَّ الْأَسَى
إِنْ (أَنْطَاكِيَّةِ) بَاتَتْ فَنَاءُ
وَكَذَا فِي (شَاتَلِي أَوْرْفَا) مَا تَمَّ
وَاسْأَلُوا (هَاتَايَ) عَنْ مَأْسَاتِهَا
وَكَذَا فِي (غَازِي عَنْتَابِ) شَقَا
وَاسْأَلُوا فِي (قَهْرْمَانِ) مَنْ نَجَا
يَحْصِدُ الْأَرْوَاحَ لَمْ يُبْقِ سِوَى
وَالْمُذْنِعُونَ بَكَوْا أَخْبَارَهُمْ

أن دنيانا تُغطيها الشجون
عندما شاهدن قرحن الجفون
في ديار العُرب ، أو هندِ وصين
يخلعُ القلب ، ويغتال العيون
مُهجة الإنسان إذ يغدو الدفين
أو تبيدُ الأم قسراً والجنين
يحتمل إيلامها القلب الطعين
بل طغت في البحر إذ غيض السفين
بل تزيد الغم في نفس الشجين
غير مغمور بأحجار وطين
قلع الأشجار ، واجتث الغصون
لم يكن - فيما دهاها - بالضنين
حيرة تجتال تفكير الفطين
كل فردٍ شدة البرد رهين
خلق الإنسان من ماء مهين
هل سوى المولى على قهر يعين؟!
كيف يحيا المرء مغواراً بدون؟!
لكن الدين علينا لا يهون
لكن الأخرى لها أرجى الحنين
هل يصدُ اليأس عبدٌ مُستكين؟!
بغوي خائر العزم خوون!

حسرة تُبكي ، وأحوالٌ تشي
ومذيعات الدنا لُكن البكا
مسلماتٍ كُن ، أو من غيرنا
عشَن ما يعرضنه من مشهدٍ
ما تحملن البليات تجتني
أو تبيدُ الطفل في جوف الثرى
لقطات بثها التلفاز ، لم
لم تكن في البر - كلا - وحده
لقطات لا تُسلي خاطراً
وتسونامي لم يُخالف شاطناً
وطغى الماء على الدرب ، وقد
أغرق الشيطان أخفى حسنها
وفئام الناس أوهت عزمهم
وركام الثلج يهدي برده
أيها الناس استعينوا بالذي
سيعين الله من يعنوه!
وازغ الإيمان كم نسمو به
قد يهون العيش حتى إن زها!
تذهب الدنيا ، وتأتي غضة
لا يهدُ اليأس إلا خائراً!
ما تساوى العبدُ يسمو بالهدى

وفروقاً بين زقوم وتين
كم بها جاءت أحاديثُ الأمين!
ولنجذ السير في الدرب المبين
كل ذكرى تصطفي بعض الشؤون
بين كافٍ - جاب أصقاعاً - ونون
إننا لله يوماً راجعون
لا أراكم في البلايا قانطين
يؤتكم عزمًا وبأساً لا يلين
لا تقولوا: حَلَّ زلزالٌ لعين!
كُتبت أقدارنا فوق الجبين
وقضاء الله عدلٌ مستبين
كُنْهها يخفى على القوم العمين
ذاب وجداً من تصاريف الفتون
رحمَ الله الضحايا المؤمنين
ربنا الرحمن مولى الصابرين
يا إله الناس خفف كل هون
بك عُذنا اليوم من ريب المنون
ثم عامننا بإحسان ولين
ويقيناً ما لنا غير المتين
نحن بالمولى عليها نستعين

إن فرقاً بين ليل والضحي!
إيه يا بلقان هذي عبيرة!
مع مولانا إذن فلنصطلح
يرسل الرحمن كم ذكرى لنا
ذلك الزلزال من آياته
فاقبلوا مني التعازي حسبة
لا تسبوا أيها الناس القضا
واحمدوا المولى على مقدوره
لا تقولوا: لعنة الزلزال ، لا!
قيل: حتماً أن ترى العين النذي
ليست الأحذار تُنجي من قضا
ولرب الناس في ذا حكمة
لكم هذا العزا من شاعر
للألى ماتوا تكلفت الدعاء
والألى عاشوا ألافليصبروا
ولمرضانا الشفا من ربنا
رب جنبنا النذي أودى بهم
ربنا رحماك يا مولى بنا
لك في الأرض عبيدٌ غيرنا
إن دهنتنا محن الدنيا هنا

المقابر تتكلم 2 (نصيحة لزارعي القبور)

(كثيرون هؤلاء الذين يزورون القبور ، ولا يهزم النظر إليها فضلاً عن الاعتبار بمصير من فيها! وأكثرُ منهم الذين يُشيعون الموتى ولا تدمع عين أحدهم فضلاً عن قلبه! وأكثر من هؤلاء وأولئك من لا يحلو لهم الحديث في التجارة وتدخين السيجارة وأكل الحلوى المعطرة والسؤال عن العمارة إلا أثناء دفن الميت! وهي لحظات حاسمة تخلعُ الفؤاد وتبكي العين وتأسرُ اللب! ولكن هيهات لأصحاب القلوب الميتة والعيون العمياء والأفئدة اللاهية والألباب الفارغة أن يُحسوا بهذا المعنى أو ذاك! ومن هنا صغتُ هذه النصيحة لكل من زار القبر أو شيع جنازة إلى مثواها الأول في عالم الآخرة والبرزخ ، أو عزى قوماً في ميتهم عند القبور ، لتكون بشيراً ونذيراً! لقد كتبتُ عن القبور والموت والرحيل إلى الدار الآخرة عدداً من القصائد يُشكل ديواناً إذا ما ضُمت هذه القصائد بعضها إلى بعض! ومهما كتبنا شعراً ونثراً عن القصاصد فما أظننا أتينا عليها وأحطنا بأسرارها وغرائبها وعجائبها علماً! كان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول: ما أحسن ظواهرك ، إنما الدواهي في بواطنك. * قال ميمون بن مهران: خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة ، فلما نظر إلى القبور بكى ، ثم أقبل عليّ ، فقال: يا ميمون ، هذه قبور آبائي بني أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم ، أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات ، واستحكم فيهم البلى ، وأصابته الهوام أبدانهم ، ثم بكى. قال الإمام الغزالي رحمه الله: تفكر أولاً فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفح الصور ، فإنها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن الموتى ، فيثورون دفعة واحدة. قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ}. فتفكر في الخلاق ، وذلمهم وانكسارهم ، واستكانتهم عند الانبعاث خوفاً من هذه الصعقة ، وانتظاراً لما يقضي عليهم من سعادة أو شقاوة ، وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم ، بل إن كنت في الدنيا من المترفين ، والأغنياء المتنعمين ، فملوك الأرض في ذلك اليوم أنزل أهل الأرض وأصغرهم وأحقرهم ، فتفكر في حالك ، وحال قلبك هنالك. قال بشر الحارث رحمه الله: نعم النزل القبر لمن أطاع الله عز وجل. والأستاذ محمد صبري عبد الرحيم كان قد لخص خمسة وعشرين عاماً في القبر بقوله: (مراحل الميت في القبر من أول ليلة إلى 25 سنة: في أول ليلة في القبر يبدأ التعفن على مستوى البطن والفرج ، سبحان الله البطن والفرج أهم شئين صارع بني آدم وحافظ عليهما في الدنيا ، في الحاجتين اللتين خسر الشخصُ الله عز وجل بسببهما ، سيتعفنان في أول يوم في القبر. وبعد ذلك يبدأ الجسم يأخذ لوناً أخضر ، فبعد ذلك سيأخذ الجسم لوناً واحداً فقط. وثاني يوم في القبر تبدأ الأعضاء تتعفن: الطحال والكبد والرئة والأمعاء. وثالث يوم في القبر تبدأ تلك الأعضاء تُصدر روائح كريهة. وبعد أسبوع يبدأ ظهورُ انتفاخ على مستوى الوجه: أي العينين واللسان والخدود. وبعد عشرة أيام سيطراً نفس الشيء أي انتفاخ ، لكن هذه المرة على مستوى الأعضاء: البطن والمعدة والطحال. وبعد أسبوعين سيبدأ تساقط على مستوى الشعر. وبعد 15 يوماً يبدأ الذباب الأزرق الذي يشم الرائحة على بعد 5 كيلومترات ويبدأ الدود يغطي الجسم كله. وبعد ستة أشهر لن تجد شيئاً سوى هيكل عظمي فقط. وبعد 25 سنة سيتحول هذا الهيكل إلى بذرة وداخل هذه البذرة ستجد عظماً صغيراً ويسمى: "عجب الذنب" هذا العظم هو الذي سنبعث من خلاله يوم القيامة. (منه ينبت كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -!) هـ. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: العبد إنما يُؤنسه في قبره عمله الصالح ، فكلما أكثر من الأعمال الصالحة كالصلاة والقراءة

والذكر والدعاء والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان ذلك هو الذي ينفعه في قبره. ولقد يقع العذاب على بعض أهل القبور في شيء يسير بسيط! مرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قبرين فقال: (إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ! ثُمَّ قَالَ: بَلَى! أَمَا أُحَدِّثُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَنْزَهُ مِنْ بَوْلِهِ). ثُمَّ أَخَذَ عَوْدًا فَكَسَرَهُ بَاتْنَيْنِ ثُمَّ غَرَزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَبْرِ ثُمَّ قَالَ: (لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا الْعَذَابَ مَا لَمْ يَبْبَسَا). الراوي: عبد الله بن عباس | والمحدث: ابن حبان | والمصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 3128 | خلاصة حكم المحدث: [طريقه محفوظ] |التخريج: أخرجه البخاري (218) ، ومسلم (292) باختلاف يسير! والسَّرُّ في تخصيص البول والغيبة والنميمة بعذاب القبر: قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وقد ذكر بعضهم السَّرُّ في تخصيص البول والغيبة والنميمة بعذاب القبر ، وهو أن القبر أول منازل الآخرة ، وفيه أنموذج ما يقع في يوم القيامة من العقاب والثواب. والمعاصي التي يعاقب عليها العبد يوم القيامة نوعان: حق الله ، وحق العباد ، وأول ما يقضى فيه يوم القيامة من حقوق الله الصلاة ، ومن حقوق العباد الدماء. وأما البرزخ فقضى فيه في مقدمات هذين الحق ووسائلهما ، فمقدمة الصلاة: الطهارة من الحدث والخبث ، ومقدمة الدماء: النميمة والوقوع في الأعراض ، وهما أيسر أنواع الأذى ، فيبدأ في البرزخ بالمحاسبة والمعاقبة عليهما. يقول الإمام الغزالي رحمه الله: "علم أن الجنائز عبرة للبصير ، وفيها تنبيه وتذكير ، قال أسيد بن حضير: ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به ، وما هو صائر إليه. وقال الأعمش: كنا نشهد الجنائز ، فلا ندري من نعزي لحزن الجميع. هكذا كان خوفهم عند الموت! وها هو عمرو بن العاص يرى ميتاً يُقْبَرُ فأسرع إلى المسجد فصلى ركعتين فقيل له: لم فعلت هذا؟ قال: المقبرة! فتذكرت قول الله جل وعلا (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) ، فاشتبهت الصلاة قبل ان يُحَال بيني وبينها. يقول سلمان الفارسي: أضحكني ثلاث: مؤملٌ للدنيا والموت يطلبه ، وغافلٌ لا يُغفل عنه ، وضاحكٌ بملء فيه لا يدري الله راضٍ عنه أم ساخط. وأبكاني ثلاث: فراق الأحبة محمد وصحبه ، وهول المطلع يوم القيامة ، ووقوفي بين يدي الله لا أدري الله راضٍ عني أم ساخط. دخل علي بن أبي طالب المقبرة ، فسلم على أهلها وقال: يا أهل المقابر أما بيوتكم فقد سُكُنَتْ ، وأما نساءكم فقد تزوجن غيركم ، وأما أموالكم فقد قسمت! هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم يا أهل المقابر؟ ثم قال: والله لو أجابوا لقالوا: إن خير الزاد التقوى. قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: قال بعض السلف: (إن العمل الصالح يكون مهاداً لصاحبه في القبر ، حيث لا يكون للعبد من متاع الدنيا فراش ولا وساد ولا مهاد ، بل كل عاملٍ يفتersh عمله ويتوسده من خيرٍ أو شر). وبعض الناس يعمد إلى الاضطجاع في القبر من باب الموعظة ، وهو عمل غير سديد بالمرّة: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: (بعض الناس يذهب إلى المقابر ، ويضطجع في القبر ، يقول: إني أفعل ذلك من باب الموعظة نقول: هذا ليس بسديد ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل: اضطجعوا في القبور فإنها تُذَكَّرُ الآخرة! بل قال: (زُورُوا الْقُبُورَ) ، فزيارة القبور يحصل بها من الاتعاط وتذكُّر الآخرة ما لا يحصل بهذا ، فهذا لا ينبغي فعله والإنسان إذا كان لا يَتَعَطَّ إلا إذا اضطجع في القبر ، فهذا معناه أن قلبه أفسى من الحجر! وقال ابن عثيمين كذلك رحمه الله: كان بعض الناس فيما سبق يحفرون قبوراً لهم ، ومن الناس من أحدثوا في هذه بدعة ، وصار كل يخرج يوم إلى هذا القبر الذي حفر ويضطجع فيه ، ويزعم أنَّ هذا موعظة وتذكير ، ولا شك أن هذا بدعة. حفر الإنسان لقبره قبل أن يموت: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: لا يُسْتَحَبُّ للرجل أن يحفر قبره قبل أن يموت ، فإن

النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك هو ولا أحد أصحابه ، وأيضاً فإن الله تعالى يقول: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّأَدَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ}! والعبد لا يدري أين يموت ، وكما من أعد له قبراً وبنى عليه بناءً ، وقُتِلَ أو مات في بلد آخر ، وإذا كان مقصود الرجل الاستعداد للموت فهذا يكون بالعمل الصالح). ولقد وعظ عمر بن عبد العزيز يوماً أصحابه فكان من كلامه أن قال: (إذا مررت بهم فنادهم إن كنت منادياً ، وادعهم إن كنت داعياً ، ومر بعسكرهم ، وانظر إلى تقارب منازلهم. سل غنيهم ما بقي من غناه؟ واسألهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون ، وعن الأعين التي كانوا للذات بها ينظرون ، واسألهم عن الجلود الرقيقة ، والوجوه الحسنة ، والأجساد الناعمة ، ما صنعت بها الديدان تحت الأكفان؟! أكلت الألسن ، وغفرت الوجوه ، ومحيت المحاسن ، وكسرت الفقار ، وبانث الأعضاء ، ومزقت الأشلاء فأين حجابهم وقبابهم؟ وأين خدمهم وعبيدهم؟ وأين جمعهم وكنوزهم؟ أليسوا في منازل الخلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليسوا في مدلهمة ظلماء؟ قد حيل بينهم وبين العمل ، وفارقوا الأحبة والمال والأهل). قال العلامة العثيمين رحمه الله: إن عذاب القبر ثابت بالقرآن ، والسنة ، والحسن ، فأما أدلة الحسن: أنه قد يكشف لبعض الناس عن عذاب القبر ، وسأل الذين يكونون ليلاً عند المقابر تسمع عنهم ما يُعجِب! فأحياناً يسمعون صياحاً عظيماً وأفظاعاً وأهواً مما يدل على ثبوت عذاب القبر. وعذاب القبر عذاب دائم ، وآخر منقطع! قال العلامة ابن القيم رحمه الله: عذاب القبر نوعان: نوع دائم ، سوى ما ورد في بعض الحديث أنه يخفف عنهم ما بين النفختين ، فإذا قاموا من قبورهم قالوا: {يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا؟!} ويدل على دوامه قوله تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا}! [والنوع الثاني: إلى مدة ، ثم ينقطع ، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم ، فيعذب بحسب جرمه ، ثم يخفف عنه ، كما يعذب في النار مدة ، ثم يزول عنه العذاب وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار ، أو ثواب حج.... قال العلامة صالح بن فوزان الفوزان: عذاب القبر على نوعين: النوع الأول: عذاب دائم وهو عذاب الكافر كما قال تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا}. والثاني يكون إلى مدة ثم ينقطع وهو عذاب بعض العصاة من المؤمنين فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه وقد ينقطع عنه العذاب بسبب دعاء أو صدقة أو استغفار. من قيل له في قبره: نم صالحاً ، فهذا حاله أحسن من الدنيا بألف مرة: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: قوله صلى الله عليه وسلم: «أبدله داراً خيراً من داره» الدار الذي سينتقل إليها أول ما ينتقل من الدنيا هي القبر ؛ لكن هل يمكن أن تكون خيراً من داره؟ الجواب: نعم ، ولولا ذلك ما دعا الرسول بها ؛ إذ إن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يدعو بأمر محال ، والقبر يكون خيراً من الدنيا إذا فُسح للإنسان مد بصره ، وقيل له: نم صالحاً ، وفتح له باب إلى الجنة ، أتاه من روحها ونعيمها ، وفرش له من الجنة ، فمن كانت هذه حاله ، فوالله إنها أحسن من الدنيا بألف مرة. والإنسان في قبره إما في نعيم وإما في عذاب: ** قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الإنسان منذ أن تفارق روحه بدنه هو إما في نعيم وإما في عذاب ، فلا يتأخر النعيم والعذاب عن النفوس إلى حين القيامة العامة ، وإن كان كماله حينئذ ، وتبقى النفوس المفارقة لأبدانها خارجة عن النعيم والعذاب ألوفاً من السنين إلى أن تقوم القيامة الكبرى. ولهذا قال المغيرة بن شعبه: أيها الناس! إنكم تقولون: القيامة ، القيامة ، وإنه من مات فقد قامت قيامته. وعن هاني مولى عثمان قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبيل لحيته ، فقبل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي ، وتبكي من هذا؟ فقال: إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: {القبر أول منازل الآخرة ، فإن ينج

منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينح منه فما بعده أشد منه} ، ثم قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : {ما رأيت منظراً إلا والقبر أظفح منه}! [رواه أحمد والترمذي وحسنه الألباني]. ومن هنا ندرك أن عالم القبور ينبغي أن نعيش معه بعض الوقت لنسأل أنفسنا: نحن إلى أين؟! وفي حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: {لا تتمنوا الموت فإن هول المطلع شديد}! [رواه أحمد وحسنه الهيثمي]. ولين معلوماً - أن تذكر الموت لا يعني كثرة الحزن وطول النحيب مع الإقامة على التفريط ، إن تذكرنا للموت يجب أن يقترن بخوفنا من سوء الخاتمة. والأعمال بالخواتيم ، كما في حديث ابن مسعود المتفق عليه يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: (فو الله الذي لا إله غيره إن أحدم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها). فيا ليت شعري ، كيف تكون خاتمتنا ، وبم يختم الله أعمارنا وأعمالنا؟ لما حضرت محمد بن المنكدر الوفاة بكى ، قيل له: ما يبكيك؟ قال: والله ما أبكي لذنب أعلم أنني أتيت ، ولكن أخاف أنني أتيت شيئاً حسبتة هيناً وهو عند الله عظيم. واسمع معي لسعيد بن جبير رضي الله عنه ، يوم يروي لنا قصة صحيحة متواترة ، كما قال الذهبي في سيره ، فيقول: لما مات ابن عباس رضي الله عنه بالطائف ، جاء طائر لم ير على خلقته مثله فدخل نعشه ، ثم لم يخرج منه ، فلما دفن إذا على شفير القبر ، تالّ يتلو ، لا يرى (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) ، فيا لها من خاتمة ، ويا له من مصير. ولقد شيع الحسن جنازة ، فجلس على شفير القبر فقال: (إن أمراً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله ، وإن أمراً هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره ، فيا من ستموت عما قريب ، وستكون ساكن القبر غداً! ما الذي غرك من الدنيا الزائلة الفانية؟ أين دارك الفيحاء الغناء؟ وأين نهرك المطرد العذب؟ وأين ثمارك اليانعة؟ وأين رفاق ثيابك الفخمة؟ وأين طبيبك وبخورك؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك؟ يا ليت شعري بأي خديك بدأ البلى. يا مجاور الهلكات صرت في محلة الموت. يا ليت شعري ما الذي يلقتني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا؟ وما الذي يأتيني به من رسالة ربي؟ ثم انصرف الحسن رحمة الله فما عاش بعد ذلك إلا جمعة. أيها الناس تفكروا في الذين رحلوا. أين نزلوا؟ وتذكروا القوم نوقشوا وسئلوا. واعلموا أنكم كما تعذلون عدلوا. ولقد ودوا بعد الفوات لو قبلوا. ولكن هيهات هيهات وقد قبروا. لقد حيل بينهم وبين ما يشتهون! عن وهب بن الورد - رحمه الله - قال: بلغنا أن رجلاً فقيهاً دخل على عمر بن عبد العزيز فقال: سبحان الله! فقال له عمر: وتبينت ذلك فعلاً؟ فقال له: الأمر أعظم من ذلك! فقال له عمر: يا فلان! فكيف لو رأيتني بعد ثلاث ، وقد أدخلت قبوري. وقد خرجت الحدقتان وتقلصت الشفتان عن الأسنان. وانفتح الفم. ونتاج البطن فعلا الصدر. وخرج الصديد من الدبر؟! وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: "ويحك يا يزيد! من ذا يصلي عنك بعد الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يترضى عنك بعد الموت؟ ثم يقول: أيها الناس! ألا تكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم. من الموت موعده. والقبر بيته. والثرى فراشه. والدود أنيسه. وهو مع هذا ينتظر الفرع الأكبر. كيف يكون حاله؟! ، ثم بكى رحمه الله. قال عبد الحق الأشبيلي: (فينبغي لمن دخل المقابر أن يتخيل أنه ميت ، وأنه قد لحق بهم ، ودخل معسكرهم ، وأنه محتاج حقاً إلى ما هم إليه محتاجون ، وراغب فيما فيه يرغبون ، فليأت إليهم ما يحب أن يؤتى إليه ، وليتحفهم بما يحب أن يتحف به ، وليتفكر في

تغير ألوانهم ، وتقطع أبدانهم ، ويتفكر في أحوالهم ، وكيف صاروا بعد الأنس بهم والتسلي بحديثهم ، إلى النفار من رؤيتهم ، والوحشة من مشاهدتهم وليتفكر أيضاً في انشقاق الأرض وبعثرة القبور ، وخروج الموتى وقيامهم مرة واحدة حفاة عراة غرلاً ، مهطعين إلى الداعي ، مسرعين إلى المنادي). والله تعالى لا يتخلى عن أوياءه ، بل يحفظهم في حياتهم وبعد مماتهم! وهذا ابن كثير – رحمه الله تعالى – يول: لقد وجدت قبور أجساد أصحابها صحيحة في سنة (276هـ)! قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: في هذه السنة انفرج تلّ بنهر الصلة في أرض البصرة يعرف بتل بني شقيق عن سبعة أقبير في مثل الحوض ، وفيها سبعة أبدان صحيحة أجسادهم وأكفانهم يفوح منها ريح المسك ، أحدهم شاب وله جمّة ، وعلى شفته بلل كأنه قد شرب ماء الآن ، وكان عينيه مكحلتان وبه ضربة في خاصرته ، وأراد أحدهم أن يأخذ من شعره شيئاً فإذا هو قويّ الشعر كأنه حيّ فتركوا على حالهم. والله تعالى صرف أبصار العباد عن مشاهدة ما يحدث للميت في قبره لئلا يتدافنوا: قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: الميت قد يُشاهد في قبره ، حال المسألة ، لا أثر فيه من إقعاد وغيره ، ولا ضيق في قبره ولا سعة. والظاهر أن الله تعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك ، وستره عنهم إبقاء عليهم لئلا يتدافنوا. وتحت عنوان: (من أقوال السلف عن عالم القبور وأحوال أهلها) يقول الأستاذ فهد بن عبد العزيز بن عبد الله الشويرخ ما نصه بتصريف يسير: (القبور ظاهرها تراب ، وهي في الحقيقة إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار. فما هي حال المشيعين للموتى إلى تلك القبور؟ والآن لا ننظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتفكر واحد منهم إلا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله إذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر ، والأهوال التي بين أيدينا ، فصرنا نلهو ، ونغفل ، ونشتغل بما لا يعيننا ، فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة ، فإن أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز. بكأؤهم على الميت ، ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم ، لا على الميت." كم في القبور من مواعظ وعبر ، لو كانت القلوب حية ، نسأل الله الكريم الرحيم أن يوقظ قلوبنا من غفلتها. للسلف أقوال عن عالم القبور وأحوال أهلها ، يسر الله الكريم فجمعت بعضاً منها ، أسأل الله أن ينفع بها الجميع. أول عدل الآخرة القبور: قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: قال بعضهم: إذا أردت صورة مصغرة ليوم القيامة فاخرج إلى المقبرة تجد فيها الشريف والوضيع ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير ، كلهم سواء ، كلهم تحت التراب. ما هناك أحد له قصر ، ولا أحد عنده خدم ، ولا أحد عنده شيء ، ولهذا قيل: أول عدل الآخرة القبور ، ومما يدل على ذلك قصة الأعرابي حيث جاء أعرابي إلى بلد فيها حاكم ، فإذا الحاكم قد مات ، فسأل عنه فقالوا: إنه مات ، قال: أين ذهب؟ قالوا: ذهب إلى المقبرة ، فجاء إلى المقبرة يري الأبهة يريد الخدم والحشم ، فلما دخل لم يجد إلا حفار القبور ، قال: أين الحاكم الفلاني؟ قال: الحاكم الفلاني هذا ، قال: يا ويله ، ثم قال: وهذا الذي بجواره ما هو؟ قال: هذه امرأة عجوز ناقصة عقل مشهورة في السوق ، وكان قبرها مرشوشاً إذ إنها قد دفنت قريباً ، وقبر الحاكم يابس ، قال: يا ويله هذه تسقى ماء وهذا لا يسقى ماء ، وجلس يتعجب ، فقال له حفار القبور: هذا الأمر كما رأيت. فهذا هو العدل رجل حاكم لا يدخل عليه إلا باستئذان وامرأة ناقصة العقل هما سواء. العمل الصالح مهاد الإنسان في قبره: قال الله سبحانه وتعالى: {مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ}. وللإيمان علاقة بعذاب القبر ونعيمه: قال العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

رحمه الله: الميت يعذب في البرزخ أو ينعم ، سواء قُبر أم لم يُقبر ، فإن كان من أهل الخير ناله النعيم والفرح والسرور ، وإن كان من أهل الشر ناله العذاب والألم والحزن الشديد ، ويبقى كذلك كل منهما في هذا البرزخ الذي هو بين الدنيا والآخرة. ويؤمن المؤمنون بأن هذا البرزخ حاجز بين الدنيا والآخرة ، وأن الإنسان بعد مفارقتة للدنيا لا تنعدم روحه ، أما بدنه فإنه ينعدم ويفنى ، قد تأكله الأرض ويصير تراباً ورفاتاً ، وقد يحرق ويذرى ولا يبقى له بقية ، ولكن روحه تبقى ، وهي التي يكون عليها العذاب والنعيم ، ويقدر الله أن يوصل إلى بدنه ، ولو كان تراباً ، ما يتألم به أو ما ينتعم به. والعبد متى آمن بهذا استعد له ، فمتى صدقت بأن هذا القبر إما نعيم ، وإما جحيم ، حملك ذلك على أن تتأهب بالأعمال الصالحة وبالعقيدة السليمة ، حتى تنجو من العذاب ، وحتى تسلم منه ، وحتى تظفر بالنعيم الذي هو مقدمة بين يدي نعيم الآخرة قد يكشف لبعض الناس عن عذاب القبر! ولقد قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: البرزخ ، هو الحاجز بين الشيين ، فهو هنا: الحاجز بين الدنيا والآخرة ، وفي هذا البرزخ ينتعم المطيعون ، ويعذب العاصون ، من ابتداء موتهم واستقرارهم في قبورهم ، إلى يوم يبعثون. أي: فليُعدوا له عُدتَه ، وليأخذوا له أهبتَه. أجساد في التراب ، قد أمنت العذاب ، تنتظر الثواب: قال صفوان بن عمرو أنعم الناس أجساداً في التراب قد أمنت العذاب تنتظر الثواب العاقل من ينظر إلى قبور غيره فيرى مكانه بين أظهرهم: قال الإمام الغزالي رحمه الله: البصير هو الذي ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم ، فيستعد للحوق بهم ، ويعلم أنهم لا يبرحون مكانهم ما لم يلحق بهم ، وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذي هو مضيع له كان أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها ، لأنهم عرفوا قدر الأعمار ، فإنما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره ، فيتخلص من العذاب ، فإنهم عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه ، فحسرتهم على ساعة من الحياة ، وأنت قادر على تلك الساعة ، ثم أنت مضيع لها. وأكثر أصحاب القبور معذبين: قال العلامة ابن القيم رحمه الله: أكثر أصحاب القبور معذبين ، والفائز منهم قليل ، فظواهر القبور تراب ، وبواطنها حسرات وعذاب ، ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبيّنات ، وفي باطنها الدواهي والبليّات تغلي بالحسرات ، كما تغلي القدور بما فيها ، ويحق لها ، وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيتها. تالله لقد وعظت ، فما تركت لواعظ مقالاً ، ونادت: يا عمار الدنيا لقد أعمرتم داراً موشكة بكم زوالاً ، وخربتم داراً أنتم مسرعون إليها انتقالاً ، عمرتم بيوتاً لغيركم منافعها وسكنائها ، خربتم بيوتاً ليس لكم مساكن سواها. وهناك أسباب منجية من عذاب القبر: قال العلامة ابن القيم رحمه الله: من أنفعها: أن يجلس الإنسان عندما يريد النوم لله ساعةً ، يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله ، فينام على تلك التوبة ، ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ ، ويفعل هذا كل ليلة ، فإن مات من ليلته مات على توبة ، وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل ، مسروراً بتأخير أجله حتى يستقبل ربه ، ويستدرك ما فاتته. وليس للعبد أنفع من هذه التوبة ولا سيما إذا عقب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند النوم ، حتى يغلبه النوم ، فمن أراد الله به خيراً وفقه لذلك ، ولا قوة إلا بالله. وختاماً فالقبور فيها مواضع وعير لأصحاب القلوب الحية ، فهذا ثالث الخلفاء الراشدين ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، كان إذا وقف على قبر يبكي ، حتى يبيل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار ولا تبكي ، وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه ،

فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه ، فما بعده أشد منه.) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفتح منه». [أخرجه الترمذي وابن ماجه ، وحسنه العلامة الألباني].) هـ. جاء في كتاب "حلية الأولياء" (5 / 295) و"إحياء علوم الدين" (4 / 663) و"قصر الأمل" ؛ لابن أبي الدنيا ص 66-67 عن القعقاع بن عجلان قال: خطب عمر بن عبد العزيز ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، وقال: "أيها الناس ، إنكم لن تُخلفوا عبثًا ، ولن تُترَكوا سُدًى ، وإن لكم معادًا يجمعكم الله للحكم فيكم ، والفصل فيما بينكم ، فخاب وشقي عبدٌ أخرجَه الله من رحمته التي وسعت كلَّ شيءٍ ، وجنَّته التي عرضها السَّمَاوات والأرض ، وإنما يكونُ الأمان غدًا لمن خاف الله واتقى ، وباع قليلًا بكثير ، وفانيًا بباقي ، وشقوة بسعادة ، ألا ترَوْن أنكم في أسلاب الهالكين ، وسيخلف بعدكم الباقون؟! ألا ترَوْن أنكم في كلِّ يومٍ تُشيِّعون غاديًا أو رائحًا إلى الله ، قد قضى نحبَه وانقطع أمَلُه ، فتضعونه في بطن صدعٍ من الأرض غير مؤسَد ولا مُمهَّد؟! قد خلَع الأسباب وفارق الأحباب ، وواجه الحساب؟! وإيم الله إنِّي لأقول لكم مَقالتي هذه ، وما أعلم عند أحدٍ منكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي ، ولكنَّها سننٌ من الله عادلة ، أمر فيها بطاعته ، ونهى فيها عن معصيته ، واستغفرَ الله ووضع كُفَّه على وجهه ؛ فبكى حتى لثقت لحيته ، فما عاد إلى مجلسه حتى مات - رحمه الله. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لأبي حازم: "أوصني ، فقال له أبو حازم: اصَّح ثم اجعل الموت عند رأسك ، ثم انظر إلى ما تحبُّ أن يكون فيك تلك الساعة فخذُ به الآن ، وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن ، فلعلَّ تلك الساعة قريبة". وقال أبو حازم أيضًا: "انظر كل عمل كرهت الموت لأجله فاتركه ، ولا يضرك متى مت". ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال له: "عظني ، فقال يزيد الرقاشي: لست أول خليفة تموت يا أمير المؤمنين ، قال: زدني، قال: لم يبقَ أحدٌ من أبائك من لدن آدم إلى بلغت النبوة إليك إلا وقد ذاق الموت ، قال: زدني، قال: ليس بين الجنة والنار منزل والله... (إنَّ الأبرارَ لفي نعيمٍ * وإنَّ الفُجَّارَ لفي جحيمٍ) ، وأنت أبصرُ ببيرك وفجورك ، فبكى عمر حتى سقط عن سريره. وتحت عنوان: (عالم القبور) يقول الأستاذ أمير بن محمد المدري ، وهو إمام وخطيب مسجد الإيمان - في اليمن ما نصه بتصريف: (ما أقصر عمر الدنيا وما أسرع مروره ، فمهما طال الليل لا بد لا بد من دخول الفجر ، ومهما طال العمر لا بد لا بد من دخول القبر. وإذن فهو كأس يشرب منه كل الناس! مهما عمروا في الدنيا!

الموت باب وكل الناس داخله *** يا ليت شعري بعد الموت ما الدار؟!

الدار دار نعيم ، إن عملت بما *** يرضي الإله ، وإن فرطت فالنار!

ومهما امتد عمر الانسان سيقول يوم القيامة عندما يسأل كم لبثت؟ لبثت يوماً أو بعض يوم. قال صلى الله عليه وسلم: (إذا أحب الله عبداً استعمله) قالوا: يا رسول كيف يستعمله؟ قال: يوفقه إلى عمل صالح قبل الموت!) ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله قائلاً: اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه. ها هو رجل من الصالحين - نحسبه ولا نزكي على الله أحداً - كان إماماً لأحد المساجد في صنعاء وفي يوم من الأيام خرج من بيته متوجهاً إلى المسجد ليصلي صلاة الظهر ، وبعد أن صلى السنة القبلية وقرأ شيئاً من القرآن ، ثم أقيمت الصلاة وتقدم ليصلي بالناس ، وفي الركعة الثالثة في السجدة الثانية سمع الناس مثل الجشاء عبر المكبرات وهم يقولون سبحان الله سبحان الله ، فتقدم أحدهم وأكمل الصلاة ، وحركوا إمامهم ، فإذا هو ميت وقد سعدت روحه إلى بارئها. إنها الخاتمة الحسنه التي لا تأتي إلا من

حسن عمل وصلاة على وقتها وفعل للخيرات وأداء للحقوق وأكل للحلال. ثم تصور يا عبد الله وانت تدخل المقبرة لا زائراً ولا حاملاً! بل محمولاً ميتاً! فتخيل أحب الناس إليك وأقرب الناس إليك وهم ينزلونك إلى قبرك ، ويضعون اللبن ليغلقوا قبرك فأتحجب الضوء عنك ، ثم بدأوا يُحثون على قبرك التراب ، ويقول أحدهم استغفروا لأخيكم ، وسلوا له الثبات فإنه الآن يسأل! ثم ذهبوا وتركوك وحيداً فريداً في ذلك الظلام! من فوقك تراب ، ومن تحتك تراب ، وعن يمينك تراب ، وعن شمالك تراب ، ثم تعاد روحك إلى جسدك ، ويأتيك منكر ونكير فيجلسانك ويسألانك من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فإن كنت من الصالحين الصادقين التائبين ، فإن الله سيثبتك فهو القائل: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء)! فتقول بتوفيق الله: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم! فينادي منادي من السماء أن صدق عبدي! فأفرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له نافذة إلى الجنة ، ثم يُفسح لك في قبرك مد البصر ، ثم يأتيك رجلاً حسن الوجه حسن الثياب طيب الرائحة وهو عمك الصالح وهو أنيسك في قبرك إلى يوم القيامة. أما إن كان العبد والعياذ بالله كافراً مضيعاً لدينه تاركاً للصلاة أكلاً للحرام فاعلاً للمنكرات ومات على ذلك فإنه سيقول: هاه هاه لا أدري! فينادي منادي من السماء أن كذب عبدي! فأفرشوا له من النار وألبسوه من النار ، وافتحوا له نافذة إلى النار ، ويضيق له في قبره حتى تختلف أضلعه ، ثم يأتي إليه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب قبيح الرائحة ، وهو عمله السيء وهو رفيقه إلى يوم القيامة. أخي المسلم: هل رأيت القبور؟ هل رأيت ظلمتها؟ هل رأيت وحشتها؟ هل رأيت شدتها؟ هل رأيت ضيقها؟ هل رأيت عمقها؟ هل رأيت هوامها وديدانها؟ أو ما علمت أنها أعدت لك كما أعدت لغيرك؟ أما رأيت أصحابك وأحبائك وأرحامك الذين نُقلوا من القصور إلى القبور ، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحد ، ومن ملاعبة الأهل والوالدان إلى مقاساة الهوام والديدان ، ومن التنعم بالطعام والشراب إلى التمرغ في الثرى والتراب ، ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة ، ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل؟ فأخذهم الموت على غرة ؛ وسكنوا القبور بعد حياة الترف واللذة ؛ وتساووا جميعاً بعد موتهم في تلك الحفرة ؛ فالله نسأل أن يجعل قبورنا روضة من رياض الجنة! كان الربيع بن خثيم رحمه الله الذي قال عنه ابن مسعود رضي الله عنه يا ربيع والله لو رآك الرسول صلى الله عليه وسلم لأحبك ، كان رحمه الله يتجهز لتلك الليلة ؛ ويروى أنه حفر في بيته حفرة ؛ فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيها ؛ وكان يمثل نفسه أنه قد مات وندم وسأل الرجعة فيقول: (رب ارجعوني لعلي اعمل صالحاً فيما تركت). فيجيب نفسه فيقول: قد رجعت يا ربيع! فيرى فيه ذلك أياماً أي يرى فيه العبادة والاجتهاد والخوف والوجل! وعن أبي هريرة ؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الميت يصير إلى القبر: فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا شعوف (أي غير خائف ولا مذعور) ، ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: كنت في الإسلام. فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه. فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول ما ينبغي لأحد أن يرى الله. فيفرج له فرجة قبل النار ؛ فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ؛ فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله عز وجل! ثم يفرج له قبل الجنة ؛ فينظر إلى زهرتها وما فيها ؛ فيقال له: هذا مقعدك ويقال له: على اليقين كنت ؛ وعليه مت ؛ وعليه تُبعث إن شاء الله. قال: ويجلس الرجل السوء في قبره فزعاً مشعوفاً ؛ فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري ؛ فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت. فيفرج له قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها ؛ فيقال له:

انظر ما صرف الله عنك. ثم يفرج له فرجة قبل النار ؛ فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً فيقال له: (هذا مقعدك على الشك كنت ؛ وعليه مت ؛ وعليه تبعث إن شاء الله). رواه ابن ماجه وصححه البوصيري. وروي أن رجلاً ضرب في قبره سوطاً فامتلاً القبر عليه ناراً ؛ لكونه صلى صلاة واحدة بغير ظهور ، ومر على مظلوم فلم ينصره). الحديث رواه الطحاوي في بسند حسن. وأخبر صلى الله عليه وسلم كما في حديث سمرة بن جندب الذي رواه البخاري عن تعذيب من يكذب الكذبة تبلغ الآفاق ، وعن تعذيب من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به في النهار وعن تعذيب الزناة والزواني ، وعن تعذيب آكل الربا ، أخبر عنهم كما شاهدتهم في البرزخ. وفي حديث آخر أخبر صلى الله عليه وسلم عن رضح رؤوس أقوام بالصخر لتثاقل رؤوسهم عن الصلاة ، وعن الذين يسرحون بين الضريع والزقوم لتركهم زكاة أموالهم ، وعن الذين يأكلون اللحم المنتن الخبيث لزناتهم ، والذين تقرض شفاهم بمقارض من حديد لقيامهم في الفتن بالكلام والخطب. وجاء في حديث رواه أبو سعيد عنه صلى الله عليه وسلم ذكر أرباب بعض الجرائم وعقوباتهم: فمنهم من بطونهم أمثال البيوت وهم على سابلة آل فرعون ، وهم أكلة الربا ، ومنهم من تفتح أفواههم فيلقمون الجمر حتى يخرج من أسافلهم ، وهم أكلة أموال اليتامى ، ومنهم من تقطع جنوبهم ويطعمون لحومهم ، وهم المغتابون ، ومنهم من لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم ، وهم الذين يمزقون أعراض الناس. فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم ، بحسب كثرتها وقلتها ، وصغرها وكبرها. ما لم يغفر الله لهم ويتجاوز عنهم بتوبة أو رحمة منه تعالى). هـ. عن أبي العباس الوليد بن مسلم قال: قال بعض الخلفاء على المنبر: "اتقوا الله عباد الله ما استطعتم، وكُونُوا قَوْمًا صِيحَّ بِهِم فانتَبَهُوا ، وعلموا أَنَّ الدنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بَدَارٌ فَاسْتَبَدُّوا ، واستعدُّوا للموت فقد أظلمكم ، وترحلُّوا فقد جدَّ بكم ، وإنَّ غايةَ تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرةٌ بقصر المدَّة ، وإنَّ غائبًا يجدُّ به الجديان: الليل والنهار ، لحريٌّ بسرعة الأوبة. وإنَّ قادمًا يحلُّ بالفوز أو الشقوة لمستحقٍّ لأفضل الغدَّة ، فالتقيُّ عند ربِّه من ناصح نفسه ، وقد توبته وغلب شهوته ، فإنَّ أجله مستور عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان مُوكل به يُمنِّيهِ التوبة لِيُسَوِّفَهَا ، ويزين إليه المعصية ليرتكبها ، حتى تهجم منيته عليه أغفل ما يكون عنها ، وإنَّه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به! فيا لها حسرة على كلِّ ذي غفلةٍ ، أن يكون عمره عليه حجةٌ ، وأن ترديه أيامه إلى شقوة. جعلنا الله وإياكم ممَّن لا تبطره نعمة ، ولا تقصر به عن طاعة الله معصية ، ولا يحلُّ به بعد الموت حسرة ، إنَّه سميع الدعاء ، وإنَّه بيده الخير ، وإنَّه فعَّال لما يشاء". قال خُلَيْد القسري: "كلُّنا قد أيقن بالموت ، وما نرى له مستعدًّا ، وكلُّنا قد أيقن بالجنة ، وما نرى لها عاملاً ، وكلُّنا قد أيقن بالنار ، وما نرى لها خانقًا! فعلامٌ تعرَّجون؟ وما عسيتم تنتظرون؟ الموت؟ فهو أوَّل وارِدٍ عليكم من الله بخير أو بشرٍّ! يا إخوتاه ، سيروا إلى ربكم سيرًا جميلًا". وقد جاء في "الحلية" عن صلة بن أشيم: أنه مرَّ على شباب يلعبون ، فقال: "يا إخوتاه ، اجتمعوا إليَّ ، فقال لهم: ما تقولون في قومٍ أرادوا سفرًا ، فحادوا عنه نهارًا ، وناموا عنه ليلًا؟ ماذا تقولون: أصابوا أم أخطأوا؟ ثم مرَّ عليهم في اليوم التالي ، ووجدهم يلعبون ، فقال لهم مثل ما قال ، فقال شابٌ منهم: والله إنَّ صلةً يعنيننا بهذا الخطاب ، ورجعوا عن اللعب إلى طاعة الله". وجاء في كتاب "الزهد الكبير" عن إبراهيم بن بشار قال: "مررت أنا وأبو يوسف الفولي في طريق الشام ، فوثب إليه رجلٌ فسلم عليه ، ثم قال: يا أبا يوسف ، عِظني بموعظةٍ أحفظها عنك ، قال: فبكى ،

ثم قال: اعلم يا أخي أنّ اختلاف الليل والنهار وممرّهما يسرعان في هدم بدنك ، وفناء عمرك ، وانقضاء أجلك ، فينبغي لك يا أخي ألا تطمئنّ ولا تأمن ؛ حتى تعلم أين مستقرّك ومصيرك ، وساخط عليك ربك بمعصيتك وغفلتك ، أو راضٍ عنك بفضلته ورحمته. ابن آدم الضعيف نطفة بالأمس وجيفة غدًا! فإن كنت ترضى لنفسك ، فتزد وتعلم وتندم في وقت لا ينفعك الندم ، قال: فبكى أبو يوسف ، وبكى الرجل ، وبكيت لبيكاهما ووقعا مغشياً عليهما". يقول ابن الجوزي رحمه الله: "أيها الناس، تقووا بهذه النعم التي أصبحت فيها ، على الهرب من النار الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة ، فإنكم في دار الثواء فيها قليل ، وأنتم فيها مؤجلون ، واخلانف من بعد القرون ، الذين استقبلوا من الدنيا زخرفها وزهرتها ، فهم كانوا أطول منكم أعماراً وأمدّ أجساماً وأعظم آثاراً ، فجددوا الجبال وجابوا الصخور ، ونقبوا في البلاد مؤيدين ببطش شديد وأجسام كالعماد ، فما لبثت الأيام والليالي أن طوت مدتهم ، وعفت آثارهم ، وأخوت منازلهم ، وأنست ذكركم ، فما تحس منهم من أحدٍ ولا تسمع لهم ركزاً ، كانوا بلهو الأمل آمين كنيات قوم غافلين ، أو كصباح قوم نادمين ، ثم إنكم قد علمتم الذي قد نزل بساحتهم بياناً ، فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين ، وأصبح الباقون ينظرون في آثار نقمة ، وزوال نعمة ، ومسكن خاوية ، فيها آيةٌ للذين يخافون العذاب الأليم. وتحت عنوان: (وحي القبور) قال صاحب (من وحي القلم) الأستاذ الشاعر الأديب مصطفى صادق الرافعي (ت 1356هـ - 1937م) – ولست أعلم مقالاً عن القبور وتشخيصاً لأحوالها وأهوالها مثل هذا – يقول رحمه الله ما نصه: (ذهبت في صبح يوم أحمّل نفسي بنفسي إلى المقبرة ، وقد مات لي من الخواطر موتى لا مئيت واحد؛ فكنت أمشي وفي جنازة بمشيئتها ؛ من فكر يحمل فكراً ، وخاطر يتبع خاطراً ، ومعنى يبكي ، ومعنى يبكي عليه. وكذلك دأبي كلما انحدرت في هذه الطريق إلى غير ذلك المكان ، الذي تأتيه العيون بدموعها ، وتمشي إليه النفوس بأحزانها ، وتجيء فيه القلوب إلى بقايا تلك المقابر التي لا ينادى أهلها من أهليهم بالأسماء ولا بالألقاب ، ولكن بهذا النداء: يا أحببنا ، يا أحراننا! ذهبت أزور أمواتي الأعزاء ، وأتصل منهم بأطراف نفسي ؛ لأحيا معهم في الموت ساعة ، أعرض فيها أمر الدنيا على أمر الآخرة ، فأنسى وأذكر ، ثم أنظر وأعتبر ، ثم أتعرف وأتوسم [أستطلع] ثم أستبطن مما في بطن الأرض ، وأستظهر مما على ظهرها. وجلست هناك أشرف من دهر على دهر ، ومن دنيا على دنيا ، وأخرجت الذاكرة أفراسها القديمة ؛ لتجعلها مادة جديدة لأحزانها ، وانفتح لي الزمن الماضي ، فرأيت رجعة الأمس ، وكأن دهرًا كاملاً خلق بحوادثه وأيامه ، ورفع لعيني كما ترفع الصورة المعلقة في إطارها. أعرف أنهم ماتوا ، ولكني لم أشعر قط إلا أنهم غابوا ، والحبيب الغائب لا يتغير عليه الزمان ولا المكان في القلب الذي يحبه ، مهما تراخت به الأيام [امتدت] ؛ وهذه هي بقية الروح إذا امتزجت بالحب في روح أخرى: تترك فيها ما لا يمحي ؛ لأنها هي خالدة لا تمحي. ذهب الأموات ذهابهم ، ولم يقيموا في الدنيا ، ومعنى ذلك أنهم مرّوا بالدنيا ليس غير ، فهذه هي الحياة حين تعبّر عنها النفس بلسانها لا بلسان حاجتها وحرصها. الحياة مدة عمل ، وكأن هذه الدنيا بكل ما فيها من المتناقضات ، إن هي إلا مصنع يسوّغ كل إنسان جانباً منه ، ثم يقال له: هذه الأداة فاصنع ما شئت: فضيلتك أو رذيلتك. جلست في المقبرة ، وأطرقت أفكر في هذا الموت ، يا عجباً للناس! كيف لا يستشعرونه وهو يهدم من كل حي أجزاء تحيط به قبل أن يهدمه هو بجملته ، وما زال كل بنيان من الناس به كالحائط المسطّ عليه خرابه ، يتأكل من هنا ، ويتناثر من هناك؟! يا عجباً للناس عجباً لا ينتهي! كيف يجعلون الحياة مدة نزاع وهي مدة عمل؟ وكيف لا تبرح تنزرو

النَّوْازِي بِهِمْ فِي الْخِلاَفِ وَالْبَاطِلِ ، وَهَمْ كَلِمَا تَدَافَعُوا بَيْنَهُمْ قَضِيَّةً مِنَ النِّزَاعِ ، فَضَرَبُوا خِصْمًا بِخِصْمٍ ، وَرَدُّوا كَيْدًا بِكَيْدٍ ، جَاءَ حُكْمُ الْمَوْتِ تَكْذِيبًا قَاطِعًا لِكُلِّ مَنْ يَقُولُ لَشَيْءٍ : هَذَا لِي؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ أَعْجَبُ فِي السِّخْرِيَةِ بِهَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ أَنْ يُعْطِيَ النَّاسَ مَا يَمْلِكُونَهُ فِيهَا لِإِثْبَاتِ أَنْ أَحَدًا مِنْهُمْ لَا يَمْلِكُ مِنْهَا شَيْئًا ؛ إِذْ يَأْتِي الْآتِي إِلَيْهَا لِحِمَاً وَعِظْمًا ، وَلَا يَرْجِعُ عَنْهَا الرَّاجِعُ إِلَّا لِحِمَاً وَعِظْمًا ، وَبَيْنَهُمَا سَفَاهَةُ الْعِظْمِ وَاللَّحْمِ حَتَّى عَلَى السَّكِّينِ الْقَاطِعَةِ. تَأْتِي الْأَيَّامُ وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ تَفَرُّ فِرَارَهَا ؛ فَمَنْ جَاءَ مِنْ عَمْرِهِ عَشْرُونَ سَنَةً فَإِنَّمَا مَضَتْ هَذِهِ الْعَشْرُونَ مِنْ عَمْرِهِ ، وَلَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُصَحَّحَ أَعْمَالُ الْحَيَاةِ فِي النَّاسِ عَلَى هَذِهِ الْأَصْلِ الْبَيِّنِ ، لَوْلَا الطَّبَاعُ الْمَدْخُولَةُ ، وَالنَّفُوسُ الْغَافِلَةُ ، وَالْعُقُولُ الضَّعِيفَةُ ، وَالشَّهَوَاتُ الْعَارِمَةُ ؛ فَإِنَّهُ مَا دَامَ الْعُمْرُ مَقْبَلًا مَدْبِرًا فِي اعْتِبَارٍ وَاحِدٍ ، فَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَنَاوَلَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا يَرْضِيهِ مَحْسُوبًا لَهُ وَمَحْسُوبًا عَلَيْهِ فِي وَقْتٍ مَعًا ، وَتَكُونُ الْحَيَاةُ فِي حَقِيقَتِهَا لَيْسَتْ شَيْئًا ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ الْإِنْسَانِيَّ هُوَ الْحَيِّ فِي الْحَيِّ. وَمَا هِيَ هَذِهِ الْقُبُورُ؟ لَقَدْ رَجَعَتْ عِنْدَ أَكْثَرِ النَّاسِ مَعَ الْمَوْتِ أَبْنِيَّةً مَيْتَةً ؛ فَمَا قَطُّ رَأَوْهَا مَوْجُودَةً إِلَّا لَيْنَسُوا أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ لَكَانَ لِلْقَبْرِ مَعْنَاهُ الْحَيِّ الْمَتَغَلَّغِ فِي الْحَيَاةِ إِلَى بَعِيدٍ ؛ فَمَا الْقَبْرِ إِلَّا بِنَاءِ قَائِمٍ لِفِكْرَةِ النِّهَايَةِ وَالانْقِطَاعِ ، وَهُوَ فِي الطَّرْفِ الْآخِرِ رَدًّا عَلَى الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ بِنَاءُ قَائِمٍ لِفِكْرَةِ الْبَدْءِ وَالِاسْتِمْرَارِ ، وَبَيْنَ الطَّرْفَيْنِ الْمَعْبُدِ ، وَهُوَ بِنَاءُ لِفِكْرَةِ الضَّمِيرِ ، الَّذِي يَحْيَا فِي الْبَيْتِ وَفِي الْقَبْرِ ، فَهُوَ عَلَى الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ كَالْقَاضِي بَيْنَ خِصْمَيْنِ يَصِلِحُ بَيْنَهُمَا صَلِحًا أَوْ يَقْضِي. الْقَبْرِ كَلِمَةُ الصِّدْقِ مَبْنِيَّةً مَتَجَسِّمَةً ، فَكُلُّ مَا حَوْلَهَا يَتَكَدَّبُ وَيَتَأَوَّلُ وَلَيْسَ فِيهَا هِيَ إِلَّا مَعْنَاهَا لَا يَدْخُلُهُ كَذِبٌ ، وَلَا يَعْتَرِيهِ تَأْوِيلٌ ، وَإِذَا مَاتَتْ فِي الْأَحْيَاءِ كَلِمَةُ الْمَوْتِ مِنْ غُرُورٍ ، أَوْ بَاطِلٍ ، أَوْ غَفْلَةٍ ، أَوْ أَثَرَةٍ ، بَقِيَ الْقَبْرِ مَذْكَرًا بِالْكَلِمَةِ ، شَارِحًا لَهَا بِأَطْرَفِ مَعَانِيهَا وَدَاعِيًا إِلَى الْإِعْتِبَارِ بِمَدْلُولِهَا ، مَبِينًا بِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ أَنْ الْأَمْرُ كُلَّهُ لِلنِّهَايَةِ. الْقَبْرِ كَلِمَةُ الْأَرْضِ لِمَنْ يَنْخَدِعُ فَيَرَى الْعُمْرَ الْمَاضِيَّ كَأَنَّهُ غَيْرُ مَاضٍ ، فَيَعْمَلُ فِي إِفْرَاقِ حَيَاتِهِ مِنَ الْحَيَاةِ بِمَا يَمْلُؤُهَا مِنْ رَذَائِلِهِ وَخَسَائِسِهِ ؛ فَلَا يَزَالُ دَائِبًا فِي مَعَانِي الْأَرْضِ وَاسْتِجْمَاعِهَا وَالِاسْتِمْتَاعِ بِهَا ، يَتَلَوُّ فِي ذَلِكَ تَلَوَّ الْحَيَوَانَ وَيَقْتَاسُ بِهِ ، فَشَرِيعَتُهُ جَوْفُهُ وَأَعْضَاؤُهُ ، وَتَرْجِعُ فِي ذَلِكَ حَيَوَانِيَّتُهُ مَعَ نَفْسِهِ الرُّوحَانِيَّةِ ، كَالْحِمَارِ مَعَ الَّذِي يَمْلِكُهُ وَيَعْلِفُهُ ، وَلَوْ سَأَلَ الْحِمَارُ عَنْ صَاحِبِهِ مِنْ هُوَ؟ لَقَالَ: هُوَ حِمَارِي. الْقَبْرِ عَلَى الْأَرْضِ كَلِمَةٌ مَكْتُوبَةٌ فِي الْأَرْضِ إِلَى آخِرِ الدُّنْيَا ، مَعْنَاهَا أَنَّ الْإِنْسَانَ حَيٌّ فِي قَانُونِ نَهَايَتِهِ ؛ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يَنْتَهِي. إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كُلَّهُ لِلنِّهَايَةِ ، وَكَانَ الْإِعْتِبَارُ بِهَا وَالْجِزَاءُ عَلَيْهَا ، فَالْحَيَاةُ هِيَ الْحَيَاةُ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَامَةِ لَا غَيْرِهَا ، طَرِيقَةُ إِكْرَاهِ الْحَيَوَانَ الْإِنْسَانِيَّ عَلَى مُمَارَسَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ ، وَجَعَلَهَا أَصْلًا فِي طِبَاعِهِ ، وَوَزَنَ أَعْمَالَهُ بِنَتَائِجِهَا الَّتِي تَنْتَهِي بِهَا ؛ إِذْ كَانَتْ رُوحَانِيَّتُهُ فِي النِّهَايَاتِ لَا فِي بَدَايَاتِهَا. فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ ذَاتًا تَعْمَلُ أَعْمَالَهَا ؛ فَإِذَا انْتَهَتْ الْحَيَاةُ انْقَلَبَتْ أَعْمَالُ الْإِنْسَانِ ذَاتًا يَخْلُدُ هُوَ فِيهَا ؛ فَهُوَ مِنَ الْخَيْرِ خَالِدٌ فِي الْخَيْرِ ، وَمِنَ الشَّرِّ هُوَ خَالِدٌ فِي الشَّرِّ ؛ فَكَأَنَّ الْمَوْتَ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا مِيلَادًا لِلرُّوحِ مِنْ أَعْمَالِهَا ؛ تَوْلَدُ مَرَّتَيْنِ: آتِيَّةً وَرَاجِعَةً. وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ لِلنِّهَايَةِ فَقَدْ وَجِبَ أَنْ تَبْطُلَ مِنَ الْحَيَاةِ نَهَايَاتٌ كَثِيرَةٌ ؛ فَلَا يَتْرَكَ الشَّرُّ يَمْضِي إِلَى نَهَايَتِهِ بَلْ يُحْسَمُ فِي بَدْنِهِ ، وَيُقْتَلُ فِي أَوَّلِ أَنْفَاسِهِ ، وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ فِي كُلِّ مَا لَا يَحْسُنُ أَنْ يَبْدَأَ ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَمْتَدَّ: كَالْعِدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ ، وَالْبُخْلِ وَالْأَثَرَةِ ، وَالْكِبْرِيَاءِ وَالغُرُورِ ، وَالْخِدَاعِ وَالْكَذْبِ ، وَمَا شَابَهُ هَذِهِ أَوْ شَابَهَهَا ؛ فَإِنَّهَا كُلُّهَا انْبِعَاثٌ مِنَ الْوُجُودِ الْحَيَوَانِيِّ ، وَانْفِجَارٌ مِنْ طَبِيعَتِهِ ؛ وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ مِنْهَا فِي الْإِرَادَةِ قَبْرٌ كَيْ تَسْلَمَ لِلنَّفْسِ الطَّبِيعِيَّةِ إِنْسَانِيَّتِهَا إِلَى النِّهَايَةِ. يَا مَنْ لَهُمْ فِي الْقُبُورِ أَمْوَاتٌ! إِنَّ رُؤْيَا الْقَبْرِ زِيَادَةٌ فِي الشُّعُورِ بِقِيَمَةِ الْحَيَاةِ ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْقَبْرِ مِنْ مَعَانِي السَّلَامِ الْعَقْلِيِّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا. الْقَبْرِ فَمَّ

ينادي: أسرعوا أسرعوا ، فهي مدة لو صُرفت كلها في الخير ما وَفَّتْ به ؛ فكيف يضع منها ضياع في الشر أو الإثم؟ لو ولد الإنسان ، ومشى ، وأيفع ، وشبَّ ، واكتهل ، وهرم في يوم واحد فما عساه كان يُضَيِّع من هذا اليوم الواحد؟ إن أطول الأعمار لا يراه صاحبه في ساعة موته إلا أقصر من يوم. ينادي القبر: أصلحوا عيوبكم ، وعليكم وقتٌ لإصلاحها ؛ فإنها إن جاءت إلى هنا كما هي ، بقيت كما هي إلى الأبد ، وتركها الوقتٌ وهرب. هنا قبر ، وهناك قبر ، وهناك القبرُ أيضاً ؛ فليس ينظر في هذا عاقلٌ إلا كان نظره كأنه حُكْمٌ محكمة على هذه الحياة كيف تنبغي ، وكيف تكون؟ في القبر معنى إلغاء الزمان ، فمن يفهم هذا استطاع أن ينتصر على أيامه ، وأن يسقط منها أوقات الشر والإثم ، وأن يميت في نفسه خواطر السوء ؛ فمن معاني القبر ينشأ للإرادة عقلها القوي الثابت ، وكل الأيام المكروهة لا تجد لها مكاناً في هذا العقل ، كما لا يجد الليل محلاً في ساعات الشمس. ثلاثة أرواح لا تصلح روح الإنسان في الأرض إلا بها: روح الطبيعة في جمالها ، وروح المعبد في طهارته ، وروح القبر في موعظته.هـ.

وهناك خطبة عذبة عنوانها: (موعظة الموت) للأستاذ سامي بن خالد الحمود أقتطف منها هذه الزهرات حيث يقول فيها: (الموت إنها الحقيقة الكبرى! كل حي سيفنى ، وكل جديد سييلى! وما هي إلا لحظة واحدة ، في مثل غمضة عين ، أو لمحة بصر ، تخرج فيها الروح إلى بارئها ، فإذا العبد في عداد الأموات. ذهب العمر وفات. يا أسير الشهوات. ومضى وقتك في سهو ولهو وسبات. بينما أنت على غيك حتى قيل مات. ونحن في غفلة الحياة ، كثيراً ما نفاجأ باتصال أو رسالة أو غير ذلك أن فلاناً قد مات ، وقد كان في كامل صحته وعافيته ، وذلك مصداق حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من اقترب الساعة أن يرى الهلال قبلاً فيقال لليلتين ، وأن تتخذ المساجد طرقاتاً ، وأن يظهر موت الفجأة). رواه الطبراني وحسنه الألباني. عجباً لنا! كيف نتجرأ على الله وأرواحنا بيده؟! وكيف نستغفل رقابته والموت بأمره؟ وقد روي أن ملك الموت دخل على داود عليه السلام فقال: من أنت؟ فقال ملك الموت: أنا من لا يهاب الملوك ، ولا تمنع منه القصور ، ولا يقبل الرشوة ، قال: فإذا أنت ملك الموت ، قال: نعم ، قال: أتيتني ولم أستعد بعد! قال: يا داود ، أين فلان قريبك؟ أين فلان جارك؟ قال: مات ، قال: أما كان لك في هؤلاء عبرة لتستعد؟! ينقسم الناس عند الموت وشدته ، والقبر وظلمته ، وفي القيامة وأهوالها ، ينقسمون إلى فريقين: أما الفريق الأول فحالهم: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) ، ألا تخافوا مما أمامكم من أهوال الآخرة ، ولا تحزنوا على ما خلفكم في الدنيا من الأهل والولد والمال ، نحن أولياؤكم في الآخرة ، نؤنسكم من الوحشة في القبور ، وعند النفخة في الصور ، ونؤمنكم يوم البعث والنشور. أما الفريق الثاني من الكفار والفجار ، فحالهم: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ). وصية محمد صلى الله عليه وسلم: (أكثرُوا من ذكر هادم اللذات ، فما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه ، ولا سعة إلا ضيقها). كلام مختصر وجيز ، قد جمع التذكرة وأبلغ في الموعظة. وقد قيل: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة: تعجيل التوبة ، وقناعة القلب ، ونشاط العبادة ، ومن نسي الموت عوجل بثلاثة: تسويق التوبة ، وترك الرضا بالكفاف ، والتكاسل بالعبادة. أين هذه الخاتمة مما وقع لعدد من الشباب ، كانوا يستقلون سياراتهم ، والموسيقى تصدح بينهم بصوت مرتفع ، وهم غافلون ، وأبعد ما يفكرون فيه أن يفارقوا هذه الدنيا. وفجأة ، وقع الحادث ، وانقلبت

السيارة عدة مرات ، ثم حُمل المصابون على سيارة الإسعاف ، وكان أحدهم مصابًا بإصابات بليغة ، ويتنفس بصعوبة ، فقال له أدهم: يا فلان قل لا إله إلا الله ، يا فلان قل لا إله إلا الله ، فرد عليه: هو في سقر. هو في سقر. ثم أغمض عينيه وأرخی رأسه ومات ، فسأل الرجل صاحبيه: أكان يصلي؟ قالوا: لا والله ، ما كنا نصلي جميعًا. إذا زرت المقبرة قف أمام قبر مفتوح ، وتأمل هذا اللحد الضيق ، وتخيل أنك بداخله ، وقد أغلق عليك الباب ، وانهاك عليك التراب ، وفارقك الأهل والأولاد ، وقد أحاطك القبر بظلمته ووحشته ، فلا ترى إلا عملك. فماذا تتمنى يا ترى في هذه اللحظة؟ ألا تتمنى الرجوع إلى الدنيا لتعمل صالحاً ، لتركع ركعة ، لتسبح تسبيحة ، لتذكر الله تعالى ولو مرة؟! ها أنت على ظهر الأرض حيًا معافي فاعمل صالحاً قبل أن تعضَّ على أصابع الندم وتصبح في عداد الموتى. إذا هممت بمعصية ، تذكر أمانى الموتى ، تذكر أنهم يتمنون لو عاشوا ليطيعوا الله ، فكيف تعصي الله؟ إذا فترت عن الطاعة ، تذكر أمانى الموتى ، واجتهد في الطاعة ، وبادر إلى التوبة قبل أن يأتيك الموت بغتة ، فتقول: يا ليتني قدمت لحياتي ، واعلم أن ملايين الموتى يتمنون مثل الدقيقة التي تمر من حياتك ليستثمروها في طاعة الله ، وذكره والتوبة إليه ، فلا تضع دقائق عمرك ، لئلا تتحسر في آخرتك. (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ). هـ. يقول ميمون بن مهران: "خَرَجْتُ مَعَ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْقُبُورِ بَكَى ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: يَا أَبَا أَيُّوبَ ، هَذِهِ قُبُورُ آبَائِي كَأَنَّهُمْ لَمْ يُشَارِكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي لُدَّتِهِمْ وَعَيْشِهِمْ! أَمَا تَرَاهُمْ صَرَخَى قَدْ حَلَّتْ بِهِمُ الْمَثَلَاتُ ، وَاسْتَحَكَمَ فِيهِمُ الْبَلَاءُ ، وَأَصَابَ الْهَوَامُّ فِي أَيْدَانِهِمْ مَقِيلًا ، لِسَانَ حَالِهِمْ يَقُولُ: كُنَّا عِظَامًا فَصِرْنَا عِظَامًا ، وَكُنَّا نَفُوتُ فِيهَا نَحْنُ قُوتُ ، ثُمَّ بَكَى حَتَّى عَشِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: انْطَلِقْ بِنَا ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَنْعَمَ مَمَّنْ صَارَ إِلَى هَذِهِ الْقُبُورِ ، وَقَدْ أَمِنَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ. أَلَا تَبْكِي لِنَفْسِكَ؟! فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ بَكَى ؛ حَتَّى بَلَ طَرَفِ ثُوبِهِ. قَالَ الْحَارِثُ بْنُ إِدْرِيسَ: قُلْتُ لِدَاوُدَ الطَّائِي: أَوْصِنِي ، فَقَالَ: "عَسَرَ الْمَوْتَ يَنْتَظِرُونَكَ". قَالَ لِقَمَانَ لِابْنِهِ: "يَا بَنِي ، أَمْرٌ لَا تَدْرِي مَتَى يَلْقَاكَ ، اسْتَعِدَّ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَفْجَاكَ".

وقال محمد بن الحارث: "رَأَيْتُ الْحَسَنَ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ ، فَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا ، ثُمَّ أَطَّلَعَ فِي الْقَبْرِ فَقَالَ: يَا لَهَا مِنْ عِظَةٍ! يَا لَهَا مِنْ عِظَةٍ! - وَمَدَّ صَوْتَهُ بِهَا - لَوْ وَافَقْتَ قَلْبًا حَيًّا! ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْمَوْتَ فَضَحَ الدُّنْيَا ، فَلَمْ يَدَعْ لَذِي لُبٍّ فَرْحًا ، فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَخَذَ مِنْهَا قُوَّتًا مَبْلَغًا ، وَهَضَمَ الْفَضْلَ لِيَوْمِ فَقْرِهِ وَحَاجَتِهِ ، فَكَأَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ قَدْ أَظْلَكُمْ". وكان الحسن البصري - رحمه الله - يقول أيضًا: الثَّوَاءُ هَا هُنَا قَلِيلٌ ، وَأَنْتُمْ آخِرُ أُمَّتِكُمْ ، وَأَمْتَكُمْ آخِرُ الْأُمَمِ ، وَقَدْ أُسْرِعَ بِخِيَارِكُمْ ، فَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ إِلَّا الْمَعَايِنَةَ ، فَكَأَنَّهُا وَاللَّهِ قَدْ كَانَتْ ، مَا بَعْدَ نَبِيِّكُمْ نَبِيًّا ، وَلَا بَعْدَ كِتَابِكُمْ كِتَابًا ، وَلَا بَعْدَ أُمَّتِكُمْ أُمَّةً ، تَسُوقُونَ النَّاسَ وَالسَّاعَةَ تَسُوقَكُمْ ، وَمَا يَنْتَظِرُ أَوْلَكُمْ إِلَّا أَنْ يَلْحَقَ آخِرَكُمْ ، فَيَا لَهَا مِنْ مَوْعِظَةٍ لَوْ وَافَقْتَ مِنَ الْقُلُوبِ حَيَاةً!". وقال الحسن أيضًا: "أَيُّهَا النَّاسُ ، أَصَبَحْتُمْ وَاللَّهِ فِي أَجَلٍ مَنْقُوصٍ ، وَعَمَلٌ مَحْصَى مَحْرُوسٍ ، وَالْمَوْتُ فَوْقَ رُؤُوسِكُمْ ، وَالنَّارُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ". وحضر الحسن جنازة ثم قال: "أَيُّهَا النَّاسُ ، اْعْمَلُوا لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ ، (وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). كتب حكيم إلى أخ له فقال: "إِنَّ الْحُزْنَ عَلَى الدُّنْيَا طَوِيلٌ ، وَالْمَوْتُ مِنَ الْإِنْسَانِ قَرِيبٌ ، وَلِلنَّقْصِ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْهُ نَصِيبٌ ، وَلِلْبَلَاءِ فِي جِسْمِهِ دَبِيبٌ ، فَبَادِرْ قَبْلَ أَنْ تُنَادَى بِالرَّحِيلِ ، وَالسَّلَامُ". وكان يزيد الرقاشي - رحمه الله - يقول لنفسه: "ويحك يا يزيد! مَنْ ذَا يَصَلِّيُ عَنْكَ بَعْدَ الْمَوْتِ؟ مَنْ ذَا يَصُومُ عَنْكَ بَعْدَ

الموت؟ مَنْ ذَا يُرْضِي عَنْكَ رَبِّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ؟ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا تَبْكُونَ وَتَتُوحُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بَاقِي حَيَاتِكُمْ؟ مِنَ الْمَوْتِ طَالِبُهُ ، وَالْقَبْرِ بَيْتُهُ ، وَالتُّرَابِ فِرَاشُهُ ، وَالدُّودِ أُنَيْسُهُ ، وَهُوَ مِنْ هَذَا يَنْتَظِرُ الْفَرْعَ الْأَكْبَرَ ، كَيْفَ يَكُونُ حَالُهُ؟ ثُمَّ يَبْكِي حَتَّى يَسْقُطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ". وَجَاءَ فِي "تَهْذِيبِ الْكَمَالِ" (76 / 32) ، وَكِتَابِ "الْمَحْتَضِرِينَ" ص 146 عَنْ دُرُسِ الْقَزَازِ قَالَ: لَمَّا احْتَضَرَ يَزِيدَ الرَّقَاشِيَّ بَكَى ، فَقِيلَ لَهُ: مَا يَبْكِيكَ - رَحِمَكَ اللَّهُ؟ قَالَ: أَبْكِي عَلَى مَا يَفُوتُنِي مِنَ قِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ ، ثُمَّ بَكَى وَقَالَ: مَنْ يُصَلِّيْ لَكَ يَا يَزِيدُ ، وَمَنْ يَصُومُ؟ وَمَنْ يَتَقَرَّبُ لَكَ إِلَى اللَّهِ بِالأَعْمَالِ بَعْدُكَ؟ وَمَنْ يَتُوبُ لَكَ إِلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ السَّالِفَةِ؟ وَيَحْكُمُ يَا إِخْوَتَاهُ! لَا تَغْتَرَنَّ بِشَبَابِكُمْ ، فَكَأَنَّ قَدْ حَلَّ بِكُمْ مَا حَلَّ بِبِي مِنْ عَظِيمِ الأَمْرِ وَشِدَّةِ كَرْبِ الْمَوْتِ ، النَّجَاءُ ، النَّجَاءُ ، الْحَذَرُ ، الْحَذَرُ يَا إِخْوَتَاهُ ، الْمُبَادَرَةُ بِرَحْمَتِ اللَّهِ". وَكَانَ ابْنُ السَّمَاكِ يَقُولُ: أَلَا مُنْتَبَهُ مِنْ رَقَدَتِهِ؟ أَلَا مُسْتَيْقِظٌ مِنْ غَفْلَتِهِ؟ أَلَا مُفِيقٌ مِنْ سَكْرَتِهِ؟ أَلَا خَائِفٌ مِنْ صَرَغَتِهِ؟ أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَوْ رَأَيْتَ الْقِيَامَةَ تَخْفِقُ بِزَلْزَلِ أَهْوَالِهَا ، وَقَدْ عَلَتْ النَّارُ مُشْرِفَةً عَلَى أَهْلِهَا ، وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ ؛ لَسَرَكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ فِي ذَلِكَ الْجَمْعِ مَنْزِلَةٌ وَزُلْفَى ، أَبْعَدَ الدُّنْيَا دَارَ مَعْتَمَلٍ أَمْ إِلَى غَيْرِ الآخِرَةِ مُنْتَقِلٌ؟ كَلَّا ، وَاللَّهِ لَقَدْ صَمَّتِ الأَسْمَاعُ عَنِ الْمَوَاعِظِ ، وَذَهَلَتِ الْقُلُوبُ عَنِ الْمَنَافِعِ. قَالَ عَقِيلُ بْنُ عَمْرٍو فِي خُطْبَتِهِ: "إِخْوَانِي لَا بُدَّ مِنَ الْفَنَاءِ ، فَلَيْتَ شِعْرِي ، أَيْنَ الْمَلْتَقَى؟ وَقَالَ أَحَدُ الرُّهَادِ: "كُونُوا مِنَ اللَّهِ عَلَى حَذَرٍ ، وَمِنْ دُنْيَاكُمْ عَلَى خَطَرٍ ، وَمِنَ الْمَوْتِ عَلَى وَجَلٍ ، وَلِقُدُومِ الآخِرَةِ عَلَى عَجَلٍ". قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهْمٍ لِابْنِ بَشَّارٍ: "يَا ابْنَ بَشَّارٍ ، مَثَلٌ لِبَصْرِ قَلْبِكَ حُضُورُ مَلَكِ الْمَوْتِ وَأَعْوَانِهِ لِقَبْضِ رُوحِكَ ، فَانظُرْ كَيْفَ تَكُونُ؟ وَمَثَلٌ لَهُ الْقِيَامَةُ وَأَهْوَالُهَا وَأَفْزَاعُهَا ، وَالْعَرْضُ وَالْحِسَابُ وَالْوَقُوفُ فَانظُرْ كَيْفَ تَكُونُ؟ ثُمَّ خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ". يَقُولُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِخْوَانِي ، إِنَّكُمْ تَعْدُونَ وَتَرُوحُونَ فِي أَجَالٍ قَدْ غَيَّبَتْ عَنْكُمْ ، فَانظُرُوا لِخِلَاصِكُمْ قَبْلَ انْقِضَاءِ أَعْمَارِكُمْ ، الْوَحَا... الْوَحَا ، فَالطَّالِبُ حَثِيثٌ ، تَذَكَّرُوا تِلْكَ الصَّرْعَةَ بَيْنَ الأَهْلِ ، وَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى ضَرِّ وَلَا نَفْعٍ ، وَاللَّهِ مَا بَاتَ عَاقِلٌ قَطُّ إِلَّا عَلَى فِرَاشِ حَذَرٍ ، إِنَّمَا هُوَ دَيْبِيبٌ مِنْ سَقَمٍ ، ثُمَّ تُؤَخِّذُونَ بِالْكُظْمِ ، فَإِنَّهُ زَلَّتِ الْقَدَمُ لَمْ يَنْفَعِ نَدَمٌ ، لَا تَوْبَةَ تَنَالُ وَلَا عَثْرَةَ تُقَالُ وَلَا فِدَاءَ بِمَالٍ. وَتَحْتَ عَنَوَانٍ: (الْمَوْتُ عَبْرَ وَعِظَاتٍ) قَالَ الشَّيْخُ نَدَا أَبُو أَحْمَدٍ مَا نَصَهُ بِتَصَرُّفٍ: (الْمَوْتُ) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْمَوْتُ! كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا ، وَلِلْقُلُوبِ مَقْرَحًا ، وَلِلْأَحْبَاءِ مَفْتَتًا ، وَلِلْعَيْنِ مُبْكِيًا ، وَلِلنَّفُوسِ مَحْزَنًا ، وَلِلْجَمَاعَاتِ مُفْرَقًا ، وَلِلذَّاتِ هَادِمًا ، وَلِلْأَمْنِيَّاتِ قَاطِعًا. الْمَوْتُ: يُفَرِّقُ بَيْنَ الأَحْبَابِ وَالْأَصْحَابِ ، وَيُبَاعِدُ بَيْنَ الأَقْرَبِيَاءِ ، وَيَحُولُ بَيْنَ الْقَرْنَاءِ ، وَيَهْدِمُ اللِّدَاتِ ، وَيَقْطَعُ الصَّلَاتِ ، وَيَبْتِئِمُّ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ ، وَيُشْتَتِ الْجَمَاعَاتِ. الْمَوْتُ: لَهُ هَيْبَةٌ تَخْضَعُ لَهَا الرُّؤُوسُ ، وَتَتَحَنَّى لَهَا الظُّهُورُ ، وَلَهُ رَهْبَةٌ تَخْشَعُ لَهَا النُّفُوسُ ، وَتَرْجَفُ مِنْ أَجْلِهَا الْقُلُوبُ. الْمَوْتُ: يَمْضِي فِي طَرِيقِهِ وَلَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَتَلَفَّتُ ، لَا يَسْتَجِيبُ لَصَرَخَةِ مَلْهُوفٍ ، وَلَا لِحَسْرَةِ مُفَارِقٍ ، وَلَا لِرَغْبَةِ رَاغِبٍ ، وَلَا لَخَوْفِ خَائِفٍ ، وَلَا لِلْوَعَةِ أُمَّ ، أَوْ شَفَقَةِ أَبِي ، أَوْ حَنِينِ طِفْلِ. الْمَوْتُ: قَضَاءُ نَافِدٍ ، وَحُكْمٌ شَامِلٌ ، وَأَمْرٌ حَاتِمٌ لَازِمٌ ، لَا تَمْنَعُ مِنْهُ حِصَانَةُ الْقِلَاعِ ، وَلَا يَحُولُ دُونَهُ حِجَابٌ ، وَلَا تَرُدُّ الأَبْوَابُ ، كَمَا قَالَ الْعَزِيزُ الْوَهَّابُ: (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ). الْمَوْتُ: لَا يَخَافُ الأَبَاطِرَةَ وَالْأَكَاسِرَةَ ، وَلَا يَخْشَى الْمُلُوكَ وَالْقِيَاصِرَةَ ، وَلَا يَرْهَبُ الأَمْرَاءَ وَالْقَادَةَ ، وَلَا الزُّعَمَاءَ وَالسَّادَةَ ، يَبْطِشُ بِالْعَظِيمِ كَمَا يَبْطِشُ بِالْحَقِيرِ ، وَيَفْنِي الشَّيْخَ الْكَبِيرَ كَمَا يَفْنِي الْوَلَدَ الصَّغِيرَ ، وَيُهْلِكُ الْكَهْلَ الْقَوِيَّ كَمَا يُهْلِكُ الشَّابَّ الْفَتِي ، لَا يَرْحَمُ مَسْكِينًا وَلَا فَقِيرًا ، وَلَا يَتْرِكُ عَزِيزًا وَلَا دَلِيلًا ، وَلَا يَدْعُ بَارًا تَقِيًّا ، وَلَا جَبْرًا عَصِيًّا ، لَمْ يَنْجُ مِنْهُ أَمِيرٌ أَوْ وَزِيرٌ ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ غَنِيٌّ أَوْ فَقِيرٌ ، وَمَا تَرَكَ نَبِيًّا وَلَا وُلِيًّا وَلَا تَقِيًّا ، وَلَا يُحَابِي زَاهِدًا أَوْ عَابِدًا ، بَلْ شَمِلَ الْمُقَرَّرَ وَالْجَاهِدَ ، وَالصَّحِيحَ وَالسَّقِيمَ ،

والمريض والسليم ، بل لم يسلم منه الملائكة الكرام ، وحملة العرش العظيم ، وجبريل - عليه السلام - وآخر من يموت ملك الموت. الموت: عاقبة كل حي ، وختام كل شيء ، ونهاية كل موجود ، سوى الرب المعبود ، يستوي فيه المالك والمملوك ، والسيد والمسود ، فلا مفر منه ولا محيص عنه ، ولا مناص من سلطانه ، ولا إفلات من شباكه ، فهو سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، فمهما عاش المخلوق فهو إلى الموت صائر ، قال تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ). فالكل سيموت ، غير ذي العزة والجبروت. يقف الأحبة بجوار من ينازع سكرات الموت ، ويتفكرون. أهذا فلان المهاب ، الذي ملأ الدنيا ضجيجاً وصراخاً ، والذي كان منذ قليل يتحرك هنا وهناك؟ هو الآن أصبح جثة هامة لا حراك لها ، قد تقلصت الشفتان ، وثقل اللسان ، وشخصت العينان ، وبردت القدمان ، وانهدت الأركان. إنه منذ قليل كان الكل يهابه ويخشاه ، ويتمنون رضاه ، أما الآن فينظرون إليه نظرة إشفاق. يقال له بلسان الحال: أين لسانك الفصيح؟ ما أسكتك؟ أين صوتك الشجي؟ ما أحرسك؟ أين ريحك العطرة؟ ما أنتك؟ أين حركاتك؟ ما أسكنك؟ أين أموالك الكثيرة؟ ما أفقرك؟ فيا أيها الإنسان. يا من كنت تجري هنا وهناك ، وتمشي على الأرض أو تسبح في الماء ، أو تركب الفلك أو تطير في الهواء ، ولك من المال والأولاد والزوجة الحسنة - سيأتك في يوم من الأيام ملك مهاب لا يستأذن لدخول الأبواب ، ولا يمنعه حجاب ، فأصبحت أيها الإنسان لملك تاركاً ، ولأحبائك مفارقاً ، ولكأس المنية شارباً ، وعلى الله وارداً ، انقطعت الأعمال فلا أنت في حسناتك زائد ، ولا إلى ذنبيك عائد ، إنها مصيبة عظيمة. الموت من أعظم المصائب التي تحل بالإنسان ، وقد سمى الله تعالى في كتابه الكريم: مصيبة ؛ فقال تعالى: (فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ مُمِيتَةٌ). وذلك لأنه تبديل من حال إلى حال ، وانتقال من دار إلى دار ، وهو المصيبة العظمى والرزية الكبرى ، وأعظم منه العفلة عنه ، والإعراض عن ذكره ، وقلة التفكير فيه ، وعدم الاستعداد له. لذا كان السلف الكرام يذكر أحدهم أخاه بالموت وما بعده ؛ حتى يتأهب لهذه اللحظة ولا يغفل عنها ، فالموت خير واعظ. كما جاء في الحديث الذي أخرجه الطبراني أن الحبيب النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (كفى بالموت واعظاً وكفى باليقين غنى). وكان الفضيل رحمه الله يقول: "كفى بالله محباً ، وبالقرآن مؤنساً ، وبالموت واعظاً ، وكفى بخشية الله علماً ، والاعتزاز بالله جهلاً". وجاء في كتاب "التذكرة" للقرطبي ص99: "أنه قيل لبعض الزهاد: ما أبلغ العظمت؟ قال: النظر إلى الأموات". ولقد كتب محمد بن يوسف بن معدان الأصبهاني إلى أخيه عبد الرحمن بن يوسف فقال له: "من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف. سلام عليك. فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد: فإني محدرك متحولك من دار مهلتك إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك ؛ فتصير في قرار باطن الأرض بعد ظهرها فيأتك منكراً وتكبير ، فيقعديك وينتهرك ، فإن يكن الله معك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة ، وإن يكن غير ذلك فاعاذني الله وإياك من سوء مصدع ، وضيق مضجع ، ثم تتبعك صيحة الحشر ، ونفخ الصور ، وقيام الجبار لفصل قضاء الخلاق ، وخلاء الأرض من أهلها ، والسموات من سكانها ، فباحث الأسرار ، وسعرت النار ، ووضعت الموازين ، وحيء بالنبیین والشهداء ، (وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) ، فكم من مفتضح ومستور ، وكم من هالك وناج ، وكم من معدب ومرحوم! فيا ليت شعري... ما حالي وحالك يومئذ؟ ففي هذا ما هدم اللذات ، وسلا عن الشهوات ، وقصر الأمل ؛ فاستيقظ النائمون وحذر الغافلون. أعاننا الله وإياك على هذا الخطر العظيم ، وأوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك موقعها من قلوب المتقين! فإنما نحن به وله. عباد الله ، اسعوا في فكاك رقابكم ، وأجهدوا أنفسكم في خلاصها قبل أن تزهق ، فوالله ما بين أحدكم وبين الندم ، والعلم بأنه قد زلت به القدم إلا أن يحوم عقاب المنية عليه ، ويفوق سهامها إليه ،

فإذا الندم لا ينفع ، وإذا العذر لا يمنع ، وإذا النصير لا يدفع ، وإذا الشفيح لا يشفع ، وإذا الذي فات لا يسترجع ، وإذا البائس المحابي به في النجاة لا يطمع ، فكأنّي بك يا أخي وقد صرخ عليك النسوان ، وبكى عليك الأهل والإخوان ، وفقدك ولدان ، ونفخ لفرقتك الجيران ، ونادى عليك المنادي: قد مات فلان بن فلان ، ثم نقلت عن الأحباب ، وحملت إلى أرماس التراب ، وأضجعوك في محل ضنك ، قصير السمك ، مهول منظره كثير وعره ، مغشي بالوحشة ، عرفته مهول الضريح ، مطبق الصفيح ، على غير مهاد ولا وداد ، ولا مقدمة زاد ولا استعداد". أخي ، من لك إذا ألمّ الألم وسكت الصوت ، وتمكّن الندم ووقع بك الفوت ، وأقبل لأخذ الروح ملك الموت ، وجاءت جنوده وقيل: من راق ، ونزلت منزلاً ليس بمسكون ، وتعوّضت بعد الحركات السكون ، فيا أسفاً لك كيف تكون ، وأهوال القبر لا تطاق ، وفرّق مالك وسكنت الدار ، ودار البلاء فما دار إذ دار وشغلك الوزر عمّن هجر وزار ، ولم ينفك ندم الرفاق. دخل بهاء الدين السبكي على الشيخ برهان الدين الإنباسي يعوده ، وكان تجاههما نعشٌ ، فنظر السبكي إلى النعش ، ثم قال للإنباسي: "يا شيخ برهان الدين ، أتدري ما يقول النعش؟ فقال: إنه يقول:

انظُرْ إِلَيَّ بِعَفْلِكَ *** أَنَا الْمَعْدُ لِحَمْلِكَ

أَنَا سَرِيرُ الْمَنَائِيَا *** كَمْ سَارَ مِثْلِي بِمِثْلِكَ

قال ثابت البناني: أيّ عبدٍ أعظم حالاً من عبد يأتيه ملك الموت وحده ، ويدخل قبره وحده ، ويوقف بين يدي الله وحده ، ومع ذلك ذنوب كثيرة ، ونعم من الله عديدة". وكتب رجلٌ إلى أخ له: "أمّا بعد ، فإن الدنيا حلم ، والآخرة يقظة ، والمتوسط بينهما الموت ، ونحن في أضغاث... والسلام". وجاء في كتاب "حلية الأولياء" (8/ 235) أنّ محمد بن يوسف الأصبهاني كتّب إلى بعض إخوانه فقال: "أقرئ من أقرأتنا منه السلام السّلام ، وتزوّد لأخراك ، وتجاّف عن ذنبيك ، واستعدّ للموت ، وبادر الفوت ، واعلم أنّ أمامك أهوالاً وأفزاعاً قد أرعبت الأنبياء والرّسل... والسلام". ووعظ أعرابيٌّ ابنه فقال له: "أيّ بني ، إنّه من خاف الموت بادر الفوت ، ومن لم يكبح نفسه عن الشّهوات أسرع به التّبعات ، والجنّة والنّار أمامك". جاء في كتاب "صفة الصّفوة" (4/ 215) ، و"تهذيب الكمال" (18/ 15-16): "أنّ عبد الرحمن بن يزيد - وكان له حظّ من دين وعقل - فقال لبعض أصحابه: أبا فلان ، أخبرني عن حالك التي أنت عليها ، أترضاها للموت؟ قال: لا ، قال: فهل أزمعت التحويل إلى حالٍ ترضاها للموت؟ قال: لا ، والله ما تاقّت نفسي إلى ذلك بعد ، قال: فهل بعد الموت دارٌ فيها معتمّل؟ قال: لا ، قال: فهل تأمن أنّ يأتيك الموت وأنت على حالك هذه؟ قال: لا ، قال: ما رأيت مثل هذه حالاً رضي بها ، وأقام عليها - أحسبه قال: - عاقل". يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - في كتابه "التذكرة" ص10: "فتفكّر يا مغرور في الموت وسكرته ، وصعوبة كأسه ومرارته ، فيا للموت من وعدٍ ما أصدقه ومن حاكمٍ ما عدله! كفى بالموت مُقرّحاً للقلوب ومُبكيّاً للعيون ، ومُفرّقاً للجماعات ، وهادمًا للذّات ، وقاطعًا للأمنيات ، فهل تفكّرت يا ابن آدم في يوم مصرعك ، وانتقالك من موضعك ، وإذا نقلت من سعة إلى ضيق ، وخانك الصاحب والرفيق ، وهجرَكَ الأخ والصديق ، وأخذت من فراشك وغطّانك إلى عرر ، وغطّوك بعد لين لحافك بتراب ومدر؟! فيا جامع المال ، والمجتهد في البنيان ، ليس لك والله من مالك إلا الأكفان ، بل هي والله للخراب والذهاب وجسمك للتراب والمآب ، فأين الذي جمعته من مال؟ هل أنقذك من الأهوال؟ كلا ، بل تركته إلى من لا يحمدك ، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك". ويقول القرطبي أيضًا في كتابه "التذكرة" ص91: "يا هذا ، أين الذي جمعته من الأموال ، وأعدده للشدائد والأهوال ، لقد أصبحت كفك منه عند الموت خاليةً صفرًا ، وبُذلت من بعد غناك وعزك ذلاً وفقرًا ، فكيف أصبحت

يا رهينَ أوزاره؟ ويا من سلبَ من أهله ودياره؟ ما كان أخفى عليك سبيل الرشاد ، وأقل اهتمامك لحمل الزاد إلى سفرك البعيد ، وموقفك الصَّعب الشديد! أو ما علمت يا مغرور أن لا بُدَّ من الارتحال إلى يوم شديد الأهوال ، وليس ينفعك ثمَّ قيل ولا قال ، بل يعد عليك بين يدي الملك الديان ، ما بطشت اليدان ، ومشت القدمان ، ونطق به اللسان ، وعملت الجوارح والأركان ، فإنَّ رحمك فإلى الجنان ، وإن كانت الأخرى فإلى النَّيران. يا غافلاً عن هذه الأحوال ، إلى كم هذه الغفلة والتوان! أتحسب أنَّ الأمر صغير ، وتزعم أنَّ الخطب يسير؟ وتظنُّ أن سينفعك حالك إذا آن ارتحالك ، أو ينقذك مالك حين تُوبقك أعمالك ، أو يُغني عنك ندمك إذا زلت بك قدمك ، أو يعطف عليك معشرُك حين يضمُّك محشرُك ، كلا والله ساء ما تتوهم ، ولا بُدَّ لك أن ستعلم ، لا بالكفاف تقنع ، ولا من الحرام تشبع ، ولا للعظمت تسمع ، ولا بالوعيد ترتدع ، دأبك أن تنقلب مع الأهواء ، وتخطب خبط العشواء ، يعجبك التكاثر بما لديك ، ولا تذكر ما بين يديك. يا نائمًا في غفلة ، وفي خبطة يقظان ، إلى كم هذه الغفلة والتوان! أتزعم أن ستثرك سدى ، وألا تُحاسب غذا ، أم تحسب أن الموت يقبل الرشا ، أم يميز بين الأسد والرشا؟ كلا والله لن يدفع عنك الموت مالاً ولا بنون ، ولا ينفع أهل القبور إلا العمل المبرور. فطوبى لمن سمع ووعى ، وحقق ما ادعى ، ونهى النفس عن الهوى ، وعلم أن الفائز من ارعوى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، فانتبه من هذه الرقدة ، واجعل العمل الصالح لك عدة ، ولا تتمن منازل الأبرار ، وأنت مقيم على الأوزار ، عاملٌ بعمل الفجار ، بل أكثر من الأعمال الصالحات ، وراقب الله في الخلوات. رب الأرض والسموات ، ولا يعزرك الأمل ، فتزهّد عن العمل. وعظ أحد الصالحين الناس فقال لهم: "يا أيها الناس ، اعملوا على مهل ، وكونوا من الله - عزَّ وجلَّ - ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل ، ولا تركنوا إلى الدنيا فإنها غدارة خداعة ، قد ترخرقت لكم بغرورها ، وفتنتكم بأمانيتها ، وتزيّنت لخطابها ، فأصبحت كالعروس المحلية ، العيون إليها ناظرة ، والقلوب عليها عاكفة ، والنفوس لها عاشقة ، فكم من عاشقٍ لها قتل ، ومطمئن إليها خذلت! فانظروا إليها بعين الحقيقة ، فإنها دار كثيرة بوانقها ، وذمها خالقها. جديدها يبلى ، وملكها يفنى ، وعزيزها يذلُّ ، وكثيرها يقلُّ ، ودُّها يموت ، وخيرها يفوت ، فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم ، وانتهبوا من رقدتكم قبل أن يُقال: فلان عليل ، أو مدنف ثقيل ، فهل على الدواء من دليل؟! وهل إلى الطبيب من سبيل؟! فتدعى لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ، ثم يُقال: فلان أوصى ولماله أحصى ، ثم يُقال: قد ثقل لسانه فما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه. وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أنينك ، وثبت يقينك ، وطمحت جفونك ، وصدقت ظنونك ، وتلجج لسانك ، وبكى إخوانك. وقيل لك: هذا ابنك فلان ، وهذا أخوك فلان ، ومُنعت من الكلام فلا تنطق ، وختم على لسانك فلا ينطق ، ثم حلَّ بك القضاء ، وانتزعت نفسك من الأعضاء ، ثم عرج بها إلى السماء ، فاجتمع عند ذلك إخوانك ، وأحضرت أكفانك ، فغسلوك وكفنوك ، فانقطع عوادك ، واستراح حسادك ، وانصرفَ أهلك إلى مالك ، وبقيت مرتيناً بأعمالك. يقول القرطبي - رحمه الله -: "مثل نفسك يا مغرور وقد حلت بك السكرات ، ونزل بك الأتئين والغمرات ، فمن قائل يقول: إن فلاناً قد أوصى ، وماله قد أحصى ، ومن قائل يقول: إن فلاناً ثقل لسانه ، فلا يعرف جيرانه ، ولا يكلم إخوانه ، فكأنني أنظر إليك تسمع الخطاب ، ولا تقدر على ردّ الجواب. فخيّل لنفسك يا ابن آدم إذا أخذت لفراشك إلى لوح مُغسلك ، فغسلت الغاسل ، وألبست الأكفان ، وأوحش منك الأهل والجيران ، وبكت عليك الأصحاب والإخوان ، وقال الغاسل: أين زوجة فلان تحالته؟ وأين اليتامى تركمكم أبوكم فما تروّنه بعد هذا اليوم أبداً؟ أيها الغافلون عن الموت ، جدّوا فقد سبقتم واستعدّوا فقد لحقتكم ، وانظروا بماذا من الهوى غلقتكم ، ولا تغفلوا عمّا له خُلفتكم ، ذهبت الأيام وما أطعتم ، وكُتبت الآثام وما أصغيتكم ، وكأنكم بالصادقين قد وصلوا ، وانقطعتم ، أهذا التوبيخ لغيركم؟ أما قد سمعتم؟ اسمعوا عظة الزمان إن كنتم تسمعون ، وتأمّلوا تقلب الأحوال إن كنتم تبصرون.

ذكر القرطبي عن محمد بن القرشي أنه قال: سمعت شيخنا يقول: "أيها الناس. إنني لكم ناصح ، عليكم شفيق ، فاعملوا في ظلمة الليل لظلمة القبور ، وصوموا في الحر قبل يوم النشور ، وحجوا يحط عنكم عظام الأمور ، وتصدقوا مخافة يوم عسير". يا ناسي الموت... كم أسمعك الموت وعيدك ، فلم تنتبه حتى قطع وريدك ، ونقض منزلك وهد مشيبك ، ومزق مالك وفرق عبيدك ، وأخلي دارك وملأ بيدك ، أما رأيت قرينك؟ أما أبصرت فقيدك؟ أين الوالدون وما ولدوا؟ أين الجبارون وأين ما قصدوا؟ أين أرباب المعاصي؟ على ماذا وردوا؟ أما جنوا ثمرات ما جنوا وحصدوا؟ أما قدموا على أعمالهم في مآلهم ووفدوا؟ أما خلوا في ظلمات القبور؟ بكوا والله وانفردوا ، أما ذلوا وقلوا بعد إن عتوا ومردوا؟ أما طلبوا زاداً يكفي في طريقهم ففقدوا ، أما حلّ الموت فحلّ عقد ما عقدوا؟ عاينوا والله كلّ ما قدموا ووجدوا ، فهمنم أقوام شقوا وأقوام سعدوا. أيها الغافل ، كم سكن مثلك في هذا الدار ، فحام الموت حول حماهم ودار! ثم ناهضهم وسلب الجار! فمن أندر قبل هجومه فما جار. يا هذا ، العمر عمرٌ قليل ، وقد مضى أكثره بالتعليل ، وأنت تعرض البيقة للتأويل ، وقد آن الأوان أن يرحل النزير". أيها الغافل، كأنك بالموت وقد اختطفك اختطاف البرق ، ولم تقدر على دفعه عنك بملك الغرب والشرق ، وتأسفت الأسف الشديد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد). يقول ابن الجوزي: "كم يوم غابت شمسك وقلبك غاب! وكم ظلام أسبل ستره وأنت في عجائب! وكم أسبغت عليك نعمة وأنت للمعاصي توائب! وكم صحيفة قد ملأها بالذنوب الكاتب! وكم يندرك سلب رفيقك وأنت لالعاب! يا من يأمن الإقامة قد زمت الركائب ، أفق من سكرتك قبل حسرتك على المعاييب ، وتذكر نزول حفرتك وهجران الأقارب ، وانهض عن بساط الرقاد وقل: أنا تائب ، وبإدب تحصيل الفضائل قبل فوت المطالب ، فالسائق حثيث ، والحادي مجذ ، والموت طالب! اعلم يا ابن آدم أنك لدنياك مفارق ، ولسكرات الموت ذائق وللقبر ساكن ، وبين يدي ربك واقف ، وعن أعمالك وأقوالك مسؤول ، فأعد للسؤال جواباً ، وللجواب صواباً ، واعلم أن الحساب دقيق ، والناقد بصير ، وهو على كلّ شيء قدير. جاء في "التبصرة" (2/ 206): يا غافلاً عن نفسه ، أمرك عجيب ، يا قاتيل الهوى ، داؤك غريب ، يا طويل الأمل ، سئدعي فتجيب ، وهذا عن قريب ، وكلّ أت قريب ، هلا تذكرت لحدك ، كيف تبيت وحدك ، ويباشر الثرى خدك ، وتقتسم الديدان جلدك ، ويضحك المحبُّ بعدك ، ناسياً عنه بعدك؟! والأهل مذ وجدوا المال ما وجدوا فقدك ، إلى متى وحتى متى تترك رشداك؟! أما تحسن أن تحسن قصدك؟! الأمل جد مجد ، فلازم جدك". أيها الغافل عن الموت بإدب قبل الفوت. يقول شميظ بن عجلان - رحمه الله - كما في "صفة الصفوة" (3/ 347) ، و"قصر الأمل" ؛ لابن أبي الدنيا ص26: "أيها المغتر بطول صحته ، أما رأيت ميئاً قط من غير سقم؟ أيها المغتر بطول المهلة ، أما رأيت مأخوذاً قط من غير عدة؟ إنك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدّم من لذاتك. أبالصحة تغترون ، أم بطول العافية تمرحون ، أم للموت تأمنون ، أم على ملك الموت تجترون؟! إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك. أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط؟ ثم قال: رحِمَ الله عبداً عمِلَ لساعة الموت ، رحِمَ الله عبداً عملَ لما بعد الموت ، رحِمَ الله عبداً نظرَ لنفسه قبل نزول الموت". اهـ. والآن لنتابع قراءة جزئنا الثاني من: (القبور تتكلم) وعنوانه: (نصيحة لزائري القبور)! ويعقبه الجزء الثالث إن كان في العمر بقية! وأسأل الله أن ينفع به من كتب وقرأ ونشر! هو ولي ذلك والقادر الوحيد عليه!

انظر الأجدات ، واستقص الخبر

وارحم الموتى ، وأشفيق ، واحترم أخذة الموت ، وللهول انكسر

وتفكر في الذي تحوي الحُفْر
واعتبر - يا صاح - بالعظم النخر
إن أطل العبد - في القبر - النظر
ينهش اللحم ، فلا يبقى أثر
عمل الإنسان ضيفاً مستقر
حل ميعاد النشور المنتظر
ودخول القبر حثم مستطر
وقضاء الله آت والقدر
فاجتهد في السعي واصبر واصطر
نصب عينيك حكايًا كالسير
دون إمهال كلمح بالبصر!
بعدما الآيات جاءت والنذر!
سَرُّها يكوي قلوباً تعتبر!
فمكان القلب قد حل الحجر!
عن سناء يصرف النفس الخور
ملك الدنيا ، وبالْبأس اشتهر!
رغم أنف الكل قطعان البشر
والرعايا - حوله - مثل العجر
وبما أحدث باهى ، وافتخر
فاستمى شأنُ التدني ، وانتشر
وأجاد اللوم - جهراً - والدبر!

هذب النفس ، وأزمها الحيا
حُرمة الأموات لا ، لا تنتهك
إنه القبر يُبكي ناظراً
بيت دود ، دودة لا يرعو!
وهو بيتٌ موحشٌ مستوحش!
وهو مأوى غربةٍ إنهاؤها
والمقادير لها أسبابها
والبرايا قدرت أعمارها
والمنايا والبلايا سُجلت
وتأمل في مقادير السورى
كم طوى الموت فراعين الدنيا
كم دهى الموت أناساً عربدوا
كم عظامٍ صاغها الموت لنا
أي قلب عافٍ وعظماً جاءه
قد رأيت الموت أرجى واعظ
كم دروس ساقها عن ميت
غرة السلطان ، وانقادت له
وانبرى يختال في أهوائه
أفسد الدنيا ، وأغوى أهلها
زاعماً أن الدنيا رفعة
حارب الحق ، وعادى أهله

بإذلاً مُر الأذى في كيدهم
مُعِلاً سيف الردى في قهرهم
ثم حاك الزيغَ عنهم والفري
واسـتقرَ الأمرُ: رأسٌ صادقٌ
ثم جاءَ الموتُ يُردِي المفتري!
قال للحجّاب: هيا أحضروا
وعَـة هـذي ، سيُـهـيها الدوا
وأتى الطبُّ ، وأدلى دلوه
خيمَ الموتُ ، وألقى سـيـتره
نفضَ (الدكتور) كفي عاجز
لم تعدْ تُجدي العقاقيرُ التي
فاحملوها جثّة أفضت إلى
كم تلا الموتُ عباراتِ الأسى
أهلُ علمٍ بينوا سبيل الهدى
شرفوا الدنيا بما هم خلفوا
في بقاع الأرض ذرّوا علمهم
والتلاميذ أتوا من بعدهم
فاستفادَ الناسُ من تعليمهم
ثم ماتوا ، والعلومُ لم تمت
والقبورُ غيّبت أجسامهم
لا يزال الدهرُ يُعلي شأنهم
قبرٌ كلٌّ منهم مُستودعٌ

وعلى أعلامهم كالضرر
غال بعضاً ، ثم بعضاً قد قهر
مثلما يحتال كذابٌ أشـر
والألى صدّوه هم أشقى الزمر
فإذا بالخـب أضحى يحتضر
أهل طبي يرفعوا عني الخطر
ومن الأسقام قد يُنجي الحذر
أين مما قدر المولى ورر؟!
أي طب يبتلي هذي السـُـثر؟!
مُلقياً كل الأحاجي والإبر
أنتج الطبُّ ، فقد ولي العُمر!
كل أعمال إليها تفتقر
عن أناس شمسنا هم والقمر!
وأبانوا الرشـدَ في خالي العُمر
من علوم كم حوت أحلى الدرر!
ولهم في نشره أرجى السير
بإذلين الجهدَ في بذر الفـِـكر
والأنـوا - للتلاميذ - العـبر
ولها دوماً - على الجهل - الظفر
لكن الذكرى تُسلي من ذكر
ولهم - بين البرايا - ينتصر
لرُفاتٍ ما ثوى فيها الخبر

الجثامينُ مضتْ ، والعِلمُ قرأ!
وتأملن ، وتبصّرُن ، وادكرن!
إن تملئ القلبُ يوماً ، وافتكر
بخلال الخير والحسنى أمر
في الضلالات - تمادي - والسُعر
لحديث القبر ، واعقلن ، واعتبر
فاقرأ الأقوال ، وابحث في الأثر
بل حديثاً فيه أسمى مُزدجر
كنت أولى بدموع تنحدر
فيه نيران ، أتشه من سقر؟!
في ذنوب بات - منها - يستعر
ضم جثماناً فآذى واعتصر؟!
فراك الناس تجتزر السمرا؟!
وقت غير لم يُزلزله الكبر؟!
كل كفٍ - بهواها - تاتزرا!
وقم الشرهان منها لم يذر
وقضى - من نهمة الأكل - الوطر
تعس المذمن ، أشجاه الخدر!
قاصداً فيه التلهي والسهرا!
ينفخ النرجيل وهاج الشررا!
ويلي دُخانَه ريح قذر

إيه يا قبراً حوى أهل الهدى!
زائر القبر تادب ، وارتدع
قد يُفئق القبر قلباً هانماً
قد تهز الروح ذكرى ميت
قد يُعيد القبر عبداً شارداً
زائر القبر تلطف ، وانتصت
إن - للقبر - كلاماً قاله
لم يكن قط حديثاً مفتري
لم جف الدمع ، واغتيل البكا؟
كيف تهذي عند قبر ربما
تحرق المييت صُبحاً والمسا
كيف لم يهزمك قبر ربما
كيف لم يرددك قبر عن هوى
كيف تلهو بالنكات استغرقت
وعجيب أمر كفي غافل
كفك اليمنى بها الحوى شدت
طابت الحوى فأفنى ما اشتهى
واليئسرى بها سيجارة
وي كان القبر ملهى جاءه
وي كان القبر مقهى زاره
تشمنز النفس من دُخانَه

هل رَشِيدٌ بِسُمومٍ يَنْتَحِرُ؟!
يُنْسِيهِ الْقَبْرِ الْهُوَى كِي يَنْزَجِرُ!
عَمِيَ الْقَلْبُ - لَدِيهِ - وَالْبَصَرُ!
هل - مع الإصرار - ذَنْبٌ يُغْتَفَرُ؟!
فِتْنَةُ الدُّنْيَا وَأَوْهَامُ الْبَطْرِ
عِبْرَةٌ تُورِثُ - فِي النَّفْسِ - الضَّجْرُ
وَأَرَانَا - بَعْدَ حِينٍ - فِي الْأَثَرِ
مَنْ جَنَّانٌ فِي جَوَارِ الْمَقْتَدَرِ؟
مَنْ جَحِيمٌ ، ثُمَّ فِي الْأُخْرَى سَقْرُ؟!
فَرْحَةٌ فِي الْقَلْبِ تَعْلُوهَا الْبُشْرُ
فَتَرَى الدَّمْعَ غَزِيْرًا يَنْهَمُرُ
كَمْ بِهَذَا الذِّكْرِ نَفْسٌ تَنْكَسِرُ!
رُبَّ نَصْحٍ سَاقٍ - لِلْغَافِي - الْعَبْرِ!
رَاحِلٌ أَنْتِ ، تَهِيْأُ لِلْسَفْرِ!
فَتَأْهَبُ لِلْقَاءِ الْمَقْتَدَرِ!
وَاعْظِ الْمَوْتَ رَضِيًّا بِالْقَدْرِ
مَسْتَعْدًّا قَدْ أَفَادَتْكَ النَّذْرُ
بِسُنَا التَّقْوَى وَسَعْيِ مُدَاخِرِ
وَبِأَفْعَالٍ وَأَقْوَالٍ أُخْرِ
فِي دَجَى اللَّيْلِ ، وَفِي وَقْتِ السَّحْرِ
وَسَيَبْقَى وَجْهٌ خَالِقُ الْبَشْرِ!

تَعَسَّ التَّدْخِيْنُ يُرْدِيْ أَهْلَهُ
يُشْعِلُ السِّيْجَارَ عِنْدَ الْقَبْرِ ، لَمْ
وَالْمَزَاجُ الْعَذْبُ نَاجِيْ عَابِثًا!
خَابَ كَيْفَ كَمْ يُدَسِّيْ مُدْمِنًا!
ضَجْعَةُ الْقَبْرِ تَقِيْ مَنْ شَيَّعُوا
كُلَّ مَجْنُوْزٍ لَهْ فِي قَبْرِهْ
رَحَلَ الْمَجْنُوْزُ عَنْهَا مُكْرَهًا
هَلْ يَكُوْنُ الْقَبْرُ أَحْلَى رَوْضَةٍ
أَمْ يَكُوْنُ الْقَبْرُ أَشْقَى حُفْرَةٍ
إِنْ فِي الْقَبْرِ عِظَاتٍ تَجْتَنِيْ
وَدُرُوسًا تَدْمَعُ الْعَيْنُ لَهَا
وَلِذِكْرِ الْمَوْتِ أَخْذُ صَاعِقٍ
زَائِرِ الْقَبْرِ أَطْعَمِيْ ، وَانْتَصَحِ
خَفَّ مِنْ الْقَبْرِ ، وَجَهَّزْ زَادَهُ!
رَبِّمَا وَافَاكَ مَوْتُ مُزْمَعٍ
رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا يُصْغِيْ إِلَيَّ
هَادِمُ اللَّذَاتِ آتٍ ، فَالْقَدَةُ
سَوْفَ يَأْتِيْ بَغْتَةً ، فَاْمَهْذِلُهُ
وَبِأَعْمَالٍ تُنَجِّيْ عَامِلًا
وَإِذْغُ رَبِّ النَّاسِ ، وَانْشُدْ عَوْنَهُ
كَتَبَ الْمَوْلَى عَلَى الْخَلْقِ الْفَنَاءَ

أصهارٌ خارج نطاق الخدمة!

(زوّجوا ابنتهم لرجل لا يقل عنهم نسباً ولا حساباً ولا جاهاً ولا مالاً ، هذا إن لم يزد! وأظهروا المودة والولاء في بداية الزواج! وطمعوا في أن يخلعوه من أهله كما يفعل كثير من الأصهار والضعاء. ودبروا من المكائد والذسائس والحيل والأحاجي والمقابل ما يُفسد ذات البين ويوجد الشقاق والخلاف. وافتعلوا من الأقاويل والأضاليل والأباطيل ما يُعكّر صفو ماء البحر المحيط. ولكن باعت كل محاولاتهم وجميع مكائدهم بالفشل الذريع لأنهم وجدوا زوج ابنتهم جواداً شهماً عاقلاً حصيماً رزيناً ، يزن الأمور بميزان الشرع ويضع الأمور في نصابها ، فيبذل لكل ذي حق حقه مبتدئاً بنفسه وزوجه وأهله وجيرانه ، ومنتهاياً بأصهاره ومن يُميت لهم بصلة. فلما وجدوا منه ذلك عمدوا إلى الخلاص منه بحمله على الطلاق والفرار! وكانت محاولات للإصلاح متعددة ، ولكنها كانت دون جدوى بسبب صلف وعناد الأصهار الذين حملهم الجهل والغشم على أن يكون حلمهم الأعظم هو أن تُطلق ابنتهم من زوجها متعامين عن قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (من خَبب امرأة على زوجها فليس منا). فهل يضمنون زوجاً غيره يكون في نفس اعتداله وذات عدله؟ فاعتبرتهم أصهاراً يعيشون على هامش الحياة ولا يواكبون الزمن ولا يسايرون عجلة الحياة! فكانوا أشبه بالهاتف الذي يُعتبر خارج نطاق الخدمة فلا يرسل ولا يستقبل! فله شكل الهاتف وانتفت عنه حقيقته! فلهم شكل الأصهار والأقارب ، ولكنهم لا يدركون معنى الكلمة اللغوي ، فضلاً عن معناها الحياتي! ففضحتهم هذه القصيدة!)

لم يَخْنِي تَأْوِيلُ هَذَا التَّجَافِي	ليس طَبْعاً فِي السَّادَةِ الْأَشْرَافِ
أَنْ قَوْمًا يَخَيِّونَ دُونَ التَّزَامِ	وَاقْتِدَاءِ بِالصَّفْوَةِ الْأَسْلَافِ
تَخَذُوا الْأَهْوَاءَ الْمُقَيَّتَةَ نَهْجًا	مُشْهَرِينَ إِعْرَاضَهُمْ وَالتَّجَافِي
فَأَهْمَ عَادَاتٍ تُخَالِفُ شَرْعًا	وَعَلَى التَّحْرِيمِ الدَّلِيلِ الْوَافِي
قَاتِعِينَ بِالسَّوْءِ سَمَمًا وَهَدِيًا	فِي تِلَاحِي عِزٍّ وَفِي اسْتِشْرَافِ
رَاغِبِينَ عَنِ هَذِي رَبِّ الْبِرَايَا	وَالْهُدَى حَقًّا فِيهِ الدَّوَاءُ الشَّافِي
زَاعِمِينَ أَنْ فِي التَّدْنِي سُمْوًا	وَالتَّدْنِي دَرْبُ الْجِمَامِ الذَّعَافِ
جَاعِلِينَ الضَّلَالَ نَوْرًا مُبِينًا	وَالضَّلَالَ يُفْضِي إِلَى الْإِسْدَافِ
كَيْفَ سَوَّوْا بَيْنَ النِّقَا وَالتَّدَسِّي	بَيْنَ كَلِّ لَيْسَ اسْتَوَّوْا أَوْ تَكَافِي
كَيْفَ زَلَّوْا وَعَرَبَدُوا وَاسْتَخَفَّوْا!؟	هَلْ تُثَالِ التَّقْوَى بِالْإِسْتِخْفَافِ!؟
زَوَّجُوا بِنْتًا ، ثُمَّ صَاغَوْا شَرُوطًا	لَمْ تَكُنْ فِي شَرَعِ الْمَلِيكَ الْكَافِي
ثُمَّ رَاحُوا يَسْتَهْدِفُونَ جِمَاهَا	لَيْتَ شَعْرِي مَا قَصْدُ الْإِسْتِهْدَافِ!
ثُمَّ بَاتُوا يَسْتَكْثِرُونَ صِبَاهَا	بِازْدِرَائِ عَلَى الْعَرِيْسِ الْغَافِي

وارتأوها أعلى من الزوج شأناً
إن يكن هذا مذهباً مستساغاً
أيها الأصهار الصراحة أولى
والتجني لا ، ليس يبني بيوتاً
كم مكرتم! والمكر يُشقي ويُخزي
كم حبكتم أخزي المكائد عمداً
ثم كان التخبيبُ دون احترام
ورحى الإفساد المدمر دارت
ودعاوى التظليق دفت ورفث
والأسافينُ تسببُ تبيح التآخي
والأباطيلُ تلبسُ الصدقَ ثوباً
والأقاويلُ ساقها كل خب
والأضاليلُ أججت نارَ خلفِ
والأحاجي تُحاكُ سرّاً وجهراً
يمكرون ، والله أخيرُ مكرراً
يحلّمون بعودة البنيت حيرى
سربلواها بالوهم يفري خلاها
بل جفوها ، وأمعنوا في التشفي
هل حلال أن يذهبوا بصباها
جمعت آي الجمال ، فصادت
ثم ضمت للحسن أندى السجايا
فإذا بالأهلين ناراً عليها

تعسوا! هل هذا من الإنصاف؟!
لم قلت نضبوا إلى استعفاف؟!
والوضوح يُردي روي القافي
بل يُصيب البيوت بالإتلاف
عندما يُقصي وازعُ الإيلاف!
آخذين الشورى من الأحلاف!
فيه غالى موافقٌ ومُنافي
وسنط باحات الروضة المنفاف
دون نقض يُرجى أو استئناف
تجتني جبراً أعذب الأطفاف
ثم تُخفي مرارة الإعتساف
يشتهي محو سؤددٍ وطراف
رغم أن لم ينشب سعي خلاف
والذي يبدو فائح الإسفاف
إن ربي نصيرُ كل الضعاف
بين عدل ثوى وظلم مُجافي
لم يقل دهبان لها: لا تخافي
وأجادوا زرع الجفا باحتراف
غضة كانت عذبة الأعطاف
أعين القوم والقلوب الهوافي
حيث باتت في أكمل الأوصاف
عندما ثاروا ثورة الأجلاف!

وأذاقوها لوعاة الإجحاف
هل يُداوى الخِصام بالإرجاف؟!
أين ولت نساءم الألطاف؟!
وتحايا زينت بالاسـتظراف؟!
تشرعون في حرب الاستنزاف؟!
إن دهنكم في صولة الإسراف؟!
يقبل الضيم سيدياً غير هاف؟!
واقبلوا النصح من فؤاد صاف
مفعماً بالحسنى وعذب القوافي
نَدَّ عن إكفاءٍ وعن إصراف
عاطر الذكرى طيب الألاف
والعوار - في الأمر - ليس بخاف
فاقرأوه ، ودارسوا بانتلاف
حيثُ تأبى تجاوز الأعراف
والبديلُ عنه الرضا والتصافي
هل بديلٌ عن شرع ذي الألطاف؟!
لا لأهل بُهتٍ غلاظٍ خفاف
فيه غارت قوادمٌ وخوافي!
والضحايا في الكُثب بالآلاف
يرتضي القهرَ لو حيا في الفيافي!
واكفني شر المعتدي يا كافي!

جَرَّعوها الزقومَ دون احتراز
هل يُداوى الخِلافُ بالكيد طيباً؟!
أين ودّ في خطبةٍ واحتفال؟!
أين ولت مجاملاتٍ وعطف
كيف يتم أعداء في ساح هيجا
هل أمنتم - بعد الطلاق - المنايا
هل ضمنتم زوجاً بديلاً مطيعاً
أيها القوم أقصروا ، واستفيقوا
صغته نصاً سامياً مستنيفاً
لم أجامل في النظم طرفة عين
واجتهدتُ في أن يكون رصيناً
كلُّ ما جنتم هادمٌ ليس بيني
لا يُقر القرآنُ هذي الخطايا
والتقاليدُ لا تُقرر التعدي
صدقوني التخبيبُ عارٌ عليكم
عالجوا الإشكالات بالشرع تُخذ
بنيتكم تأوي لرشدٍ يواسي
لا أراكم حرباً ضروساً وجيشاً
أيقنوا عهدُ العنتريات والى
لم يغدُ للإجبار والقهر جيلٌ
رب إنني بلغتُ قومي فاشهدُ

قبيلة خلعت بُرُقع الحياء!

(في الجاهلية الغابرة كانت الجاهلية الأولى تخلع من الرجال من يخالف عن عُرْفها وتقاليدها وعاداتها وسلومها ، فتكون منه الأفعال والأقوال والأعمال التي تُشِين القبيلة أو تحط من شأنها ، أو يرتكب جريمة في حق قبيلة أخرى فيها ديات وحقوق للآخرين! ويسمى الرجل (خلع القبيلة) ، فلا يتعامل معه أحد ، ولا يعترف به أحد! وذلك ليذوق وبال أمره من مخافة القبيلة وإتيان ما يشينها ويُزري بها بين القبائل! ولكن في الجالية الحاضرة يختلف الحال تماماً! حيث تخلع القبيلة الرجل المحترم الشهم الفذ العفيف الشريف صاحب المروعة والنجدة! ونسأل: لماذا؟ فيكون الجواب: لأنه إنسان ذو خلق ودين وعفةٍ وشرف! أن شعار القبيلة أصبح شعار قوم نبي الله لوط – صلى الله عليه وسلم - : (أخرجوا آل لوطٍ من قريبتكم)! وإذا بحديثيات الحكم بعد ذلك تجيء لتبين السبب وتفصل العلة: (إنهم أناس يتطهرون)! وكأن القبيلة بذلك قد خلعت بُرُقع لحياء ، وأصبحت بقايا حيائها بقايا عهر! وغدا الانتساب إليها عاراً أي عار! وعندما حكى لي أحد الرجال قصته مع قبيلته آيئت على نفسي أن أصوغ مأساته في قبيلته شعراً! مندداً بقبيلة هي أسوأ وأضل في جاهليتها الحاضرة من شتى القبائل في الجاهلية الغابرة! حيث إن هذا الرجل كان قد بذل الغالي والنفيس ، نعم بذل ما يملك وما لا يملك مضحياً بنفسه وزوجه وولده وبيته في سبيل رفعة وعلو وسمو وسعادة قبيلته! في الوقت الذي جعلت القبيلة رد الجميل النكران وخلع الرجل منها وعدم توقيره فضلاً عن الاعتراف به بين الناس والعوائل! ويتضح لأمر أكثر إذا عقدنا مقارنة بين الجاهلية الغابرة والجاهلية المعاصرة في مبدأ خلع الرجل في كل منهما! يقول الدكتور شوقي ضيف في مصنفه الرائع: (تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي) المجلد: 1 الصفحة: 67 ما نصه: (كانت القبيلة في العصر الجاهلي تتألف من ثلاث طبقات: أبناؤها: وهم الذين يربط بينهم الدم والنسب وهم عمادها وقوامها ، والعبيد: وهم رقيقها المجلوب من البلاد الأجنبية المجاورة وخاصة الحبشة ، والموالي: وهم عتقاؤها ، ويدخل فيهم الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم وفتهم عنها ؛ لكثرة جرائمهم وجنایاتهم. وكانوا يعلنون هذا الخلع على رؤوس الأشهاد في أسواقهم ومجامعهم ، وقد يستجير الخلع بقبيلة أخرى فتجيره ، وبذلك يصبح له حق التوطن في القبيلة الجديدة ، كما يصبح من واجبه الوفاء بجميع حقوقها مثله مثل أبنائها. ومن هؤلاء الخلعاء طائفة الصعاليك المشهورة ، وكانوا يمضون على وجوههم في الصحراء ، يتخذون النهب وقطع الطريق سيرتهم ودأبهم ، على نحو ما نعرف عن تابط شراً والسلوك بن السلوك والشنقري. على أن منهم من كان يظل في قبيلته لفضل فيه مثل عروة بن الورد ، وكان كريماً فياضاً ، وأثر عنه أنه كان يجمع إلى خيمته فقراء قبيلته عيس ومعوزيها ومرضاها ، متخذاً لهم حظائر يأوون فيها ، قاسماً بينه وبينهم مغانمه. وهذا الخلع إنما كان يحدث في حالات شاذة ، أما بعد ذلك فإن أفراد القبيلة كانوا متضامنين أشد ما يكون التضامن وأوثقه ، وهو تضامن أحكم عراه حرصهم على الشرف وقد تكونت حوله مجموعة من الخلال الكريمة لعل خير كلمة تجمعها هي كلمة المروعة التي تضم مناقبهم، من مثل الحلم والكرم والوفاء وحماية الجار وسعة الصدر والإعراض عن شتم اللئيم والغضب عن العوراء).هـ. وإذن فخلع القبيلة لأحد أفرادها أمر ضارب بجذوره في عمق التاريخ الإنساني ، وربما كانت له مبرراته وحيثياته في القديم ، وقد عُرفَ وساد ثم باد ، فلقد أزالها النبي – صلى الله عليه وسلم – ، بل أزال الجاهلية برُمتها ، وأحل محلها الإسلام ذلك الدين العظيم! فما باله اليوم قد عاد ، وفي صورةٍ هي الأسوأ مما كانت عليه في الجاهلية الغابرة!؟

يقول الأستاذ محمد شعبان ما نصه: (لكل مجتمع مفرداته الخاصة التي تقسمه طبقات وفئات وفقاً لمعطيات الثروة والسلطة. واستتبع التفاوت في الملكية وفي المعيشة عند العرب قبل الإسلام تمايزاً اجتماعياً بين أفراد القبيلة الواحدة - خاصة في الحضر - ما أدى إلى انقسام أبنائها الأحرار إلى أغنياء وفقراء ، إضافة إلى الانقسام الذي كان قائماً بين الأحرار و"العبيد". انقسم المجتمع العربي في الجاهلية ثلاث طبقات نتيجة الوضع الاقتصادي والمكانة الاجتماعية ، وكانت كل طبقة تتكون من طبقات أخرى داخلية. الطبقة العليا: يدخل فيها أبناء القبيلة الأحرار الذين يرتبطون في ما بينهم برابطة الدم والنسب والجد المشترك ، وهم عمادها وقوامها. قال الدكتور محمد سهيل قطوش في كتابه "تاريخ العرب قبل الإسلام" ما نصه: (إن أبناء هذه الطبقة كانوا يهتبون لتلبية نداء القبيلة والتضامن معها ظالمة أو مظلومة ، وفي المقابل تعمد القبيلة إلى حمايتهم وتمنحهم حق التصرف في واحد من أهم مظاهر الشرف والرفعة في هذا المجتمع وهو الإجارة ، فكان المجير يدخل في حماية من أجاره من أفراد القبيلة فيدافع عنه ويقاوم من يتعرض له بالأذى ، ويلزم بذلك قبيلته ، مما عرض القبائل لكثير من المشكلات ، وفرض مسؤوليات وتضحيات عديدة عليها ، وكان المجير يعلن الإجارة على الملأ صراحة بقوله: "قد لزمني ذمامك وأنا مانعك مما أمنع نفسي وأهلي وولدي منه).هـ. وتشكلت الأرستقراطية العربية من رؤساء القبائل وأعيانها وأقاربهم ، فمنهم التجار وأصحاب الإقطاعات الكبيرة في الحواضر والمناطق الزراعية والرعية ، وقد تركزت الثروات في أيديهم. وتمايز أعضاء هذه الطبقة عن فقراء القبيلة ومعدميها في مظاهر عديدة أبرزها تملكهم أعداداً كثيرة من أصناف الماشية لا سيما الإبل ، فضلاً عن مساحات واسعة من مناطق الرعي. وذكر قطوش إن هذا التغلغل المادي أثر في نفوس أصحاب هذه الطبقة ، وظهرت آثاره في الديات ، ففي حين كانت دية الحر الشريف تصل إلى الألف من الإبل ، كانت دية غيره من الأفراد الفقراء أو المعدمين لا تكاد تصل إلى النصف من هذه القيمة. كما تميز الأعيان بنصب خيامهم في الروابي المشرفة على سائر أبناء القبيلة ، واقتناء السجاد النفيس والأواني المعدنية والزجاجية المرتفعة الثمن ، وأجود أنواع الأسلحة ، وأجمل أسرجة الخيل والإبل. وقال الدكتور جواد علي في كتابه: "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" إن رجال الدين كانوا ضلعاً أساسياً في هذه الطبقة فكان لهم امتيازات خاصة، لأنها ألسنة الآلهة الناطقة على هذه الأرض ، والأمره والناحية ، وهم من يخلون ويحرمون، لذا كان لهم أموال وأملاك ، ولهم على الناس حقوق يأخذونها منهم، وارتببت مصالحهم بمصالح الحكام. الطبقة الوسطى: حيث يشكل الموالي عماد هذه الطبقة. قالت الدكتورة ديزيرة سقال في كتابها: "العرب في العصر الجاهلي" ما نصه: (إن الموالي هم الذين تعتقهم القبيلة بعد أن كانوا رقيقاً فارتقوا من الطبقة الدنيا إلى الطبقة المتوسطة. الخلعاء أيضاً جزء أساسي من تكوين هذه الطبقة ، وهم أفراد تخلعهم القبيلة لسوء سيرتهم ، ويكون هذا الخلع علناً أمام الناس وفي الأسواق والمجامع. ومعنى الخلع هو التبرؤ من الفرد ، فلا تدافع عنه قبيلته ، ولا تجيره ، ولا تقع عليها تبعات أعماله. والخلع أقصى عقوبة يمكن أن تلجأ إليها القبيلة ، لأن المخلوع عندئذ يشبه في أيامنا الفرد الذي نفته الحكومة من وطنه ، وقد يستجير الخلع بقبيلة أخرى ، فيوفيها جميع حقوقها كما ذكرت سقال. وينتمي الصعاليك إلى الطبقة الوسطى. قال قطوش: إنهم فئة من الفقراء أفرزهم توزيع الثروة والتمايز الاجتماعي ، فانسلخوا عن قبائلهم تعبيراً عن تمللهم من الفقر والجوع والحرمان والشقاء والازدراء الذي كانوا يعانونه ، واحترفوا اللصوصية ليغنموا عنوة

ما حُرِّموا منه. الأعيان ، الموالى ، الخلعاء ، الصعاليك... تعرفوا على التراتبية الاجتماعية لدى العرب قبل الإسلام! والأعربة أيضاً ينتمون إلى هذه الطبقة. وهم أصحاب البشرة السوداء الذين ورثوا سواد البشرة من أمهاتهم الإماماء ، فلم يعترف بهم أبائهم العرب ولم ينسبوا إليهم لأن دماءهم ليست عربية خالصة ، حسبما ذكر طقوش. الطبقة الدنيا: وتشكل هذه الطبقة شريحة كبيرة في المجتمع القبلي في العصر الجاهلي ، وتضم العبيد أصحاب البشرة السوداء والرقيق الأبيض والأسود. ذكر جواد علي أن العبيد هم حاصل الحروب ، فإذا وقع إنسان أسيراً في غزو أو حرب صار ملكاً لأسره ، إن شاء مَنْ عليه ففك رقبتة ، وإن شاء ملكه فصار عبداً له يحتفظ به إن أراد ، أو يهديه لغيره فيصير في ملك من أهدي له ، أو أن يبيعه ، فيقبض ثمنه ، فتنقل ملكية العبد إلى شاربيه. التجارة مورد آخر أمد الجاهليين بالعبيد ، واختص بها قوم عرفوا بالنجاسين ، كانوا يأتون بالرقيق من مختلف الأماكن ويبيعونه وكانت تجارة رابحة. ومن العبيد قوم كانوا مدينين فلم يتمكنوا من سداد ديونهم فبيعوا رقيقاً ، ومنهم من صار رقيقاً لعدم تمكنه من دفع مال يجب عليه تأديته ، كالذي روى من تقامر أبي لهب والعاص بن هشام على أن من قُمر صار عبداً لصاحبه ، فقمره أبو لهب فاسترقاه واسترعاه إبله. وذكر علي أن كثيراً من ملاك الرقيق كانوا ذوي قلوب غلاظ لا يرحمون عبيدهم ولا يرفقون بهم ، وإذا شهد العبد غزواً أو حرباً وغنم فلا يعطى حقه له ، وكان يؤخذ سهمه ويعطى إلى سيده ، ولم يكونوا يثقون بأمانة رقيقهم ، لذلك حقد الرقيق على ساداتهم ، وانضموا إلى أعدائهم إن وجدوا فرصة مؤاتية لهم أملاً بإصلاح الحال. ولما حاصر الرسول الطائف نادى مناديه "أيما عبد نزل فهو حر وولاؤه له ورسوله" فنزل جمع منهم وأسلموا وصاروا أحراراً. ويقول طقوش في كتابه عنهم: إن العبيد سكنوا أكواخاً حقيرة وعاشوا بضنك ، نتيجة الحرمان والجوع ، وجردوا من جميع الحقوق ، وفُرضت عليهم واجبات مرهقة سلبتهم إنسانيتهم وباعدت بينهم وبين الحد الأدنى من الحياة الكريمة ، فليس للعبد أن يتزوج إلا بإذن سيده على أن يتزوج عبدة (أمة) مثله. والتقسيمات الطبقيّة التي عرفها المجتمع الحضري لم يعرفها المجتمع البدوي ، أي: مجتمع الأعراب. قال علي إن هذا المجتمع كان ساذجاً وليس في تكوينه تعقيد ولا تعدد طبقات ، إذ صقلت البادية أهلها وبسطت لهم أسلوب الحياة ، وقلصت من الفوارق الطبقيّة ، ومن ثم لم تشهد بلاد البدو اختلافاً كبيراً في منازل الناس ، وتركزت الطبقات في سادات القبائل وهم رؤساء القبيلة وأشرفها وأحدهم سيد القبيلة أو رئيسها ، ثم أشرف العشائر ولهم أموال ورقيق يخدمونهم. أما سواد القبيلة ، فهم منتشرون في أرض القبيلة على هيئة مجتمعات صغيرة متفرقة مبعثرة نظراً لضيق العيش الذي لا يساعد على تجمع أفراد القبيلة تجمعاً كبيراً في محل واحد ، تظهر فيه الحرف وتتنوع الأعمال التي تكون في مجتمع الحضر. ولسادات القبائل المال وهي الإبل يشربون من ألبانها ، ويأكلون لحومها ، وهم الذين باستطاعتهم الذهاب إلى القرى والمدن ومواطن الحضارة للعيش فيها زمناً ، ولشراء ما يجدون في أسواقها من سلع ثم يعودون إلى وطنهم ليرعوا مالهم وينظرون في شؤون قبيلتهم. وقد استخدم الأعراب العبيد أيضاً ، ولكنهم لم يكثروا من استخدامهم مثل أهل الحضر ، لعدم وجود حاجة كبيرة عندهم إليهم. وأشار علي إلى أن عبيد الأعراب كانوا أكثر حرية وأحسن حالاً من عبيد أهل الحضر ، ذلك لأن البادية لم تكن تعرف الأعمال المرهقة ولا الحرف الكثيرة مثل الحضر ، لذلك صارت الأعمال التي يقوم بها عبيد الأعراب أقل بكثير من الأعمال التي يقوم بها أهل القرى ، وصار العبد في البادية ألصق بصاحبه من مثيله في القرية ، حتى صار وكأنه جزء من

أهل البيت الذي اشتراه أو ورثه).هـ. وإذن فالجاهلية الأولى الغابرة إن قامت بهذا كله في حق الإنسان ، فلقد فعلت ذلك في ظل غياب الدين الحق دين إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – وغياب القيم والأخلاق والأسس والمعايير الحقة التي ترقى بالإنسان وترفع من شأنه وتحترم إنسانيته وأدميته! أما في الجاهلية الثانية المعاصرة فما هو المبرر وأغلب أهلها ينتسبون إلى الإسلام والنبي محمد والقرآن؟! وفي كتاب الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي يقول مؤلفه الدكتور [يوسف خليف] وتحت عنوان: (التفسير الاجتماعي لظاهرة الصعلكة): (إنه إيمان القبيلة بوحدتها ، لقد ألف قيس بعد خلعه عصابة من صعاليك العرب جمع فيها "شذاذا من العرب وفتاكا من قومه" ، ويغلب عليّ الظن أن هؤلاء الفتاك هم أولئك الذين اشتروا معه في حادثة القتل التي كانت سببا في خلعه. وكان أول ما فعلته هذه العصابة أن حاولوا الانتقام لأنفسهم من أولئك الذين كانوا سبباً في خلعهم ، فأغاروا عليهم وقتلوا منهم رجلا واستاقوا أموالهم ، وهكذا أثبت لقومه الذين خلعه أنه قادر على أن يقف في وجههم برغم أنه "خليع مطورد" ، على حد تعبيره في بعض أبياته ، وأنه لا يتورع عن قتل أي فرد من قومه وقف في طريقه ، وأنه قادر على أن يسلبهم تلك الأموال التي كان حرمانه منها سبباً في عجزه عن دفع الدية ثم في خلعه نتيجة لذلك. ومع ذلك فقد كان قيس نبيلاً في موقفه من أولئك الذين لم يكن لهم ضلع في خلعه ، فقد لحقه بعد هذه الغارة "رجل من قومه كان سيداً ، وكان ضلعه مع قيس فيما جرى عليه من الخلع يقال له ابن محرق ، فأقسم عليه أي يرد ما استاقه ، فقال: أما ما كان لي ولقومي فقد أهرت قسمك فيه ، وأما ما اعتورته أيدي هذه الصعاليك فلا حيلة لي فيه ، فرد سهمه وسهم عشيرته". وهكذا كان قيس الصعلوك "سيداً" في موقفه ، فرق بين أولئك الذين كانوا سبباً في خلعه وبين سائر عشيرته ممن لم يكن لهم يد في هذا الخلع ، وفرق بين مركزه زعيماً لعصابة لأفرادها حق في الغنيمة لا يجوز حرمانهم منه ، وبين مركزه طالبا الانتقام من جماعة معينة. وظل هذا الصعلوك المتمرد يجمع الخلعاء والشذاذ ويغير بهم، حتى قتل).هـ. هذا ، ويطلق على مرحلة ما قبل الإسلام في جزيرة العرب العصر الجاهلي ، وتقدر المدة الزمنية لهذا العصر بقرن ونصف قبل الإسلام ، وقد أطلق هذا المسمى في العهد الإسلامي وتختلف الروايات حول سبب التسمية حيث عزي بعض المؤرخين ذلك إلى انتشار الأمية في ذلك العصر وذهب بعضهم إلى عبادة الأصنام والتقرب إلى الله من خلالها ، وقد انتهى هذا العصر ببعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم واعتناق العرب للدين الإسلامي. ولقد اتسمت الملامح الاجتماعية للعرب بالقبلية والتعصب للجماعة والتمسك بالعادات والتقاليد المتوارثة ، وبالرغم من ظاهر الاسم إلا أن ذلك العصر تميّز بتمسك العرب بالأخلاق الحميدة والتفاخر فيها من خلال الحس الأدبي والشعري العائد إلى فصاحتهم الكبيرة وقدرتهم على الحفظ ، كما كان المجتمع آنذاك مقسّم تقسيم طبقي حيث ظهر السادة والعيبد والرق. وكان النمط المعيشي السائد للقبائل العربية هو النمط البدوي البسيط حيث عاشوا في داخل الصحراء خلف مصادر المياه والعشب للرعي ، واتخذوا من الخيام مساكناً لهم ، وغالب أكلهم من التمر واللبن وكانوا يتميزون بالفصاحة اللغوية ، أما في المدن الحضرية كمكة المكرمة ويثرب والطائف ومدن اليمن والحيرة فقد كان نمط حياتهم أكثر ترفاً من ناحية الطعام المتنوع والملابس الفاخرة وأنية الذهب والفضة ، وكان غالب عملهم في التجارة ويسكنون بيوتاً حجرية. وشهد هذا العصر تمسك العرب بالنظم الاجتماعية والعادات والتقاليد المتوارثة ، وقد انتشرت الأخلاق والعادات الحميدة عند العرب آنذاك ، ومن أبرز هذه العادات الحميدة هي إكرام

الضيف حتى يصل بالشخص إلى حرمان نفسه وعائلته ليطعم ضيفه ، وكان الصدق والوفاء بالعهود والالتزامات محموداً عندهم ، وكانوا يحسنون الجوار ويحمون المستجير ويؤدون عنه بالسيف والدم إن استدعى الأمر. وكانت الكرامة وعزة النفس عندهم تاجاً يفتخرون فيه بالصبر والتحمل لضنك الحياة ، وكانت الشجاعة في ميادين الحرب ونجدة المظلوم من الخصال التي امتازوا بها وألفوا بها الأشعار والأغاني ، وكانوا يحترمون الأشهر الحرم والبلد الحرام ولا يسفكون فيها الدماء ومن مظاهر ذلك إمساك قبيلة هوازن عن قتال قبيلة كنانة عند دخولهم الحرم في حرب الفجار. وفي الجهة الأخرى كانت التقاليد المذمومة عند العرب في العصر الجاهلي مُنتشرة جهلاً وتوارثاً ، فانتشر القمار والميسر وخاصةً في المدن الحضرية وعرفوا التطير في الاختيار من خلال ترك الطير فإذا ذهب يُمنه استبشروا وإذا طار يُسرة تشاءموا ورجعوا عن أمرهم. والتنظيم القبلي المبني على العشائرية هو النظام السائد عند العرب في الجاهلية وينتسب الفرد إلى قبيلته التي ينتمي إليها ، وكانت القبائل وحدات منفصلة مبنية على الدم والنسب دون حدود جغرافية أو سياسية واضحة ، وقسم النسب عند العرب إلى مراتب أولها الشعب وهي أعلى مراتب النسب كعدنان وقحطان تلاها القبيلة كمضر وربيعة ، ثم تنقسم القبيلة إلى العمارة كقريش وكنانة ، يليها البطن كبني عبد المناف وبني مخزوم ، ثم تنقسم إلى الفخذ كبني أمية وآخرها ، والفصيلة التي تنقسم عن الفخذ كبني العباس ، وكان نظام القبيلة الاجتماعي ينقسم بشكل طبقي إلى ثلاثة أقسام رئيسية ، نستعرضها فيما يأتي: الصحراء (الأحرار): وهم أبناء القبيلة وجمهورها وأعلى مراتبها يرتبطون بالدم فيما بينهم وخالص النسب ، وكانوا دعامة القبيلة في الحروب ينتصرون لها ظالمة كانت أو مظلومة ، وإذا خرج الحر عن قبيلته أو سلك طريقاً يجلب العار نبذته القبيلة ويسمى خليع القبيلة ، وقد يلجأ إلى الصحراء ويسمى حينها صلوك. الموالي: وهم الطبقة الثانية في القبيلة وعليهم نفس واجبات الطبقة الأولى ولكن لا يتمتعون بسائر الحقوق ، ويتألفون من الحلفاء الذين لجأوا لهذه القبيلة بعد أن خلعتهم قبيلتهم أو العتقاء وهم العبيد الذين عتقت رقابهم. والعبيد (الرقيق): وهم الطبقة الأدنى في المجتمع ، تلك الطبقة المحرومة من الحقوق بالرغم من ثقل الواجبات عليها تجاه الأحرار والسادة).هـ. عموماً لنطالع القصيدة فلربما أدركنا الفرق الكبير في قيم وموازين الجاهليتين: الأولى الغابرة والثانية المعاصرة! وبإله من انتكاس يُزري بالإنسان كل الإنسان!

وَهَنَ الْإِيمَانُ ، وَانْفَلَّ النَّسَبُ!	وخبأ السُّودُ ، والتعاع العصب!
كيف زالت يا ثرى أقوى العرى	والموازين أراها تضطرب!؟
كيف ضد القوم عن درب الهدى	كيف زال العلم عنهم والأدب؟
كيف ساروا في دهاليز الهوى!؟	كل دهليز بلاهم بالتب!
والمعاليير بهم لا ترتقي	حيث باتوا في متاهات العيب
وغدا الحق لديهم باطلاً	ولما يهوون قد كان الغلب
واسئوى خيرٍ وشرٍ عندهم	وسنا المعروف عنهم محتجب

وتؤيِّدُ ، ثم عن عمَدٍ تحب
وتكافأ بالبلايا والنوب
صَدَنِي إتيانَه عما يجب؟!
أحدث الصَدَعُ الذي لا يرتب
والسؤالُ المُرَقولوا: ما السبب؟!
بهدي الإسلام فيكم عن رغب؟!
أفعلُ الخيرَ ، ودوماً أحتسب؟
راضياً بالأمر مولانا كتب
خير مبعوثٍ لعُجم والعرب
صادقاً في العزم ، لا أرضى الكذب
إن في منهاجهم أسمى القرب
جيلهم ولى ، وللاتي الكُتب
ولربي الشكرُ دوماً إذ وهب
أهدروا حقي ، وأزروا بالنسب
وإذا ما ذكروا ساقوا الغضب
واكتفوا بالإسم يُزري باللقب
ماله في قلب عبدٍ من إرب
ماله في أي سوق من طلب
لم يعد مني رذيلٌ يقترب
من يؤمن سِلْمَه فليجتنب
كبعير حنٍّ من وخنز الجرب

تغدُ منهم إن توافق نهجهم
وتجندل إن تخالف عُرفهم
أي جُرم يا أهلي جنتُه
أي تقصير أنا مارسنتُه
كلكم يا أهل عن حقي عشى
الأنبي مؤمنٌ مستمسكٌ
أعبد المولى ، ولم أعدن به
مؤثراً تقوى إلهي والهدي
مستجيباً للرسول المصطفى
أجعل القرآن نهجي مخلصاً
تابعاً أسلافنا فيما أتوا
خلفهم أسعى ، فهم خيرٌ صوئ
قد رفعت شأن قومي عالياً
لم أكن عاراً على قومي الألى
سلبوا الأسفار ، واحتلوا الحمى
واستهانوا بالسجايا ، ويحهم!
صنعوا مني متاعاً زائداً
جعلوني مثل كَم مُهمل
خلعوني بعدما ذاقوا الغنى
مثل طاعون ، ألا فليحذروا
وارتأوا هجري نعيماً يبتغي

إن قول الحق أمرٌ يُطلب!
أيكم شَرَفَ قوماً والحَسَبُ؟!
أيكم أعطى كما تعطي السحب؟!
إنما القلبُ بلا مالٍ يُحب!
كنتُ رأساً ، ثم أمسيتُ الذئب!
بُعدهم ، والأمرُ يدعو للعجب
وإذا ما عُوتِبوا كالوا الخطب
بين جدّ المرء طبعاً واللعب!
لا تُساوي عندكم صاع الرطب
أذهبوا لا خيرَ فيكم يُرتعب
ما عليكم من ملام أو عتب
أغمضوا الأعين ، لوذوا بالهرب
طابغ الخذلان بالحسنى ذهب
وقلوبُ القوم ما فيها حدب
فأرفعوا عنكم أضاليل الرّيب
وأنيبوا قبل دفن في الثّرب
لكن الجمعُ لنا لم يستجب
فاشتكى النصحُ البرايا ، وانتحب
سُقتُ تطيبي لمن لا يستطب
وعلى الرحمن أجري والحسب!

أيكم أبلى بلاني يا غثا؟!
أيكم عانى ليرقى أهله؟!
أيكم أعطى كريح أرسلت؟!
ليس بالأموال حُبُّ يُشترى
كلكم يأخذ مني موقفاً
وتخلى الكل عني ، وارتضوا
من رآهم قال: ذا من حقهم
أيها الجهال فرّق شاسع
وحياتي أخصّصت أثمانها
فإذا ما مت جئت للعزا
اغربوا عن أوجه تشقى بكم
وإذا جنناكم نرجو العطا
لم يعد في أي وجه من حيا
والحيا ولي ، وولى برقع
عيشنا ياناس أخذ وعطا
واسـتقيموا تُدركوا ما أدعي
كم نصحنا! كم وعظنا جهرة!
رُبّ نصح لم يُصادف مُنصتاً
رَبّ قد بلغث ، فاشهد أنني
وبذلتُ الخيرَ أرجو أجره

المقابر تتكلم 5 (ميت يطرُد المُعزِين فيه!)

عاش محسناً لمن حوله ، وقوبل إحسانه بالإساءة من بعضهم. ووصلت الإساءة إلى حد القطيعة التي دامت عقوداً من الزمان! وحاول الإصلاح وإعادة العلاقات عدة مرات. وباعت كل محاولاته بالفشل. وعجب من قوم قد قصرُوا زياراتهم له على المناسبات النادرة كالأفراح والجنائز! وحتى إن حضروا هذه المناسبات لا يسلمون عليه ولا يصافحونه ، بل يحضرونها أجساماً دون قلوب أو أرواح أو ضمائر أو عواطف أو أحاسيس! وتوقع بفراسته أن يأتي هؤلاء المتخاذلون الأصاغر ليعزوا أبناءه من بعده ، فقام بتسجيل وصية صوتية هي الأغرَب من نوعها في تاريخ البشرية! في هذه الوصية يسميهم بأعيانهم وأسمائهم ويلومهم لوماً شديداً ويحثهم على الرحيل وتركب موكب العزاء على المقبرة ، وأنه عليهم أن يكملوا مسيرة القطيعة له وهو ميت كما كانت وهو حي! وعهد بهذه الرسالة الصوتية إلى أكبر أبنائه ، وأوصاه بأن يذيعها على الملأ ليُسمع القاصي والداني أنه لا يرحب بهم في مشهد عزائه ويرفض تعزيتهم ومواساتهم لذويه قائلاً: من لم يهتم بي وأنا حي لا حاجة لي به وأنا ميت. اذهبوا أيها الوضعاء المتخاذلون فإنه لا خير فيكم، قاطعتموني عقوداً حتى إذا ما مت جنتم لتعزوا أهلي. اذهبوا عن هذا المشهد فإني وأهلي لا نرحب بكم! إنه لا مكان للغدر والغادرين المخادعين في موكب الجنائز إلا بعد أن يعتبروا بها وبأهلها! قال تعالى: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً) ، قال القاسمي: (لا تنقضوا العهود الجائزة بينكم وبين من عاهدتموهم ، فتخفروها وتغدروا بمن أعطيتموه إياها). وقال الراغب: (ولكون الوفاء سبباً لعامة الصلاح ، والغدر سبباً لعامة الفساد ، عظم الله أمرهما ، وأعاد في عدة مواضع ذكرهما ، فقال: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً) ، وقال: (وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ)! وقال ابن رجب: (ويدخل في العهود التي يجب الوفاء بها ، ويحرم الغدرُ فيها: جميع عقود المسلمين فيما بينهم ، إذا ترأصوا عليها من المبيعات والمناكحات وغيرها من العقود اللازمة التي يجب الوفاء بها ، وكذلك ما يجب الوفاء به لله عزَّ وجلَّ ممَّا يعاهدُ العبدُ ربَّه عليه من نذر الثَّبرِ ونحوه). - قال تعالى: (وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) قال ابن كثير: (يقول تعالى لنبيه ، صلوات الله وسلامه عليه وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ قَدْ عَاهَدْتَهُمْ خِيَانَةً أَي: نقضاً لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود ، فانبذْ إِلَيْهِمْ أَي: عهدهم على سَوَاءٍ أَي: أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم ، وهم حرب لك ، وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء ، أَي: تستوي أنت وهم في ذلك). قال تعالى: (وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) ، والمعنى: أي تجعلون أيمانكم التي تحلفون بها على أنكم موفون بالعهد لمن عاهدتم- خديعةً ، وغروراً ، ليطمئنوا إليكم ، وأنتم مضمرون لهم الغدر ، وترك الوفاء بالعهد ، والنقطة إلى غيرهم ، من أجل أنهم أكثر منهم عدداً وعدداً وأعز نفراً ، بل عليكم بالوفاء بالعهد ، والمحافظة عليها في كل حال).
أورد صاحب الدرر السنية عن الغدر والغادرين: (عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لكل غادر لواء يوم القيامة ، يقال: هذه غدرة فلان)! قال ابن بطال: (وهذه مبالغة في العقوبة وشدة الشهرة والفضيحة). وقال النووي: (لكل غادر لواء. أي: علامة يشتهر بها في الناس ؛ لأن موضوع اللواء الشهرة مكان الرئيس علامة له ، وكانت العرب تنصب الألوية في الأسواق الحفلة لغدرة الغادر ؛ لتشهيره بذلك)! (وفي هذا الحديث دليل على أن الغدر من كبائر الذنوب ، لأن فيه هذا الوعيد الشديد). - وعن عبد الله بن عمرو ، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربع من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدَّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر). قال المناوي: (وإذا عاهد غدر) أي: نقض العهد. وقال العظيم آبادي: (وإذا عاهد غدر) أي: نقض العهد وترك الوفاء بما عاهد عليه. وقال ابن عثيمين: (... (وإذا عاهد غدر) يعني: إذا أعطى عهدًا على أي شيء من الأشياء غدر به ، ونقض العهد ، وهذا يشمل المعاهدة مع الكفار ، والمعاهدة مع المسلم في بعض الأشياء ثم يغدر بذلك. - وفي حديث هرقل الطويل مع أبي سفيان عندما سأله عن النبي: (فهل يغدر؟ قال: لا ، ثم قال هرقل: وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أن لا ، وكذلك الرسل لا يغدرون). قال ابن بطال: (قد جاء فضل الوفاء بالعهد ، وذم الختر في غير موضع في الكتاب والسنة ، وإنما أشار البخاري في هذا الحديث إلى سؤال هرقل لأبي سفيان ، هل يغدر؟ إذ كان الغدر عند كلِّ أمة مذمومًا قبيحًا ، وليس هو من صفات رسل الله ، فأراد أن يمتحن بذلك صدق النبي ؛ لأن من غدر ولم يف بعهد لا يجوز أن يكون نبيًا ؛ لأنَّ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أخبرت عن الله بفضل من وفى بعهد ، وذم من غدر وخرت). - وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرامًا ثم أكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ، ولم يعط أجره). قال المهلب: قوله: (أعطى بي ثم غدر) يريد: نقض عهدًا عاهده عليه. وقال المناوي: (... ثم غدر) أي: نقض العهد الذي عاهد عليه ؛ لأنَّه جعل الله كفيلاً له فيما لزمه من وفاء ما أعطى ، والكفيل خصم المكفول به للمكفول له). وقال الصنعاني: (فيه دلالة على شدة جرم من ذكر ، وأنه تعالى يخصمهم يوم القيامة نيابة عن ظلموه ، وقوله أعطى بي ، أي: حلف باسمي وعاهد ، أو أعطى الأمان باسمي وبما شرعته من ديني ، وتحريم الغدر والنكث مجمع عليه). - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به). قال ابن بطال: (دلَّ أنَّ الغدر حرام لجميع الناس ، برهم ، وفاجرهم ؛ لأن الغدر ظلم ، وظلم الفاجر حرام كظلم البرِّ التقي. فإن قال قائل: فما وجه موافقة حديث ابن عباس للترجمة؟ قيل: وجه ذلك- والله أعلم- أنَّ محارم الله عهود إلى عباده ، فمن انتهك منها شيئاً لم يف بما عاهد الله عليه ، ومن لم يف فهو من الغادرين ، وأيضاً فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة منَّ على أهلها كلَّهم ، مؤمنهم ، ومنافقهم ، ومعلوم أنه كان فيهم منافقون ، ثم أخبر صلى الله عليه وسلم ، أنَّ مكة حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وأنَّه لا يحلُّ قتال أحد فيها ، وإذا كان هذا ، فلا يجوز الغدر ببرِّ منهم ولا فاجر ؛ إذ شمل جميعهم أمان النبي وعفوه عنهم). - وعن أبي سعيد رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة) ، وفي رواية: (لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة). قال النووي: (وفي هذه الأحاديث بيان غلظ تحريم الغدر ، لاسيما من صاحب الولاية العامة ؛ لأن غدره يتعدى ضرره إلى خلق كثيرين). إن الغدر والغادرين والمصريين على القطيعة ينبغي أن يراجوا أنفسهم المريض من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله!)

← وما لي برّد التجني يدان

ملائت عتاب الغدور الجبان

وغرّبت كي أتحاشى الطعان

لقد شَرَّقَ الوغدُ مُسْتَنكفاً

بتـرك الجـدال وهـجر المـكان
ولم يـستطـع أن يـكـف اللـسان
غـدور خـوون خـذول جـبان
وأـمـسى بـريئـاً وغيـر مُـدان!
وأـطـلق - للشـائـعات - العـنان!
ويـالـغ فـي الـافتـرا بـامـتهـان!
وأـتـقن - فـي الحـرب - نفـخ الدـخان!
وأـمسـك فـي سـاحـها بـالسـنان!
وثـمـعن - فـي بـغـضـنا - يا فلـان؟!
ليـنـعم - فـي أمـها - بـالأمـان؟!
وزخـرفـت - بـالود - أحـلى مـكان؟
ألا اسـأل ضـمـيرك يا ثـعلـبان!
حـسـامـاً يـقـطـع أوـهى صـيان؟
وما كان منـك قـديماً ، وكان
ونـعـفو عـن الصـل كـاد وخـان!
وبـالرغم ضـاق - بـه - الفرـقدان
وكان لنا منـه أشـقى امتحـان
ليـصـبـح ذا مـكـرمـاتٍ وشـان؟!
فأعـطيتهم - فـي اللـقـاء - الضـمان
ونقـضـك للعـهد فـي التـوبـان
بـمالـك عـني فبـئس القـران
ومـكـرك بـي - يا غـوي - اسـتبان

وحصـنت نـفـسـي مـن كـيدـه
فما اتـعـظ الخـب مـن فـعـلـتي
يـمـينـاً لـقـيت الأـمـرـين مـن
فكـم لـاك عـرضـي بـخـبـك الفـري
وكـم دس عـني أكاذيبـه
وكـم شوّه المـفتـري سـمـعـتي
وكـم أجـج الغـر نار العـدا
وكـم سـعـر النـذل حـربـاً طـغـت
لـمـاذا؟ وكـيف تـبـيـع الإخـا
ألم أقـسـم الدار تُـووي فـتـي
ومـخـدع نومـك صـمـمـته
ألم أك - فـي الجـود - مسـتـكـثراً؟
لـمـاذا القـطيعة أشـهـرتـها
وكنت تناسيت ما قـد مـضى
لنـبـداً عـهداً جـديـد الصـوى!
وسـاق الفـحـيخ لإرـعابـنا
ولـمـا نخـف ، بـل صـمـدنا لـه
فهل غـيـر الصـل جـاداً ثـوى
وأرسلت مـن أصـلحوا بـيننا
وأعـطيت عـهداً لـمـن صـدقوا
وأسـقـيتني الخـذل مـسـتغـياً
وغـولت حـيـاً كـمـن قـد قـضى

وأشـفقتُ أن أبتلى بـافتتان
يُجنبنني ذلتي والهوان
وبان الخداع تمام البيان
لأن الوصال شقيق الحنان
ولما أهان المروءات بان
ولم يبق للود أي كيان
فماذا يُفيدُ بقاء الدهان؟!
لعاً للكرامة والصولجان!
نرجعُ مجدداً ثوى واستكان
فقد كسب الجعظري الرهان
سـتبقى تُهددُ كل جبان
سـقتني الأذى والشقا والهوان
بعرضي وحقّي وشأني استهان
وتصحبُ بعضَ الشـماتِ الحـزان
وهل أنت منّا؟ أجب يا فلان!
فهلـا اعتبرت بأتك فان؟!
مجيئك عـرَ صـفـو المـكان!
وتلقى جزاءك يا أفعوان!

وأسلمتُ أمري لرب السما
وكنيتُ اتخذتُ القرار الذي
فقد هدمَ النذلُ كُـوخ الإخـا
ولم يُبقِ وصلاً ولا مُلتقى
وليس حناناً بقلب جفا
وأسوار إيلافنا هُـدمت
إذا أدرك السـور تهديماً
ومرت عـقـودٌ على غـدركم
وراهنتُ يوماً على عـودةٍ
ولكن رهاني خبا وانزوى
وميتٌ ومظلمتي لم تموت
وتشكو السنين العجاف التي
بشـوم جهـودك يـا ظالمـاً
وتأتي الجـنازة مـسـتعبراً
لماذا أتيت تُعزي هنا؟
وكم من جناز شـيعتها!
ألا ارجعُ وحيداً بلا عـودةٍ
وعند المليك غداً نلتقي

وهل كانت مروعتي كلاماً؟! (حكاية الدكتورة سارة!)

(الدكتورة سارة امرأة نبغَتْ في أسرةٍ أفرادها كثيرون. يعيشون في بيوتٍ متواضعةٍ لأنهم فقراء بكل ما تعنيه الكلمة من معانٍ! فلقد عَضَّهم الفقر بأنياه ، وألجأهم العوز إلى كل من هب ودب! وعانت سارة معاناةً شديدة ، عانت وتألَّمت وهي طفلة ، وعانت وهي طالبة ، وعانت وهي شابة ، وعانت وهي خريجة في كلية الطب بامتياز مع مرتبة الشرف! وأعطاه الله تعالى من فضله ، وتزوجت رجلاً ميسوراً جداً ، أبى لها أن تعمل كطبيبة في غير محيط أسرتها وعائلتها وجيرانها ومحبيها بشرط أن يكون ذلك بلا مقابل! بل اعتاد أن يشتري الدواء لهؤلاء المرضى! ولفرط حبه لها كان يعطي أهلها من ماله الوفير بغير حساب. ولم يشأ أن يعطيهم بيده ، بل كان يعطي سارة لتعطيهم بيدها حفاظاً على شعورهم! وكان يقول لها: يا سارة جدي النية أن تكون هذه العطايا لله تعالى! ولا تنتظري منهم عطاءً يوماً ، لأن قليلاً من الناس من يذكر الجميل أو يفكر في رده! وبارك الله لهم في أموالهم ، فأغناهم الله عن سارة وعن زوجها. ومرّت أيام الله ، ولا يدوم حالٌ على قوم ، وتلك سنة الله في خلقه! وسبحان من له في خلقه شؤون! وتبارك وتعالى وتقدست أسماؤه وصفاته من يُغيّر ولا يتغير ، وليس يبقى على ما هو إلا الذي لا رب سواه ولا إله إلا هو! فلقد مرض زوج الدكتورة سارة مرضاً ذهب به وبأمواله ! وخلف سارة من بعده لا تملك من متاع الدنيا شيئاً فاضطرت للعمل كطبيبة في مستشفى خاصة براتب ولو ضئيل! فلم يكن لها سوى راتبها كطبيبة فقط ، فأحوجها الدهر وألجأها الحال إلى عائلتها! فإذا بها تجد من الخذلان ما الله به عليم. والقوم قد جعلوا ردّ جميلهم عليها الشكر والثناء والمدح المفرط والدعاء لها! وهذا يقبل إن كانت في غير حاجةٍ إليهم! أما وقد احتاجت إليهم وهم ميسورون من فضل الله ، فإن شكرها والثناء عليها ومدحها فقط يُعتبر من قبيل المروعة الجوفاء مروعة البخلاء الوضعاء عبيد المال! وراحت الدكتورة سارة تسأل القوم في جراحة: وهل كانت مروعتي كلاماً وثناءً ومدحاً يوم ألجأكم الله تعالى إليّ؟! إن شعوري اليوم لا يختلف كثيراً عن شعوركم يوم أحوجكم الله إليّ وإلى زوجي الراحل! فكونوا اليوم كما كنا لكم بالأمس! ولو لم تستطيعوا البذل والعطاء لعذرتكم ، إذ كيف يعطي الآخرين من هو بحاجةٍ إلى من يُعطيه ابتداءً؟! أما وإنكم لتكنزون الأموال وتضنون بها عليّ ، وتجعلون مروعتكم وشهامتكم كلاماً ومدحاً ، فليست هذه بمروعة! وأحمد الله تعالى أنني وزوجي كنا نعطيكم لوجه الله تعالى الذي لا تضيع عنده الأعمال الصالحة! فلما قصت الدكتورة سارة قصتها ألفتها قصة مكرورة في الغابرين والحاضرين ، ولا يكاد يخلو منها زمان ، فأنشدت أحكي قصتها شعراً على لسان الدكتورة سارة وأقول لها: والله يا سارة نحن في الهم هذا سواء! وأسأل الله تعالى أن يعوضنا وإياك ، ويعطينا وإياك من فضله وإحسانه!)

- سألوني: لِمَ تهجّين الحمى؟ ولمَ الدمعُ - على الخد - همى؟
- ولِمَ القلبُ نعى أعرافنا؟ ولمَ النفسُ تُعاني المأزما؟
- ولِمَ الروحُ تُقاسي وجدها؟ ولمَ خاطرُ يأسى مرغما؟
- ولِمَ اللومُ طغى أنثى؟ وهل العتبي؟ تُفيد اللوما؟

مُذْنَأى أَهْلَوهُ عَنْ أَرْضِ الحِمى!
وتجرعتِ اللظى والعقما!
ثم جَدُوا السَّيْرَ فِي رَبِّ العَمى!
فإِذَا الجَمْعُ عَنِ النَّصْحِ اسْتَمى!
كَي تُفِيقِي الخَامِلِينَ النُّومَا
نصُّهَا أَغْرَى الحِجَابَ والمِرْقَمَا
قَصَّتِي لِن تَسْتَتِيرَ الخُومَا
كَي يَنِيرَ النَّصَّ رَبِّاً مُظْلَمَا
وَاسْتَمى لَفْظاً وَقَوْلَاً وفَمَا
تَسَالُكُ الدَّرَبِ المُنِيرِ القِيمَا
نَفَعُ أَهْلِي كَان حَقاً مَغْنَمَا
لَمْ أُوخِرْ خِدْمَةَ أَوْ دَرَهْمَا
حَسْرَةَ ، أَوْ ضَّيْعَةَ ، أَوْ مَغْرَمَا
فَلَقَدْ أَضْحَى بِحُبِّي مُغْرَمَا
نِصْفَهُ الثَّانِي إِلى الشَّمِ انْتَمى
وَبِحُبِّي القَوْمِ أَمَسُوا هَيْمَمَا
كَغِيَاثٍ جَاءَ مِنْ جَوِ السَّمَا
وَابْتَغُوا نَحْوَ المعَالِي سُلَمَا
كَي نَعِينَ المَسْتَكِينَ المُعْدَمَا
لَمْ نَعُدْ نَلْقَى جِيَاعاً ضَرَمَا
وَتُحْيِلُ العَيْشَ ضَنْكاً حُكْمَا
فإِذَا اللَّيْثُ - عَلَى الأَرْضِ - ارْتَمى

كَمْ بِكَيْتِ الخَيْرِ وَلَى عَهْدِهِ
كَمْ تَأَسَّفْتِ عَلَى أَحْوَالِنَا
كَمْ وَعَظْتَ القَوْمَ لَجَّوْا فِي الهَوَى
كَمْ نَصَحْتَ النَّصْحَ يَرْقى بِالْوَرَى
(سَارَةَ) الخَيْرِ اقْضِصِي مَرثِيَةَ
مُنْصَتِّ قَلْبِي لِذَكَرِي لَمْ تَمُتْ
قَالَتْ الفِضْلَى بِصَوْتِ مُخْبِتِ
قَلْبَتْ: قَصَّيْهَا لِتَبْقَى عِبْرَةَ!
وَاصْذُقِي فِي القَوْلِ ، آدَتْنَا الفِرَى!
مَا عَهْدُنَاكَ سَوَى مَهْدِيَةَ
قَالَتْ: انْسَقْتُ إِلى مَا أَنْتَ وِي!
فَبَذَلْتُ الخَيْرَ ميسُوراً لَهُم
لَمْ أَجِدْ فِي بَذْلِ إِحْسَانِي لَهُم
وَتَفَانِي الزَّوْجِ فِي مَعْرُوفِهِ
حُبِّهِ لِي كَان عُقْبَى نَسْبَةِ!
وَمَلِيكَ النَّاسِ أَغْنَاهُمْ بِنَا
وَسَعِدْنَا أَنْتَا كُنَا لَهُم
وَاسْتَمَرَ الحَالُ ، وَالأَهْلُ اغْتَنُوا
وَارْتَضَيْنَا الجُودَ مِنْهَا جَاءَ لَنَا
شَبِيعَ الكَلِّ! وَدَاعِياً لِلطَّوَى
وَأَقْلَنَا عَثْرَةَ تُودِي بِهِم
وَابْتَلَى المَوْلَى حَلِيْلِي فَجَاءَ

حُزْتُ مِنْ مَالٍ لَأَلْقَى الْبَلْسَمَا
فَتَرَّ الْعِزْمُ ، وَإِنْ يَأْسِي نَمَا
قَابَ قَوْسَيْنِ ، لَهَذَا اسْتَسَلَمَا
لَقِيَ الرَّحْمَنَ عَبْدًا مُسَلَمَا
هَذَا حَبِي لَزَوْجِي تُرْجَمَا
وَالْغَنَى وَلِي ، وَفَقْرِي خَيْمَا
وَأَمَامِي الْكَوْنُ فَوْرًا أَظْلَمَا
قَلْتُ: لَا أَرْضَى الْخِدَاعَ الْمُبْرَمَا
قِيلَ: لِي! وَالْقَلْبُ صِدْقًا حَمَمَا!
بَاتَ نَصَبَ الْعَيْنِ قَبْحًا أَشَامَا
أَوْ مَا قَلْتُمْ: سَتَفْدِينِي الدَّمَا؟!
أَيُّهَا الْأَقْوَامُ خَافُوا الْمُنْعَمَا!
هَلْ عَجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا (مِثْلَمَا)؟!
نَقْتَهَا ، يَا قَوْمَ فَاخْشُوا (رَبَمَا)!
هَلْ خَطِيبُ الْقَوْمِ سَاوَى الْأَبْكَمَا؟!
يُدْفَعُ الْجُودُ الْبَلَاءَ الْمَوْلَمَا
بِخَيْلٍ عَنِ عَطَاءٍ أَحْجَمَا
وَالسَخَا بِالْمَالِ بَاتَ الْأَكْرَمَا
يُتَحَفُّ الْعُقْبَى ، وَيُعْلَى الْقِيمَا
جُلْهُمُ قَدْ يَعْبُدُونَ الدَّرَهَمَا

وَالْتَمَسْتُ الطَّبَّ لَمْ أَعْبَأَ بِمَا
جُبِثَتْ أَرْضَ اللَّهِ بِالزَّوْجِ ، وَمَا
لَكِنِ الْمَوْتُ مِنَ الزَّوْجِ دَنَا
مُسَلَّمًا نَفْسًا وَرُوحًا لِلْقَضَا
وَأَنَا وَدَعَيْتُ رُوحِي قَبْلَهُ
لَمْ يَعِدْ طَعْمَ لَعِيشٍ فِي الدَّنَا
أَثْقَلَ السُّدَيْنُ مَلِيًّا كَأَهْلِي
وَرَأَيْتُ الْكَلَّ عَنِّي أَعْرَضُوا
ذَلِكَ الْخِذْلَانُ مَذْخُورًا لِمَنْ؟
قَلْتُ: هَلْ جُودْتُمْ بِمَدْحِ زَائِفِ
لَمْ يَكُنْ جُودِي عَلَيْكُمْ كَلِمَةً
لَيْسَ سَعْدٌ دَائِمًا فِي ذِي الدَّنَا
عَامِلُونِي مِثْلَمَا عَامَلْتُمْ
رَبَمَا نَقْتُمْ مِنَ الْكَأْسِ التِّي
بَيْنَ جُودَيْنَا فَرُوقٌ فَاعْلَمُوا
إِنِّي جُودْتُ ، وَجُودِي حِسْبَةٌ
مَا تَسَاوَى الْعَبْدُ يَعْطِي دَائِمًا
وَإِكْتَفَى بِالْجُودِ لَفْظًا فَارْغَا
جُودُ أَهْلِ الْبَدْلِ غِيثٌ هَاطِلٌ
بَيْنَمَا جُودُ الْأَشْحَا مُقَرَّفٌ

المقابر تتكلم 3 (وصية أصحاب القبور)

(تخيلت المفترطين المقصرين من أصحاب القبور ، وقد أتاحت لهم الفرصة ليوصوا الأحياء من بني البشر ، فماذا يقولون لهم؟ فكانت هذه القصيدة ترجمة لوصيتهم! مهما كتبنا عن الموت وعظة القبر فما أظننا وفينا هذا الموضوع حقه والإحاطة به علماً ووصفاً! جاء في كتاب "الزهد الكبير"؛ للبيهقي عن روح بن مدرك أنه قال وهو على المنبر: "الآن قبل أن تسقم فتضنى ، وتهرم فتبلى ، ثم تموت فتنسى ، ثم تُقبر فتبلى ، ثم تبعث فتحيى ، ثم تحضر فتدعى ، ثم تُوقَف فتجزى بما قدّمت وأمضيت ، وأذهبت فافنيت من موبقات سيئاتك ، ومتلفات شهواتك ، فالآن... الآن وأنتم سالمون". أما أنّ للنائم أن يستيقظ من نومه؟ وحن للغافل أن ينتبه من غفلته قبل هُجوم الموت بمرارة كأسه؟ وقبل سكون حركاته ، وخمود أنفاسه ، ورحلته إلى قبره ، ومقامه بن آدماسه. قال الحسن بن عبد العزيز الجروبي: "من لم يردعه القرآن والموت ، فلو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع". يا من يدعى إلى نجاته فلا يجيب ، يا من قد رضي أن يخسر ويخيب ، إنّ أمرك طريف وحالك عجيب ، أذكر في ذمك راحتك ساعة الوجيب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). ويحك! إنّ الحقّ حاضر ما يغيب ، تُحصي عليك أعمال الطلوع وأفعال المغيب ، ضاعت الرياضة في غير نجيب ، سيماك تدلّ وما يخفي المريب ، اسمع: لا بدّ لغربان الفراق من نعيب ، أنساكن الغفلة ولغيرنا نعيب؟ يا من سلعة كلّها معيب ، أذكر يوم الفرع والتأنيب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). لا بدّ والله من فراق العيش الرطيب ، والتحافِ البلى مكان الطيب ، واعجباً للذات بعد هذا كيف تطيب ، ويحك! أحضر قلبك لوعظ الخطيب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). تذكر من قد أصيب ، كيف نزل بهم يوم عصيب ، وانتبه... لاحظ الحظ والنصيب ، واحترز... فعليك شهيداً ورقيب ، إذا حلّ الموت حلّ التركيب ، وتقلب مقلّ القلوب في قلب التقلب. ستخرج والله من هذا الوادي الرحيب ، ولا ينفك البكاء والنحيب ، لا بدّ من يوم يتحير فيه الشبان والشيب ، ويذهل فيه الطفل للهول ويشيب ، يا من عمله كله رديء فليته قد شيب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). كيف بك إذا أحضرت في حال كنيب ، وعليك ذنوب أكثر من رمل كثيب ، والمهمين الطالب والعظيم الحسيب ، فحينئذٍ يبتعد عنك الأهل والنسيب ، النوح أولى بك يا مغرور من التشبيب ، أتؤمن أم عندك تكذيب ، أم تراك تصبر على التعذيب؟ كأنك بدمع العين ومائها قد أذيب ، أقبل نصحي وأقبل على التربية والتهديب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). يا مطالباً بأعماله ، يا مسؤولاً عن أفعاله ، يا مكتوباً عليه جميع أقواله ، يا مناقشاً على كلّ أحواله ، نسيانك لهذا أمرٍ عجيب ، أتسكن إلى العافية ، وتساكن العيشة الصافية ، وتنظن أيمان الغرور واقية ، لا بدّ من سهم مصيب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). لو أحسنت الخلاص أحسنت ، لو آمنت بالعرض لتجمّلت وتزيّنت ، يا من قد أنجمت عليه الأمور لو سألت لتبيّنت ، ويحك! أحضر قلبك إنما أنت في الدنيا غريب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). إلى متى أنت مع أغراضك؟ متى ينقضي زمان إغراضك؟ يا زمن البلى متى زمن إنهاضك؟ تالله لقد كعّ من أمراضك الطيب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). يا من عمله بالنفاق مغشوش ، تنزيّن للناس كما يزّين المنقوش ، إنما يُنظر إلى الباطن لا إلى النُقوش ، إذا هممت بالمعاصي فاذكر يوم النُعوش ، وكيف تحمل إلى قبرٍ بالجندل مفروش ، من لك إذا جمع الإنس والجن والوحوش ، وقام العاصي من قبره حيران مدهوش ، وجاء الجبار العظيم وهو مغلولٌ مخشوش ، فحينئذٍ يتضاعف المتكبر وتدلّ الرؤوس ، ويومئذٍ يبصر

الأكمة ويسمع الأطروش ، وينصب الصراط فكم واقع وكم مخدوش! ليس بجادة يقطعها قاصلاً ولا مرعوش ، ولا تقبل في ذلك اليوم فدية ولا عدل ولا تؤخذ الأروش ، والمتعوس حينئذ ليس بمنعوش ، وينقلب أهل النار في الأقدار والريح كالخشوش ، لحافهم جمر وكذلك الفروش ، (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ). يا مَنْ أركان إخلاصه واهية ، أما لك من عقلك ناهية؟ إلى متى نفسك ساهية ، مُعجبة بالدنيا زاهية؟ مُفاخرة للإخوان مضاهية ، النار بين يديك وتكفي داهية وما أدراك ماهية ، (نَارٌ حَامِيَةٌ). تقوم من قبرك ضعيف الجاش ، وقد جأ قلبك في بدنك وجاش ، ووابل الدمع يسبق الرّشاش ، أتدري ما يلاقي العطاش الظامنة (نَارٌ حَامِيَةٌ). أين من عتا وتجبر؟ أين من علا وتكبر؟ أين من للدول بالظلم دبّر؟ ماذا أعد للحضرة السامية (نَارٌ حَامِيَةٌ). لو رأيت العاصي وقد شقي ، يصيح في الموقف: "واقلي" ، اشتدّ عطشه وما سقي ، وشرر النار إليه يرتقي ، فمن يتقي تلك الرامية ، (نَارٌ حَامِيَةٌ). لو رأيت يقياسي حرّاً ، ويُعاني ضرّاً ، جحيمها وقرّها ، والله لا يدفع اليوم شرّها ، إلا عين هامية (نَارٌ حَامِيَةٌ). يفرّ الولد من أبيه ، والأخ من أخيه ، وكلّ قريب من ذويه ، أسمعت يا مَنْ معاصيه نامية ، (نَارٌ حَامِيَةٌ). لهذا كان المتّقون يقلقون ويخافون ربهم ويشفقون ، وكم جرث من عُيون القوم عيون! كانت جفونهم دائمة دامية ، من خوفهم من (نَارٌ حَامِيَةٌ). أجارنا الله بكرمه منها ، ووفّقنا لما ينجي عنها ، وجعلنا بفضلها ممن قام بما يؤمر ، واجتنب ما عنه ينهى ، فكم له من نعم سامية! فاتّقوا (نَارٌ حَامِيَةٌ). يقول ابن الجوزي - رحمه الله - كما في "التبصرة" (2/ 275): "كأنك بالعمر قد انقرض ، وهجم عليك المرض ، وفات كلّ مراد وعرض ، وإذا بالتلف قد عرض أخذاً (لَقَدْ كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). شخّص البصر وسكّن الصّوت ، ولم يمكن التّدارك للفوت ، ونزل بك ملك الموت ؛ فسامت الرّوح وحاذى: (لَقَدْ كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). عالجت أشدّ الشّدائد ، فيا عجباً ممّا تُكابِد ، كأنك قد سقيت سمّ الأسود فقطع أفلاًداً ؛ (لَقَدْ كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). بلغت الرّوح إلى التّراقي ، ولم تعرف من السّاقى ، ولم تدر عند الرّحيل ما تُلاقي ، عياداً بالله عياداً ، (لَقَدْ كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). ثم درجوك إلى الكفن ، وحملوك إلى بيت العفن ، على العيب القبيح والأفن ، وإذا الحبيب من التراب قد حفن ، وصرت في القبر جُداً ، (لَقَدْ كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). وتسرّبت عنك الأقارب تسري ، تقدّ في مالك وتقرى ، وغاية أمرهم أن تجري دموعهم رداً ، (لَقَدْ كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). قفلوا الأقفال وبصّعوا البضاعة ، ونسوا ذكرك يا حبيبهم بعد ساعة ، وبقيت هناك إلى أن تقوم الساعة ، لا تجد وزراً ولا معاداً ، (لَقَدْ كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). ثم قمت من قبرك فقيراً ، لا تملك من المال نقيراً ، أصبحت بالذنوب عقيراً ، فلو قدّمت من الخير صار ملجأ وملاداً ، (لَقَدْ كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). وقال في موضع آخر: يا مطلقاً نفسه فيما يشتهي ويريد ، انكّر عند خطواتك المُبدئ المعيد ، وخفّ فبح ما جرى فالملك يرى والملك شهيد ؛ (ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ). هلاًّ استحييت ممّن يراك إذا ركبت من هواك ما نهاك ، ستبكي والله عينك ممّا جنّت يداك ، أما تعلم أنّه بالمرصاد ، فقل لي: أين تحيد؟ (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ). كم من ظالم تعدّى وجار! فما راعى الأهل ولا الجار ، بينا هو يعقد عقد الإصرار ، حلّ به الموت ، فحلّ من حلّته الأزرار ؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ). ما صحّبه سوى الكفن إلى بيت البلى والعفن ، لو رأيتَه وقد حلّت به المحن ، وشين ذلك الوجه الحسن ، فلا تسأل كيف صار (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ). سأل في اللحد صديده ، وبلي في القبر جديده ، وهجره نسيبه ووديده ، وتفرّق حشمه وعبيده والأنصار ؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ). أين مجالسه العالية؟ أين عيشته الصافية؟ أين لذّاته الحالية؟ كم تسفي على قبره سافية ، ذهبت

العين وأخفيت الآثار ؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ). تقطعت به جميع الأسباب ، وهجره القراء والأتراب ، وصار فراشه الجندل والتراب ، وربما فتح له في اللحد باب النار ؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ). خلا والله بما كان صنع ، واحتوشه الندم وما نفع ، وتمنى الخلاص وهيهات... قد وقع ، وخلاه الخليل المصافي وانقطع ، واشتغل الأهل بما كان جمع ، وتملك الضد المال والدار (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ). نادم بلا شك ولا خفا ، باك على ما زلَّ وهفأ ، يودُّ أن صافي اللذات ما صفا ، وعلم أنه كان يبني على شفا جرف هار ؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ). قارنه عمله من ساعة الحين ، فهو يتمنى الفرار ، وهيهات... أين؟ ويقول: يا ليت بيني وبينك بُعد المشرفين ، فهو على فراش الوحدة وحده ، والعمل ثاني اثنين ، ولكن لا في الغار ؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ). وهذه إن كانت حالة من عدا ، فكلُّ منكم مثلها عداً ، فانتبهوا من رقادكم قبل الردى ؛ (أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) ، إنما هي جنة أو نار؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ). أيها الغافلون ، أين أحبائكم الذين سلفوا؟ أين أترابكم الذين رحلوا وانصرفوا؟ أين أرباب الأموال وما خلفوا؟ ندموا على التفریط ، يا ليتهم عرفوا هول مقام يشيب منه الوليد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). يا من جسده حي وقلبه ميت ، ستعابن عند الحسرات ما لا تريد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). كم أزعج المنون نفوساً من ديارها! وكم أباد البلى أجساداً منعمة لم يدارها! وكم نقل إلى الحفر أرواحاً مذارها! وكم أذل في التراب خدوداً بعد مزارها! فابك على نفسك قبل بكاء لا يفيد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). أما علمت أنك ترحل في كل يوم مرحلة؟ أما علمت أنه يحصى عليك من الأعمال خردلة؟ وكم من مؤمل خاله في الحساب ما أمله؟ مرَّ القضاء وعجله ولم تبلغه الآمال إلى ما يريد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). يا معرضاً عن المولى ، إلى متى الإعراض؟ وقد ولّى شبابك في طلب الأعراض. أما علمت ويحك أن عمرك في انقراض ، وقواك كل ساعة في انتقاض ، ويحك تزوّد ، فالسفر والله بعيد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). يا من كسّته المعاصي ظلمة الحجاب ، يا من أغلق الهوى في وجهه الأبواب ، نُح على نفسك فربما ينفخ التعديد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). أما علمت أن الموت لك بالمرصاد؟ أما صاد غيرك وإياك سيصطاد؟ أما بلغك ما فعل بسائر القُصّاد؟ أما حذرَكَ غفلتك عنه في كل موطن وواد؟ أما سمعت قول الملك المجيد: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). أين من بنى وشاد؟ واستطال وتأمّر على العباد؟ ألم يسمعوا الإنذار بالموت والتهديد: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ)؟ فإيا من ينظر العبر بعينيه ، ويسمع المواعظ بأذنيه ، وكلماته معدودة عليه ، ونذير الموت قد دنا إليه بالإسراع والتأكيد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). أيها الغافل ، ربح القوم وخسرت ، وساروا إلى الحبيب وما سرت ، وقاموا بالأوامر وضيعت ما به أمرت ، وسلموا من رِقِّ الهوى واغتررت فأسرت ، فالدنيا تخدمهم والسعادة تقدمهم حين يحشرون ؛ (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ). لقد شوقتم إلى الفضائل فما اشتقتم ، وزجرتكم عن الرذائل وأنتم في سكر الهوى ما أفقتم ، فلو حاسبتم أنفسكم وحققتم ، علمتم أنكم بغير وثيق توثقتم ، فاطلبوا الخلاص من أسر الهوى فقد جدّ الطالبون ؛ (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ). هـ. وفي حديث البراء بن عازب - الذي أخرجه الإمام أحمد - قال: "خرجنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في جنازة رجل من الأنصار ، فانتبهنا إلى القبر ، ولما يُلحد ، فجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجلسنا حوله ، وكان على رؤوسنا الطير ، وفي يده

عود ينكت في الأرض ، فرفع رأسه ، فقال: (استعيذوا بالله من عذاب القبر) مرتين أو ثلاثاً ، ثم قال: (إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ؛ نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت - عليه السلام - حتى يجلس عند رأسه ، فيقول: أيتها النفس الطيبة ، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان) ، قال: (فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها ، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض) ، قال: (فيصعدون بها ، فلا يمرون - يعني: بها - على ملاء من الملائكة ، إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان - بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا - حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له ، فيفتح لهم ، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها ، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة ، فيقول الله - عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه إلى الأرض ، فإني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى) ، قال: (فتعاد رُوحه في جسده ، فيأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام ، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله ، فأمنت به ، وصدقت ، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي ؛ فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح له في قبره مد بصره ، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول: أبشِرْ بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنت توعده ، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول: أنا عمك الصالح ، فيقول: رب أقم الساعة ؛ حتى أرجع إلى أهلي ومالي ، قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المسوح ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول: أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي إلى سخط من الله وغضب ، قال: فتفرق في جسده ، فينتزعها ، كما ينتزع السقود من الصوف المبلول ، فيأخذها ، فإذا أخذها ، لم يدعها في يده طرفة عين ، حتى يجعلوها في تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة ، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا ، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا ، فيستفتح له ، فلا يفتح له) ، ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) فيقول الله - عز وجل -: اكتبوا كتابه في سجين ، في الأرض السفلى ، فتطرح رُوحه طرْحاً ثم قرأ: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) ، فتعاد رُوحه في جسده ، ويأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه ، هاه ، لا أدري ، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه ، هاه ، لا أدري ، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه ، هاه ، لا أدري ، فينادي مناد من السماء: أن كذب ، فأفرشوا له من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيَّق عليه قبره ؛ حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، مُنتن الريح ، فيقول: أبشِرْ بالذي يسوؤك ، هذا يومك الذي كنت توعده ، فيقول: من أنت ، فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول:

أنا عمك الخبيث ، فيقول: ربّ لا تُقم الساعة) ، (4 / 287) ، (18557) ، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح ، رجاله رجال الصحيح).هـ. وتحت عنوان: (الموت جهة غير متوقعة) يقول الأستاذ الدكتور فهمي أحمد عبد الرحمن القزاز ما نصه بتصرف: (ليس بدعاً من القول أن يكون الموت مصيبة ؛ قال - تعالى - : (فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ أَلَمَتْ) ، وجزاء الصابر عليها أن الله يصلي عليه ؛ قال - تعالى - : (وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ أَشْيَاءَ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ). ومعنى صلاة الله على عبده: أن يخرجهم من الظلمات إلى النور؛ قال - تعالى - : (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا). والموت على دين الإسلام غاية الغايات ، وأسمى الأمنيات ؛ قال الله - تعالى - : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ). والموت خلق من خلق الله ؛ قال - تعالى - : (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ). وهو قدرٌ مقدر ، فأى خلل في هذا التقدير يؤدي إلى فساد الدنيا ؛ قال - تعالى - : (نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ). وهذا القدر المحسوم لن يُدفع ، أو يتقدم ، أو يتأخر ؛ قال - تعالى - : (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أِطَاعُوا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ، وقال - تعالى - : (وَلَوْ يُوَاعِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخَّرُهُمْ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ). وقضى الله في كتابه أننا جميعاً سنلاقي هذا المصير المحتوم ؛ قال - تعالى - : (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةٌ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ). ولو نجا منه أحد وكُتِب له الخلد ، لكان أحب خلق الله له سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - فقال - تعالى - : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ). كل نفس ذائقة الموت ، وهذا المصير المحتوم سنعيشه بواقعه ؛ كما أخبرنا عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في السنة النبوية المطهرة. وهو من موازين الله في خلقه لمن تمنّاه ، فهو علامة من علامات أولياء الله: (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). من أجل ذلك تحدى الله - تعالى - بني إسرائيل أن يتمنّوه إن كانوا يظنون أن الآخرة لهم دون غيرهم ؛ قال - تعالى - : (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). ونوع الله - تعالى - الوصف فيمن يأتيه الموت على ثلاث صفات: فقد وصف بالحضور ، والمجيء ، والإتيان ، فالذي يقضي حياته بالسيئات صباح مساء ، فسيحضره الموت ، فيشاهده ، ويكون بمكان قريب منه - ليس له توبة ؛ لأنه قد وقع به ، فلا مجال لتوبته ؛ قال - تعالى - : (وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) ، فقد اجتاز مرحلة الغرغرة التي أخبرنا عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُعزَّغ) ، فيكون توبته كتوبة فرعون التي لم تُقبل ؛ لأنه قد فاته هذا، فرأى العذاب: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعُدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ). وأما المنفق الذي يتصدَّق بماله في سبيل الله ، سيسهل أمره إذا جاءه الموت ، فجاء بصيغة الإتيان بقوله - تعالى - : (وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ

فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ مِنَ الصَّالِحِينَ). فالإتيان: مجيء الشيء بسهولة ، فأرشدنا ربنا أننا إذا أردنا أن يسهل أمرنا في الموت ، فعلينا أن نكثر من الصدقة. وأما المشرك والمنافق، فيكون الموت عليه شاقاً ، فجاء بصيغة المجيء. قال - تعالى - : (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ). وقال - تعالى - : (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ). والمتتبع لآيات التنزيل - ومن خلال التأمل - يجد أن الموت يأتي من مكان غير متوقع ، وسأحاول في هذا الكلمات أن أقرب المقصود ، فأقول: الذي يفر من عدو ، فيجعله خلف ظهره ، جلُّ همه أن ينجو منه ، فهو عندما يفر يلتفت خلف ظهره ؛ ليقدر المسافة بينه وبين عدوه ، فيزيد من سرعته إن اقترب ، وإذا تباطأ بالجري خلفه يلتقط أنفاسه ، فيخفف قليلاً من سرعته ، فيكون في أمان بالنجاة منه ، ولكن هذا الأمر لا ينطبق على الموت الذي نفر منه جميعاً ، فسيأتي من جهة غير متوقعة ، فسيأتينا من أمامنا وليس من خلفنا ، ويلاقينا وجهاً لوجه ؛ قال - تعالى - : (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). بل أخبرنا الله - تعالى - أن هذا الفرار لن ينفعنا أبداً ؛ قال - تعالى - : (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا). وهذا ما أكد في القرآن بصيغة أخرى ، فالجملة في اللغة متكوّنة: من فعل ، وفاعل ، ومفعول به ، والأصل فيه هذا الترتيب ، فإذا تقدم المفعول به على الفاعل ، فلحكمة يعلمها أهل الشأن ، ومن حكمها القصر وغيرها ، والذي يقرأ القرآن الكريم في موضوع الموت ، يعلم يقيناً حكمة تقدم المفعول به على الفاعل في قوله: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ). وقال - تعالى - : (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ). وهذا يتناول الأنبياء وغيرهم ؛ قال - تعالى - : (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهُكَ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ). فتقدم المفعول به على الفاعل: إما لأن النفس ترغب في تأخيرها ، فتأخر لذلك. وإما أن يكون المعنى: أنكم تمشون إلى الموت بأنفسكم ، فأنتم تسيرون إليه ، فاستعدوا له ، لا أن يأتيكم هو ؛ كقوله - تعالى - : (يَجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ). ومن المعلوم بدهاءة أن الذي يهاجر من موطنه إلى بلد آخر ، يتوقع الخير والشر ، وكل ما يخبئه له القدر سيأتيه في المكان الذي سيهاجر إليه ، لا من البلد الذي تركه خلف ظهره ؛ فلذلك فإن الموت سيأتي من هذا المكان غير المتوقع ؛ قال - تعالى - : (وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا). فجاء مصطلح "الإدراك" ؛ ليختصر لنا هذا المعنى ، وهذا الذي حصن نفسه ، وجلس في حصنه وقصره ، يتوقع أن يأتيه الشر من خارجه ، وليس من داخله ؛ لأنه قد حصن نفسه في مكانه هذا ، من أجل هذا فإن الموت سيأتي من مكان آمن بنظر هذا العبد ، متناسياً قوله - تعالى - : (أَيِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا). والذي يشرف على الغرق في بحر متلاطم الأمواج ، ينتظر أن تأتيه يد العون من خارجه ، ولكن مع الموت - ولا سيما للظالم - فيد العون تقول لهم: أخرجوا أنفسكم. فماذا يختار؟ الجاذب أم المنقذ؟ فإذا كان المنقذ من أهل الرحمة فحياً ، وأما إن كان الآخر ، فسيختار أن تُفَرَّقَ رُوحه في جسده ؛ كما أخبرنا رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - في الحديث ؛ قال الله - تعالى - واصفاً هذا الموقف بقوله: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ). ولعل في ذلك كله تكمن حكمة الإكثار من ذكر الموت ؛ كما أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله: (أكثرُوا من ذكر هادم اللذات) ، وفي رواية بالمبالغة: (استكثرُوا من ذكر هادم اللذات ، فإنه ما ذكره أحدٌ في ضيق إلا وسَّعه الله ، ولا ذكره في سعة إلا ضيَّقها عليه) ؛ فالإكثار من ذكره يجعل الفرد في تأهب دائم لاستقباله ، وهو أمر واقع لا محالة). هـ. وتحت عنوان: (الاستعداد للموت) يقول الأستاذ أحمد محمد مخترش ما نصه بتصريف: (اعلموا أن هذه الحياة أنفاس معدودة في أماكن محدودة بأجال معلومة وأرزاق مقسومة ، قال تعالى: (وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) فاعلموا عباد الله إنه لن يُعْمَرَ أحدٌ على وجه هذه الأرض ، فكم من أمم عاشت مئات السنين على هذه الأرض فأين هم وأين أجدادنا لقد ماتوا وأنقضت أعمارهم ، فالأعمار عباد الله محدودة. فاعلموا يا رعاكم الله أن الموت مهلك العباد ، وموحش البلاد ، وميتم الأولاد ، ومرمل النساء ، ومذل الجبابرة الشداد ، لا يعرف الصغير ولا يميز بين الوضيع والوزير ، سيوفه على العباد مُصلّته ، ورماحه على صدورهم مشرعة ، وسهامه لا تطيش عن الأفئدة. واعلموا أن الموت هو مفارقة الروح الجسد، وإنه انتقال من حال إلى حال ومن دار إلى دار، ولقد سمى الله الموت في كتابه مصيبة كما قال جل في علاه: (إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ) نعم الموت مصيبة! لكن المصيبة الأعظم هي الغفلة عن الموت عدم تذكر الموت عدم الاستعداد للموت ، لقد أوعظنا النبي صلى الله عليه وسلم بموعظة من أبلغ مواعظه تلين القلوب وتدعو إلى المحاسبة وتذكرنا بالآخرة فقال صلى الله عليه وسلم: (أكثرُوا من ذكر هادم اللذات) نعم أيها الغالي يوم غفلنا عن الموت وسكرته والقبر وظلمته والسؤال وشدته ويوم القيامة وكرباته والصراط وحدته ، يوم غفلنا عن هذه الأشياء قست القلوب وظهر الفساد في البر والبحر ، فاعلموا عباد الله إن من كان للموت ذاكراً كان للموت مستعداً ، قال أبو علي الدقاق: (من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاث أكرم بتعجيل التوبة ونشاط في العبادة وقناعة في القلب ، ومن نسي الموت عوقب بثلاث تسويف في التوبة وكسل في العبادة وعدم القناعة في القلب) ، وذكر الموت يُقلل كل كثير ويكثر كل قليل ، ويزهد في الدنيا ، ويعين على العمل الصالح والإكثار من ذكر الله هو سبيل المؤمنين وعباد الله المتقين. كان الحسن بن يسار كثيراً ما يقول: "يا ابن آدم! نطفة بالأمس ، وجيفة غداً ، والبلى فيما بين ذلك يمسح جبينك كأن الأمر يعني به غيرك ، إن الصحيح من لم تمرضه القلوب ، وإن الطاهر من لم تنجسه الخطايا ، وإن أكثركم ذكراً للآخرة أنساكم للدنيا ، وإن أنسى الناس للآخرة أكثرهم ذكراً للدنيا ، وإن أهل العبادة من أمسك نفسه عن الشر ، وإن البصير من أبصر الحرام فلم يقربه ، وإن العاقل من يذكر يوم القيامة ولم ينس الحساب". إذاً يا رعاك الله مما يرقق القلوب التفكر في الموت وفي أحواله وفي القبر وظلماته ، فبالله عليك أخي هل تفكرت يوماً وأنت تخرج في الصباح أنك لن ترجع إلى بيتك مرة ثانية ، هل تفكرت أن هذا اليوم هو آخر يوم لك في الحياة ، هل إذا أتاك ملك الموت في هذا اليوم أنت راض عن نفسك ، هل أنت راض عن عملك الذي ستقابل به ربك؟ هل تخيلت حالك قبيل الموت كيف تكون؟ هل تخيلت أنفاسك الأخيرة على أي حال ستنقضي وهل ستكون ممن يحبون القدوم على ربهم أم ستكون كالعبد الأبق يطلب

الرجعة؟ فيا أخي أنت الآن في مهلة فاغتنم فرصة العمل قبل انقضاء الأجل ، فوالله لا ينفعك أن تقول: (رَبِّ ارْجِعُونِ) فلا تغفل عن الموت فإنه ليس له مكان معين ، ولا زمان معين ، ولا سبب معين ، ولا عمر معين يأتيكم بغته وأنتم لا تشعرون (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). إن الناس عند الموت على حالين إما محب للقاء الله فيحب الله لقاؤه ، وإما كاره للقاء الله فيكره الله لقاؤه ، قالت عائشة يا رسول الله كلنا يكره الموت قال: (لا يا عائشة ليس ذاك لكن هو العبد الصالح - العبد المستقيم - عند سكرات الموت تأتيه ملائكة الرحمن تبشره بروح وريحان ورب راضي غير غضبان فيفرح بلقاء الله فيفرح الله بلقاؤه ، أما العبد العاصي - العبد الغافل - فتأتيه ملائكة الرحمن تبشره بسخط وعذاب من الله فيكره لقاء الله فيكره الله لقاؤه). فاستعدوا للموت عباد الله قبل أن يفاجئكم ، قال أبو الدرداء رضي الله عنه وهو يحتضر (ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا ألا رجل يعمل لمثل ساعتني هذه؟ ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا؟ ثم بكى فقالت له امرأته: أتبكي وقد صاحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: وما لي لا أبكي ولا أدري علام أهجم من ذنوبي) ، وبكى أبي هريرة رضي الله عنه في مرضه فقيل له: ما يبكيك فقال: (أما إني لا أبكي على دنياكم هذه ، ولكني أبكي على بُعد سفري وقلة زادي وإني أصبحت في صعود مهبط على جنة أو نار ولا أدري أيهما يأخذ بي). فتخيل يا عبد الله نفسك وأنت على فراش الموت تعاني مرارة الموت ، وتخيل ممشاك إلى القبر ، وتخيل مبيتك فيه وحيداً فريداً في حفرة ضيقة مظلمة مغلقة محكمة ، تخيل أول ليلة تبيتها وأول نزلة تنزلها وأول سؤال تسمعه في القبر من ربك ما دينك ماذا تقول في الرجل الذي بعث فيكم ، تخيل ذلك وتخيل حالك كيف سيكون حينها ، عن أنس رضي الله عنه قال: (ألا أحدثكم بيومين وليلتين لم تسمع الخلائق بمثلهن أول يوم يجينك البشير من الله تعالى إما برضاه وإما بسخطه ، ويوم تعرض فيه على ربك آخذ كتابك إما بيمينك أو بشمالك ، وليلة تستأنف فيها المبيت في القبور وليلة تمخض صبيحتها يوم القيامة). فاعلم أخي أن الموت هو الخطب الأفظع والأمر الأشنع والكأس التي طعمها أكره وأبشع وأنه الحادث الأهدم للذات والأقطع للراحات والأجلب للكربات والمفرق للجماعات ، فإن أمراً يا رعاك الله يفرق أعضائك ويقطع أوصالك ويهدم أركانك لهو الأمر العظيم والخطب الجسيم. لقد آن للنائم أن يستيقظ من نومه ، وحن للغافل أن ينتبه من غفلته قبل هجوم الموت بمرارة كأسه وقبل سكون حركاته وخمود أنفاسه وقبل رحلته إلى قبره وخلوده بين أرماسه. فمثل لنفسك يا مغرور فمثل يا رعاك الله وقد حلت بك السكرات ونزل بك الأتئين والغمرات والناس من حولك مجتمعون تسمع كلامهم وتريد أن تكلمهم فلا تستطيع ، فخيل لنفسك يا ابن آدم إذا أخذت من فراشك إلى لوح مغتسلك فغسلت المغسل ، وأنت جثة هامدة لا حركة ولا نفس ، وألبست الأكفان وأوحش منك الأهل والجيران ، وبكت عليك الأصحاب والإخوان وصلوا عليك صلاة لا ركوع ولا سجود لها وحملوك إلى القبر ، وأنزلوك فيه وأدخلوك في ذلك اللحد الضيق المظلم ثم أهالوا عليك التراب ، وانصرفوا عنك وتركوك وحيداً ، لا صديق ولا قريب الكل سينصرف عنك حينها ولا يبقى معك إلا ما قدمت من عمل ، فتخيل ذلك وتخيل جلوسك لسؤال وما جوابك لهذا السؤال. إن الموت ساعة لا بد منها طال العمر أو قصر ، وإنه لو كان الموت هو نهايتنا ، ولو أننا من بعده تركنا لكان الموت أهون علينا ، بل إن هناك أمور وأحوال وشدائد من بعد الموت! هناك بعث ونشور وحشر وجزاء وحساب ، في محكمة قاضيها هو الله وجنوده الزبانية وساحتها القيامة ، وأن هناك صراطاً وجنة وناراً ، فاستعد أخي لهذه الأحوال. وإذا كان هذا

الأمر قد أصاب الأنبياء والمرسلين والأولياء المتقين ، فما لنا عن ذكره مشغولون وعن الاستعداد له متخلفون ، فلمثل هذا اليوم أخي فلتعد الزاد ، ولمثل هذا اليوم فلتهجر العناد والفساد ، ولمثل هذا اليوم فلتتق رب العباد. فيا عبد الله ألا دموع تذرفها ، ألا زفرات تنفثها ، ألا توجعات من بين الضلوع تخرجها ، حقا يا عباد الله قست القلوب وران عليها غطاء الذنوب نودع الأموات وها نحن قبل الممات أموات. إنه كأس الموت ، وهو حكم الحي الذي لا يموت تبارك وتعالى ، فهل تذكرت يوماً أخي أنك ستتجرع يوماً هذا الكأس حتى النهاية ، فيا كثير السينات غداً ترى عملك ، ويا هاتك الحرمات إلى متى تديم ذلك ، ويا أكلاً لحوم الناس بالغبية والنميمة ويا مفرطاً في الصلوات ويا هاجراً للقرآن ويا عاكفاً على الأغاني والأفلام الخليعة والمُلهيات إلى متى سيبقى هذا هو حالك؟ وإلى متى ستبقى تعصي رب الأرض والسموات؟ أأمنت الموت وسكرته؟ أم أنك أيقنت أنك ستعيش إلى الغد؟ أما تعلم أن الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل؟ أما تعلم أن الموت يسعى في تبيد شملك؟ أما تخاف أن تؤخذ على قبيح فعلك؟ واعجباً لك من راحل تركت الزاد في غير رحلك ، أين فطنتك ويقظتك وتدبير عقلك؟ أما بارزت بالقبيح فأين الحزن؟ أما علمت أن الحق يعلم السر والعلن؟ ستعرف خبرك يوم ترحل عن الوطن ، وستنتبه من رقادك ويزول هذا الوسن! إن الموت حق لا ريب فيه ويقين لا شك فيه ، فمن يجادل في الموت وسكرته ، ومن يخاصم في القبر وضمته ، ومن يقدر على تأخير موته وتأجيل ساعته ، (فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) فلماذا تتكبر أيها الإنسان وسوف تأكلك الديدان ، ولماذا تطغى وفي التراب ستلقى ، فيا عبد الله لا تغفل عن الموت وأعد الزاد لحين خروج الروح ومفارقتها جسديك ، لعل الله يرحمك ويختم لك بالصالحات أعمالك. فإن حسن الخاتمة لا تكون إلا لمن استقام ظاهره وصلح باطنه من الرياء والنفاق ، ومن علامات حسن الخاتمة: أن يتوفاك الله على الإسلام ، وأن يوفق الله العبد للتوبة عن الذنوب والمعاصي والإقبال على الطاعات ، وأن يوفق الله العبد للنطق بالشهادة ، فمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ، قد يقول قائل أحد الغافلين المفرطين العاصين لرب الأرض والسماء إذا جاءني الموت سأقول لا إله إلا الله ، هيهات هيهات حينها والله لن تستطيع قولها ، ذلك من تلبيس الشيطان عليك ، نعم تستطيع الآن قولها عشرات المرات بل آلاف المرات لكن وقتها لن تستطيع أحداً قولها إلا من وفقه الله لقولها. ومن علامات حسن الخاتمة أيضاً أن يموت العبد على عمل صالح من صلاة أو صيام أو جهاد أو قراءة قرآن. ذكر بعض الفضلاء أن امرأة عجوزاً كانت من أهل الصلاة والطاعة ، وفي يوم وهي في مصلاها ساجدة ، أرادت أن ترفع من سجودها فلم تستطع ، صاحت بابنها ، أجلسها كهينة السجود ، حملها إلى المستشفى ، ولكن لا فائدة ، فقد تجمدت أعضاؤها على هذه الحال ، قالت يا بني خذني إلى مصلاي أتعبد وأصلي إلى أن يفعل الله ما يشاء ، ولم تزل في صلاة وهي على هيئة السجود لا تقوى على الحراك ، فقبض الله روحها وهي ساجدة ، غسولها وهي ساجدة، كفوها وهي ساجدة ، أدخلت إلى قبرها وهي ساجدة ، وتبعث يوم القيامة بإذن الله وهي ساجدة!).هـ. وتحت عنوان: (الموت والحشر والحساب) يقول الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم ما نصه بتصريف: (يقول جل شأنه: (وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ). ووصف وقت مجيء الموت بالسكرة والسكرات ؛ لأنها تُغطي عقل الإنسان فتسلبه القوة المدركة للمعلومات ، وذلك عند اشتداد النزاع ، وخروج الروح من أجزاء البدن ، ونزاع الروح من الجسم أشد من ضربات السيف على البدن ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم-

يُدْخِلُ يَدَهُ فِي قَدْحٍ مِنَ الْمَاءِ ، وَيَمْسَحُ وَجْهَهُ الشَّرِيفَ - حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ - وَيَقُولُ: (إِنْ لِلْمَوْتِ لَسَكْرَاتٍ). (ذَلِكَ مَا كُنْتُ مِنْهُ تَحِيدُ): أَي: ذَلِكَ الْمَوْتُ ، وَهَذِهِ اللَّحْظَاتُ كُنْتُ تَفْرُ مِنْهَا وَتَهْرَبُ ، فَقَدْ جَاءَتْكَ ، فَلَا مَحِيدَ وَلَا مَنَاصَ وَلَا خَلَاصَ ، كُلُّ النَّاسِ يَكْرَهُونَ الْمَوْتَ ، إِلَّا أَنْ الْمَشْرُوكِينَ يَحْرِصُونَ عَلَى الْحَيَاةِ أَكْثَرَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ لِعَدَمِ اعْتِقَادِهِمْ بِالْحَيَاةِ الْآخِرَةِ ؛ يَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: (وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْخَزِجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ). وَالْمُؤْمِنُ يَكْرَهُ الْمَوْتَ جِبِلَّةً ، وَرَبَّمَا يَرْعُبُ فِي الْحَيَاةِ ؛ لِاسْتِدْرَاكِ مَا فَاتَهُ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، أَوْ الْاسْتِزَادَةِ مِنْهُ ، وَكَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ كَانُوا يَسْتَبْشِرُونَ بِالْمَوْتِ وَلِقَائِهِ ؛ لِأَنَّهُ الْبُوبَةُ الَّتِي يَدْخُلُونَ مِنْهَا إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، وَلِقَاءِ الْأَحِبَّةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ. (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ): جَاءَ ذِكْرُ النُّفْخِ فِي الصُّورِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ ، وَمَرْجِعُهَا إِلَى نَفْخَتَيْنِ: النَّفْخَةُ الْأُولَى: (نَفْخَةُ الصَّعْقِ): وَجَاءَ ذِكْرُهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ). النَّفْخَةُ الثَّانِيَّةُ: (نَفْخَةُ الْبَعْثِ): وَجَاءَ ذِكْرُهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) ، وَلَا يَدْرِي أَحَدٌ كَمْ يَكُونُ الْوَقْتُ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ. وَجَاءَتْ آيَاتٌ فِي سِيَاقَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ تُذَكِّرُ بِالنَّفْخَةِ الثَّانِيَّةِ: (نَفْخَةُ الْبَعْثِ) ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا). ثُمَّ يَأْتِي النِّدَاءُ لِجَمْعِ النَّاسِ إِلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ: وَهَلْ هَذَا النِّدَاءُ نَفْخَةٌ ثَالِثَةٌ ، أَوْ نِدَاءٌ خَاصٌّ يَجْمَعُ النَّاسَ إِلَى الْمَوْقِفِ؟ قَالَ تَعَالَى: (وَاسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ). وَسَمَّى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذَا الْحَشْرَ بِنَاءً عَلَى نِدَاءِ الْمُنَادِي ، وَسَمَاهُ تَارَةً بِالصَّيْحَةِ ، وَتَارَةً بِالزَّجْرَةِ ، وَهُوَ أَسْلُوبٌ قَرَأَنِي يُرَاعِي السِّيَاقَ عِنْدَ التَّعْبِيرِ عَنِ الْحَقِيقَةِ الْوَاحِدَةِ بِالْفِظَائِ مُخْتَلِفَةٍ. فَمَثَلًا اسْتِخْدَامُ "الزَّجْرَةِ" مُنَاسِبٌ تَمَامًا لِإِيقَاعَاتِ النَّازِعَاتِ الَّتِي تُمَثِّلُ السَّرْعَةَ وَالِاضْطِرَابَ فِي النُّفُوسِ ، وَالهِلَعِ فِي الْقُلُوبِ ؛ يَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: (يَوْمَ تَرْجَفُ الرَّاجِفَةُ * تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ * يَقُولُونَ أَنَا لَمْرُدُونَ فِي الْخَافِرَةِ * إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخْرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ). وَحَشْرُ النَّاسِ إِلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ بِنَاءً عَلَى تِلْكَ الزَّجْرَةِ يُلْفَهُ الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ وَالسَّرْعَةُ ، وَالْعَنْفُ وَالذَّلُّ وَخُشُوعُ الْبَصَرِ وَشُرُودُ الذَّهْنِ مِنَ الْمَحْشُورِينَ ، الَّذِينَ لَا يُدْرِكُونَ حَقِيقَةَ الْمَصِيرِ الَّذِي يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِ ، وَالْمَقْرَ الَّذِي يَسْتَقِرُّونَ فِيهِ. وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ النَّفْخَاتِ ثَلَاثٌ: الْأُولَى: نَفْخَةُ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ: وَأَشِيرُ إِلَيْهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ). الثَّانِيَّةُ: نَفْخَةُ الصَّعْقِ: وَهِيَ الَّتِي يَكُونُ بِهَا مَوْتُ الْخَلَائِقِ ، وَخَرَابُ الْكُونَ ، وَجَاءَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا فِي سُورَةِ الزَّمْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ). وَفِي سُورَةِ الْحَاقَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً). الثَّلَاثَةُ: نَفْخَةُ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ: كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ). وَهِيَ الَّتِي جَاءَ التَّعْبِيرُ عَنْهَا أَحْيَانًا بِالصَّيْحَةِ وَالنِّدَاءِ وَالزَّجْرَةِ. وَسَوَاءٌ كَانَتْ النَّفْخَاتُ ثَلَاثًا أَوْ اثْنَتَيْنِ وَمَعَهَا الصَّيْحَةُ ؛ فَكُلُّهَا تُبَيِّنُ الْقَضَاءَ الْمُبْرَمَ لِحَشْرِ النَّاسِ إِلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ ؛

لإجراء الحساب ، ووزن الأعمال في ذلك الموقف العصيب واليوم الرهيب. (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ): جاء التعبير القرآني بأساليب كثيرة في وصف حال الناس عند توجُّههم إلى أرض المحشر ، وكل صورة منها تعكس الحال الداخلية لأصحابها ، إما على قسَمات وجوههم أو على طريقة سيرهم ، أو بعض أحوالهم الأخرى: أما السرعة والدُّل: فتعرضه الآياتان في قوله تعالى: (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلَّةً ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ). والجزء من جنس العمل: لقد كانوا يسرعون للطواف حول أصنامهم وهم فرحون ، مبتهلون مستبشرون ، وفي أعيادهم ومناسباتهم للاحتفال بطقوسهم الدينية ، كانوا يخرجون زرافاتٍ ووحدانًا ، واليوم يخرجون من القبور تَغشاهم الذلَّة والقلق والاضطراب ، إنه اليوم الموعود الذي أنكره وكذبوا به. أما خروجهم من أصقاع الأرض وانتشارهم عليها من كل حدب وصوب ، فتصوِّره الآيات التالية ؛ يقول تعالى: (خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ). إن التشبيه بالجراد الكثير الذي يملأ وجه الأرض ، ويأتي من كل جهة تصوير دقيق وراعب لصورة الناس ، وهم هائمون على وجوههم يخرجون أفواجا تلو أفواج ، وهم في تلك الحالة المُفرَّعة المُضطربة. أما الأحوال التي يكون عليها الناس نتيجة انعكاس أحوالهم (المعنوية) على الظاهر المادي ، فيعرضها القرآن الكريم في صورٍ مُذهلة: يقول عز من قائل: (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرَاهُمْ قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ) ، قيل: السائق من الملائكة ، والشهيد: شاهد عليه من نفسه ، وقيل: ملكان. (لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمُ الْيَوْمَ حَدِيدًا): الغفلة: الذهول عما شأنه أن يُعلم ، والمراد بها هنا الإنكار والجحود ؛ إذ المؤمن لا يغفل عن الموت والحساب ، وإن جاءته أوقات غفل فيها عن ذكر الموت والحشر ، فسرعان ما يتذكر كل ذلك عند صلواته ، وعند أذكاره ، فمن عظمة الإسلام أن ربط المسلمين بأدعية وأذكار وعبادات تُذكِّرهم بالله وباليوم الآخر كل أوقاتهم. والغطاء: هي الشواغل والاهتمامات والحُجُب التي كانت تشغله عن ذكر الموت ، أو رؤية حقائق الموت ، وقبض الرُّوح. (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ): حدة البصر: نفاذه في المرئيات ، وعند خروج الرُّوح من البدن تتكشف الحقائق للإنسان ، وتصبح المغيِّبات مشاهدات ، يُدركها الإنسان ، ولا يبقى مجالٌ لما كانوا يقولون في الحياة الدنيا ، وكانوا يقولون: (أَلَا مِثْلًا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَا لَمُبْعُوثُونَ * وَأَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ) ، ويتحققون من البعث والجمع ؛ كما ورد في قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكذِّبُونَ * لَأَكَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رَقُومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ * هَذَا نُزِّلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) ، وكل إنسان تتكشف له الحقائق عند الموت ؛ فالمؤمن يرى مقعده من الجنة ، والكافر يرى مقعده من النار ؛ لذا لم تُقبل توبة الكافر عند غرغرة الموت ؛ لأن وقت الابتلاء بالتصديق أو التكذيب قد فات ، وظهرت الحقائق لكل أحد. (وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدِيَّ عَتِيدٌ): القرين: الشيطان الموكل بكل إنسان ، يدعوه إلى الشر ، ويصرفه عن الخير. يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما من أحد إلا وكل به قرينٌ من الجن) ، قالوا: وإياك؟ قال: (وإياي! إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير). (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ * الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ

(الشديد) ؛ الخطاب للملائكة الموكلين به. (كفَّارٍ عَنِيدٍ): كَفَرَ بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ ؛ من العقل والسمع والبصر والصحة والمال والأولاد ؛ فلم يشكر نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، ولم يستخدم تلك النِعَمَ فيما خُلِقَتْ له ، وعاند دواعي الإيمان من داخله ؛ الفطرة والعقل ، ومن خارج نفسه ؛ دعوة الأنبياء والمرسلين ، والسائرين على منهجهم ؛ من المصلحين والأئمة المهديين. (مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ): على رأسها: الصدق ، وأعمال البر ، والإنفاق في سبيل الله ، ويدخل فيها العمل الصالح في مختلف مجالات الحياة ، مما يُصلح حياة الأفراد والجماعات ، وقيمها على شريعة الله. وقيل: الذي يمنع دخول الناس في الإسلام ؛ فالخير كله في الإسلام. (مُعْتَدٍ مُرِيبٍ): مُتَجَاوِزٌ لِحُدُودِ الْحَقِّ ، سواء بالكلمة أو بالفعل ، وغير ذلك من أساليب الظلم والشر ، ومرتابٍ شاكٍ في الحق ، وفي دعوة الأنبياء والبراهين المقامة من الكتاب المفتوح الكون ، والكتاب المنزَّل. (الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ): سواء كان هذا الإله المزيف من الأوثان المادية أو المعنوية ، كالعلم والمبدأ والحزب والقوم... فكل هؤلاء عُبدت من دون الله في العصور السابقة واللاحقة. (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ): يقول قرينه: لم أكن سبباً في إضلال هذا الإنسان ، وإنما كان ضلاله ذاتياً ؛ فطغى هو بضلالة ، وقيل: إن الكافر يزعم أن الملك الموكل بكتابه سيناته قد زاد فيما كتب ، فيقول الملك: ربنا ما أطغيتُهُ ؛ أي: ما زدْتُ عليه". (قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُمُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعْدِ * مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ): كل الكفرة والمجرمين ينتصلون من جرائمهم التي عملوها في الدنيا ، ويلقون بالتَّبَعَةَ على متبوعيه من الإنس والجن الذين أضلَّوهم ، إلا أن الله - سبحانه وتعالى - الذي أعطى العقل والإدراك لكل شخص يُحاسبه على ذلك: (وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى) ، نعم قد تتضاعف العقوبة على الداعية إلى الضلالة ، فيكتب عليهم أوزار الذين كانوا سبباً في إضلالهم ، ولكن لا يُنْقَصُ من عذاب الأتباع ؛ فكلُّ فيها خالد ، وقد جاء بيان كل ذلك على ألسنة الأنبياء والمرسلين ، فلا يظلم ربك أحداً ، إن الحق ثابتٌ مستمر ولا يمكن تغييره أو التلبيس عليه ، فلا تمويه ولا تغيير ولا تبديل ، ولا ظُلم ، ولا يظلم ربك أحداً. (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ): خَلَقَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - الجنة وجهنم ، ووعد لكل واحدة منهما ملاءها ؛ عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تزال جهنم يلقى فيها ، وتقول: هل من مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط ، وعزتك وكرمك ، ولا يزال في الجنة فضلٌ ، حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر فيسكنهم في قصور الجنة). (وَأَزْلِفَتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ): تَزَيَّنَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَعُودُونَ إِلَى رَبِّهِمْ ، ويتوبون كلما وقعوا في ذنب ، ولا يُصِرُّون على الإثم. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أَوْتِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبَّرِينَ ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟ قَالَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مِنْ عِبَادِي ، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي ، أَعْدَبُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مِنْ عِبَادِي ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مَلُوءٌ ، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمَلَأُ حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - رِجْلَهُ ، فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ ، فَهَنَّا لِكَ تَمَلَأُ وَيُزَوِّي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا ، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا). (خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ): مَنْ خَافَ اللَّهَ - تَعَالَى - فِي سِرِّهِ ؛ حَيْثُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - فَيَحْفَظُ نَفْسَهُ مِنَ الذُّنُوبِ ، كَمَا يَحْفَظُهَا فِي الْجَهْرِ ، وَقِيلَ: لِلتَّائِبِ فِي السَّرِّ مِنْ ذُنُوبِهِ إِذَا ذَكَرَهَا كَمَا فَعَلَهَا فِي السَّرِّ ، وَقِيلَ: الَّذِي يَسْتَتِرُ

بطاعته لنلا يُدخلها في الظاهر رياء. (ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود * لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد): تتلقى الملائكة أهل الجنة بالترحاب وبشرى الخلود في دار النعيم ؛ كما قال - تعالى -: (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين). (لهم ما يشاءون فيها): لأهل الجنة ما يتمنون: (وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين) ، يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (فيها ما لا عين رأت ، ولا أُذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر). (ولدينا مزيد): الزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم ، وقيل: اجتماعهم كل جمعة بربهم. وقيل: الزيادة: الحور العين التي تُبعث من السحاب)هـ. يُروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: "أنه قال لكعب الأحبار: حدثنا عن الموت ، فقال كعب: نعم يا أمير المؤمنين ، هو كغصن كثير الشوك أُدخل في جوف رجل ، فأخذت كل شوكه بعرق ، ثم جذبته رجلاً شديداً الجذب ، فأخذ ما أخذ ، وأبقى ما أبقى". وكان عمر - رضي الله عنه - يقول: "لو أن لي طلاع الأرض ذهباً ، لافتديت بها من هول المَطْلَع". وقال شداد بن أوس: "الموت أفضح هول في الدنيا والآخرة على المؤمن ، وهو أشد من نشرٍ بالمناشير وقرضٍ بالمقاريض ، وغلي في القدر ، ولو أن الميت نُشِرَ (بُعِثَ من قبره) ، فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ، ما انتفعوا بعيش ولا تلذذوا بنوم". وذات يوم دخل الحسنُ البصري على مريض يعودُه "فوجده في سكرات الموت ، فنظر إلى كربه ، وشدة ما نزل به ، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم ، فقالوا له: الطعام يرحمك الله! فقال: يا أهلاه ، عليكم بطعامكم وشرابكم ، فوالله لقد رأيتُ مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه". وصدق عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - حيث قال: "السعيد من وعظ بغيره". وقيل لبعض الزهاد: "ما أبلغ العظاات؟ فقال: النظر إلى الأموات". ولما حضرت عمرو بن العاص - رضي الله عنه - الوفاة قال له ابنه عبد الله: "يا أبتاه ، إنك قد كنت تقول لنا: ليتني كنت ألقى رجلاً عاقلاً عند نزول الموت ، حتى يصف لي ما يجد ، وأنت ذلك الرجل ، فصف لي الموت ، فقال: والله يا بني لكان جنبي في تحت ، وكأني أتففس من سم إبرة ، وكان غصن الشوك يجرُّ به من قدمي إلى هامتي ، ثم قال:

ليتني كنتُ قبل ما بدا لي في قلال الجبال أرى الوعولا

والله ليتني كنتُ حيضاً ، أعركتني الإمام بدریب الإذخر". (كتاب المحتضرين ص 93). وتحت عنوان: (الموت حق على الإنس والجن)يقول الأستاذ الشيخ ندا أبو أحمد ما نصه: (في "صحيح البخاري" عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: (أعوذ بعزتك ، الذي لا إله إلا أنت ، الذي لا يموت ، والإنس والجن يموتون). فالموت عاقبة كل حي ، وختام كل شيء ، ونهاية كل موجود - سوى الرب المعبود - فالكل سيموت ، إلا ذا العزة والجبروت ، فالموت طالب لا يعجزه المقيم ، ولا ينفلت منه الهارب ، فهو قضاء نافذ ، وحكم شامل ، وأمر حاتم لازم ، لا مهرب منه ولا مفر ، وبعد الموت يجازى كل إنسان مناً بما عمل في هذه الحياة الدنيا ؛ كما قال - تعالى -: (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) ، وقال - تعالى -: (كل نفس ذائقة الموت وتبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون). قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير هذه الآية: "نختبركم بالشدة والرخاء ، والصحة والسقم ، والغنى والفقر ، والحلال والحرام ، والطاعة والمعصية ، والهدى والضلال ؛ أي: لننظر كيف شكركم

وصبركم ، (وَإِنِّيَا تُرْجَعُونَ) ، لا إلى غيرنا فنجازيكم بأعمالكم". وأخرج الإمام أحمد - بسند حسن - عن أنس - رضي الله عنه - قال: "لما قالت فاطمة ذلك ، يعني لما وجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كرب الموت ما وجد ، قالت فاطمة: واكرباه: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (يا بُنَيَّةُ ، إنه قد حضر بأبيك ما ليس الله بتارك منه أحد لموافاة يوم القيامة). (السلسلة الصحيحة: 1738). وكان الإمام أحمد يقول: "يا دار، تخربين ويموت سكانك". وكتب سالم بن عبد الله بن عمر إلى عمر بن عبد العزيز في رسالة له طويلة منها: "أما بعد ، فإن الله - تبارك وتعالى - خلق الدنيا لما أراد ، وجعل لها مدة قصيرة ، فكان ما بين أولها إلى آخرها ساعة من النهار ، ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء ، فقال: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ). (حلية الأولياء: 284/5). هـ. وتحت عنوان: (سكرات الموت) يقول الشيخ ندا أبو أحمد ما نصه: (للموت سكرات يُلَاقِيهَا كُلُّ إِنْسَانٍ حِينَ الْإِحْتِضَارِ ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا أَنَّ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - دَخَلَتْ عَلَى أَبِيهَا أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي مَرَضِ مَوْتِهِ ، فَلَمَّا ثَقُلَ عَلَيْهِ ، تَمَثَّلَتْ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

لعمرك ما يُغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ

فكشفت عن وجهه ، وقال - رضي الله عنه -: ليس كذلك ، ولكن قلبي: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). والمقصود بسكرات الموت: هي "كُرْبَاتِهِ وَغَمْرَاتِهِ" ، قال الراغب - رحمه الله - في "مفرداته": "السُّكْرُ: حالة تَعْرِضُ بَيْنَ الْمَرءِ وَعَقْلِهِ ، وَأَكْثَرُ مَا تُسْتَعْمَلُ فِي الشَّرَابِ الْمُسْكِرِ ، وَيُطْلَقُ فِي الْغَضَبِ وَالْعَشَقِ وَالْأَلَمِ وَالنُّعَاسِ وَالغَشْيِ النَّاشِئِ عَنِ الْأَلَمِ وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا". (فتح الباري: 440/11). ولو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجرد ما ، لكان جديراً بأن يتنصص عليه عيشه ، ويتكدر عليه سروره ، ويفارق سهوه وغفلته ، وحقيق بأن يطول فيه فكره ، ويعظم له استعداده ، لا سيما وهو في كل نفس بصدده ، فالموت كما قيل: "كرب بيد سواك ، لا تدري متى يغشاك". والعجيب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات ، وأطيب المجالس من اللهو ، فانتظر أن يدخل عليه إنسان ، فيضربه خمس ضربات بالسيف ، لتكدرت عليه لذاته ، ولفسد عليه عيشه ، وهو في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع ، وسكرات النزع كما قيل: أشد من ضرب بالسيف ، ونشر بالمناشير ، وقرض بالمقاريض ؛ لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح ، فكيف إذا كان المتناول المباشر نفس الروح؟! وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه ، وإنما انقطع صوت الميت وصياحه من شدة ألمه ؛ لأن الكرب قد بلغ فيه ، وتساعد على قلبه ، وبلغ كل موضع منه ، فهدد كل قوة ، وضعف كل جارحة ، فلم يترك له قوة الاستغاثة ، ولو كان المجذوب عزفاً واحداً ، لكان ألمه عظيماً ، فكيف والمجذوب نفس الروح؟! لا من عرق واحد بل من جميع العروق ، ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجياً فتبرد أولاً قدماه ، ثم ساقاه ، ثم فخذه ، ولكل عضو سكرة بعد سكرة ، وكربة بعد كربة ، حتى يبلغ بها إلى الخلقوم ، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها". انظر: التذكرة للقرطبي. ولم يسلم الأنبياء - مع علو مكانتهم ورفعة منزلتهم - من سكرات الموت ، يروى عن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - لما مات قال الله - عز وجل - له: (كيف وجدت الموت؟ قال إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -: كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب ، فقال له رب العزة: أما إننا قد هونا عليك). ويروى عن موسى - عليه السلام -: "أنه لما صارت رُوحه إلى الله - عز وجل -

قال له ربه: (يا موسى ، كيف وجدت الموت؟ قال: وجدت نفسي كشاة حيّة بيد القصاب تُسلخ). ورؤي عنه أيضًا أنه قال: "وجدت نفسي كالصفرور الحي حين يُقلى في المقلاة ، لا يموت فيستريح ، ولا ينجو فيطير". وقد عانى الرسول - صلى الله عليه وسلم - كذلك من هذه السكرات ؛ فقد أخرج البخاري من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: "إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان بين يديه ركوة - أو علبه فيها ماء ، يشك عمر (أحد رواة الحديث) - فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: (لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات) ، ثم نصب يده فجعل يقول: (في الرفيق الأعلى) ، حتى فُيَضَ ومالت يده". قال أبو عبد الله: العلبه من الخشب ، والركوة من الأدم (الجلد). وأخرج البخاري عن عائشة أيضًا - رضي الله عنها - قالت: "مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإنه بين حاقنتي وذاقنتي ، فلا أكره شدة الموت لأحد بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم". وفي "الصحيح" أيضًا: "أنه لما تُقِل النبي - صلى الله عليه وسلم - جعل يتغشاه الكرب ، فجعلت فاطمة - رضي الله عنها - تقول: واكرب أبتاه! فقال - صلى الله عليه وسلم -: (لا كُرب على أبيك بعد اليوم). وعند الإمام أحمد بسند صحيح عن أنس - رضي الله عنه - قال: "لما قالت فاطمة ذلك - يعني لما وجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كُرب الموت ما وجد ، قالت فاطمة: واكرباه! قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (يا بُنيّة ، إنه قد حضر بأبيك ما ليس الله بتارك منه أحدًا لموافاة يوم القيامة). (السلسلة الصحيحة: 1738). لكن ما الحكمة من تشديد الموت على النبيين ، يُجيب عن هذا القرطبي - رحمه الله - فقال: "لتشديد الموت على الأنبياء فاندتان: الأولى: تكميل فضائلهم ورفع درجاتهم ، وليس ذلك نَقْصًا ولا عذابًا ، بل هو من جنس ما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد: (إن أشد الناس بلاءً الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل). والثانية: أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت وأنه باطن ، وقد يطلع الإنسان على بعض الموتى ، فلا يرى عليه حركة ولا قلقًا ، ويرى سهولة خروج الروح ، فيظن سهولة أمر الموت ، ولا يعرف ما الميت فيه ، فلما ذكر الأنبياء الصادقون في خبرهم شدة ألمه مع كرامتهم على الله تعالى ، وتهوينه على بعضهم قطع الخلق بشدة الموت الذي يُقاسيه الميت مُطلقًا ؛ لإخبار الصادقين عنه ، ما خلا الشهيد (قتيل الكفار) ، فإنه لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم مسّ القرصة ، كما ثبت في الحديث". اهـ. فإذا كانت هذه سكرات الموت على الأنبياء والمرسلين وعباد الله الطيبين ، فكيف بالظالمين الذين قال عنهم رب العالمين: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ). يقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: "(وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ) ؛ أي في سكراته وغمراته وكرباته: (وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ) ؛ أي: بالضرب ؛ كقوله: (لَنْ بَسَطَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي) ، وقوله: (وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ). قال غير واحد: (بَاسِطُو أَيْدِيَهُمْ) ؛ أي: بالعذاب ، كقوله: (وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَدُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) ؛ ولهذا قال: (وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا) ؛ أي: بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ؛ ولهذا يقولون لهم: (أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ) ، وذلك أن الكافر إذا احتضر بشترته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم ، وغضب الرحمن الرحيم ، فتنفّر روحه في جسده ، وتعصى وتأبى الخروج ، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم ، قائلين لهم: (أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ

تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) ؛ أي: اليوم تُهانون غاية الإهانة ، كما كنتم تكذبون على الله ، وتستكبرون عن اتباع آياته ، والانقياد لرسوله ، وقد وردت الأحاديث المتواترة في كيفية احتضار الكفار عند الموت". اهـ. ففي مسند الإمام أحمد عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم قال :- (وإن العبد الكافر - وفي رواية الفاجر - إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد ، سود الوجوه معهم المسوح من النار ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول ، أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي إلى سخط من الله وغضب ، قال: فتفرق في جسده ، فينتزعها كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول ، فتقطع معها العروق والعصب). سؤال: ولعل قائلًا يقول: إذا ، ما الفارق بين الأتقياء والأشقياء ، وبين الصالح والطالح؟ فالكل يُعاني من سكرات الموت! نقول: لا يستويان ؛ فإن الكافر والفاجر يُعانيان من الموت أكثر مما يُعاني منه المؤمن ؛ كما دلَّ على ذلك الحديث السابق ، فتقطع مع خروج الرُّوح العروق والعصب ، هذا أمر. والأمر الآخر: أن سكرات الموت للكافر أو الفاجر: محنة ونقمة وشدة وعذاب ونكال. أما سكرات الموت للمؤمن التقي النقي: فهي منحة ونعمة ورحمة ؛ حيث يُغفر بها الذنوب ، أو تُرفع بها الدرجات. فقد روي عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: "إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله ، شدَّد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدانده درجته من الجنة ، وإن الكافر كان قد عمل معروفًا في الدنيا ، هُوّن عليه الموت ، ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا ، ثم يصير إلى النار". (رواه ابن أبي الدنيا في ذكر الموت). هـ. وتحت عنوان: (التذكير بالموت هادم اللذات) يقول الشيخ عبد الله بن صالح القصير ما نصه: (إنه مما يروى عنه صلى الله عليه وسلم في الموت قوله عليه الصلاة والسلام: "أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت ، وأفضل العبادة التفكر ، فمن أتقنه ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة"! وقوله صلى الله عليه وسلم: "أكثر ذكر الموت ، فما من عبد أكثر ذكره إلا أحيا الله قلبه وهون عليه الموت ، وإنه لا يكون في كثير إلا قلله ، ولا في قليل إلا أجراه". وقوله عليه الصلاة والسلام: "أكثروا ذكر هادم اللذات - يعني الموت - ، فإنه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه ولا في سعة إلا ضيقها عليه". وقوله صلى الله عليه وسلم: "أكثروا ذكر الموت فإنه يُحص الذنوب ، ويزهد في الدنيا ، فإن ذكرتموه عند الغنى هدمه ، وإن ذكرتموه عند الفقر أرضاكم بعيشكم". كفى بالموت واعظاً وباليقين غنى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت ، واحبب من أحببت فإنك مفارقة ، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، وإنما يكون ذلكم عند الموت ، حين يرى المحتضر ما يبشر به بحسب عمله. أيها الناس إنكم في دار هدنة ، وأنتم على ظهر سفر ، والسير بكم سريع ، وإن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء ، وجلأوها كثرة ذكر الموت وتلاوة القرآن ، وإنكم لو رأيتم الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأمل وغروره! وفي مسند الديلمي رحمه الله عن زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وما من أهل بيت إلا وملك الموت يتعاهدهم في كل يوم مرتين ، فمن وجده قد انقضى أجله قبض روحه فإذا بكى أهله وجزعوا قال: لم تبكون؟ ولم تجزعون؟ فو الله ما نقصت لكم عمراً ، ولا حبست لكم رزقاً وإن لي فيكم لعودة ثم عودة ثم عودة حتى لا أبقى منكم أحداً". وروي عنه صلى الله عليه وسلم قال: "احضروا موتاكم

ولفتوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة ، فإن الحليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع ، والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف ، والذي نفسي بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه على حياله. في سنن النسائي رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا حضر المؤمن - أي عند قبض روحه - أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء ، فيقولون: أخرجي راضية مرضياً عنك ، إلى روح وريحان ورب غير غضبان! فتخرج كأطيب ريح المسك ، حتى أنه ليناوله بعضهم بعضاً حتى يأتوا به باب السماء ، فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض! فيأتون به أرواح المؤمنين فلم أشد فرحاً من أحدكم بغائبه يقدم عليه ، فيسألونه: ماذا فعل فلان ، ماذا فعلت فلانة؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا ، فإذا كان - يعني ميتاً - قال: أما أتاكم؟ قالوا: ذهب إلى الأمة الهاوية! وإن الكافر إذا حضر أتته ملائكة العذاب بمسح أي كفن من النار - فيقولون أي لروحه: - اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله! فتخرج كأتنت ريح جيفة حتى يأتوا بها باب الأرض ، فيقولون: ما أنتن هذه الريح حتى يأتوا بها أرواح الكفار - يعني في السجن أسفل سافله. وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، قالوا إنا نكره الموت ؛ قال: ليس ذلك ، ولكنه إذا حضر فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ، فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله ، والله عز وجل للقاءه أحب وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم! فإذا بشر بذلك كره لقاء الله ، والله للقاءه أكره". روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أول ما يبشر به المؤمن روح وريحان وجنة نعيم ، وأول ما يبشر به المؤمن أن يقال له: أبشر ولي الله برضاه والجنة قدمت خير مقدم ، قد غفر الله لمن شيعك ، واستجاب لمن استغفر لك وقبل ممن شهد لك ، وما من ميت يوضع على سريرة فيخطى به ثلاث خطى إلا نادي بصوت يسمعه من يشاء الله ، يا إخوانه ، ويا حملة نعشاه ، لا تغرنكم الدنيا كما غررتي ، ولا يلعبن بكم الزمان كما لعب بي ، أترك ما تركت لذريتي ، ولا يحملون عني خطيئتي ، وأنتم تشيعوني ثم تتركوني ، والجبار يخاصمني". هـ. وتحت عنوان: (ذكر الموت وتمنيه) يقول الدكتور عبدالله بن حمود الفريح ما نصه: (من أصيب بضرٍ من مرض ونحوه ، فإنه لا يتمنى الموت بسبب ذلك الضر ؛ لحديث أنس رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: "لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مِنْ ضَرِّ أَصَابَهُ ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعْلَمْ ؛ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي". ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: "لَا يَتَمَنَّي أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمرَهُ إِلَّا خَيْرًا" ، فدل الحديث على النهي عن تمنى الموت ، وعن الدعاء به على النفس ، لأن زيادة العمر خير للإنسان إذا استغله ، فهو إما يزيد في الطاعة ، أو يستغفر عن الذنب ، وجاء في لفظ البخاري: "لَا يَتَمَنَّي أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ ؛ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزِدُّهُ ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتَبُ". ويستثنى من ذلك حالتان يُشرع للإنسان فيهما تمنى الموت: الأولى: إذا خشي على دينه من الفتنة. ويدل على ذلك: أ. قوله تعالى عن مريم: (يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا) وذلك حينما حملت ، وخافت على نفسها العار ، بأن تتهم في عرضها كونها جاءت بولد من غير أب ، وعلى هذا يحمل ما ورد من الأخبار في تمنى السلف للموت ، بأنهم خافوا على دينهم من الفتنة. ب. حديث معاذ رضي الله عنه الطويل ، وفيه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً ؛ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَقْتُونٍ" ، وموت الإنسان ولو بعد

عمر قصير غير مفتون ، خير له من أن يموت مفتوناً. والثانية: إذا كان موته شهادة في سبيل الله تعالى. ويدل على ذلك: أ. حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وَلَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي، مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوْ دِدْتُ أَنِّي أَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أَقْتُلُ، ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أَقْتُلُ". ب. حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ". هـ. يقول الأستاذ محمد بن صالح المنجد تحت عنوان: (ذكرى المئوى) ما نصه: (لقد ألهتنا هذه الدنيا عن الله ، لقد ألهانا ما في هذه الدنيا عن الاستعداد للدار الآخرة ، إن هذا البهرج ، وهذه الزينة ، أن هذا الألوان والسلع ، إن هذه التسالي والألعاب ، إن هذه الأفلام والمسلسلات ، إن هذه الأسفار والسياحات ، إن هذه الملابس والصناعات ، قد ألهتنا عن الله - تعالى - ، والاستعداد للدار الآخرة ، ولا يزال أهل الدنيا في غفلة حتى يأتيهم الموت ، فإذا ماتوا انتبهوا. الموت - يا عباد الله - الذي حثنا النبي ﷺ على تذكره ، وأمر بذلك ، فقال: أكثروا ذكر هادم اللذات ، وامثالاً لأمره ﷺ! تعالوا بنا نتذكر شيئاً من الأمر الذي أمرنا به ﷺ ، وهو تذكر الموت ، لعل الله - تعالى - أن ينعش قلوبنا بذكره ، وأن يزيل الغفلة عن القلوب الصدئة ، وأن يعود من انحرف إلى الجادة ، وأن يزداد الذي سلك الجادة عبادة ، قال الله - تعالى -: (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). نَفِرُ مِنَ الْحَوَادِثِ ، وَنَفِرُ مِنَ الْأَمْرَاضِ إِلَى الْأَطْبَاءِ وَالْمَسْتَشْفِيَّاتِ ، نَفِرُ مِنَ الْمَوْتِ ، وَالْمَوْتِ مُلَاقِينَا ، (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ) ، إنه مجيء أكيد ولا بد ، (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ) ، إن هذا الموت - يا عباد الله - آتٍ لا محالة ، كيف بأمر إذا نزل قطع الأوصال ، أمر يقطع أوصالك ، ويفرق أعضائك ، ويهدم أركانك ، إنه حقٌّ أمر عظيم ، وخطبٌ جسيم ، وإن يومه لهو اليوم العظيم ، قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: "ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله" ، وهذا الأمر قد نسيناه ، دهانا مجرد ذكر الموت والحديث فيه ، والكثير يغضب إذا ذكر الموت ، ويقول: تنغص علينا حياتنا وعيشتنا ، تنغص علينا أكلنا ومعيشتنا ، وذكر الموت ليس لتكدير حياة الناس ، وإفساد مجالسهم ، ونزع السعادة منهم ، وإنما لإصلاح حالهم ، وتنوير قلوبهم ، وجعلهم مستعدين للقاء الله والقدوم عليه. قيل للحسن - رحمه الله -: يا أبا سعيد ، كيف نصنع؟ نجالس أقواما يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تطير ، فقال: "والله إن تخالط أقواما يخوفنك حتى يدركك أمن خير من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى يدركك الخوف". وقال - رحمه الله -: كان من كان قبلكم يقربون هذا الأمر ، كان أحدهم يأخذ ماء لوضوئه ، ثم يتنحى لحاجته ؛ مخافة أن يأتيه أمر الله وهو على غير طهارة ، فإذا فرغ من حاجته توضأ". إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروة مالك ، ولا كثرة احتشادك ، أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب شديد ، وغصص وندامة على تفريط ، رحم الله عبداً عمل لساعة الموت ، وما نراه في المقابر أعظم عظة أكبر معتبر. تمر بنا أيام أيها الإخوة ، تتابع علينا أخبار الوفيات ، تتابع الجنازات ، وأخبار الأموات ، هذا صديق ، وهذا قريب ، وهذا جار قد اختطفهم الموت بأمر الله تعالى ، وما نراه في المقابر أعظم عظة ، وأكبر معتبر ، فحامل الجنازة اليوم محمول غداً ، ومن يرجع من المقبرة إلى بيته اليوم سيرجع عنه غداً ، ويترك وحيداً فريداً ، مرتهاً بعمله ، فإن خيراً فخير ، وإن شراً فشر. فيا عبد الله لا تغرنك الصحة والقوة والعافية ، ولا يغرنك الشباب وكلام الأصحاب ، لا يغرنك عشاء ساكن قد يوافي بالمنيات السحر ، قد يأخذ على حين غفلة ، وأنت لا ترى الموت يصل إليك ، بل تراه بعيداً. إذا جاءنا هذا

الأمر من الله ، فهل للطبيب من سبيل فتدعى الأطباء؟ أو إلى الشفاء طريق فيرجى الشفاء؟ ما يقال إلا فلان أوصى ، ولماله أحصى ، قد ثقل لسانه فما يكلم إخوانه ، ولا يعرف جيرانه ، وعرق الجبين ، وتتابع الأنين ، وثبت اليقين ، وصدقت الظنون ، وتلجج اللسان ، وبكى الإخوان ، هذا ابنك فلان ، وهذا أخوك فلان ، قد منعت من الكلام فلا تنطق ، وختم على لسانك فلا ينطق ، ثم حل بك القضاء ، وانتزعت النفس من الأعضاء ، ثم عرج بها إلى السماء ، فاجتمع عند ذلك إخوانك ، وأحضرت أكفانك ، فغسلوك وكفنوك ، فانقطع عوادك ، واستراح حسادك ، وانصرف أهلك إلى مالك ، وبقيت مرتها بأعمالك. قال سفيان الثوري - رحمه الله - مبيناً حال شيخ كبير في استعداده للموت: رأيت شيخاً في مسجد الكوفة يقول: أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة ، أنتظر الموت أن ينزل بي ، لو أتاني ما أمرته بشيء ، ولا نهيته عن شيء ، ولا لي على أحد شيء ، ولا لأحد عندي شيء أنتظر الموت ، أنتظر أمر الله على عبادة وطاعة. لو أتانا الموت يا عباد الله ، ففرع أبوابنا ، واستأذن للولوج - ولن يستأذن - لاحتجنا إلى سنواتٍ طويلةٍ ، نرتب أمورنا ، ونسد حقوقنا ، ولكن السلف كانوا على استعداد دائم. انظر يا أخي في غدك ، ودنو أجلك ، وقلة عمرك ، فقد كتب بعض أهل الحكمة إلى رجل من إخوانه: يا أخي احذر الموت في هذه الدار ، قبل أن تصير إلى دار تتمنى الموت فيها فلا تجده ، يتمنى الموت في ذلك اليوم ، (وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ)! فلنحذر في هذه الدار ، قبل أن نصير إلى دار يتمنى فيه الموت فلا يحصل. قال يحيى بن معاذ - رحمه الله -: "مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلها للعبد في ماله عند الموت ، قيل: وما هما؟ قال: يؤخذ منه كله ، ويسأل عنه كله ، فأى مصيبة في المال أعظم من هذه؟ لو احترق ، لو ذهب في الدنيا يأتي بدلاً منه ، يأتي هو ببديل منه ، لكن عند الموت يؤخذ منه كله ، ولا يأتي ببديل ، ويسأل عنه كله ، وعن كل درهم: من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ قيل لعبد الله بن عمر: "توفي فلان الأنصاري ، قال: رحمه الله ، قالوا: ترك مئة ألف ، قال: لكن هي لم تتركه" وكيف تتركه وهناك كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. وهذه كلمات أخرى لمعاذ بن جبل لما نزل به الموت ، ثم قال: "مرحبا بالموت ، زائر مغيب ، وحبیب جاء على فاقة ، اللهم إني كنت أخافك ، وأنا اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أحب الدنيا ، وطول البقاء فيها ، لكري الأتهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن لطول ظمأ الهواجر ، وقيام ليل الشتاء ، ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر". فكانوا ثابتين عند الموت لما كانت لهم الثبات في الحياة ، الطاعة في الحياة تثمر ثباتا عند الموت ، والمعصية في الحياة تثمر اللجاجة والحشجة وعدم التوبة ، وقلة الثبات عند الموت. ولذلك كان السلف - رحمهم الله - أثبت ما يكونون في تلك الساعة ، وهي أحوج ما يكون فيها الإنسان إلى الإيمان ، وإلى سلامة العقيدة. لما حضره ابن عباس ، فقال له: أبشر يا أمير المؤمنين ، أسلمت مع رسول الله حين كفر الناس وقاتلت مع رسول الله حين خذله الناس ، وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض ، ولم يختلف في خلافتك رجلان ، فقال عمر: أعد ، فأعاد ، فقال: عمر المغرور من غررتموه ، لو أن لي ما على ظهرها من بيضاء وصفراء من الذهب والفضة لافتديت به من هول المطع. ولما حضرت سلمان الفارسي الوفاة بكى ، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: "ما أبكي جزعا على الدنيا ، ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب" ، هذا هو الذي يكون معك في الدنيا كزاد الراكب ، فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فإذا قيمته بضع عشرة درهماً ، خاف من بضعة عشر درهماً أن يكون خالف فيها وصية الرسول ﷺ. ها نحن نمر في الجنائز ،

ونمشي فيها ، ونحملها ، ولا تدمع العيون ، ولا تتحرك القلوب ، ولا ترى على الوجوه آثار الخشية من هذا المصير ، والله إنها غفلة ، وإلا فمن لا يعتبر بمحمول إلى حفرة ضيقة؟ قال الأعمش: كنا نشهد الجنازة ، ولا ندري من المعزى فيها لكثرة الباكين ، ليس أهل الميت فقط هم الذين يبكون ، كل الناس يبكون فيها ، وإنما كان بكأؤهم على أنفسهم لا على الميت. وقال إبراهيم النخعي: "كانوا يشهدون الجنازة فيرى فيهم ذلك أياماً ، ترى آثار حضور الجنازة أياماً". وقال أسيد بن حضير: "ما شهدت جنازة وحدثت نفسي بشيء سوى ما يفعل بالميت ، وما هو صائر إليه". وقال إبراهيم النخعي - رحمه الله -: "كنا إذا حضرنا الجنازة ، أو سمعنا بميت عرف فينا أياماً ؛ لأننا قد عرفنا أنه قد نزل به أمر صيره إلى الجنة أو إلى النار ، وإنكم في جنازتكم تتحدثون بأمر الدنيا. والله يرى في الجنازة من يضحك ، ويرى في المقبرة من يضحك ، ويرون خارجين من المقابر وبأيديهم السجائر يدخنون ، ضحك وتدخين ، هذا في أعظم مكان يمكن أن يتذكر فيه الإنسان على وجه الأرض ، في المقبرة ، غاية الغفلة ، فماذا تعرف وتنتظر وتتوقع خارج المقبرة؟ إذا كان غفلة في المقبرة ، فماذا نتوقع خارج المقبرة؟ ولذلك لا عجب إذاً أن يقعوا في معاصي متواليات ، ويسهروا الليالي في المعاصي ، وهؤلاء اليوم وفي هذا الشهر - شهر الحر - يريدون السفر بأي طريقة إلى بلاد الكفر والعصية ، وهؤلاء بانعو السياحة ، يتفننون في إغراء المسلمين بقضاء إجازاتهم في بلاد الكفر التي غابت عنها شمس الدين والفضيلة ، وهي محاولات للسطو على أماناتنا الأموال والأولاد ، لأن الله قال: (لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ). وهذا أب لا يحفظ ولده ، وهذا صاحب مال لا يحفظ ماله). هـ. والآن لتتابع ما من الله تعالى علينا به في جزئنا الثالث من سلسلة: قصائد المقابر تتكلم!

تُفِيدُ الْمَوَاعِظَ مَنْ يَتَّبِعُ	وَيَسْعَدُ بِالنَّصِيحِ مَنْ يَذْكُرُ
وتتفجع أهل النهى نفعاً	من اللوم تُرْجِي الوصايا الغرر
طوتت الحياة بطوفانها	فبتنا - إلى سؤونها - ننحدر
وعز علينا اتباع الهدى	ولم نستفد من مبین النذر
وتاهت عن الدرب أقدامنا	وصرنا نواجه ما لا يسر
عصينا المليء ، ولم نمثل	برغم استطاعتنا ما أمر
ولم ننته النهي عنه نهى	برغم وضوح الدليل الأغر
ولما نحل الحلال الذي	أحل لنا - في الدنا - المقتدر
ولما نحرم حراماً له	ولم نذر ما خبأته الغير
ورئین للنفس ما تشتهي	وشهوتها ناولتها الخور
فمالت إلى المعصيات التي	دهت عزمها ، فاحتواها الكدر

لديه لها الورْدُ ثم الصدر
تجد مَنْ يهيب بها أن تذر
فكأن لها اللوم بعد الدبر
وبالضرر خيم لم تعتبر!
فضلت هدايتها للخبر!
فعاشرت بآمالها تبتشر!
فما استصحبت - من هواها - الحذر
وللحق والعدل لم تنتصر!
فهل غيرُه خالق للبشر؟!
فهل عند ذا الغير نفع وضرر؟!
وأبئس به من ترد وعبر!
وبين الأنعام سرى وانتشر
فظللت - بنيرانه - تستعر!
مُسوِّغ يجعلها تعتذر!
فهل مثل ذلك أمر يُقرر؟!
كأن قد تساوى عقوق ووبر!
وتحريمٌ واضحٌ مُستطر
كأن حقوق اليتامى هدر
وبالكذب حُل الأذى والخطر
بأخلاقه رغبة في الأجر!
وكم أطلقت - في النساء - البصر!
فصارت - بإفلاسها - تفتخر

وَحَنَّتْ إِلَى اللَّهِ وَمُنْقَادَةٌ!
لها حلولتِ الموبقات ، فلم
وطاوعتِ الجهلَ مُختارة
فكم أسرفت ، واعتدت ، وافترت
وفي الخير لم تعرفِ المُبتدا
وكم داعبتهَا طيوفُ المنى
وكم صدها الوهمُ عن رُشدها!
وكم للتقاليد قد أذعنّت
بغير المهيمن كَم أقسمت!
وكم غيّرَ رب البرايا دعوت!
وكم غيّرَ رب الورى حكمت!
وكم ذا أقرت فساداً طغى!
وكم سحرَ الزيفُ تفكيرها
وكم تركت من صلاة بلا
وكم عن أداء الزكاة نهت!
وكم عقت الوالدين ضحى!
وكم سامرَ النفسَ أكل الربا!
وكم أهدرت حق من يئمو!
وكم زايلت صدقها والوفاء!
وكم صامت الشهر لم تلتزم
وكم أنصتت - ويحها - للغنا!
وكم شَوّه الكبرُ إحسانها!

فأمست - إلى رُشدها - تفتقر!
فلم تلق - في عيشها - من ظفر
تُتب! حيث باتت بذات تشتهر
وحازتْهُ لَمَّا اعترتهم غرر!
ولكن بها الفذل لم ينبهر!
عُهداً كعبدٍ خوون أشر!
كمرتْ زق أجـره ينتظر!
تفردَها - في الورى - بالنظر!
وكم سخرت من مريـر القدر!
فبالمن مجدُ الفتى يندحر
كأنى بها بـغضه تدخر!
يُصدقه مـن برى كفر!
كما يفعل - اليوم - بعضُ العجر!
كمثل الحريق ابتدا بالشـر!
وكانوا - على الخلق - مثل التتر!
وكم مكرت بالتقاة البـدر!
على السوء منها مـراراً صدر
وكسـرُ التلاعـب لا ينجبر!
فكم أوبقت سـمعة والبصر!
كما يتبع الخطو أهل الأثر
على عمل طيب مبشـر

وكم سـربل العُجب أخلاقها
وكم من شهادة زور أتت!
وكم قذفت مُحصناتٍ ، ولم
وكم أكلت مال قوم غفوا
وكم راعت الناس كي يُخدعوا
وكم خانبت الله لم تحترم
وكم درست تبغى رفعة
وكم كتمت علمها ترتجي
وكم بالقضا خصها استهزأت!
وبالمن كم أحبطت أجرها!
وكم لعنت مؤمناً قانتاً!
وكم صدقت كاهناً مجرمأ
وكم قاطعت جـل أرحامها
وكم بالنميمة دكت عُرى
وكم جادلت عن أناس عتوا
كم اغتابت القوم تُزري بهم!
وأدركها المـوت مُلتاعة
وجاءت - إلى القبر - مكسورة
وصاحبها أزه حالها
وكننا جميعاً على إثره
وظلمة أجـدائنا راھنت

لتدفع عنا البلا والخسر
وظالمت علينا سيني الضجر
وظف الشقا ، والمرار استمر
لنصلح قبل فوات العُمر
لكي لا نرى - في القبور - الكدر
وأرهبك كل الوجوه القتر
بئينا بحال فظيع عسير
يكن لك - في شأننا - مزدجر
ووحداً إلهك ، واتل السور
فأنت - إلى هديه - مفتقر
فعيش الغوي كعيش الخمر
ومهما يطلن يخرمهُ القصر
لكي تتركوا طبيبات السير!
بآياته - في الكتاب - أمر
وفيما أتيتم أعيّدوا النظر
فهل تقذرون ثمين الذرر؟!
فهل منه سوف يُولي الذير؟!
بأن تنزع الروح من محتصر
وأقصوصة دق فيها الخبر
وزحزخ تقاة الوري عن سقر
لشدهم رؤية المقتدر!

فما حصّلت منه لوظلة
يميناً ندنا على فعلنا
وظال العذاب ، وزاد الأسى
ظننا الحياة تطول بنا
لكي نستعد للقياما الفنا
ولكن نجم الأماني خبا
فياسائلي عن ضمنا حالنا!
فخذ عبرة من أناس شقوا
وسدد وقارب ، وكن واعياً
وتابع نبينا مسترشداً
وأصلح ، ولا تصطحب من غوى
وزهرة عمرك ضاعت سدى
أفيقوا - إلى رشدكم - أهنا
وهيا استقيموا كما ربكم
أنيبوا إلى الله كي تفلحوا
وصدنا هيتنا هذرة
وموت الفتى قادم فجاة
وتأتي الملائك أموراً
ليصبح بعد حديث الوري
فيارب سلم من المنتهى
وأدخل جناحك أهل التقى

المقابر تتكلم 4 (حوار بين ميت وقبره)

(إن الذي يزور القبور بقلبه وجوارحه وعواطفه ومشاعره وأحاسيسه ، ليسمع بالقبور تناديه وتذكره وتعظه! وكأني بالواحد منهم يتخيل نداء قبره الذي سوف يدفن فيه وهو يقول له: أنا بيت الوحشة! أنا بيت الوحدة! أنا بيت الدود! اعمل الصالحات لأكون لك روضة من رياض الجنة! واجتنب المعاصي والموبقات حتى لا أكون لك حفرة من حفر النار! فله كلام! وجزء من محاضرة لفضيلة الأستاذ الشيخ/ سليمان الماجد ، والتي هي بعنوان: (لو تكلم الموتى) يقول فيه: (تصور لو أن أهل القبور خرجوا من قبورهم ، خرجوا بأكفان بالية ووجوه مغبرة ، خرجوا من سكن القبور وظلمتها إلى ضجيج الأرض وأضوائها ، فركوا عيونهم ، عركوا آذانهم ثم انطلقوا في أنحاء المدينة أشباحاً مهيبية ليحدثونا عن هول ما رأوا ، فماذا عساهم أن يقولوا بعد هول المطلع وسؤال منكر ونكير وحساب عسير ، وكيف يا ترى سيكون حديث الأموات للأحياء؟ الوقفه الأول: يا ليت والذي يعلم! هذا فتى مات في ريعان شبابه ، اختطفه الموت وهو أوسع الناس أملاً في العيش وأكثرهم رجاءً في متاع الحياة الدنيا ، مات على إسراف منه بالمعاصي ، فماذا عساه أن يقول لأبيه المفرط في تربيته لو لقيه في هذه الدنيا؟ لعله أن يقول: يا أبتى لقد رأيت ثمار ذنوبي وهي آثار تربيتك! رأيت هذه الثمار ناراً تلظى وجحيماً لا يطاق ، يا أبتى لقد كنت في حياتي تُعنى كثيراً بلباسي ومأكلي ومشربي ، ولكنك لم تكن تُعنى بقلبي وروحي! لقد أهملتني في بداية مراهقتي ، فلم توجهني إلى أصدقاء صالحين ، لم تكن تهتم بما أصحاب من أقاربي وجيرانى وزملاء دراستي ، لقد كانت فترة التأثير المثالي هي ما بين سن السابعة إلى سن الخامسة عشر ، وكنت تعلم وقتها يا أبتى أن هذه المرحلة هي مرحلة تصويب الولد نحو الهدف الصحيح ، كنت أنا السهم وكنت أنت اليد والقوس والوتر ، في هذه المرحلة كنا يا أبتى نتلقن كل شيء ونحب كل شيء ونستطلع كل شيء ، في هذه المرحلة كنا نقلب أنواع الأصدقاء في معرض الدنيا العريض ، أيهم ننتقي وأيهم نصاحب ، كنا في هذه المرحلة العجيبة عجيبةً غضةً طيعةً تستطيع توجيهنا الوجهة الصالحة ، يا أبتى لكنك كنت وقتها تقضي أكثر أيام أسبوعك في الاستراحة مع الأصدقاء أو مع الزملاء أو مع الأقارب ، وفي مرات كنت تتابع تجاراتك التي لم تزد من سعادتك ، بل أحالت وجهك البشوش إلى صحراء من العبوس والغبرة والتشاؤم ، لم تكن يا أبتى تهتم باهتماماتٍ مباحةٍ ، لذلك كنت أبحث عنها عند أيٍّ أحدٍ مهما كان مقصده في توفيرها لي ، ثم إنك جعلت علاقتي بك كعلاقة مدير مؤسسة فاشل بمرؤوسيه ، كانت علاقة الغطرسة والرسمية ، حتى أصاب علاقتي معك جفافاً وجفاءً وفجوةً ، فلم أعد أقبل منك توجيهاً ولا نصيحة بسبب هذا الجفاء ، يا أبتى لو أنك جعلتني صديقاً من أصدقائك لكان تأثيرك فيّ أكبر ، ولكنك كنت تعتبر هذه الصداقة مع أولادك ضرباً من التنازل الذي لا يليق برئيس مؤسسة محترمة على حد زعمك! يا أبتى لو كنت أستطيع أن أقول غفر الله لك إهمالك في تربيتي لفعلت ، ولكنني حينما فارقت هذه الدنيا بذنوب ثقيلة فإنني لا أملك أن أستغفر لنفسي من ذنب واحد من ذنوبي ، فكيف بذنوب غيري ، ولكنك أنت الذي لازلت في دار المهلة وتستطيع أن تستغفر لي ولنفسك ، يا أبتى: إن تسببك في انحرافي لن يخفف عني شيئاً من العذاب الذي لقيته ، ولكنني أدعوك إلى التوبة من إهمالك لي ، وأدعوك إلى أن تتدارك الأمر مع بقية إخوتي قبل فوات الأوان ، يا أبتى تدارك نفسك بالتوبة ، وتدارك إخواني بحسن التربية فلعل صلاحهم أن يكون سبباً في نجاتي يوم الدين. الوقفه الثانية: جار غير عزيز! ولعل رجلاً من أهل هذه القبور أخذ يتهدى حتى

وقف بباب جاره فلعله أن يعاتبه فيقول: جاري العزيز لقد كنت تطرق بابي فزعاً إذا رأيت الماء قد تسرب من الخزان العلوي حرصاً منك على مصلحتي ، ولكنك لم تكن تنبهني على بعض أصدقاء السوء الذين يخالطون أبنائي ، لم تكن تذكرني باهمالي لصلاة الجماعة ، لم تكن تنبهني على إدخالني لأجهزة الفساد إلى منزلي ، لقد كان حقّي عليك أكثر من حقوق سائر الناس عليك فلو علمت يا جاري العزيز أن احتفاظك لنفسك بالصلاح لا ينجيك يوم الدين لما أهملتني ، ولو علمت أن استئقالي لنصيحتك لا يسوّغ لك ترك نصيحتي ولبادرت إلى هذه النصيحة. الوقفة الثالثة: ولقد جنتمونا فرادى! وهذا رجل تقلّب في مناصب مؤسسية خاصة أو عامة ، كان في هذه الدائرة ملئ السمع والبصر ، امتلأت ردهاتها بأماله العراض ، بل كادت لا تتسع لتلك الآمال ولقد فاجنه الموت وهو أوسع الناس أملاً وحرصاً ومزاحمة ، كان يدخل دائرته التي اعتاد الدخول إليها كل صباح بنفس متوثبة متفائلة متطلعة إلى مستقبل وظيفي أكبر ، لم يكن حين ذاك يفكر بالموت ولا ما بعده من هولٍ وعذاب ، فلو دخل دائرته بعد خروجه من قبره وتذكر وهو يللم أكفانه المغبرة كم كان في دنياه في غرور ، وكما كانت الأمانى تضرب به في كل واد دون أن يفكر في حفرة القبر التي أودع فيها رهين عمله ، لقد كان يتبختر في هذه الممرات بثياب جديدة جميلة ، لو وقعت عليها خردلة من غبار لنفضها بسبابته وهو الآن يللم أكفاناً بالية بلغ الغبار والنتن منها كل مبلغ ولعله لو مرّ بقسم الترقيات في دائرته لتذكر ، كم كانت ترهق النفوس وتشرب الأعناق للحصول على مرتبة أو علاوة ، بل ربما بذل دينه ومروءته من أجل ترقية أو علاوة ، وقد أيقن الآن ولكن بعد فوات الأوان أن رفعة الدرجات ، إنما هي عند الله وحده ، وأن علو مقام المرء إنما هو في قربه من الله وتمام عبوديته له ، أما العبودية للدنيا فلا تزيده إلا حسرة وندامة وتشتتاً ، ولعله لو مرّ بغرفة بعض موظفيه لوجد هذا الموظف على عادته في الوشاية بزملانه ووضع العراقيل أمام أعمالهم ومشاريعهم ، حتى لا يظهر لهم نجم ولا يعلو لهم شأن ولا يعم لهم نفع ، وحتى لا يسبقوه بحسن رأي ولا جودة عمل فماذا عساه أن يقول لهذا الموظف لو رآه واستطاع أن يتكلم لعله أن يقول: هب أنك نافست مثل ما كنتُ أنافس بالحلال والحرام فسبقت أقرانك وبرزت أتراك ، أليست سنين معدودة إن مُد لك أجل ثم تأول بك الحال إلى عالم التقاعد حيث ينفذ عنك أهل المصالح وتصير في عالم النسيان! هذا مال الوظيفة في الدنيا ، أما مالها في الآخرة فحفرة القبر الموحشة ، حيث لا أنيس إلا عمل صالح ، ولعله أن يقول: كنا نسمي المتورعين عن المنافسة المحرمة سذجاً أو دراويش ذوي ورع بارد لا طموح لهم ولا يعرفون قيمة النجاح ولا يتذوقون طعم السباق مع الأقران ، ولكن علمنا ولا ينفعنا هذا العلم الآن أن طريقتهم هي طريقة النجاة وأن المنافسة الحقيقية هي في قلب سليم وعمل صالح ينجو بها العبد من عذاب القبر الرهيب ، وأن المنافسة الصحيحة هي التي لا تضر بالآخرين ولا تمنع مسيرة الخير ونفع الناس ، آه آه ليتني أعود إلى الدنيا لأصفي سيررتي وأحسن سيررتي ، تالله إن صفاء السيرة هي راحة البدن وهي راحة النفس في الدنيا وهي النجاة في الآخرة ، آه مما فعلنا بأنفسنا وما غرتنا هذه الدنيا وما أطعنا فيها إبليس الضلالة ، وكنا نسمع قول الله تعالى: {وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} ، {فَكُتِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودَ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنَّ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}! ولعل صاحبنا ذلك الرئيس أن يرى في آخر الممر مكتب سعادة المدير حيث كان هو مديراً قبل وفاته ، لقد تعود في

هذا الممر أن يرى لأعوانه هناك انتشاراً ، وخطفه وأصحاب المصالح بين يديه لا يرتد إليهم طرفهم وأفندتهم هواء والمراجعون يصدرن عن مكتبه بين موهوب ومحروم ، رأى هذا المدير على ما عهد نفسه من إقصاء الأكفاء من الموظفين خوفاً من منافسته على جاهه وسلطانه فمرة بالعزل وأخرى بالمضايقة وأخرى بالتهميش رآه على ما كان يعرفه من نفسه من تكثير ذوي المطامع الذين لا يعرفون الذكاء إلا فيما يخدم سعادة المدير ، ويكثر جاهه ويعظم سلطانه ، ومن ثم يحظون عنده بالرتب العالية والتقارير الكاذبة ، لقد تعلم المدير وأعوانه بفطرة مدنسة أن الدائرة التي لا تنجز مصالح الناس ومياه أعمالها دائماً جارية نقية يرى باطنها من ظاهرها أنها إدارة لا تحقق المصالح الشخصية ، فلا بد من العمل بحرية من توفير مستنقعات أسنة متعكرة من مصالح الناس المتعطلة تسهل فيها حركة اللصوص ويسهل فيها اللعب على المغفلين ، فلذلك جعلوا هذه الدائرة في فوضى دائمة ، ثم حجبا الناس عن سعادته حتى يوفروا هذه المستنقعات التي تعيش فيها الحشرات القذرة التي تحسن السمسة في شراء الذمم وبيعها ، وهكذا حزن الاثنين معاً تعطيل مصالح الناس وأكل المال الحرام الذي يبذله الناس لإنجاز مصالحهم ، لعله أن يقف متأملاً في غمرة المراجعين بكفنه البالي المغبر فيقول: لو كان عندي القليل من التقوى والقليل من معرفة حال الدنيا وحال الآخرة ، لرأيت أن في النصح للناس أعظم الأجر والمثوبة ، ماذا بقي معي في قبري من بريق المال الذي كنت أبذره بلا عد ولا حساب وأتمتع به بلا خوف من حشر وعذاب ، وماذا بقي معي من ضجيج الشرف وجلبة الأعوان وكثرة العلاقات والاتصالات وما أراه في عيون الناس من تعظيم وتبجيل! لقد تلاشى ذلك كله كبخار في يوم صائف! فلم أدخل في هذا القبر من مالي وشرفي إلا بكفن ، لله كم كنت مغروراً بهذه الدنيا حينئذ فقط أدركت معنى قوله- صلى الله عليه وسلم :- (ما ذنبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه)! لقد كنت أرى ذلك كله ، ولكن نفسي كانت تزيّل لي ما أفعله وكانت شدة الإبهار في أنوار الدنيا تحجب عني رؤية الحقيقة ، فلم أتبينها إلا حين فات وقت الندم! {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَتَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} ، {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ}! الوقفه الرابعة: رقيقة الدرب! ولعل أحدهم حين خرج من قبره أن يلقي زوجته فيقول لها: كم كنت أرتكب الحرام رداً لجميل وفانك وعظيم صبرك! وكم كنت أتساهل في الموبقات من أجل سواد عينيك ، لقد كنت أسافر السفر المحرم والسياحة السيئة بسبب حبي لك ومن أجل كلمة ثناء طيبة من لسانك العذب الرقيق ، وكنت أدخل أجهزة الفساد إلى منزلي من أجل ما تشتكين من فراغ قاتل على حد زعمك ، لم أكن مقتنعاً بالكثير مما كنت أفعله ، بل كنت أعرف أنه الطريق الخطأ ولكنني في سكرة الهوى وحب الدنيا نسيت كل شيء ، لقد كانت عقوبة ذلك ناراً لا تطاق وجحيماً لا يحتمل ، لقد كنت أستمع من كتاب الله إلى هذه الآيات: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ، ولم أكن والله لأرد كلام ربي ، ولكن سلطان الهوى حجب عني تلك المخاطر ، حتى كنت أقول كيف تكون هذه الوردة الجميلة عدواً يستوجب الحذر ، الآن عرفت ذلك ولكن لم تعد تنفع المعرفة! الآن ندمت ولكن لات حين مندم ، لقد كنت أسمع كلام الله ، لكنه سماع أذن لا سماع قلب ، كنت أسمع قوله تعالى: {فَإِذَا جَاءَتْ

الصَّاحَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ. {الوقفة الخامسة: ذبول وردة! هذه فتاة ماتت في عمر الورود كانت ترى الحياة مرحاً وسعادة ، كانت ترى أن أعظم السعادة هو أن تكون محط أنظار الناس وسبب إعجابهم! لذلك سعت إلى التميز في كل شيء ، في ملابسها في مشيتها ، سعت إلى جديد الموضات حلالاً كانت أو حراماً ، تأخذها من أي وسيلة إعلامية ، من المجلة أو التلفاز أو المحطة الفضائية ، المهم هو التميز مهما كانت الوسيلة ، فمرة تشبهت بالكافرات ، ومرة تشبهت بالفاسقات ، ومرة تشبهت بالممثلات والمغنيات ، ومن أجل هذا التميز وتلك الجاذبية نزلت إلى الأسواق ومجامع الناس وقد ليست العباءة الضيقة لتتمتع على حد ظنها بالنظرات الجائعة ، ومن أجل هذا التميز خرجت في الحفلات بثياب تخرج أكثر جسدها ، وما سترته من جسدها فهو ضيق يجسم عورتها ؛ يا ترى ما عساها أن تقول لو خرجت من قبرها وتكلمت: يا أمي لقد رأيت عذاب الله تعالى في ذلك القبر الموحش ، رأيت عذاب الله حين أغريت الشباب ورأيت حين كنت أسوة سيئة للفتيات وقدوة سيئة لأختي الصغيرة في دخول هذه الطرق ، أماه إذا كان هذا ما أصابني بسبب اقتداء أختي بي ، فما ظنك بعذاب الله لمن كانت السبب الأول في انتشاره وما الظن بعذاب الله تعالى لمن يصنع هذه العبايات أو يبيعهها ، أماه لقد كنت أبدي مفاتن جسدي بطرق متعددة: فمرة بالنقاب الواسع الذي يبدي عينين كحيلتين ويظهر أهداباً كسهام مريشة حادة ، أغرسها في قلوب الرجال لتصيبها في مقتل ، ومرة أدع العنان لعباءتي لتسفر عن نحر أبيض وجيد فضي ، كوجهي في الضحى ، فتطير لذلك عقول وتضطرب أفئدة ، أو أظهر قواماً كغصن البان حتى أطرب لتأوهات المفتونين ، ومرات ومرات كنت أغشى الحفلات وقد خلعت جلباب الحياء فأنا كاسية عارية! إذا رأني الرائي فلا يخالني إلا في حفلة غربية ماجنة ، أبديت فيها عضداً كجمارة نخلة فتية وأظهرت ساقاً وجزءاً من فخذ وظهر ، فعلت كل ذلك حتى أبدو متميزة في مظهري ، أتدرين يا أماه كيف آلت بي الحال في قيري لقد سألت تلك الأعين النجل مع سهامها المريشة على خد متعفن مجعد أسود ، وصار ذلك النحر الفضي قطعة جلد أسود تتدلى أطرافه على عظام نخرة لتلامس قلباً طالما امتلأ بالهوى القاتل والغرور بالدنيا الفانية وطول الأمل الكاذب ، لا أدري يا أماه كيف كنت أرى الدنيا طويلة طويلة ، وأنا أرى الناس يموتون كل يوم ممن حولنا من الجيران والأقارب والأصدقاء ، لا يفرق ملك الموت بين صغير وكبير وغني وفقير وملك وحقير ، لله يا أماه كم كانت تلك المواعظ ترق أدني وتشاهدها عيني وتحسها يدي ومع ذلك لا أجد لها في نفسي أثرا إن السبب هو غلبة الهوى وحب الدنيا من الشهرة والتميز الكاذب والمفاخرة الجوفاء ، وحينئذ فقط عرفت معنى قول الله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ!} أماه إن ما أفعله هي منافسة ومسابقة ، ولكنها مسابقة لتحصيل نبات أخضر بهيج ولكنه بعد برهة يوول سريعا إلى زوال ، والسباق الحقيقي الثابت النافع إنما هو لتحصيل مغفرة الله تعالى وجناته {اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور} ، {سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم}. {الوقفة السادسة: في الاستراحة! ولعل من هؤلاء رجلاً وقف على أصحابه بأكفان بالية المتربة وهم في استراحتهم ، هؤلاء الأصدقاء

الذين كانوا يقضي معهم جُلّ وقته ، هؤلاء الأصدقاء الذين كانوا يقدم محبتهم على محبة والده ووالدته وأخوته ، حيث كان يتفقد أحوالهم ولا يتفقد أحوال أقاربه ، كان يأنس بلقياهم ولا يأنس بلقيا أقرب مقربيه كان لا ينام حتى يهاتفوا بعضهم ، لقد كانوا ملء سمعه وبصره ولعله لو خرج من قبره وذهب إليهم في ناديتهم لتذكر كم كانت الأوقات تذهب سدى لقد كان يقطع في طريقه إليهم ما يقارب نصف ساعة ، كان يستطيع أن يسبح في هذا الطريق أكثر من ألف تسبيحة ولعله أن يقول: كم كانت الأوقات تذهب سدى هذه ألف تسبيحة في طريق الذهاب فقط بكل تسبيحة صدقة ، فلماذا كنا نضيع الوقت فيما لا ينفع ، ونحن من أحوج الناس إلى هذه الحسنات والصدقات ، لتكفير عظيم السيئات ، لقد قضيت معهم من عمري أكثر من عشر سنوات لم أمسك بيدي فائدة واحدة في ديني ودنياي فيما كان أهل الخير يخرجون بنتائج باهرة: فمرة بمذاكرة علم ، ومرة بموانسة محببة ، ومرة بتعاون على مشاريع الخير والبر ويشجع بعضهم بعضا عليها ، هكذا يكون قضاء الأعمال فيما ينفع في الدين والدنيا ولعله لو أطل على مجلسهم لتخيل نفسه بينهم ، هذا مكانه هذا موضع مرحة هذه قوته هذا شبابه ، آه ليتني أعود إلى هذه الدنيا في تلك القوة والنشاط لأعبد الله حق عبادته لأتوب من ذنوبي لأستكثر من الحسنات ، آه ليتني أعود لهذه الدنيا لأقول لهم: لقد عودتموني على كل عادة قبيحة ، وعلمتموني كل معصية لله-عز وجل - ، سوف أترككم إلى الأبد لأبدأ حياتي من جديد في طاعته ورضوانه في كنفه وقربه ، لقد كانت الآيات تطرق سمعي وكأنه يُعنى بها غيري {ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدّونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون} ، {الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين} ، {ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا}. الوقفه السابعة: ألا لله الدين الخالص! هذا رجل عود نفسه على الرياء ، فأصبح لا يعمل العمل الذي يُبتغى به وجه الله إلا بحافز من نظرات الناس ، فلا يصلي نافلة إلا بمحضرهم ولا يعمل خيرا إلا بنتائهم ، فغابت عنه لذة المخلصين في العبادة والأعمال الصالحة ، لقد علم في قبره أن أعماله لم تكن إلا سرايا بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ، لقد تبخرت هذه الأعمال التي لم تكن في الحقيقة إلا فقاعة أزالتها نفخة من فم الحقيقة الذي لا يكذب ، وليت الأمر وقف عند حبوط العمل ، بل صار الرياء سببا من أسباب العقوبة من تصغير وتحقير ، وكنا نسمع قوله - صلى الله عليه وسلم - : (من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وصغره وحقره)! ولكن تسمع الأذن ولا يعي القلب ، ماذا أفادتنا نشوة الرياء الكاذبة في سكون القبر القاتل ، ماذا نفعلنا ثناؤهم عند سؤال منكر ونكير ، لماذا كنت أفرح بنظرة الناس إليّ وهؤلاء الناس هم الذين وضعوني في حفرة القبر ثم ولّوا مدبرين لا يتبرعون لي بحسنة واحدة ، آه من خفة عقول المرانين وهم لا يتعظون بقوله - صلى الله عليه وسلم -: (يقول الله - عز وجل -: إذا جرى الناس بأعمالهم ذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عنهم جزاء)! ولا يراعون لقوله صلى الله عليه وسلم: (من أحسن الناس حين يراه الناس وأساءها حين يخلوا فتلك استهانه استهان بها ربه تبارك وتعالى). الوقفه الثامنة: هذه أموالى تقسم! وهذا صاحب ثروة طائلة عاش حياته غافلا عن أجله لا هيا عن حفرة القبر الموحشة ، كان أصدقاء المصلحة في حياته لا يفارقونه ، فامتلات

حياته ضجيجاً وأضواءً وانشغالاً ، كان من أطيب الناس ريحاً وأحسنهم ثياباً وأكملهم رونقاً وأبهة ، فلو خرج من قبره بكفنه المهترئ ورائحته الكريهة فماذا عساه أن يقول أو يفعل لعله هل كانت هذه الدنيا وتلك الأقوال تستحق ما كنا نبذله من أجلها ، فمن أجل الأموال عادت أقاربي ، وقسوت على أصدقائي ، وأهملت أولادي ، وقصرت في حق زوجتي ، بل قصرت في حق نفسي ، لقد أفديت عمري وزهرت شبابي في جمع هذا المال ، ثم حين حصل لي صرت أكافح من أجل أن أبقى غنياً متفرداً فلا أريد أن يسبقني في كثرة المال أحد وكان ذلك كله على حساب صحتي واستقرار نفسي وحقوق زوجتي وولدي ضللت ألثت وألثت بحثاً عن السعادة حين والمباهاة حين آخر ، لم أكن أتوقع أن يدهمني الأجل بهذه السرعة ، فتنقطع آمالي وتتحطم تطلعاتي ، لقد كنت أرى الناس يموتون ولكن كنت أظن أن الموت الذي داهم الآخرين ، كان لأسباب خاصة لا تنطبق علي ، هكذا كنت أفكر بسذاجةٍ وغفلة! ليتني أنفقت من هذا المال ليكون مزرعة تنتج الأجر والثوبة إلى الأبد ، لقد كنت أسمع القرآن فلم أع ما كان فيه من عظاتٍ وعبر ، لقد أعمى قلبي حب الدرهم والدينار ، كان مما أسمع قول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}. نعم لقد كنت أستمع إلى هذه المواعظ العظيمة ، ولكن نداءها {كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يِعْقِلُونَ} ولعله أن يمر ببيت أحد أبناءه ليجد أن زوجته قد تزوجت وأن ورثته قد اجتمعوا ليقسموا تركته ، هذه غرفة الضيوف مضاعة فيها ورثتي ، وقد علت أصواتهم يتجادلون في قسمة أموالي: هذا الابن الأكبر له كذا من الملايين ، وهذه البنت لها النصف من ذلك ، وهذه الزوجة لها نصيبها ، فماذا عساه أن يقول لعله أن يقول: لقد قسمت أموالي التي كنت أبخل بها على نفسي وولدي قسمت على أولادي وأزواج بناتي وزوج امرأتي! لقد كنت في الدنيا في عماية عظيمة حين كنت أسمع قول النبي- صلى الله عليه وسلم -: (أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله) قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال: (فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر)! كل ما تركته فليس بمالي صدق الصادق المصدوق- صلى الله عليه وسلم- لقد كنت أنا أخشى على أولادي العيلة ، وهذا من قلة التوكل وضعف اليقين ، ولقد كنت أنا أولى بهذا المال منهم! لقد كدت أصيح فيهم فأقول: إن في هذا المال زكاة مهملة فأخرجوها ، وفي هذا المال ربا فتخلصوا منه ، وفي هذا المال حقوق لبعض الخلق منعي البخل من أدائها فأدوا الحقوق أهلها ، ولكنني لا أستطيع النطق! لقد انقضى زمن العمل وجاء زمن الحساب والعقاب ، آه من الغفلة وطول الأمل! لقد كنت أعيش على أمل يطول عمري بحياةٍ مرفهةٍ سعيدة! {ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهَهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}.هـ. قال الإمام ابن الجوزي- رحمه الله تعالى- في مؤلفه الرائع: (صيد الخاطر) ما نصه: (من أظرف الأشياء إفاقة المحتظر عند موته فإنه ينتبه انتبهاً لا يوصف ، ويقلق قلقاً لا يحد ، ويتلهف على زمانه الماضي ويود لو ترك كي يتدارك ما فاته ، ويصدق في توبته على مقدار يقينه بالموت ، ويكاد يقتل نفسه قبل موتها بالأسف ، ولو وجد ذرة من تلك الأحوال في أوان العافية حصل له كل مقصود من العمل بالتقوى. فالعاقل من مثل تلك الساعة ، وعمل بمقتضى ذلك ، فإن لم يتهيأ له تصوير ذلك على حقيقته تخيله على قدر يقظته ، فإنه يكف الهوى ويبعث على الجد).هـ. وتحت عنوان: (الحياة في القبور) يقول الدكتور محمد بن عبد الرحمن العريفي ما

نصه: (لو تكلم الموتى لسمعتن منهم أعاجيب ، ولو وقفت عند المقبرة لرأيت تحت الجنادل ملوكاً ومملوكين ، ورأيت رؤساء ومرووسين بعدما كانوا في عز وشرف وخدم وحشم ، وإذا هم طعام للود والثرى. لو تكلم هؤلاء وقاموا من قبورهم فنزعوا عنهم أكفانهم وأذن الله لهم أن يتحدثوا ، أو قامت إليك عظامهم ورفاتهم لما أمرك أحدهم بزنا ولا بشرب خمر ، ولا قال لك: اغتتم حياتك ، اغتتم شبابك وارتكب الزنا والفجور... لا ، ما أمرك إلا بصلاة وصوم وعبادة وقربة. روى الإمام أحمد في مسنده عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: "أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إلى جنازة رجل من الأنصار ، قال: فلما وصلنا إلى القبر فإذا هو قد حفر ولما يلحد." يعني قد حفر القبر لكن لم يحفروا اللحد وهو الجانب من القبر. قال: "ولما يلحد ، وقعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخذ عصي وجعل ينكت في الأرض وقعد أصحابه حوله ، قال وكان على رؤوسهم الطير ، قال فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من الجنة وحنوط من الجنة ، قال: فيقعدون منه مد البصر" ، وهذا يكون عند خروج الروح إلى بارئها ، إذا احتضر المرء وجعلت روحه في تحسرج في حلقه لتخرج ، وقد أذن الله تعالى لها بالخروج وهذه آخر الأنفاس له في هذه الدنيا فيرى الذين حوله ، والله جل وعلا يعلم متى تخرج روحه والميت نفسه لا يعلم ذلك. والله تعالى قد وصف ذلك فقال جل في علاه: (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). يقعد هؤلاء الملائكة منه مد بصره ، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يقعد عن رأسه فيقول: يا أيتها الروح الطيبة كنت في الجسد الطيب اخرجي إلى رحمة من الله ورضاه. والمعنى: أنت روح طيبة لأنك لم تتلقي بمعازف محرمة ولا بزنا ولا بفواحش ، ولم تغتابي أحداً ، ولم تحدثي صاحبك أن يفعل منكراً ، أنت روح طيبة ، إنما كنت تحثينه على الخير وتدلينه عليه ، إنما تنبهينه على الشر وتحذرينه منه ، أنت روح طيبة لم يفلح الشيطان في الوسوسة لك يوماً في أن تقودي الجسد إلى معصية. كنت في جسد طيب ، ما عرفت يده إلا في دعاء وصلاة وصدقة ، ولا عرف لسانه إلا بذكر وتسيب وتهليل ، ولا عرف من عينه إلا النظر إلى الحلال ، ولا عرف من جسده ورجله إلا المشي إلى الحلال والمساجد والجهاد والصدقة والكد على العيال والعمل الصالح. أنت روح طيبة ، وأنت جسد طيب! إذا كيف ينبغي أن يتعامل معك؟ قال: يا أيتها الروح الطيبة كنت في الجسد الطيب ، اخرجي إلى رحمة من الله ورضوان ، قال فتخرج روحه تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء. يعني كما تسيل القطرة من القربة التي تكون من جلد ، فإذا قلبتها فخرج الماء كله مندفعاً ، ثم لم يبق إلا قطرة واحدة من ماء في أعلى هذه القربة ، فإنها تبدأ تسيل شيئاً يسيراً رزينا هادناً ، ليس فيه عنف ولا فيه شدة ، تنزل هذه القطرة ببسر وسهولة ، حتى تصل إلى فم السقاء ثم تفارق هذا السقاء الذي كانت فيه. يقول عليه الصلاة والسلام: "تخرج روح هذا المؤمن خروجاً سهلاً ليناً" ، لأنها تبشر لما بعد الموت من روح وريحان ورب راضي غير غضبان ، قال: تخرج روحه تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها ملك الموت ، قال فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين. ملائكة الرحمة التي نزلت بكفن من الجنة وحنوط من الجنة ، طيب من الجنة وألبسة من الجنة لا يرضوا أن تتأخر هذه الروح الطيبة في يد ملك الموت ولا طرفة عين. قال: "ولا يدعوها في يده طرفة عين" فيأخذوها منه فيجعلوها في ذلك الحنوط يعطرونها ويطيبونها فقد طيبت هذه الروح نفسها في

الدنيا بالذکر الحسن والطعام الحسن الحلال وبالكلام الحسن والريح الحسن ، طيبت نفسها بالحضور في المساجد والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحمل هم الإسلام ، روح تستحق الإكرام. قال: فيأخذوها منه فيجعلوها في ذلك الحنوط ثم يجعلوها في ذلك الكفن ثم يصعدون بها ، إذا صعد بالروح ، وفارقت الجسد ، وصاح العيال ، ووزع المال ، وارتخت اليدان ، وزاغت العينان ، ثم أيقن أهله أنه مات بين أيديهم ، وقد فارقت روحه جسده ترتفع مع الملائكة إلى السماء ، ويقوم أهله إلى هذا الجسد يهينونه بتغسيل وتكفين ، وينبنون الناس بموته ليجمعوا للصلاة عليه. أما روحه فلا يدرون ماذا يفعل بها لكن الله تعالى يدري ترفعها الملائكة إلى السماء فيصلون إلى السماء الأولى. قال: فيستفتحون له فتقول الملائكة من؟ من هذا الذي تأمرنا الملائكة أن نفتح له من؟ ليس أي روح يفتح لها أبواب السماء من؟ قال فيقولون الملائكة التي تحمله بهذا الطيب الحسن والحنوط الطيب والكفن الحسن تقول هذه روح فلان بن فلان بأطيب أسمائه وأحسن أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا. قال: فيفتحون له ثم يصعدون إلى السماء الثانية ومقصدهم الوصول إلى رب العباد جل وعلا ، قال فيصلون إلى السماء الثانية فتفتح له فإن قالوا من؟ فتقول الملائكة: هذا فلان بن فلان بأحب أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا فيفتحون له. رجل صالح تعرفه ملائكة السماء وتحب لقائه وتفتح له أبواب السماء له ذكر حسن ، فله قبول في الأرض ومحبة في السماء ، قال فيفتح له فيصعدون به إلى السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة إلى السماء السابعة فيستفتح له فيفتح له ثم يقول الله تعالى: أفرشوا لعبدي من الجنة وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى. قال: فتعاد روحه في جسده وقد دفن جسده في الأرض ، ثم يأتيه ملكان فيقعدانه بأحسن طريقة وألين أسلوب ، قال فإذا قعد نظر فخيّل له أن الشمس تغرب فيقول لهما أنذراني حتى أصلي العصر ، فيقولان له: إنك مصلي ، من ربك؟ فيقول ربي الله ، ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام ، يقولون: من نبيك؟ فيقول: نبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقولون: وما علمك؟ من أخبرك بهذا؟ من نباك به؟ من علمك؟ والمعنى: هل هو فقط كلام تحفظه دون أن يؤثر في حياتك ، دون أن يكون له تطبيق في واقعك ، من علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فعرفته وفقهته. قال: فيقول له الملكان وهما اللذان يرحمانه ويتلطفان معه ويختار أحسن وألين العبارات ليتكلما معه ، يقولان له: نم هانئاً ، فيقول الله تعالى: صدق عبدي ، عبدي كان كادحاً في الدنيا ، صدق عبدي! فافرشوه من الجنة ، وأطعموه من الجنة ، وافتحوا له باب الجنة فيأتيه من روحها وريحانها وينظر إلى مقعده من الجنة. فيقول: ربي أقم الساعة. ربي أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي ، يا رب ما دام إني في الجنة وأن ذاك مقعدي في الجنة ، يا رب أنا عندي عيال وذاك مالي في الجنة ينتظرني ، ذاك قصري ، وتلك زوجاتي ، وذاك النهر ، وذاك النعيم ، يا رب أقم الساعة ، أقم الساعة. حتى أرجع إلى أهلي ومالي. قال عليه الصلاة والسلام: ثم يأتيه رجل حسن الوجه طيب الريح ، يأتيه بعدما وسع عليه قبره حتى صار مد البصر ، فيقعد إليه هذا الرجل الصالح ويقول له: أبشر بالذي يسرك ، فيقول: من أنت؟ فوجهك يجيء بالخير ، ابتسامتك ونور وجهك وحسنك وبهاؤك وكلامك الحسن يأتي بكل خير ، من أنت؟ فوجهك يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عمك الصالح ، أنا لست غريباً عليك: أنا صلاتك والناس نيام ، أنا صومك في اليوم شديد الحر ، أنا صدقك لما كان الناس ينفقون أموالهم ، أنا سعيك إلى المسجد في شدة الحر ، أنا سجودك بين يدي الله ، ألا تعرفني أنا أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر ، أتظن أنه ضاع سدى ، أنا برك بوالديك ، أنا ابتلاءك الذي ابتليت به ، أنا

جهادك في سبيل الله ، أنا تلاوتك للقرآن ، أنا عنايتك وتربيتك لأولئك ، أنا سعيك وراء أولادك وأنت تقول احفظ قرآن وقم صلي ، أنا أمرك زوجتك وبناتك بالحجاب ، أنا عمك في الدعوة إلى الله ، أنا خدمتك لدينك ، أنا نفس جديدة عليك ، أنا لم أنبت لك من الأرض ولم أنزل من السماء أنا لست حجراً منكر تحولت رجل فجأة ، كلا ، بل أنت طوال حياتك كنت تسمعي وكنت تسمعي. قال: أنا عمك الصالح. ولا يزال الرجل يقول: ربي أقم الساعة ، أنا غير خانف يا ربي من النفخ في السور لأنك أمنتني ، غير خانف من لقائك أنا فرحان بلقائك يا ربي ، يا رب أقم الساعة ، يا رب عجل بالساعة أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي. ثم قال عليه الصلاة والسلام: وأما العبد الفاجر أو الكافر فإذا حضره الموت نزل إليه ملائكة من السماء ، سود الوجوه ، قال يأتي معهم مسوح من النار وهو أغلظ وأشد ما يلبس كالثوب المليء بالشوك. قال: فيجلسون منه مد البصر ، لا يتشرفون بالاقتراب ولا بالنظر إليه ، قال فيأتي ملك الموت ثم يقول يا أيتها الروح الخبيثة كنت في الجسد الخبيث ، رجل ما عرفت طريق المساجد ، ويد ما عرفت إلا لمس المومسات ومسك الخمور والوقوع في الفاحشة أو الكتابة المحرمة ، أي يد هذا وأي رجل ، كيف يكون حال هذا الجسد وهو يعمل على المعصية ومحاربة الدين والتضييق على الدعوة وعلى الخير. يا أيتها الروح الخبيثة ، روح خبيثة ما تأمرين صاحبك إلا بوسوسة محرمة واستجابة للشيطان ، يا أيتها الروح الخبيثة كنت في الجسد الخبيث اخرجي إلى غضب من الله ، اخرجي إلى لعنة من الله وغضب. قال: فتفرق روحه في جسده ، شدة الرعب لا تدري إلى أين تهرب ، أتهرب إلى رجله اليمنى أو إلى اليسرى أو إلى يده ، أو تكون في بطنه أو في رأسه ، تتفرق روحه في جسده ، قال: فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول. السفود هو تلك المحش التي يقطع به العشب كأنك أخذته ثم لفتته بصوف مبلول بماء ثم نزعت هذه السكين من ذلك الصوف تتقطع تقطعاً ، يقول عليه الصلاة والسلام ثم ينزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول. قال: فإذا انتزعها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك المسوح من النار ، ثم يصعدون بها إلى السماء أما أهله بيبكون عليه ، وأما ماله فيقسم ، وأما أطفاله فاطرحوا على صدره بيبكون ، ربما هناك من فرح بموته ، ربما مظلوم يفرح بموت ظالمه ، ورب مقهور يفرح بموت من قهره ، ورب من أصيب بأذى ولم يستطع أن ينتصر ممن أذاه يفرح بموت مؤذيه. أقوام إذا ماتوا اهتز لهم عرش الرحمن محبة لهم وبكت عليهم منابر المساجد ، وأقوام يموتون فيستبشر الناس بموتهم. قال: فيصعدون به فيستفتحون له ، تقول الملائكة من؟ فيقولون هذا فلان بن فلان يسمونه بأقبح أسمائه التي كان ينادى بها في الدنيا ، أقبح اسم كان يلقي عليه تعبيراً وإغاظاً. الاسم الذي يكره أن يسمعه في الدنيا يقال: هذا فلان بن فلان ، لا تستحق التكريم أنت ما كرمت جسدت فكنت من أهل الصلاة ولا كرمت يدك فتكون من أهل الصدقة ، أنت ما احترمت نفسك فتحترمك الملائكة ، ولا جعلت لنفسك قدر حتى يكون لك قدر في السماء. قال: فلا يفتح له ، فيقول الله تعالى اكتبوا كتاب عبي في سجين فأعيدوه إلى الأرض ، وقد قال ربنا عن المؤمن اكتبوا كتاب عبي في عليين ، أما هذا اكتبوا كتاب عبي في سجين واعدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدوهم ومنها أخرجهم تارة أخرى. قال : فتعاد روحه في جسده ، فيأتيه ملكان فينتهرانه ، ما يحركانه تحريكاً يسيراً لطيفاً سهلاً ليناً.. لا ، يأتيه ملكان فينتهرانه ، فيقوم فزعاً فيقولان له من ربك؟ فيقول: ها ها كأنه يتذكر هذا السؤال أنه حفظه في الدنيا ، أنه سمعه في الدنيا ، أنه قيل له في الدنيا ، لكنه أغلق عليه وتحير فكره واضطرب ، شدة الهول ، ها ها لا أدري. فيقال له: ما دينك؟ على أين دين

كنت؟ كنت تعبد من في الدنيا؟ هل كنت عبداً لله حقيقة؟ أم عبداً لفرجك وعبداً لكاسك وعبداً لمالك وعبداً لكرسيك وعبداً لمنصبك ، لذلك كنت تقتل الناس وتظلمهم ، ما دينك؟ أين دين كنت عليه؟ ما دينك؟ فيقول: ها ها لا أدري. فيقول: من هذا الرجل الذي بعث فيكم هل تعرفه؟ تعرف أخلاقه؟ تعرف سننه؟ هل تحبه؟ هل تتبعه؟ هل تدافع عنه؟ هل تعرف صفاته؟ هل قرأت عنه؟ من هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: ها ها لا أدري. فيقول الملك: لا دريت ولا تليت أصلاً أنت منذ أن كنت في الدنيا وأنت ضايح لا تقرأ ولا تتلو ولا تدري همك شهوتك ومالك ومنصبك وكرسيك وملكك وعرشك ، هذا همك أما أمر أخرتك فتحت قدميك. لا دريت ولا تليت. قال عليه الصلاة والسلام: ثم يُضرب بمرزبة ، مطرقة لو ضرب به جبل لدكته ، قال: فيغوص في الأرض سبعين ذراعاً ، قال: فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويقول الله تعالى: قد كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له باب إلى النار ، فيأتيه من سمومها ويسمع عذاب أهلها وصراخهم. ثم يأتيه رجل قبيح الوجه منتن الريح ، لا النظر إليه محتمل ولا رائحته تحتمل ، فيقول هذا الرجل المنتن القبيح أبشر بالذي يسووك ، الذي يأتيك أعظم مما ترى الآن ، الآن ضربت بمرزبة هذا لا شيء ، الآن ضيق عليك حتى اختلفت أضلاعك هذه ليست شيئاً ، ترى النار وترى مقعدك منها ويأتيك من حرها وريحها وسمومها هذا ليس بشيء. أبشر بالذي يسووك! فينظر إليه فإذا قبح في الوجه ومنتن في الريح ، فيقول: من أنت؟ فوجهك يجيء بالشر فيقول له الرجل: أنا عمك السيء! والمعنى: أنا عمك القبيح أنا لست غريباً عليك ، هو زناه الذي زناه وقد تحول أمامه ، هو شربه للخمر ، هو أكله لأموال الناس بالباطل ، هو ظلمه للضعفاء إذا استطاع ظلمهم ، هو عقوقه لوالديه ، هو شربه للخمر ، هو نومه عن الصلاة ، هو قتله للناس ، هو حكمه بغير ما أنزل الله ، هو سكوته عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هو كتاباته المحرمة ، هو غيبته ، هو نيمته ، اجتمعت حتى كادت أن تكون جبلاً فصارت رجلاً. قال: أنا عمك الخبيث فلا يزال يجالسه يرى من قبح منظره ومن نتن ريحه ما لا يحتمل ، فيقول: ربي لا تقم الساعة ، يا رب لا تقم الساعة ، يا رب لا تقم الساعة مما ينتظره من العذاب في الآخرة. هذه أحوال الناس في قبورهم ، فلو تكلم الموتى لسمعتم منهم أعاجيب). هـ. إذن فالكل الموت وعظة القبر لا ينتهي! ونضم قصيدتنا هذه إلى قصائد سبقت عن المقابر! تم العظة ولتنتفع النصيحة ولتعم العبرة! والله من وراء القصد!

القبر يُنادي من عقلاوا
ويذکر قوماً قد غفلوا
ويلوم أناساً كم شرردوا
عن درب الحق ، فما عدلوا
ويعاتب قوماً كم لعبوا
وانصاعوا للسوء ، وهزلوا
ويؤيخ قوماً ما احترموا
دين الله ، فبئس العمل!
ويقول: أفيقوا ، وانتبهوا
قد يأتي الملائكين الأجل
لا تفتنكم هذي الدنيا
لا تخدعنكم بزخارفها
لا تغريكم فيها الأمل
خابت إن خدعت من عقلاوا

فبها فتتوا ، وبها اش تغلوا
 وأقام الحجة ، فاعتدلوا
 طوعاً كى ينصلح الخلل
 ويعبرته ضربه المثل
 إن الضمة خطب جال
 وبها تختالف ، وتنفصل
 لا يدركه الغر الجهل
 هذي الضمة إذ يرتحل
 عن هذي الضمة لا حول
 كيف الحل؟ وماذا العمل؟!
 حفرأ رائيه ينذل
 والنظر البزق المشتعل
 مذعوراً يطويه الوجال
 لإجابات لا ترتجل
 هل فيها العقل سيعتمل؟
 هو - للأمر - إذن يمتثل
 ما دينك؟ أفصح يا رجل؟!
 كان الإيمان؟ أم الميئل؟
 وبمجاتك هل تحتفل؟!
 هل تنفع - في السؤل - العئل؟!
 في لهجته بان الدغل؟!

كم خدعت من لم ينتبهوا!
 بالوعظ القبر تُعقبكم
 وانصاعوا للأمر ، وجردوا
 بات القبر لكم مدرسة
 فاذا كز يا غافل ضمته
 تضغط أضلاعك شدتها
 والسنة وصفتها وصفاً
 والمجنون وحيداً يلقى
 يوم يهال عليه تراب
 والملكان سريعاً أتيا
 أنيابهم تحفر قبراً
 صوتهما والرعد سواً
 بينهم يجلس مينا
 لهما أسئلة قد علمت
 يا عبداً ثلاثة أسئلة
 أم سيجيب عليها فرحاً؟
 من ربك؟ يا عبد اجنبا!
 ونبيي قد أرسل فيكم
 هل في الموقف هذا تنجو؟
 ملكان بسؤلك قد وكلا
 هل تجدي أعمار موار

مالِك - للورثة - مُبتذل!
 تأخذ هذه الشفقة والخجل؟!
 ويُجيبُ الثَّانِي يَرتجِل؟
 أجوبة غيبها الكسول؟!
 كي ينزاح الكرب العِضِل؟!
 في القبر تحدّثه النقل!
 وعلى ذلك عاش الهَمَل!
 درساً لا تنقصه المُثَل
 لمآلات لا تُحتمل
 ما عُقباه؟ وماذا النزل؟
 وبلاء أضناه الثَّقَل!
 كبد الحق ، ونعم الجمَل!
 وبها اصطاد فؤادي الشُّغل
 ودهتني - بالمال - الغيَل
 واستشري - في القلب - الضلل
 وكأني حقاً مُختبِل
 فغشاني الباطل والخطل
 فزها الشرُّ ، وراج الزلل
 وتحكّم - في العقل - الهبل
 وأمّامي ازيّنت السُّبُل
 وطفقت أسائل: ما العمل؟
 ويُداعِبُ ذاكرتي أمَل

هل يرشني المآكان بمال؟
 أجامِلُ مَلِك ، والثَّانِي
 هل يطرح سُؤلاً أحدهما
 هل يأتيك الوحي فتتالو
 هل تُدرِكُ غِيراً مُعجزة
 ما أوهنَ حياة مُبتسئس
 لم يحسب - للقبر - حساباً
 فإذا بالقبر يُلقتُه
 ويُوبِّخُ عبداً لم يَفْطِن
 ومصير - في القبر - وشيك
 وعذاباتٍ ما أصعبها
 وأجواب المقبور مُصيّباً
 قال: فتنتت بهذي الدنيا
 والمال غزا عقلي أبداً
 والغبي سببا كل صوابي
 وحبيبت بلا أدنى قِيم
 وتركت صلاتي وزكاتي
 وهجرت القرآن ملياً
 وانصعت لأهواء شيتي
 وأضعت بهزلي آخرتي
 وشقيت ، وشقيت خاتمتي
 يا قبرُ يراودني عشم

ويهذي العوذة أبتهل
 إن الأيـام - بهـا - ذول
 إذ ألم ضجعتـه النـكـل؟!
 والـروح اسـتـقبلها الظـل
 نعم الفـعل! ونعم البـدل!
 وبه - فيـها - ضـرب المـثل
 أنا صارحـتـك ، ما بي خـبـل!
 وابـثـلـت - بالخـذل - الوـسـل
 ليس له - بالـعوذة - قـبـل!
 مـن أيقـن ذلـك مـخـتـل!
 وسـيـغويه القـوم والسـفل
 هل سـيـروج الكـذب المـحل؟!
 عـدمت مـغـواراً يـنتـشـل
 لـن يـجـدي لـوم أو عـذل!
 لـم تـكـ بالمـولى تتـصل
 قومـاً وفـق الشـرعة عمـلوا
 وعلى المـولى الحـق اتـكـلوا

أني سـأعوذ إلى الـدنـيا
 كي أصـلح شـأني وحيـاتي
 هل قـبـر ضـاق بمـيتـه
 فـاحتـج ، وألقـى جـثـته
 فاسـتـبدل بالسـوء آي الحـسـنى
 والتـقـوى باتـت ديدنـه
 هل يا قـبـري يـحدـث هـذا؟
 واخـتـد القـبـر ، وقاطعـه!
 لا يـرجـع مقـبـور أبـداً
 لـيس يـرد إلى ذي الـدنـيا
 وإذا رجـع المـيت سـيـعـصي
 كـذب العائـذ في ذي الـدعـوى!
 نفـس - في باطلـها - غرقـت!
 كيف ثـلام على ما ارتـكـبت؟
 روح كـره الله لقاها
 يارب الطـف ، واغـفر ، وارحـم
 واتبعوا الحـق ، وما وهـنوا

دمه وماله وعرضه!

(بلغت أخت هذا السفية الشقي سن الزواج ، فالتمس لها بين الرجال زوجاً صالحاً ، وذلك عملاً بوصية والده الذي اشترط عليه ألا يُزوّجها إلا لرجل صالح يؤمن بالله واليوم الآخر ، وألا يشترط عليه شيئاً ، وإنما يكله إلى صلاحه ودينه وتقواه. وقد كان له ذلك ، حيث عرضها على أحد الصالحين (فيما يبدو للناس) ، والله حسيبه ووكيله ، ولا نزكي على الله ربنا أحداً! فلما تم الزواج ، ملأ الصهر الأحمق الأخرق الدنيا بالإفك والبهتان من أنه زوج فلاناً ومنّ عليه ، برغم أنه لم يتكلف له شيئاً يُذكر ، كما جرت العادة والعرف والتقليد والنظام الاجتماعي المتبع! فهل كان التماسه زوجاً صالحاً لأخته منة عليه أو عليها؟! أم أنه واجب شرعي أمرت به الشريعة؟ وكان الزوج قد حمل على عاتقه كل ما يستطيعه وزيادة في هذا الزواج الذي لم يُرد به وجه الله تعالى إلا من طرف واحد هو الزوج المبتلى! هل نسي هذا الصهر المعتوه والنسيب الأبله أنه ختنه (زوج أخته) أخ له في الله والإسلام حرم ماله وعرضه بنص الحديث: (كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه)؟ وما دام لم يتكلف ولم يغرّم فلماذا الكذب والمبالغة في البهتان والإسراف في الإفك؟ فيقال: ولماذا يتكلف هل صار ختنه بمثابة الابن؟ والجواب: لا يجب ، بل يستحب فإنه من فضائل الأعمال على أي حال! وإن فلماذا الادعاء الكاذب الأجوف من أنه زوج فلاناً؟! إنه لا منة له مطلقاً لا على ختنه ولا على أخته! إنه واجب شرعي تكليفي محض! وقد عرض شعيب ابنته على موسى - صلى الله عليه وسلم - ، وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على أبي بكر ثم على عثمان ثم تزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم -! وعرض سعيد بن المسيب ابنته على عبد الله بن أبي وداعة ، وزوجه إياها لما ماتت زوجته ، وأعطاه عشرين ألف دينار أو أربعين على رواية أخرى! فهل من ابن المسيب يوماً على ابن أبي وداعة البنت والمال؟! بالطبع لا! إن الذي يعطي لله ينتظر الأجر منه وحده ، لا من سواه! هل من شعيب على موسى عليه السلام يوماً؟! هل من ابن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم تزويجه ابنته حفصة - رضي الله عنها - يوماً؟! والمثل المري الجميل يقول: (اخطب لابنتك ، ولا تخطب لابنك!) ، ونحن نوافق في نصفه الأول: (اخطب لابنتك) ، والمعنى: (انتق زوجاً صالحاً لابنتك!) وفي هذا الانتقاء بالطبع عرض البنت على الصالحين ، وهو باب من أبواب الفقه الإسلامي في القديم والحديث! (باب: عرض الرجل موليته على الصالحين)! جاء في جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي تعليقا على حديث: (دمه وماله وعرض) ما نصه: (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً! المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره ، التقوى ها هنا! ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم! كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه). هـ. رواه مسلم. هذا الحديث خرجه مسلم من رواية أبي سعيد مولي عبد الله بن عامر بن كريز عن أبي هريرة ، وأبو سعيد هذا لا يعرف اسمه ، وقد روى عنه غير واحد وذكره ابن حبان في ثقاته. وقال ابن المديني هو مجهول وروى هذا الحديث سفيان الثوري فقال فيه سعيد بن يسار عن أبي هريرة ، وهم في قوله سعيد بن يسار ، إنما هو أبو سعيد مولي ابن كريز. قاله أحمد ويحيى والدارقطني ، وقد روى بعضه من وجه آخر ، وخرجه الترمذي من رواية أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام: عرضه

وماله ودمه ، التقوى ههنا ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم).هـ. وخرج أبو داود من قوله: (كل المسلم على المسلم حرام إلى آخره). وخرجه في الصحيحين من رواية الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً).هـ. وخرجاه من وجوه أخر عن أبي هريرة. وخرج الإمام أحمد من حديث واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، والتقوى ها هنا ، وأوماً بيده إلى القلب. وحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم).هـ. وخرج أبو داود آخره فقط. وفي الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه). وخرجه الإمام أحمد ، ولفظه: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره وحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم).هـ. وفي الصحيحين عن أنس عن النبي ﷺ قال: (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً). ويروى معناه من حديث أبي بكر الصديق مرفوعاً وموقوفاً! فقلوه ﷺ: (لا تحاسدوا) يعني لا يحسد بعضهم بعضاً ، والحسد مركوز في طباع البشر ، وهو أن الإنسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل! ثم ينقسم الناس بعد هذا إلى أقسام فمنهم من يسعى في زوال نعمة المحسود ، وذلك بالبغي عليه بالقول والفعل ، ثم منهم من يسعى في نقل ذلك إلى نفسه ، ومنهم من يسعى في إزالته عن المحسود فقط ، من غير نقل إلى نفسه ، وهو شرهما وأخبثهما ، وهذا هو الحسد المذموم المنهي عنه ، وهو كان ذنب إبليس حيث كان حسد آدم عليه السلام لما رآه قد فاق على الملائكة ، بأن الله خلقه بيده ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء ، وأسكنه في جواره فما زال يسعى في إخراجهم من الجنة حتى أخرجه منها! ويروى عن ابن عمر أن إبليس قال لنوح: (إثنان أهلك بهما بني آدم الحسد والحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً ، والحرص أبيع آدم الجنة كلها فأصبت حاجتي منه بالحرص). خرجه ابن أبي الدنيا! وقد وصف الله اليهود بالحسد في مواضع من كتابه القرآن كقوله تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} ، وقوله: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}. وخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث الزبير بن العوام عن النبي ﷺ قال: (دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ، والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر ، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولاً أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم).هـ. وخرج أبو داود من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، أو قال العشب).هـ. وخرج الحاكم وغيره من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (سيصيب أمتي داء الأمم! قالوا: يا نبي الله وما داء الأمم؟ قال: الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباغض والتحاسد ، حتى يكون البغي ثم الهرج). وقسم آخر من الناس إذا حسد غيره لم يعمل بمقتضى حسده ولم يبغي على المحسود بقول ولا بفعل. وقد روي عن الحسن أنه لا يأتهم بذلك ، وروي مرفوعاً من وجوه ضعيفة! وهذا على نوعين: أحدهما أن لا يمكنه إزالة ذلك الحسد عن نفسه ويكون مغلوباً على ذلك ، فلا يأتهم به! والثاني من يحدث نفسه بذلك اختياراً ويعيده ويبدئه في نفسه مستروحاً إلى تمني زوال نعمة أخيه. فهذا شبيه بالعزم المصمم على المعصية! وفي العقاب على ذلك اختلاف بين العلماء ، وهذا يبعد أن يسلم من البغي على المحسود بالقول

فياثم! بل يسعى في اكتساب مثل فضائله ، ويتمني أن يكون مثله ، فإن كانت الفضائل دنيوية فلا خير في ذلك! كما قال الله تعالى: {قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونَ} ، وإن كانت فضائل دينية فهو حسن ، وقد تمنى النبي ﷺ الشهادة في سبيل الله. وفي الصحيحين عنه ﷺ قال: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، وهذا هو الغبطة وسماه حسداً من باب الاستعارة! وقسم آخر إذا وجد في نفسه الحسد سعي في إزالته وفي الإحسان إلى المحسود بإبداء الإحسان إليه والدعاء له ونشر فضائله وفي إزالة ما وجد له في نفسه من الحسد ، حتى يبذله بمحبته أن يكون المسلم خيراً منه وأفضل ، وهذا من أعلى درجات الإيمان وصاحبه هو المؤمن الكامل الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه. وقوله ﷺ: (ولا تتاجشوا) فسره كثير من العلماء بالنجش في البيع ، وهو أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها ، إما لنفع البائع لزيادة الثمن له أو بإضرار المشتري بتكثير الثمن عليه. وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه نهى عن النجش. وقال ابن أبي أوفى: الناجش أكل ربا خائن. ذكره البخاري. قال ابن عبد البر: أجمعوا على أن فاعله عاص لله تعالى إذا كان بالنهي عالماً ، واختلفوا في البيع. فمنهم من قال: إنه فاسد وهو رواية عن أحمد اختارها طائفة من أصحابه. ومنهم من قال: إن الناجش هو البائع أو من واطأه البائع على النجش فقد فسد ، لأن النهي هنا يعود إلى العاقد نفسه ، وإن لم يكن كذلك لم يفسد ، لأنه يعود إلى أجنبي! وكذا حكى عن الشافعي أنه علل صحة البيع بأن البائع غير الناجش ، وأكثر الفقهاء على أن البيع صحيح مطلقاً ، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله ومالك رحمه الله والشافعي رحمه الله وأحمد رحمه الله في رواية عنه ، إلا أن مالكا وأحمد أثبتا للمشتري الخيار ، إذا لم يعلم بالحال وغبن غبناً فاحشاً يخرج عن العادة وقد رواه مالك وبعض أصحاب أحمد بثلاث الثمن فإن اختار المشتري حينئذ الفسخ فله ذلك ، وإن أراد الإمساك فإنه يحط ما غبن به من الثمن ذكره أصحابنا ، ويحتمل أن يفسر التناجش المنهي عنه في هذا الحديث بما هو أعم من ذلك فإن أصل النجش في اللغة إثارة الشيء بالمكر والحيلة والمخادعة ، ومنه من سمي الناجش في البيع ناجشاً ويسمى الصائد في اللغة ناجشاً ، لأنه يصيد الصيد بحيلته عليه وخداعه له وحينئذ فيكون المعنى لا تخادعوا ولا يختل بعضهم بعضاً بالمكر والاحتيال ، وإنما يراد بالمكر والمخادعة إيصال الأذى إلى المسلم ، إما بطريق الاحتيال وإما اجتلاب نفعه بذلك ، ويلزم منه وصول الضرر إليه ودخوله عليه وقد قال تعالى: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} فاطر. وفي حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ: (من غشنا فليس منا والمكر والخداع في النار). وقوله ﷺ: (ولا تباغضوا) نهى المسلمين عن التباغض بينهم في غير الله تعالى بل على أهواء النفوس ، فإن المسلمين جعلهم الله إخوة ، والإخوة يتحابون بينهم ولا يتباغضون! وقال النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم). خرجه مسلم. هـ. وعوداً إلى الصهر العجيب الذي خدع خنته وادعى عليه بالفضل المزعوم وتخرص عليه بالباطل! ألا إن تزوج وليته (أختاً كانت أو بنتاً أو أمّاً) من الصالحين هو واجب شرعيّ ليس فيه منة لا عليها ولا على زوجها! وهي سنة ربانية وتشريع قائم عرف من لدن موسى - صلى الله عليه وسلم - حتى النبي لرسول - محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وظل عليه عمل الأمة المسلمة من بعثة

محمد - صلى الله عليه وسلم - وإلى قيام الساعة! ومن أروع القيم الحضارية والإنسانية في سيرة خير البرية «عليه الصلاة والسلام»، أن أم المؤمنين خديجة بنت خويلد «رضي الله عنها» هي التي خطبت الرسول «صلى الله عليه وسلم» لنفسها ، لا العكس ، وكان زواج الرسول «صلى الله عليه وسلم» دليلاً عملياً على هذا الموضوع ، إذ أبدت له رضي الله عنها ، رغبتها في الزواج به ؛ لما رأت من سجاياه الكريمة وشيمه النبيلة ، فقد بعثت إليه تقول: يا ابن عم ، إنني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك. وكانت رضي الله عنها ، يومئذ من أرفع نساء قريش نسباً ، وأعظمهن شرفاً ، وأكثرهن مالاً ، فذكر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ذلك لأعمامه ؛ فخرج معه عمه أبو طالب وعمه حمزة بن عبدالمطلب ، حتى دخلوا على والدها خويلد ، فخطبوا إليه ، فزوجها. ولفرط حبها له - صلى الله عليه وسلم - ولحسن تبيتها وأدبها وخلقها - رضي الله عنها - ما منت عليه يوماً بهذا الزواج! جاء في الدرر السنية ما نصه: (من السنة عرض الولي مؤلّيته على أهل الصّلاح ، نصّ عليه الشّافعيّة ، وهو اختيار ابن العربي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والشوكاني ، وابن باز. الأدلّة: أوّلًا: من الكتاب: قال تعالى: (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَيْهِ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) ، وَجَه الدّلالة: في قوله: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ فِيهِ عَرْضِ الْمَوْلَى وَلِيَّتِهِ عَلَى الصَّالِحِ. ثانيًا: مِنَ السُّنَّةِ: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يحدث: (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ حُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَتَوَفَّى بِالْمَدِينَةِ - قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكِحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ. قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي. فَلَبِثْتُ لِيَالِي ، فَقَالَ: قَدْ بَدَأَ لِي أَلَا أَتَزَوَّجُ يَوْمِي هَذَا. قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكِحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ. فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا ، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ ، فَلَبِثْتُ لِيَالِي ، ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْكِحْتُهَا إِيَّاهُ ، فَلَقِينِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ! قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ ذَكَرَهَا ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبَلْتُهَا). وَجَه الدّلالة: في الحديثِ عَرْضِ الْوَلِيِّ مَوْلِيَّتِهِ عَلَى الرَّجُلِ الصَّالِحِ). هـ. بل للمرأة أن تعرض نفسها على الرجل الصّالح ، نصّ عليه الشّافعيّة ، وهو اختيار ابن المنذر ، وابن العربي ، والقرطبي ، وابن دقيق العيد ، والعيني ، والصنعاني ، وابن باز. والدليل من السنة: عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: (جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ، إنني قد وهبت لك من نفسي ، فقال رجل: زوّجنيها ، قال: قد زوّجناكها بما معك من القرآن). وَجَه الدّلالة: في قولها: (إنني قد وهبت لك من نفسي) دليل على جواز عرض المرأة نفسها على الرجل الصّالح! وعن ابن أبي وداعة ، قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياما فلما جنته قال: أين كنت؟ قال: توفيت أهلي فاشتغلت بها ، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها ، قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هل استحدثت امرأة ، فقلت : يرحمك الله ، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ، فقال: أنا ، فقلت: أوتفعل؟ قال : نعم ، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي - صلى الله عليه وسلم - وزوجني على درهمين أو قال : ثلاثة. قال : ففقت ولا أدري ما أصنع من الفرح ، فصرت إلى منزلي وجعلت

أفكر ممن أخذ وممن أستدين ، فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلي واسترحت وكنت وحدي صائماً ، فقدمت عشائي أفطر كان خبزاً وزيتاً ، فإذا بات يقرع ، فقلت: من هذا؟ قال: سعيد ، قال: فتفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب ، فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد ، فقامت فخرجت فإذا سعيد بن المسيب ، فظننت أنه بدا له ، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلت إلي فأتيك ، قال: لأنت أحق أن يوتى ، قال: قلت: فما تأمر ، قال: إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت ، فكرهت أن تبنت الليلة وحدك وهذه امرأتك ، فإذا هي قائمة من خلفه في طوله ، ثم أخذها بيدها فدفعها بالبواب ورد الباب ، فسقطت المرأة من الحياء ، فاستوثقت من الباب ثم قدمت إلى القصعة التي فيها الزيت والخبز ، فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ، ثم صعدت إلى السطح فرميت الجيران ، فجاءوني فقالوا: ما شأنك؟ قلت: ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم ، وقد جاء بها علي غفلة ، فقالوا: سعيد بن المسيب زوجك؟ قلت: نعم ، وها هي في الدار ، قال: فنزلوا هم إليها وبلغ أمي فجاءت ، وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام ، قال: فأقامت ثلاثة أيام ثم دخلت بها ، فإذا هي من أجمل الناس ، وإذا هي من أحفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم لسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأعرفهم بحق الزوج ، قال: فمكثت شهراً لا يأتيني سعيد ولا آتية ، فلما كان قرب الشهر أتيت سعيداً وهو في حلقتة ، فسلمت عليه فرد علي السلام ، ولم يكلمني حتى تقوض أهل المجلس فلما لم يبق غيري ، قال: ما حال ذلك الإنسان ، قلت: خيراً يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو ، قال: إن رابك شيء فالعصا ، فانصرفت إلى منزلي فوجه إلي بعشرين ألف درهم ، قال عبد الله بن سليمان: وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك حين ولاه العهد ، فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف. قال عبد الله: وابن أبي وداعة هذا هو كثير بن المطلب بن أبي وداعة)هـ. وأستاذنا أبو إسحق الحويني زاد الأمر إيضاحاً بقوله في معرض جواب عن سؤال: [ما حكم عرض الرجل ابنته أو أخته على الرجل الصالح] فقال ما نصه: (إن عرض الرجل وليته أو ابنته أو أخته على الرجل الصالح اتباع سنة الأنبياء والصالحين ، من ذلك: الرجل الصالح صاحب مدين الذي ورد ذكره في سورة القصص: {قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نُنَجِّيهِ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ} ، قالوا: إنه شعيب ، والراجح أنه ليس شعيباً النبي ؛ لأن شعيباً النبي قال لقومه: {وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ} ، وقد ثبت أن قوم لوط كانوا في زمان إبراهيم ، وبين إبراهيم وموسى مدة طويلة تزيد عن الأربعمئة سنة ، إنما الراجح أنه رجل صالح من أهل مدين: {قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نُنَجِّيهِ هَاتَيْنِ} فعرض ابنته على الرجل ، لما رأى فيه من صفات الكمال. وكذلك في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، قال: (إن عمر حين تأيمنت حفصة بنت عمر ، من خنيس بن حذافة السهمي ، وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فتوفي بالمدينة ، فقال عمر: أتيت عثمان فعرضت عليه حفصة ، فقال: سأنظر في أمري فلبثت ليالي ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا ، قال عمر: فلقيت أبا بكر فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر ، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئاً وأوجد عليه مني على عثمان ، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها إياه ، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئاً ، قال عمر: قلت: نعم. قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي إلا أني كنت علمت أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قد ذكرها ، فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلتها). وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث زينب بنت أم سلمة: (أن أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت له: يا رسول الله! انكح أختي ابنة أبي سفيان - تريد أن تزوجه أختها شقيقتها - قال: تحبين ذلك؟ فقلت: نعم. لست لك بمخلية - أي: لست أنا الوحيدة التي معك - وأحب من يشاركني في الخير أختي ، فقال: إن ذلك لا يحل لي ، فقلت: يا رسول الله! فوالله إنا نتحدث أنك تريد أن تنكح درة بنت أبي سلمة ، قال: ابنة أم سلمة؟ فقلت: نعم ، فقال عليه الصلاة والسلام: فوالله لو لم تكن ربييتي في حجري ما حلت لي إنها ابنة أخي من الرضاعة ، أَرْضَعْتِي وَأَبَا سَلْمَةَ ثَوِيْبَةَ فَلَا تَعْرَضُ عَلَيَّ بِنَاتِكُنَّ وَلَا أَخَوَاتِكُنَّ). أي: هي مُحْرَمَةٌ لسببين ، السبب الأول: أنها ربيبة في حجري ، والربيبة هي ابنة المرأة من الزوج الآخر. بمعنى أن رجلاً تزوج امرأة ، أنجب منها بنتاً ، ثم طلقها أو مات عنها ، فالمرأة تتزوج ، وإذا تزوجت المرأة رجلاً ، تصير البنت من الزوج الذي طلق أو مات ربيبة ، والربيبة تحرم إذا دخل الزوج بالأم ، أما إذا لم يدخل بها ، فيجوز له أن يتزوجها ، قال الله عز وجل في آية المحرمات: {وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} ، أي: إذا عقد الرجل على المرأة ولم يدخل بها وطلقها ، جاز له أن يتزوج ابنتها ، بخلاف البنت ، فإنه إذا عقد الرجل على البنت ولم يدخل بها ، حرمت الأم إلى يوم القيامة ، لقول الله عز وجل في آية المحرمات: {وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ} ، فبمجرد العقد صارت البنت زوجة ، وصارت أمها محرمة إلى يوم القيامة ، فقال: (فوالله لو لم تكن ربييتي في حجري ما حلت لي) ، والسبب الثاني: لأن ثويبة أَرْضَعْتَهُ وَأَبَا سَلْمَةَ ، فهو أخوه من الرضاعة، فلا يحل أن ينكح الرجل ابنة أخيه من الرضاعة. وروى أبو يعلى في مسنده بسندٍ قواه الحافظ ابن حجر رحمه الله: (أن امرأةً قابلت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحج تعرض نفسها عليه ، فجعل الفضل بن العباس ينظر إليها ، ويلوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجهه واليه وسلم وجه الفضل). كل هذا فيه دليل على أنه يجوز للمرأة أن تعرض نفسها ، ويجوز للولي أن يعرض بنته ، وهي سنة الصالحين). هـ. ولقد عجت لابن المسيب يدفع بابنته لابن أبي وداعة زوجة ويهديه عشرين ألف دينار ، ولم يمن عليه يوماً! والتعيس السفية موضوع قصيدتنا ذلك النسيب الغريب والصهر العجيب لم يغرم ديناراً واحداً ثم هو يمن!

جَلَبَّ الهَوَانَ تَزِيدُ الأَصْهَارِ	وَيَحِيقُ مَكْرُ السُّوءِ بِالْمَكَّارِ
الصدقُ أولى من تخرص مُبطل	يُزْجِي الفِرَى تَكْوِي كَجَمْرِ النَّارِ
ويسوقُ للسفهاء ما يروونه	من كاذب الأنباء والأخبار
ويصَدَّرُ البهتانَ مُفتخراً به	أَيَسُّوعُ بُهْتَانِ بَأْيِ فَخَارِ؟
أيشرفُ الكذبُ الصراخَ من افتري؟!	أَيُصَدِّقُ العَقْلَاءُ أَي مُمَارِ؟!
أرأيت تضليلاً يَـرُوجُ شـيوعه	من دون أن يُبلى بأي خسار؟!
أرأيت إفكاً يُستساغ بريقه؟!	هذا وربِّي عينُ الاسـتهتار!
أرأيت كذاباً يُبجَّاه السورى	دهراً ، ويسلمُ من لظى الأخبار؟!

يوماً على أهل الحجا الأخيـار؟!
أوهكذا وهنت عُرى الأصهار؟!
حتى بليت بنكبةٍ وضرار
وتذيع يا متخرصاً أسراري
وتزيح - تُرضي مُغرضاً - أستاري
علمَ الجميع بقبحها الفتواري
وشرعت في الإطراء والإشهار
أمداح أهل العزة الأبرار
وهي التي في جحرها كالفار
أبدى شجاعته على الأعيار
وغدرت ، وأسفى على الغدار!
وبذلت معروفأً لأفقر جار
طاشت بعرض مُبرءٍ مغوار
وهل الجميل يُرد بالإنكار؟!
لتبوء - من إعلانه - بالعار
وأخذت بالألباب والأنظار؟
إما مننت على ذوي الإعسار؟!
ردَ فريفةٍ قد ضمخت بشنار؟!
من طيب التفضيل والإيثار
ليخصك الآنام بالإكبار
إذ أنت عن بذل المنافع عاري

أرأيت مُحتمالاً أحاجيه انطلت
أخرجتني يا صهرُ دون جريرة!
مازلت تهذي بالمخارف عابثاً
وتؤلف القصص المليئة بالهرا
وتحيك تلفيةاً يُشوّه سُمعتي
ورفعت نفسك عن حقيقتها التي
ونفحت ذاتك نفحة تُزري بها
قلدتها الأمداح وهي نميمة
ورأيت نفسك كالصقور على الذرى
وبرزت - من بين الأنام - غضنفرأً
وقهرت لم ترحم كرامة غائب
وزعمت أنك محسناً زوجتني
أوهمت نفسك والجميع بنحالةٍ
والله ما كانت ، وما حصاثها
وأرى ادعاءك باطلاً ، فاظفر به
أجعلت نفسك فاضلاً متفضلاً
أنسيت أن الخير يُحبَط أجره
ما بالنان إن كانت الدعوى مجـ
ورئيت تُحمدُ بالذي لم تأتـه
وصنعت يا دُهقانُ مجدأً زانفاً
ولبست ثوباً ليس قط مناسباً

لا صدق يُسعف ما خُبيت من الصوى
عجباً كذبت ، وبعدُ صدقت الفرى
وأنا الذي ما احتجّت مالك لحظة
أرضاني المولى بما قد خصّني
وأعيشُ في كنف القناعة زاهداً
وعلمتُ أن الشيء لي سيُصيّبني
ما كان قط ليخطئُ درباً إلى
والشيء إن يك ليس لي سيفوتني
فأريت نفسي والغنى في خندق
لما أغلب في الحياة متاعها
وأنا الذي ما احتجّت جاهك قاصداً
فأقد كفاني الله سُولي خلقه
وأنا أسائل يا شديداً في الجفا
هل كنت ذا جاه ، وكنت مُريده
هل كنت ذا مال ، وكنت احتجّته
ما كنت ذا جاهٍ ولا مال ، ولي
أنا لا أعيب ، بل أوصف صادقاً
كنا جميعاً من عشير واحدٍ
هل مثل هاتيك الصفات خفية؟!
هي للجميع حقائق معلومة
فلم المغالطة التي تُزري بنا
ويتوه عبداً عن حقيقة حاله

كلا ، فما قد قيل محضُ شعار
مثل انتحال الجوقة الأشرار
وارجع إلى التاريخ والأجوار
فالحمدُ للمتفضل الستار
مستعففاً ، ورضيئ بالأقدار
وبرغم أنف أصاغر وكبار
ي ، فتلك قسمة ربنا الجبار!
وبرغم ما أسديت من إصرار
وقلت فوادي سطة الدينار
هذا المتاع أحيط بالأقدار
رفع الذي واجهت من أضرار
جاهاً لتقضى بينهم أوطاري
وجواب سُولي تاق لاستحضار
لأقيل - بالشرف الرفيع - عثاري؟!
لأسد ديناً مؤذناً بيوار؟!
بعضُ القرانن دونما إضمار
والصدق - في التوصيف - خيرُ منار
ولما أقول شواهد الآثار
أوياترى كانت من الأسرار؟
علمت لكل الغيب الخضار
وبها تُلاك كرامة الأقدار؟!
شتان بين تبجح وعذار!

ويعيش كالأغراب أهل الدار
ولقيت شردمة من الأنصار
وتقاسمت ما كان من أدوار
وبدون إيعاز ولا إنذار
وطعنتم الأخلاق كالفجار
ليزيد فتنته به وهج النار
ويضاغف الفوضى بالاسهتار
فليجرح عن مرارة الأوزار
فعدت طعونهم كما الأحجار
متدثراً في دمه المِدرار
ما سال دمع الشهم كالأنهار
يلقي عزيق القول كالخمار
أهدرتموه بأتعس الأمصار
واهاً لحق ضائع منها!
برجوعها من قبضة الديرار
ولئن لعقت مرارة الصبار
وأزيح عنها الآن شر سثار
فالحق محتاج إلى الإظهار
في قصة تأوي إلى السمّار
تلك التي دبست ، وكنت أداري
زوجاً لأختك ، وانتظرت قراري

ويضيع فضل في دروب مطاعن
جالت يا هذا المراوغ واسعاً
جارتك فيما تدعيه جهالة
وهتكتم عرضي ، فسيتت سُمعتي
ووجاتم عنقي ، ولُكتم سُوددي
وكبيركم منح الفتيل شرارة
ليروج الكذب الصراح بلا حيا
كذب الكذبية ، ثم صدق نصّها
هو أقتع الهمج الرعاع بزيّفه
وضحية الأوغاد خاتله الأسى
لولا فضائهم ومنكر قوليهم
ولما تنقصه سافية حاقد
أنا يا ختالة صاحب الحق الذي
وجعلتموه ضحية لنص الكم
تالله ما ضاعت حقوق مُطالب
سأظل أذغ ما جلبتم من أذى
سأظل أكشف ما حبكتم من فرى
سأظل تبيين الحقيقة مطمحي
سأسوق للدنيا دليل براءتي
ولسوف أثار غاضباً لكرامتي
يا صهر أنت اخترتني لتديتي

هذا كلامك! قلت عني: دَيِّنْ
وذكرت لي سُـننًا أحبُّ جـلـانـلاً
وصيامِ نفل ، واتباع شريعة
فيه نَحَصَلْ كُلَّ خَيْرٍ يُبْتَغَى
وشكرتُ ووصفك ، واستعنتُ بربنا
وأتى قراري بعد طول دراسةٍ
لم أشترط شرطاً يكافئك العنا
بل كنتُ أوقنُ أن ربي ناصري
وعلمتُ أن البنيت لم تُبدِ الرضا
ورفعت كفاك مُكرهاً مَنْ قد أبث
أين التفاهمُ والتدارسُ والحجبا؟
فشرعتُ أقتعُ مَنْ حَظِيثٌ برفضهم
حتى لمسيتُ توافقاً مُتكافياً
والأمرُ تم لأن ربي شاعهُ
فإذا بمن صاهرتُ يُشهرُ سيفه
وتعمد التشهيرَ لا جدوى له
متناسياً ما بيننا من ألفةٍ
وإذا بألفاظٍ أبي تـدوينها
وإذا بأفعالٍ تُثيرُ عداوة
ماذا جنيتُ لتستطيل وتعدي
فوضتُ أمري للمهيمن موقناً

وخصصت هذا القول بالتكرار
كقراءة القرآن باسم تظهار
ودوام الاستغفار في الأسحار
ولكم يزول الذنب باسم تغفار!
حتى أقررَ دونما استتار!
ثم استخارة ربنا الغفار
وأبى اشتراط الأعضاء وقاري
والعسرُ يعقبُه جزيلاً يسار
وأردت أنست الأمرَ بالإجبار
أوليس ما قارفتُه بشنار؟!
أتعامل الأخواتِ مثلَ جوارِي؟!
ولذا رُئيتُ كتائبه محتار
فرايتني في ذروة استبشاري
والقومُ كم ضاقوا بكل حوار
وكانه في ساحة الإشهار
ضحى بعرضي في مريع سُعار
وأخوةٍ وتصاهرٍ وحوار
قلمٌ يُبجّل طيبَ الأَشعار
وتذيقُ شهماً قسوة الأغيار
وتلوك عرضي في قرى الأمصار؟!
بالحق يأتيني من القهار!

سِعة علم أبي يزيد البسطامي

(في سير أعلام النبلاء للذهبي في ترجمة البسطامي ما نصه: (سلطان العارفين أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي ، أحد الزهاد ، أخو الزاهدين: آدم وعلي ، وكان جدهم شروسان مجوسياً ، فأسلم! يقال: إنه روى عن: إسماعيل السدي ، وجعفر الصادق ، أي: الجد ، وأبو يزيد ، فبالجهد أن يدرك أصحابهما. وقل ما روى ، وله كلام نافع. منه ، قال: ما وجدت شيئاً أشد عليّ من العلم ومتابعته ، ولولا اختلاف العلماء لبقيت حائراً. وعنه قال: هذا فرحي بك وأنا أخافك ، فكيف فرحي بك إذا أمنتك؟ ليس العجب من حبي لك ، وأنا عبد فقير إنما العجب من حبك لي ، وأنت ملك قدير. وعنه - وقيل له: إنك تمر في الهواء - فقال: وأي أعجوبة في هذا؟ وهذا طير يأكل الميتة ، يمر في الهواء. وعنه: ما دام العبد يظن أن في الناس من هو شر منه ، فهو متكبر. الجنة لا خطر لها عند المحب ، لأنه مشغول بمحبته. وقال: ما ذكروا مولاهم إلا بالغفلة ، ولا خدموه إلا بالفترة. وسمعه يوماً وهو يقول: اللهم! لا تقطعني بك عنك. العارف فوق ما نقول ، والعالم دون ما نقول. وقيل له: علمنا الاسم الأعظم. قال: ليس له حد ، إنما هو فراغ قلبك لوحدايته ، فإذا كنت كذلك ، فإرفع له أي اسم شئت من أسمائه إليه. وقال: لله خلق كثير يمشون على الماء ، لا قيمة لهم عند الله ، ولو نظرتم إلى من أعطي من الكرامات حتى يطير ، فلا تغتروا به حتى تروا كيف هو عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود والشرع. وله هكذا نكت مليحة ، وجاء عنه أشياء مشككة لا مساغ لها ، الشأن في ثبوتها عنه ، أو أنه قالها في حال الدهشة والسكر والغيبة والمحو ، فيطوى ولا يحتج بها إذ ظاهرها إلحاد ، مثل: سبحاني ، وما في الجبة إلا الله. ما النار؟ لأستندن إليها غداً ، وأقول: اجعلني فداء لأهلها وإلا بلعتها. ما الجنة؟ لعبة صبيان ، ومراد أهل الدنيا. ما المحدثون؟ إن خاطبهم رجل عن رجل ، فقد خاطبنا القلب عن الرب. وقال في اليهود: ما هؤلاء؟ هبهم لي ، أي شيء هؤلاء حتى تعذبهم؟ قال السلمي في "تاريخ الصوفية": توفي أبو يزيد عن ثلاث وسبعين سنة ، وله كلام حسن في المعاملات. ثم قال: ويحكى عنه في الشطح أشياء ، منها ما لا يصح ، أو يكون مقولاً عليه ، وكان يرجع إلى أحوال سنية ، ثم ساق بإسناد له ، عن أبي يزيد ، قال: من نظر إلى شاهدي بعين الاضطراب ، وإلى أوقاتي بعين الاغتراب ، وإلى أحوالي بعين الاستدراج ، وإلى كلامي بعين الافتراء ، وإلى عباراتي بعين الاجتراء ، وإلى نفسي بعين الازدراء ، فقد أخطأ النظر في. وعنه قال: لو صفا لي تهليلة ما باليت بعدها. توفي أبو يزيد ببسطام ، سنة إحدى وستين ومائتين).هـ. وطبعاً الأقوال الشاذة المخالفة لعقيدة الإسلام عن البسطامي ، كنا قد ضربنا الذكر عنها صفحاً لسببين: الأول ربما لا تصح نسبتها إلى أبي اليزيد ، والثاني أنها وإن قالها فهي بمثابة الأخطاء والمزالتق! وكل ابن آدم خطأ ، وخير الخطائين التوابون! قال الشيخ المنجد في معرض سؤال سئله هو: (هل هذه القصة صحيحة؟ كان رجل مسلم له صديق نصراني فآلح النصراني علي المسلم بأن يذهب معه للكنيسة ليحضر درساً من دروس أحد القسيسيين ، ويدلي برأيه للنصراني ، فوافق المسلم وذهب معه ، فعرفه القسيس ، وقال له: أريد أن أسألك اثنين وعشرين سؤالاً. إليك الأسئلة: ما هو الواحد الذي لا ثاني له؟ ما هما الاثنان اللذان لا ثالث لهما؟ ما الثلاثة الذين لا رابع لهم؟ ما الأربعة الذين لا خامس لهم؟ ما الخمسة الذين لا سادس لهم؟ ما الستة الذين لا سابع لهم؟ ما السبعة الذين لا ثامن لهم؟ ما الثمانية الذين لا تاسع لهم؟ ما التسعة الذين لا عاشر لهم؟ ما العشرة التي تقبل الزيادة؟ ما الإحدى عشر الذين لا ثاني عشرة لهم؟ ما هي الاثنا عشر الذين لا ثالث عشر لهم؟ ما الثلاثة

عشر الذين لا رابع عشر لهم؟ ما هو الشيء الذي يتنفس ولا روح فيه؟ ما هو القبر الذي سار بصاحبه؟ من هم الذين كذبوا ودخلوا الجنة؟ ما هو الشيء الذي خلقه الله وأنكره؟ وما هي الأشياء التي خلقها الله بدون أب و أم؟ من هو المخلوق الذي من نار ومن هلك بالنار ومن حفظ من النار؟ ومن الذي خلق من حجر وهلك بالحجر وحفظ بالحجر؟ ما هو الشيء الذي خلقه الله واستعظمه؟ وما هي الشجرة التي لها اثني عشر غصناً ، وفي كل غصن ثلاثين ورقة وفي كل ورقة خمس ثمرات ثلاث منها بالظل واثنان بالشمس؟ فابتسم المسلم ابتسامة الواثق بالله ، وسمى بالله قائلاً: *بسم الله الرحمن الرحيم* الله سبحانه وتعالى الواحد لا ثاني له. والاثنتان اللذان لا ثالث لهما: الليل والنهار "وجعلنا الليل والنهار آيتين". والثلاثة التي لا رابع لها هي: أعدار موسى مع الخضر: في إعطاب السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار. والأربعة الذين لا خامس لهم: القرآن ، والإنجيل ، والتوراة ، والزبور. والخمسة التي لا سادس لهم الصلوات الخمس المفروضة ، والسنة التي لا سابع لها الأيام التي خلق الله تعالى فيها الكون. والسبعة التي لا ثامن لهم السموات السبع "الذي خلق السبع سموات طباقاً ما ترى من خلق الرحمن من تفاوت". والثمانية الذين لا تاسع لهم هم حملة عرش الرحمن "ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية". والتسعة اللاتي لا عاشر لها هي معجزات موسى - عليه السلام - العصا ، واليد ، والطوفان ، والسنون ، والضفادع ، والدم ، والقمل ، والجراد ، وشق البحر. وأما العشرة التي تقبل الزيادة هي: الحسنات "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها" ، والله يضاعف الأجر لمن يشاء من عباده. والأحد عشر الذين لا ثاني عشر لهم هم: إخوة يوسف عليه السلام. والاثنا عشر التي لا ثالث عشر لها هي: معجزة الكليم موسى "وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فاتفجرت منه اثنتا عشرة عينا" ، والثلاثة عشر الذين لا رابع عشر لهم هم: إخوة يوسف وأبيه وأمه. وأما الذي يتنفس ولا روح فيه فهو الصبح "والصبح إذا تنفس". وأما القبر الذي سار بصاحبه فهو الحوت ، عندما التقم يونس عليه السلام! وأما الذين كذبوا ودخلوا الجنة فهم: إخوة يوسف عليه السلام. والشيء الذي خلقه الله وأنكره هو: صوت الحمير "إن أنكر الأصوات لصوت الحمير"! وأما ما خلق وليس له أب وأم فهم: آدم عليه السلام ، ناقة نوح ، كبش الفداء ، الملائكة. وأما المخلوق من نار فهو إبليس ، ومن هلك بالنار فهو: أبو جهل ، ومن حفظ من النار فهو: إبراهيم عليه السلام. وأما ما خلق من الحجر فهي: ناقة صالح عليه السلام ، ومن هلك من الحجر فهم: أصحاب الفيل ، وأما من حفظ بالحجر فهم: أصحاب الكهف. وأما ما خلقه الله واستعظمه فهو: كيد النساء "إن كيدهن لعظيم". والشجرة هي: السنة التي لها اثني عشر شهراً "غصناً" ، والثلاثين ورقة هي الأيام في كل شهر ، والخمس ثمرات هي الصلوات الخمس ، والثلاث التي بالظل هي: صلاة الفجر والمغرب ، والعشاء ، والاثنتين التي بالشمس هي: الظهر والعصر. هذا كان رد المسلم فاستعجب القسيس والحضور ، ولكن فوجئ القسيس بسؤال واحدٍ موجهٍ من الشاب المسلم وهو: ما هو مفتاح الجنة؟ هنا لم يقدر القسيس على الإجابة ، لكنه اضطر للإجابة بعد إلحاح الوجود ولكنه طلب الأمان ، أتوقعون لماذا؟! لأن الإجابة هي: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فأسلم القسيس ومن معه في الكنيسة! أترون ما أعظم الثقة بالله. فكان جواب الشيخ المنجد: (أولاً: لم نقف على القصة المذكورة في كتاب أو مصدر معتبر ، ويظهر منها لكل باحث: علامات الاختلاق والوضع ، لما فيها من التكلف ، وركاكة في بعض جملها وألفاظها ، وسماجة في كثير من معانيها. ومما يدل على نكارة هذه القصة وأنه ينبغي عدم

الاشتغال بها ما ورد فيها من إجابات سمجة متكلفة وأخرى غير صحيحة ، فقولته: "الأربعة الذين لا خامس لهم: القرآن والإنجيل والتوراة والزابور" قول غير صحيح ، ففي القرآن ذكر: صحف إبراهيم وموسى ، بل نحن نعلم أن الله رسلاً لم يخبرنا بأبائهم في كتابه ، وعقيدة أهل الإيمان بكتب الله المنزلة على رسله ، وقد قال الله تعالى: (وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقُصِّصْهُمْ عَلَيْكَ). وكذلك قوله: "وأما القبر الذي سار بصاحبه فهو الحوت عندما التقم يونس عليه السلام" قول باطل ، فإن يونس عليه السلام لم يمتهن في بطن الحوت حتى يقال إنه صار قبره ، قال تعالى: (فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبِّئْنَاهُ بِالْعُرْءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبِئْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ). وفي القصة كثير من التكاليف ، والماخذ ، لا حاجة إلى الوقوف عندها تفصيلاً ، ويكفي ما ذكرناه فيها على وجه الإجمال).هـ. ولقد ترجم الإمام ابن كثير في كتابه البداية والنهاية لأبي يزيد البسطامي فقال - رحمه الله -: أبو يزيد البسطامي اسمه طيفور بن عيسى بن علي أحد مشايخ الصوفية ، وكان جده مجوسياً فأسلم ، وكان لأبي يزيد أخوات صالحات عابدات وهو أجملهم ، قيل لأبي يزيد: بأي شيء وصلت إلى المعرفة ، فقال: ببطن جانع وبدن عار ، وكان يقول: دعوت نفسي إلى طاعة الله فلم تجبني فمنعتها الماء سنة ، وقال: إذا رأيت الرجل قد أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود والوقوف عند الشريعة ، قال ابن خلكان وله مقامات ومجاهدات مشهورة وكرامات ظاهرة ، توفي سنة إحدى وستين ومائتين ، قلت: وقد حكي عنه شحطات ناقصات قد تأولها كثير من الفقهاء والصوفية ، وحملوها على محامل بعيدة ، وقد قال بعضهم إنه قال ذلك في حال الاضطلام والغيبة ، ومن العلماء من بدعه وخطاه وجعل ذلك من أكبر البدع ، وأنها تدل على اعتقاد فاسد كامن في القلب ظهر في أوقاته. عموماً دار جدل كبير حول قصة أبي اليزيد وإجاباته على الأسئلة التي زادت على العشرين! ولكنني أعول هنا فقط على ترجمة الذهبي وابن كثير للرجل! وأما عن الأقوال الشاذة التي قيلت عنه وطار بها الصوفيون ، فلربما تاب عنها وربما لم يقلها من الأصل! ومن هنا كانت القصيدة في هذا الشأن والخصوص! بقطع النظر عن حدوث القصة من عدم حدوثها! وهي ليست محالة!

شِعْرُ كَافِي فِرَاسَةِ (البسطامي) ثم بلغ تحيتي واحترامي
لزكبي فذ جيد التباري أفحم الخصم أيما إفحام
إن للعلم صولة وانتصاراً فيهما حارت مدارك الأفهام
كم جهول خاض التلاحي فرداً مستعيناً بالجهل والأوهام!
زاعماً أن الجهل يُحرز سنبقاً بالغاً بالإنسان أسمى مقام
تعس الجهل! كم أضل عقولاً واستهان بالصفوة الأعلام!
كم أضل قوماً ، وأغرى فئاماً! ثم بءاء الجميع باستنظام
كم أهان جِداً ، وأردى اجتهاداً! حيث فيه الصواب غير لزام

إن أرباب الجهل شر طغام
مثمما قد تفوقَ (البسطامي)
مُتقناً في الجِدالِ حَبْكَ الكلامِ
غارقاً في إرهاصةِ استفهامِ
واعترثها شـماتة اللـوأمِ
شارعاً في الإنجاز والإقدامِ
والجوابِ رَدِّ علىِ استعلامِ
ثم أبدي تسليمةً للهـمامِ
داخلاً في الإيمان والإسلامِ
لن يعيشَ في ذلّةٍ أو فِصامِ

كم أزاغ الأبصارَ عن كل خير!
ولأهل العلم التفوقُ حتماً
حلّ ضيفاً عليه من يتحدّى
سانلاً في التنظيرِ سُؤلِ مُمارِ
ورحى التعجيزِ المُبطنِ دارتِ
فاحتواها (أبو اليزيد) بحلمِ
موقفاً من يُغري به عند حَدِّ
فإذا الخصمُ يرتدي ثوبَ لِينِ
مُذعناً للحقِ المُبينِ رضياً
عازماً ألا يجتبييه التـدني

الخاتمة

الحمد لله سبحانه وتعالى ، اللطيف الرؤوف العظيم المنان ، الكبير القدير القديم الديان ، الغني العلي القوي السلطان ، الحليم الكريم الرحيم الرحمن ، الأول فالسابق لسبقه ، المنعم فما قام مخلوق بحقه ، الموالي بفضله على جميع خلقه ، بشرائف المنائح على توالي الزمان ، جل عن شريك وولد ، وعز عن الاحتياج إلى أحد ، وتقديس عن نظير وانفرد ، وعلم ما يكون وأوجد ، ما كان أنشأ المخلوقات بحكمته وصنعها ، وفرق الأشياء بقدرته وجمعها ، ودحا الأرض على الماء وأوسعها ، والسماء رفعها ووضع الميزان ، سالت الجوامد لهيبته ، ولانت وذلت الصعاب لسطوته ، وهانت وإذا بطش (انشقت السماء فكانت وردة كالدخان) ، يعز ويذل ويفقر ويغني ، ويسعد ويشقي ويبقي ويفني ، ويشين ويزين وينقص ويبني ، (كل يوم هو في شأن) ، قدر التقدير فلا راد لحكمه ، وعلم سر العبد وباطن عزمه ، (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) ، ولا ينتقل قدم من مكان مد الأرض فأوسعها بقدرته ، وأجرى فيها أنهارها بصنعتة ، وصبغ ألوان نباتها بحكمته ، فمن يقدر على صبغ تلك الألوان ثبتها بالجبال الرواسي في نواحيها ، وأرسل السحاب بمياه تحييها ، وقضى بالفناء على جميع ساكنيها ، (كل من عليها فان) ، من خدمه طامعاً في فضله نال ، ومن لجأ إليه في رفع كربه زال ، ومن عامله أربحه وقد قال ، (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) ، إله يثيب عباده ويعاقب ، ويهب الفضائل ويمنح المناقب ، فالفوز للمتقي والعز للمراقب! (ولمن خاف مقام ربه جنتان) ، أنعم على الأمة بتمام إحسانه ، وعاد عليها بفضله وامتنانه ، وجعل شهرها هذا مخصوصاً بعميم غفرانه ، (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) ، أحمده على ما خصنا به فيه من الصيام والقيام ، وأشكره على بلوغ الآمال وسبوغ الإنعام ، وأشهد أنه الذي لا تحيط به العقول والأذهان ، وأن محمداً أفضل خلقه وبريته ، المقدم على الأنبياء ببقاء معجزته ، الذي انشق وتصدع ليلة ولادته الإيوان ، {صلى الله عليه وسلم} وعلى أبي بكر الصديق رفيقه في الغار ، وعلى عمر فتاح الأمصار ، وعلى شهيد الدار عثمان ، وعلى علي كاشف غمه سيد الشجعان ، وعلى عمه العباس المطهر من الأرجاس الذي دعي به فسأل من السحاب تهتان! وعلى صحابته الشجعان وعلى تابعيه إلى يوم الدين بإحسان! أيها العاصي ، يا من معاصيه كثيرة مشهورة ، يا من نفسه بمن يجني عليها مسرورة ، أفي العين كمة؟ أم عشي؟ أم الأمر إليك يجري كما تشاء؟ أعلى القلب حجاب أم غشا؟ أيا من إذا قعد عصي ، وكذا إذا مشى ، كل فعلك غلط ، كل عملك سقط ، أترى هذا العقل اختلط؟ أما اعتبرت بهذا الشمط؟ أما علم الشيب على حروف الموت ونقط؟ لقد عزم الأجل المحتوم على النهوض ، وطال ما أقام والدنيا قروض ، قصر بيني وجسم منقوض ، شيب وعيب يزحلق الفروض! الحمد لله العالم بعدد الرمل والنمل والقطر ، ومصرف الوقت والزمن والدهر ، الخبير بخافي السر وسامع الجهر ، القدير سبحانه على ما يشاء بالعز والقهر ، أقرب إلى العبد من العنق إلى النحر ، (هو الذي يسيركم في البر والبحر) ، القديم فلا إله سواه ، الكريم في منحه وعطاياه ، القاهر لمن خالفة وعصاه ، خلق آدم بيده وسواه ، واستخرج منه ذريته كالذر ، أنعم فلا فضل لغيره ، وقضى بنفع العبد وضييره ، وأمضى القدر بشره وخيره ، فحث على الشكر والصبر ، أحاط علما بالأشياء وحواها ، كيف لا وهو الذي بناها؟ وقهر المضادات فسواها ، بلا معين يمدده بالنصر ، لا كيف له ولا شبيهه ، ولا يجوز عليه التشبيه ، عالم السر وما يعرض فيه ، متنزه عن تصور الفكر ، أقسم في القرآن بصنعتة ، والقسم على الحقيقة بقدرته ، فتأمل ما تحت القسم من فائدته ، (والفجر وليال عشر والشفع

والوتر) ، أحمدته حمداً ليس له نهاية ، وأقر له بالتوحيد فكم دلت عليه آية ، وأصلي على رسوله محمد الذي ما ردت له راية ، صلاة تصل إليه في القبر ، وعلى ضجيعه أبي بكر الصديق ، وعمر الشديدي في الحق الوثيق ، وعثمان المحب الشفيق ، وعلى علي الرفيع القدر ، وعلى عمه أبي الفضل العباس الشريف الأصل كريم الأعراس الذي نسبه في الأنساب لا يقاس! وعلى صحابته الأبرار النجوم الأقباس ، وعلى تابعيه خير الخلائق وأظهر الناس! اللهم آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، اللهم إني أعوذ بك من الفقر ، وأعوذ بك من القلة والذلة ، وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم ، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والهزم ، والبخل والشح والفقر ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، اللهم اهني وسدني ، اللهم إني أسألك الهدى والسداد. اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق ، وسينات الأعمال والأهواء ، اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ودعاء لا يُسمع ، ومن نفس لا تشيع ، ومن علم لا ينفع. وأعوذ بك من هؤلاء الأربع. اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ، ومن شر ما لم أعمل ، اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء ، ومن ليلة السوء ومن ساعة السوء ، ومن صاحب السوء ، ومن جار السوء في دار المقامة. اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت اللهم طهرني من الذنوب والخطايا ، اللهم نقني منها كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد. اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني ، اللهم ارزقني حُبك وحُب من ينفعني حُبهُ عندك ، اللهم ما رزقتني مما أُحِبُّ فاجعله قوة لي فيما تحب. اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة ، اللهم متعني بسمعي وبصري ، واجعلهما الوارث مني وانصرني على من يظلمني ، وخذ منه بثأري ، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك! اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والبخل والهزم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها. اللهم إني أعوذ بك من دعوة لا يستجاب لها. اللهم إني أسألك عيشة نقية وميتة سوية ومرداً غير مخزٍ ولا فاضح ، اللهم قتعني بما رزقتني وبارك لي فيه ، واخلف عليَّ كل غائبة لي بخير اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي. اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنت المستعان وعليك البلاغ ، ومن العون والسداد والتوفيق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله. الحقيقة أنني لم أعوّل على الرمز كثيراً في أشعاري وقصائدي! بل بالعكس أنا أرى أن إيغال الشاعر في الرمز يزهق روح النص ويجعل القراء لا يصلون إلى المعنى الذي يريده الشاعر! فهل ننتظر أن يقال: والمعنى لا يزال في بطن الشاعر الذي مات منذ سنين؟! وفي مقالة عنوانها: (الشاعر والشعور والشعر الحديث) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (إن الرمز في حد ذاته مجردٌ وجاف ؛ وهو لا يكتسب المعنى ولا يصيرُه ، إنما ينقله فقط. فالرمز ليس غاية كما أنه ليس بداية! إنه حين يعبر الرمز بالكلمة وبالمفهوم العام في القصيدة عن المعنى العميق الذي يريده الشاعر ، فإنه يكون قد أدى دوره على أكمل وجه. وعلى هذا فإن الرمز ليس شعوراً ، أي أنه ليس هو الشعور ؛ وعلينا أن ندرك هذه النقطة تماماً. الرمز يأتي من الشعور – أو هكذا يجب أن يكون الأمر – الذي يسري فيه نسغاً يحيي القصيدة بكاملها فيكون الرمز بذلك وحياً شعورياً وتجاوزاً للكلمة إلى المعنى. مما لا شك فيه أن الرمز لا يعني الغموض. وعندما يريد الشاعر أن يشير في

قصيدته إلى معنى عميق في نفسه من خلال الرمز ، فإنه يتوَّخى الإفصاح عن ذلك المعنى بأسلوب ينقله كاملاً ويحافظ على نقائه وعلى صفاء شعوره به. إنه يدرك أن الكلمات المترصّة وحدها لا تفي ولا تعبر إلا عن إطار خارجي ؛ لذلك فهو يضمّن تلك الكلمات رمزاً يحرك فكر الآخرين ويهزُّ مشاعرهم ، بل وينقل لهم في الوقت نفسه عين تجربته فيلتهب فيهم شعوره بهم. هكذا أفهم الرمز وأرى دوره في الشعر. فننقل إنه انتقالٌ من التعبير عن مفاهيم مختلفة إلى التعبير عن فكرة كاملة ؛ وإنه ليتسامى في الشعر ليفصح عن تجربة وعن معاناة ولينقل شعوراً داخلياً عميقاً بشفافية وعذوبة). هـ. إن صراحة الشاعر في تشخيص الواقع ومعالجته جزء من رسالته كشاعر حقيقي! وكلما كان الشاعر صادقاً كلما أيدته الصادقون وحاربه الطواغيت الذين يتدينون بالكذب ، ذلك أنهم يكذبون كما يتنفسون! وفي مقالة عنوانها: (الشاعر والشعور والشعر الحديث) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (ما لنا نخشى الحقيقة ونفضّل عليها السقوط في "بئر الشعر المظلمة" ، والغرق في لُجج العواطف الهانجة؟! لم لا ندعو الأشياء بأسمائها ونقرّ بواقع حالنا ، فنغربل الذي عندنا ولا نبقى إلا على الصالح والقليل - ومنه نبدأ غير متعجلين؟ لم نجعل الشعر غاية في حدّ ذاته ، أو طريقاً إلى قمم الوهم ، والشعرُ حقاً ليس إلا تعبيراً عن شعور داخلي. إذا لم تتحقّق تجربة الشعور فمن أين ينبع الشعر؟! يقول الياس أبو شبكة في مقدمة ديوانه أفاعي الفردوس: «وعندي أن الشعر ينزل مرتدياً ثوبه الكامل ، وهذا الثوب جزء من الشعور لا يتجزأ.» وإلياس أبو شبكة - ذلك الشاعر المغترب الذي عاش بعيداً عن وطنه وأهله - أدرك هذه الحقيقة البسيطة ونقلها في كل بيت من شعره. وإن كان سابقاً على هواة الشعر الحديث ، فهذا لا يمنعنا من الأخذ بتجربته على أنها منارة حقيقية لنا ، نهتدي بها في تجربتنا المعاصرة ، نحن الذين نريد أن يكون لنا دورنا في المجتمع الإنساني الكبير. هكذا نعود مرة أخرى إلى الشاعر إلى التجربة الداخلية إلى الشعور ، فلا نتردد في القول إن الرمز إفصاح الشاعر عن شعوره وعن تجربته الداخلية بصدق وبنقاء). هـ. وإذن فالرمز مطلوب لكن الإيغال فيه غير مطلوب! وليكن عند الشاعر صدق فني في قالب رمزي لم يتخذ الرمز بديلاً للقصيدة بل وعاء لها! ويتعين على الناقد أن يصارحوا الشعراء لأنهم مسؤولون عنهم يوم القيامة! ذلك أن الناقد المؤهل الصادق يصدر عنه نقد صادق على مستوى راق! وأيما مجتمع وجد فيه نقاد كلمة أمناء واعون مؤهلون فثق أن الكلمة في هذا المجتمع ستكون راقية صادقة على مستوى الأداء المطلوب! وفي مقالة عنوانها: (الشاعر والشعور والشعر الحديث) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (فلنلجأ إلى الرمز فهو اللغة المتنامية أبداً من أجل التعبير عن الحقيقة. ولنبتعد عن "الرمز-الغموض" الذي صار هدف شعرنا والذي بتنا نتوهم أنه الشعر. أليس هذا هو فعلاً واقع شعرنا الحديث؟! ألا نرى شعراءنا يلهثون وراء "الرمز" من أجل يكتبوا شعراً؟ وفي النهاية ألا نرى الطلاس تملأ كتيبات تسمى "دواوين" ، ملقاة هنا وهناك في الواجهات ، وعلى طرفي دربنا الشعرية الحديثة؟! ويُطرح السؤال مرة أخرى - السؤال المتضمن إجابته: هل نريد شعراً حديثاً حقيقياً ، يضعنا على درب الإنسانية الواحدة؟ هل نعرف ما نريد ونعنيه؟! إن النقد وحده يتفرد دوماً بالمهمة الصعبة: قول الحقيقة! أو لنقل إنه على النقد تقع مسؤولية وضع النقاط على الحروف - وهي المهمة التي تحتاج حقاً إلى الهمة ؛ أو لنقل مرة أخرى إنها المهمة المسؤولة تماماً كالشاعر والأديب والفنان ، في عملية الخلق أو الإبداع. إن كان إطار الموضوع لا يسمح بالتوسع في موضوع النقد فهو يسمح على الأقل بالتأكيد على النقد الصادق النابع من الداخل

الواعي لتطور الشعر ، والسابر الشعَرَ في الشعور. فما أوجنا في مثل هذه الأيام إلى مثل هذا النقد! وما أجمل أن نرى نقادنا يسارعون إلى إصلاح الاعوجاج في مسيرة شعرنا فينبهون ويوجهون وينقدون فلا ينقضون بل يبنون ويرفعون).هـ. وإذا كان ذلك كذلك فسوف تكون الدواوين الشعرية علاجات للواقع المزري فليست قصائدها تتماهى معه ، بل تصلحه وتداويه وتقومه شاء أم أبي! ومن هنا كان موقف الإسلام من الشاعر الصادق الذي يوظف شعره في خدمة القيم والأخلاق والإسلام! وتحت عنوان: (موقف القرآن من الشعر) قال الدكتور أمل عبد الجبار كريم الشرع ما نصه: (كان شعراء المدينة الأنصار من أشهر من وقف مع الرسول ضمن الفريق الأول ، كان حسان وكعب يردان على شعراء المهاجرين ، ويدافعان عن الدين الإسلامي بمثل الطريقة القديمة في الفخر والمدح والهجاء ، أي بذكر الوقائع والأيام والمآثر والأنساب ويعيرانهم بالمثالب... أما عبد الله بن رواحة فكان يعير بالكفر وعبادة الأوثان ، فكان شعر حسان وكعب شديداً على الأعداء قبل إسلامهم ، وكان شعر عبد الله بن رواحة سهلاً عليهم ، فلما أسلموا وفقهوا الدين تغيرت وجهات نظرهم ، فأصبح أشد القول عليهم شعر ابن رواحة! احتدم الصراع واضطرم بين الفريقين المتصارعين ، وحين تم نصر الله وفتحت مكة دخل معظم الشعراء العرب إلى الدين الإسلامي يدافعون عنه ضد أعدائه ، ظهر بعض اللين والضعف في المستوى الفني للشعر الإسلامي ، ومرد ذلك ان الشعراء في تلك المرحلة كانوا دون مستوى الحدث ، فلم يوفقوا كثيراً في تمثيل القيم الجديدة والمبادئ الناصعة التي أتى بها الإسلام ، وكان لهذا أثره في خمول الشعر وضعفه إذا ما قورن بشعر ما قبل الإسلام ، ولهذا الضعف أسباب عديدة منها انشغال الناس بالقران وبلاغته وسمو كلماته ، وشعور المسلمين بالعجز عن مجاراته ، سواء بالشكل أو المضمون ، فانصرفوا عن قول الشعر ، وهذا ما يذكره ابن خلدون في مقدمته ، حيث يذكر ما معناه أن العرب انصرفوا عن قول الشعر أول الإسلام لانشغالهم بأمور الدين والنبوة ولاندهاشهم بأسلوب القران ونظمه ، كما إن المسلمين الذين ملأ الإيمان قلوبهم تحرّجوا من النظم خشية أن ينالهم غضب الله (والشعراء يتبعهم الغاؤون) فآثر بعض الشعراء الصمت مثل لبيد والنابغة الجعدي ، وبعضهم ضعف شعره ، لأنه ابتعد عن الهجاء المقذع والفخر الفاحش والمديح الكاذب ، والإسلام قد أبطل الدوافع الجاهلية التي تنشط الشعر ، ونهى عنها إذا ما درسنا الشعر إبان تلك الفترة وجدنا بوناً شاسعاً بين نظم شعراء معينين في عصر ما قبل الإسلام ونظم قالوه هم أنفسهم في عصر صدر الإسلام من حيث القوة والمستوى الفني ، ومع ذلك فإن هذا الكلام لا يعني أن الإسلام حارب الشعر أو نهى عنه ، كما ذهب بعضهم مستنديين إلى بعض الآيات من القران الكريم ، فإن الشعر لم يحارب لذاته ، وإنما حارب بعضه ، ذلك الذي اعتمد على الأهواء والانفعالات القضية إذن فيم يتناول الشعراء من المعاني والأغراض وقد قال الرسول: (إنما الشعر كلام مؤلف ، فما وافق الحق فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه).هـ. وطبعاً قمتُ بالرد على هذا المذهب في دراستي لشعر حسان بن ثابت الأنصاري في دراسة منفصلة تبين أن النقاد المعاصرين استندوا في ذلك إلى فرية الأصمعي من القول بضعف شعر بعض شعراء الصحابة ومنهم حسان بعد إسلامهم! وكيف نتصور شاعرا روح القدس معه ويلين شعره! وهو الذي طلبه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – طلباً: أين حسان لها؟! ونختم ديواننا: (وداعاً أيها الشعر!) ونحمد الله أن بلغنا العمر الذي نختم فيه ذلك الديوان الطيب الميمون المبارك! على أمل أنه إن كان في العمر بقية شرعنا في ديوان نظنه الأخير عنوانه: (يا شعرُ كن لي شاهداً!) عسى الله أن يبلغنا إتمامه!

وأخيراً وليس آخراً

الحمد لله سبحانه وتعالى وعز وجل ، القديم الأحدث العظيم الصمدي ، الدائم الأبدي القائم السرمدى ، رفع بقدرته السماء ، وأجرى بحكمته الماء ، وعلم آدم الأسماء وأمكنه من العيش الهني ، فخالف بالأكل الصواب ، فكشف الخلاف عنه الجلباب ، فخرج وما يعرف الباب لشؤم ارتكاب المنهي ، ويستدرك سالف الفوات ، حتى عطف على تلك العبرات ، رحمة الراحم الخفي ، فاحذر من الأفعال الخباث ، فإنها سبب الالتياث ، وتعلق بالمستغاث ، ينقذك من جهل العلماء فإنه سريع الفرج ، إذا اشتد الأمر ضيقاً فرج ، (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ، رفقا بالضعيف والقوي ، من لاذ بجنبه مريضاً صلح ، من عاذ ببابه سانلاً فتح ، سبحانه لقد جاد وسمح ، وحتى على الفاجر الشقي ، ذل لجلاله من شمع ، وقل لكماله من بذخ ، وخرج الليل بقدرته وانسلخ ، عن النهار النقي ، تفرد بالإنعام والجود ، وأذل الأعناق له بالسجود ، وتنزه عن مشابهة كل موجود ، بالوجود الأزلي ، سعد من بطاعته يلوذ ، ونجا وأنقذ من بجنبه يعوذ ، وأمره في خلقه نفوذ ، يعلم خفي الخافي من السر ، ويسمع أنين المضطر في الضر ، ويرى ديبب الذر في البر ، تحت أخفاف المطي ، لا يعزب عن سمعه خفي الركب ، ولا يمنع أمره حصين الحرز ، تعالى أن يشابه المخلوق في العجز ، بالعز الأبدي يوصف بالحياة والكلام والسمع والنفس ، وجلت صفاته عن وهم الحدس ، إنما هو وحي أنزله روح القدس ، على قلب النبي ، يرزق النمل في الرمل والفرخ في العش ، ويبعث المزن بالوبل والودق والطمش ، خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش! أسأل الله أن تكون دعوتي صادقة مع الشمس الشارقة ، أن تتوالى علي أشعاري نعمه الدافقة. نعمة الطبع والنشر والتوزيع ، ونعمة القراءة والفهم والدراسة! فلا تبقى للقراء هموم ولا ضائقة إلا أذهبها ذلك الشعر بما حوى من فرائد الحكم وشوارد الأمثال. أيها الحاقد على أشعاري اعلم أنني أستعين الله عليك ، حيث إنني استودعت الله شعري كله من ألفه ليائه ورجوته سبحانه وقد غرتني آية قال ربي فيها: (ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم) أسأل الله أن يكون شعري معي في جنات النعيم أتسلى به هناك إذ العمر في الدنيا أراه ليس كافياً! اعلم أيها الكاره لما كتبت: ليس غير الله يبقى ، من علا فالله أعلى ، اعلم هداك الله أنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، من وثق بالله أغناه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن خافه قلّت مخافته ، ومن عرفه تمت معرفته. أيها العبد تأمل الآيتين: {ومن يتق الله} هذا شرط {يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب} هذا وعد فأسأل الله أن أكون قد حققت الشرط لأستحق الوعد. ألا إن الحياة أجمل عندما نحمد الله على ما ذهب منا وما بقي لدينا. والله لقد ذهب من العمر عاماً بأكمله وراء هذا الديوان: (وداعاً أيها الشعر!)! والحمد لله دائماً وأبداً. اللهم ارزقنا عملاً صالحاً يقربنا إلى رحمتك ، ولساناً ذاكراً شاكراً لنعمتك ، وثبتنا اللهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. اللهم اجعل شعري هذا طريقاً إلى طاعتك وسبيلاً إلى مرضاتك! إنني على يقين: أن هناك شيء ينتظرني بعد الصبر ليبهرنى وينسيني مرارة الألم ألا وهو ذلك وعد ربي [وبشر الصابرين] ، يا رب من نام على ضيق من عبادك الصالحين فأيقظه على فرج ، ومن نام على حزن فأيقظه على فرح ، ومن نام على عسر فأيقظه على يسر. اللهم أخرج من أجسامنا كل مرض وكل سقم وكل سحر وكل عين وكل حزن وكل هم وكل غم وكل ضيق ، وأبدلها بالصحة والسعادة والفرج والعافية مدي حياتنا. اللهم إنا نسألك في كل صباح ومساءً أن تغفر لنا ذنوبنا ، وأن ترحم أمواتنا ، وأن تستجيب لنا دعائنا. يا

كريم يا مَن يا الله ، خذ بيدي إليك ، فأنا الشقي وأنت الرب الودود ، فلا تقطع عني رحمتك ، وأثر بصيرتي وقلبي بنورك. اللهم يا خالق هذا القلب املأه إيماناً بك حتى ألقاك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. ربي إني استودعتك حياتي فلا تجعل مُرها يشقيني. ولا حلوها يلهيني. اللهم إني استودعتك شعري كله فاحفظه بحفظك واكلأه برعايتك ، اللهم كما حفظت شعر حسان وشعر غيره من صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى وصل إلينا اليوم ، اللهم فاحفظ شعري من أن ينتحل أو يصادر أو يُعدم! اللهم يا رب إن كنت كتبتة أريد به وجهك تعلم ذلك من نيّتي وتقبلته عني كعمل صالح اللهم فاحمه واحفظه بحفظك يا حي يا قيوم! اللهم اجعل ما نريده في حياتنا قريباً لناظرنا سعيداً لخواطرننا ، اللهم أسعدنا سعادتين الدنيا بخيرها والجنة بفردوسها ، اللهم آمين آمين يا رب العالمين. ربي لا تحوجني إلى أحد ، وأغني عن كل أحد ، لا نجعلني يا الله عبناً ولا وجعاً لأحد ، وأخرج من قلبي كل إنسان سوف يخذلني في حياتي. ربي إن أمي وأبي هما من أعظم عطاياك ومن أحبّ النعم لقلبي فاسقهم العافية وارزقني برّهم. وما قصرت في حقهما صغيراً وكبيراً فأغفره لي يا رب! اللهم أعطنا في دنياننا هذي من الخير فوق ما نرجو ، واصرف عنا السوء فوق ما نحذر ، اللهم في هذه الدنيا سخر لنا من حظوظ الدنيا ما تعلم أنه خيرٌ لنا ، اللهم قلوبنا بين يديك فارزقها الثبات والراحة واجعل لنا في دروب التعب خير. وازرع لنا في كل خطوة سعادة اللهم أرح ، ثم اشف كل نفس مسلمة لا يعلم بوجعها إلا أنت! اللَّهُمَّ حَاسِبِي حِسَاباً يَسِيراً ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَعَلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرَكَ الْمُنْكَرَاتِ وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي ، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ فَاتِنٍ وَلَا مَفْتُونٍ ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يَقْرِبُنِي إِلَيْ حُبِّكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ وَالْجُنُونِ وَالْجُدَامِ ، وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ ، اللَّهُمَّ قُنِّي شَرَّ نَفْسِي وَإِعْزِمْ لِي عَلَى أَرْشُدِ أَمْرِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَخْطَأْتُ وَمَا جَهَلْتُ. رَبِّ أَعْنِي وَلَا تَعَنْ عَلَيَّ ، وَأَنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ ، وَإْمَكِرْ لِي وَلَا تُمَكِرْ عَلَيَّ ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى إِلَيَّ ، وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِراً لَكَ ذَاكِراً لَكَ رَهَاباً لَكَ مَطْوِئاً عَالِماً إِلَيْكَ مُخْبِئاً وَأَوَاهاً مُنِيباً ، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَاغْسِلْ حَوْبَتِي وَأَجِبْ دَعْوَتِي وَثَبِّتْ حُجَّتِي وَاهْدِ قَلْبِي وَسَدِّدْ لِسَانِي واسئَلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَالْفَسُوقِ وَالْفُسُوقِ وَالنَّفَاقِ وَالنَّفَاقِ وَالسَّمْعَةَ وَالرِّيَاءَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ وَالْبُكْمِ وَالْجُنُونِ وَالْجُزَامِ وَالْبَرَصِ وَسَيِّئِ الْأَسْقَامِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، اللَّهُمَّ اتَّ نَفْسِي تَفَوَّاهَا زَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيَّهَا وَمَوْلَاهَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ مَتَّعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي واجعلهما الوارث مني ، وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ يَظْلِمُنِي ، وَخُذْ مِنْهُ بِنَائِي ، اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ، اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ، وَأَجْرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَيْشَةً نَفِيَّةً وَمَيِّتَةً سَوِيَّةً وَمَرَدًا غَيْرَ مَخْزٍ وَلَا فَاضِحٍ ، اللَّهُمَّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي وَبَارِكْ لِي فِيهِ وَأُخْلِفْ عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ لِي بِخَيْرٍ اللَّهُمَّ الْهَمْنِي رَشْدِي وَأَعِزَّنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي. اللهم إني أسألك لشعري هذا النجاح والفلاح ، اللهم اجعله على جميع القراء سهلاً يسيراً هيناً! اللهم وانشره في العالمين! اللهم قلت لإبراهيم عليه السلام وقولك الحق: (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) فأذن إبراهيم في الناس بالحج وتوليت يا رب إسماع

الناس! فجاؤوا من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا الله في أيام معلومات! وأذاني كان بالشعر البناء الهادف اللهم فأسمعه وأقرئه الصالحين من عبادك والمؤمنين بك! اللهم إن تيار الشعر الحديث الذي ليس بالشعر تيار جارف يكاد يعصف بالشعر العربي الأصيل اللهم فأخذله واخذل أهله فلا يطمسوا جمال الشعر العربي الأصيل الموزون والمقفى! اللهم إن كثيراً من النقاد اليوم قد انخرطوا في سلك الشعر الحر هذا وأخذوا يثورون على الشعر العربي الأصيل باسم الحداثة ربنا ليضلوا عن سبيلك ومن سبيلك اللغة العربية لأنها لغة كتابك وسنة نبيك - صلى الله عليه وسلم - ربنا اطمس على محاولاتهم الدنيئة فلا تنتصر ولا تحقق مرادها من انتقاص العربية لغة الضاد شعراً ونثراً! في مقالة عنوانها: (الشاعر والشعور والشعر الحديث) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (إن المشكلة الكبرى التي تواجهنا هي أن معظم نقادنا انساقوا في تيار "الشعر الحديث" ، فأخذوا على عاتقهم مهمة شرحه أو "تشريحه" لكي يصل إلى القرءاء واضحاً سلساً ؛ فزادوا الغموض غموضاً ، وعملوا على تطوير نقد حديث يلائم الشعر الحديث ويجاريه في إبهامه وتفككه وضياعه ، فاستحقوا بذلك شرف تثبيت أركانه وتعزيز صموده ، وحثه على الاستمرار قديماً في مجاهل الضلال المظلمة! أعود فأطرح السؤال مجدداً لكن على النقاد هذه المرة: من أين لنا النقد الهادف والبناء ، وليس ثم شعورٍ واعٍ للدور المنوط ، للواجب المتحتم ، والمسؤولية الإنسانية؟ إن نقد الشعر ليس تحليلاً للكلمة أو للحرف أو الجملة ، ولا هو إمعانٌ في تجزئة الجمل والكلمات أو حتى الحروف ؛ إن نقد الشعر أولاً نظرةً كليةً لكلية القصيدة ، ونظرةً إنسانيةً للإنسانية في القصيدة ، ونظرةً شعوريةً للشعور في القصيدة. إن النقد في جوهره وعيٌ لدور الشاعر ولرسالته في شعره ؛ ولهذا يجب على الناقد أن يكون واعياً لدوره ولرسالته في النقد. يقول ميخائيل نعيمة: (أما النقد الذي لا غنى للأدب عنه ، فهو النقد الذي يقيم للأدب أهدافاً تتناسب وعظمة الإنسان من حيث هو كائن لا نهاية لما في كيانه من الأسرار والقوى التي تجعله يصبو دائماً أبداً إلى الانعتاق من القيود والحدود والسدود مهما يكون نوعها. وهذا النقد لا يتغافل عن أن الإنسان لا يزال من لحم ودم ، وأن اللحم والدم متطلبَاتهما ومشكلاتهما. ولكنه يأبى على الأدب أن يكون مرآة لا تعكس من الإنسان أكثر من لحمه ودمه ، فتوهمه أن الذي يراه فيها من ذاته هو كلُّ ذاته. وهكذا تقعد به عن الطموح إلى ما هو أبعد وأسمى وأبقى من حاجات اللحم والدم ، فتُحكِم عليه قيوده وحدوده وسدوده بدلاً من أن تساعد على الانفلات منها. والناقد الذي يُحسِن ذلك النوع من النقد هو الناقد الذي سبَرَ من الإنسان أعمق أعماقه ، وتسلَّق أعلى أعاليه ، فبات يحسُّه كأنناً قدماه على الأرض أما رأسه ففي السماء. وهذا الناقد لا ينظر إلى الكلمة نظرة القارئ العادي ولا نظرة الكاتب المتعنت. فهي عنده أكثر من أداة للتعبير ، وأكثر من وسيلة للوشي وللتميق والتمويه والتسلية والبهرجة والحذقة. إنها المجرمة التي فيها يحرق الإنسان بخور أشواقه. وإنها المصباح الذي ينير له طريق الحق والجمال ، والمفتاح الذي يلج به الأبواب الموصدة في وجهه. وهي لا نفع منها ما لم يتجلَّ الصدق في كلِّ حرف من حروفها. والكلمة الصادقة جميلة أبداً. أما الكلمة الكاذبة فهي البشاعة بعينها ، وقد استعارت أثواب الجمال. وهي السمُّ في الدسم لقائلها ولكاتبتها ، ولسامعها ولقارئها بالسواء. ذلك هو النقد الذي أجَّله ، وما عداه فأكثره هباءً في هباء). هـ. وأعتقد أن ميخائيل نعيمة - مهما اختلفت معه - إلا أنه هنا قد ضرب على الوتر الذي أعني! إنه لا بد من نقد صادق واعٍ يستوعب المرحلة وطبيعتها ويؤمن بإنسانية الشعر بالمعنى الحقيقي للكلمة! وإذن فالناقد الصادق هو الذي لا يقف على ظاهر الألفاظ والكلمات

والتعبيرات ولكنه يذهب إلى ما وراء النص والكلمة واللفظة! وفي مقالة عنوانها: (الشاعر والشعور والشعر الحديث) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (ولقد أسعدني أن أقرأ مؤخراً مقالاً للناقد السوري عبد الفتاح قلعه جي في جريدة تشرين اليومية ، يتناول فيه إمكانية سبر الناقد للشعر الرويوي وأهمية العبور من الخارج إلى الداخل ، من الظاهر إلى الباطن ، في عملية "نقد" القصيدة المفعمة بالشعور الداخلي. جاء في ذلك المقال: العبور من البراني إلى الجواني ضرورة بالنسبة للناقد ؛ وهو الدخول الحقيقي في طقس الأشياء. ولكن هذه المهمة لا يستطيع أن يضطلع بها إلا من يملك الذائقة الجوانية والقادر على الاستبصار بالحدس. كيف يستطيع ناقدٌ تجزيني براني أن يتخلص من شبك النسيج اللغوي ومن ثوابت النقد الجمالي في منهجه الشكلائي – وربما القوالب النقدية الجاهزة – ويتماهي في تانية ابن الفارض ، أو حكايات العطار الشعرية في منطق الطير ، أو إبراقات ابن عربي في ترجمان الأشواق ، يخلق فيها الروح في مدار أبدي؟! ويستطرد موضحاً أهمية التكامل بين البراني والجواني في الرمز والتعبير: والعبور إلى الجواني لا يكون إلا عن طريق البراني. فالناقد الذائق العرف يدرك أن الألفاظ والعبارات والبديعيات والصور ، حسية كانت أو تخيلية ، ونثار العواطف والمعاني ما هي إلا رموزٌ ومعالم طريق إلى جوانية القصيدة. "الدخول في طقس القصيدة – الفتح أو القصيدة – الإشرقة أمرٌ مجهد بقدر ما هو ممتع للناقد لأنه يتطلب منه حالة ارتقاء روحية ، واستخداماً لأدوات نقدية جديدة تستطيع أن تحيط الجوهر في أناة ودقة ، وتقوم بإبرازه في جلاء ، مضيئة إياه من جميع جوانبه ، مع مجانبية كل تجزئ يفتت كلية العمل الشعري الرويوي. إذاً أمام نقادنا مهمتان أوليتان: أولاً فرز العمل الشعري الشعوري ، أو كما أسماه الأستاذ قلعه جي "الرويوي" من بين الكم الهائل من الشعر المقيد والضائع ؛ ومن بعد نقد هذا العمل الإبداعي بأسلوب إبداعي. وإن لا يتم سبر أعماق العمل الداخلي والكلّي إلا بالقدرة على الاستبطان وبالكلية في النظرة النقدية. وهذا يتطلب من الناقد عملاً معمقاً على الذات هو عينه العمل المطلوب من الشاعر تحقيقه. بغير هذا الجو يصعب على القصيدة الحديثة أن تؤدي رسالةً ودوراً في عالمنا المعاصر). هـ. أقول: وأخيراً وليس آخراً فإنني أكاد أجزم بأن شعرنا العربي الأصيل يعيش اليوم مرحلة من الترددي بدرجة لا توصف! حيث ينظر إليه الكثيرون على أنه كان يناسب الظلامية وعصر ما قبل التاريخ! والعكس هو الصحيح! فإن شعر الحداثة أو الشعر الحر أو ما يحلو لي أن أسميه بالاشعر واللانثر المتفلت هو الأولى بهذه التسمية! إن أصحابه لما عجزوا عن المجيء بالشعر العربي الموزون المقفى راح الشيطان يلعب بالواحد منهم ويصور له أن التفلت من الوزن والقافية هو الوضع الصحيح! إننا في ديوان: (وداعاً أيها الشعر!) نقدمه للناس وللتاريخ ليكون شاهداً على إمكانية التغني بشعر العرب ولو في القرن الخامس عشر الهجري أو الحادي والعشرين الميلادي! إن ديوان (السليمانيات) بألفه السبعة من الصفحات ليقدم الدليل على أن الشعر العربي الأصيل لم يتغير ولم يتبدل ، وإنما الذي تغير وتبدل هو الشاعر الذي تسمى بالشاعر زوراً وبهتاناً! إنني لم أعمد إلى شعر التفعيلة أو تفعيلية الشعر إلا مرة واحدة ، ولم أكررها! بل بالعكس إنني اعتذرت في وسطها وفي آخرها للشعر العربي الأصيل! إن الذي دعاني لكتابتها (أقصد قصيدة: قراءة في أوراق الماضي – ديوان عزيز النفس) هو التصنيف الفني فقط! وكنت قد رثيت عيني التي أصيبت في حادث سير عام 1994م ، وأودى ذلك الحادث بها! حيث بقيت في مكانها دون عمل! وكان ذلك من فضل الله! وكتبت على البحور الستة عشر ومقلوبات البحور! والله يقول الحق وهو يهدي السبيل!

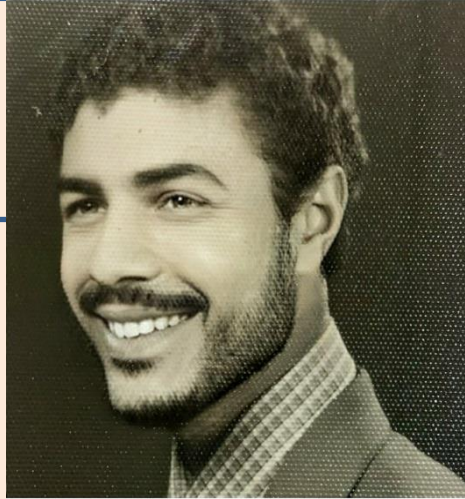
فهرست القصائد & مسرد موسيقي – (وداعاً أيها القريض!)

الصفحة	القافية	البحر	عنوان القصيدة	مسلسل
7	دء			الإهـ
9	مة	د	ق	المـ
11	د	ي	هـ	التـ
13	ية	اح	ت	الافـ
15	للاف	الغـ	وع	موـ
17	نـوان؟!	ذا العـ	إذا هـ	لمـ
19	مـاة!	الكـا	الأعـمـمـال	فكـرة
25	ان	نـ	كـرّ وامتـ	شـ
27	قافية متنوعة	مجزوء الوافر	رحمناً يا رحمن! (معارضة لعجلان ثابت)	1
35	قافية متنوعة	مجزوء الرمل	مصطفى يا مصطفى! (معارضة لأحمد اليافعي)	2
46	ويعتب	الكامل	القصيدة الزينية 2	3
60	المرتقى	الكامل	تحيتي لموقع الشعر والشعراء	4
63	من مُثَنِّ	الرمل	محاكاة لامية ابن الوردي	5
78	بالعارِ	البسيط	لولا حُرمة البيت لذدتك!	6
83	رَقدا	الرمل	تضحية بطلها كلب!	7
86	كلام	الخفيف	خير الكلام في سيرة ابن سلام!	8
92	الميزان	الكامل	امرأة تزوجت رجُلين!	9
97	العاملِ	المتقارب	الملاذ في سيرة سعد بن معاذ!	10
103	بالصنم	البسيط	السراج المضاء في مدح أبي الدرداء	11
109	وانتصارا	الوافر	الوردُ المرغوب في مدح أبي أيوب!	12
115	للغيرِ	الطويل	الخلاص في مدح عمرو بن العاص!	13
123	واصدقوا	الكامل	نعمتِ الأخت ، وبنس الإخوة!	14
133	مُسْتَعْبِراً لانا	البسيط	شكوى امرأة مظلومة (نانا)	15
136	تخَطُرُ	الطويل	دقيق الوصف في سيرة ابن عوف!	16
145	ما فِتنتنا	الوافر	فتنة الغربية!	17
153	والوردِ	البسيط	تحية للأستاذ مهدي سعد زغلول!	18
159	بأن يَخيبا	الوافر	بُشرى لمرضى السرطان!	19
162	جُمَانا	الكامل	الوشاح السُنديسي في مدح سلمان الفارسي!	20
167	شعاعه	الوافر	أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي وأحمد)	21

172	المجدُّ	البسيط	إتحاف الخواص في مدح سعد بن أبي وقاص	22
176	في ذاتي	المتدارك	الحيدة في مدح أبي عُبيدة	23
182	الشرفاء	الكامل	مروءة ولي زمانها!	24
195	أمرتنا	الوافر	مكافأة لا قصاص!	25
199	مُغرم	الطويل	أصابك عشق أم رُميت بأسهم؟!	26
208	العيون	الرمل	زلزال تركيا المدمر 2023م!	27
220	الخبز	الرمل	المقابر تتكلم 2 (نصيحة لزانري القبور)	28
242	الأشراف	الخفيف	أصهار خارج نطاق الخدمة!	29
245	العصب	الرمل	قبيلة خلعت بُرَقَ الحياء!	30
252	يدان	المتقارب	المقابر تتكلم 5 (ميت يطرد المُعزين فيه!)	31
256	همي	الرمل	وهل كانت مروعتي كلاماً؟! (حكاية الدكتورة سارة!)	32
259	يذكر	المتقارب	المقابر تتكلم 3 (وصية أصحاب القبور)	33
282	غفلوا	المتدارك	المقابر تتكلم 4 (حوار بين ميت وقبره)	34
295	بالمكار	الكامل	دمه وماله وعرضه!	35
305	واحترامي	الخفيف	سعة علم أبي يزيد البسطامي	36
309	يات	مات	اتمة السلي	خ
313	را		يرا ، ولييس آخ	وأخ
317	موسيقي	مسررد	القصاصاندد	فهرس

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (وداعاً أيها القريض!)

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم



(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صعيديّ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله - سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

- 1 - نهاية الطريق: (ديوان شعر).
- 2 - عزيز النفس: (ديوان شعر).
- 3 - سويغات الغروب: (ديوان شعر).
- 4 - القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
- 5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
- 6 - الأمل الفواح: (ديوان شعر).
- 7 - من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
- 8 - الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
- 9 - ذل الجمال: (ديوان شعر).
- 10 - ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
- 11 - دموع التصبر: (ديوان شعر).
- 12 - عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
- 13 - فأعضوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
- 14 - الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
- 15 - غادة اليمين: (ديوان شعر).
- 16 - عزة الخير: (ديوان شعر).
- 17 - منار الخير: (ديوان شعر).
- 18 - غربة وحربة وكربة: (ديوان شعر).
- 19 - الطيببتان: (ديوان شعر).
- 20 - عجبْتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
- 21 - أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
- 22 - كالكابض على الجمر: (ديوان شعر).
- 23 - من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
- 24 - خانك الغيث: (ديوان شعر).
- 25 - الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
- 26 - وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).
- 27 - يا شعرُ كن لي شاهداً! (ديوان شعر)

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

- 1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
- 2 - قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية وشعرائها: عنتره بن شداد العبسي.
- 3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
- 4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم. (ترجمة عني بقلم)
- 5 - ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم -!
- 6 - إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرت بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

- 1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
- 2 – القاتل البطيء (التدخين)
- 3 – بين شوقي وحافظ!
- 4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
- 5 – عُمير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
- 6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
- 7 – من أجل زوجي!
- 8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
- 9 – فرانك كابرियो (القاضي الأمريكي الرحيم)
- 10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
- 11 – يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
- 12 – رباعيات الخيام اليمينية (معارضة لعمر الخيام)
- 13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
- 14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهرأ
- 15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
- 16 – أتيناكم! أتيناكم!
- 17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
- 18 – أستاذي قال لي! (عريف الكتاب – رحمه الله -)
- 19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
- 20 – أسماء الله الحسنى
- 21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
- 22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
- 23 – موقع (الديوان) منتج الشعراء
- 24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
- 25 – أبجديات شعرية
- 26 – الشعر رحم بين أهله
- 27 – الله يرحم مُرنة
- 28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
- 29 – امتّهنوا فما امتّهنوا! (علماء السلف رحمهم الله)
- 30 – تراني عندما أرى لحيتك!
- 31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
- 32 – بردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
- 33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
- 34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
- 35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
- 36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
- 37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
- 38 – بكائية إسماعيل علي سليم (فقيه التربية والتعليم)
- 39 – نعم الميت ، ونعمت الميتة! (رثاء فقيه الأزهر الشريف)

- 40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
- 41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
- 42 – تغيير الحال أم الخال؟!
- 43 – تلميذي البار شكراً!
- 44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محلاً فورثها)
- 45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
- 46 – جاز المعلم وفه التبجيلاً! (معارضة لشوقي)
- 47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
- 48 – حبيبي أقبلي! (معارضة لجاءت معذبتى لابن الخطيب)
- 49 – حرامية الشعر!
- 50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
- 51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
- 52 – خالك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
- 53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
- 54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
- 55 – رسالة إلى دانة!
- 56 – رضية الحاوية (رماها أبوها رضية فنفته في كبره)
- 57 – رفقا بنفسك يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
- 58 – رفيده بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
- 59 – سلطان المجنوني (راند القصة الهادفة)
- 60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
- 61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
- 62 – ضحية تعبت على قاتلها (بعد استشراف ظاهرة قتل البنات)
- 63 – طببت حياً وميتاً يا أبتاه!
- 64 – طببت حياً وميتاً يا رسول الله!
- 65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
- 66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
- 67 – عاشق عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
- 68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
- 69 – عجبث للنذل
- 70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبث لا تنتهي)
- 71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
- 72 – وربما حار الدليل!
- 73 – يا جارة الوادي اليمينية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
- 74 – لصوص القريض
- 75 – لقاوننا في المحكمة
- 76 - لوعة الرحيل
- 77 - مسألة كرامة (تحويل) (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى
- 78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
- 79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهم الله -)

- 80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
 81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
 82 – ميلاد أمة بميلاد نبينا (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
 83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
 84 – الأطلال اليمينية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
 85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

- 1 – الغربية سلبيات وإيجابيات
 2 – إلى هؤلاء أتكلم!
 3 – آمال وأحوال
 4 – أمتي الغائبة الحاضرة
 5 – أنات محموم وآهات مكلوم
 6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
 7 – تحية شعرية والرد عليها
 8 – رمضان شهر الخير والبركة
 9 – عندما لا نجد إلا الصمت
 10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
 11 – بيني وبينك!
 12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
 13 – دموع الرثاء وكاء الخداء (1 & 2)
 14 – رجالاً لعب بهم الشيطان
 15 – رسائل سليمانة شعرية
 16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
 17 – شرخ في جدار الحضارة
 18 – شريكة العمر هذي تحايك! (أم عبد الله)
 19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2 & 3)
 20 – عندما يُثمر العتاب
 21 – فمثله كمثله الكلب!
 22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
 23 – كل شعر صديق شاعره
 24 – مساجلات سليمانة عشاوية
 25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
 26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
 27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
 28 – الشهادة خير من النفوق!
 29 – الصبر ترياق العلل والداءات
 30 – الصعيد مهد المجد والسعد
 31 – الضاد بين عدو وصديق
 32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
 33 – الغربية ذربة على الطريق

- 34 - الغيرة غير القاتلة
- 35 - القصيدة ابنتي
- 36 - اللغة العربية وصراع اللغات
- 37 - اللقيط برئ لا ذنب له!
- 38 - المال والجمال والمآل
- 39 - المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
- 40 - المعلم صانع الأجيال
- 41 - الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
- 42 - اليثم غنم لا غرم
- 43 - أمومة وأمومة
- 44 - أهازيج بين الشعر والشاعر
- 45 - أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
- 46 - أهكذا يُعامل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
- 47 - بين الفتنة والفتنة!
- 48 - بين هندٍ وزيد!
- 49 - جيران وجيران!
- 50 - رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
- 51 - عزة الخير (أم عبد الله)
- 52 - فذاك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
- 53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
- 54 - مدائح إلهية شعرية
- 55 - اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
- 56 - البُردات الشعرية السليمانية
- 57 - عيون الدواوين السليمانية
- 58 - معارضات سليمان شوقية (معارضاتي لشوقي)
- 59 - المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
- 60 - مقدمات وإهداءات شعرية
- 61 - من أزهير الكتب
- 62 - من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
- 63 - من أناشيد الأفراح
- 64 - نحويات شعرية
- 65 - نساء صقلتهن العقيدة
- 66 - نساء لعب بهن الشيطان
- 67 - وتبقى الحقيقة كما هي!
- 68 - وصايا شعرية!
- 69 - أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
- 70 - النفس في شعر أحمد علي سليمان
- 71 - الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
- 72 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
- 73 - الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
- 74 - الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
- 75 - العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

- 76 - المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 - علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 - رسائل شعرية لمن يهمله الأمر
80 - ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 - مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 - المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 - التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 - أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 - نصيب طلابي من شعري
87 - حضارة البطنة لا الفطنة
88 - إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 - لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 - الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 - دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 - المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 - القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 - وترجون من الله ما لا يرجون
95 - قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 - الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 - الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 - صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 - الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 - لماذا؟
101 - (لا) كلمة لها وقتها!
102 - هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أحرز عمّن هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 - أين؟!
107 - الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 - القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 - أيومة إلى الأبد!
112 - شتان بين البر والعقوق
113 - الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 - الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

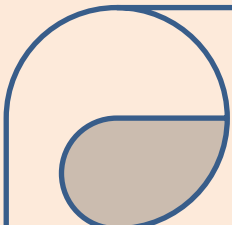
- 118 – الأميرات الثلاث!
 119 – عندما!
 120 - تحايا شعرية سليمانية (3&2&1)
 121 – القصيدة الزينية 2
 122 – شمس العرب تسطع على الغرب!
 123 – تحيتي لموقع الشعر والشعراء!
 124 - الخلق والعلم معاً - الأستاذ محمد الكيلاني!
 125 - الشعر حنينٌ ورنينٌ وأنين!
 126 - امرأتان من صعيد مصر! (هاجر&مارية)
 127 - إنها تذكرة!
 128 - زواجٌ بالإكراه!
 129 - شعرٌ يؤبّن صاحبه!
 130 - وهل من مات يعود إلى الدنيا؟!
 131 - محاكاة لامية ابن الوردى!
 132 - امرأة تزوجت رجلين!
 133 - تحية للأستاذ مهدي سعد زغلول (معلم اللغة العربية بمدرسة كفر سعد الثانوية)
 134 - أصابك عشقٌ أم رُميتَ بأسهم؟ (محاكاة ليزيد بن معاوية)
 135 – مروءة ولى زمانها!
 136 – مكافأة لا قصاص! (عمر بن عبد العزيز)
 137 - أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي وأحمد)
 138 – زلزال تركيا المدمر!
 139 - المقابر تتكلم 2 – (نصيحة لزانري القبور)
 140 - المقابر تتكلم 3 – (وصية أصحاب القبور)
 141 – المقابر تتكلم 4 – (حوار بين ميت وقبره!)
 142 – دمه وماله وعرضه!
 143 – سعة علم أبي يزيد البسطامي!
 144 – رمضان أشرق!
 145 – يا شعرُ كن لي شاهداً!
 146 المقابر تتكلم 6 (العفو عند المقبرة)

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة مختلفة الموضوعات ومتنوعة في الكم والكيف!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
- 4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

- 
- 5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)**
 - 6 - Conversation Skills**
 - 7 - Correction Exercise (1-100)**
 - 8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)**
 - 9 - Grammar Tasks (1-77)**
 - 10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)**
 - 11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)**
 - 12. Punctuation Tasks (1-56)**
 - 13. Reorder Quizzes (1-34)**
 - 14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)**
 - 15. Writing Practices (1-76)**
 - 16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)**
 - 17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)**
 - 18. Raymond's Run – Toni Bambara**
 - 19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)**
 - 20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)**
 - 21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)**
 - 22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)**

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!

Teaching English - Arabic and Religion only to the foreign students

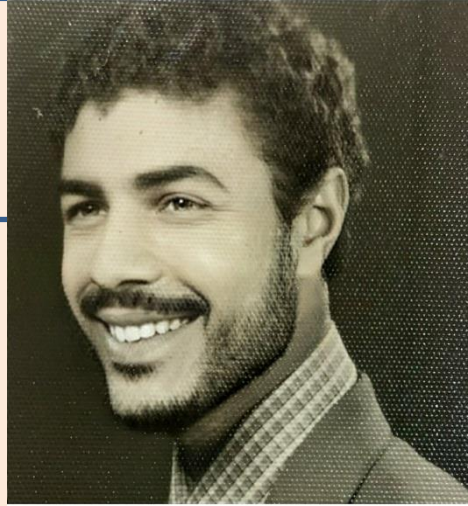
Academic Rank	Teacher - Coordinator – English - Programmer – Poet – Writer
Degrees	Bachelor of Arts .Department of English and its Literature , Mansoura University – Egypt , May 1985.
Research field	Teaching English as a first language. Teaching social studies. Teaching Arabic using Arabic or English. Teaching French. Teaching Social Studies to Non-Arabs .Teaching Literature
Publications	<ol style="list-style-type: none"> 1. The Basics of Education. (Criticism) New Education Magazine 2. Education Yesterday, Today and Tomorrow. Forum 3. Modern technology and Education. Usual Reader 4. The Best Qualities of a good teacher. Forum 5. How to teach Vocabulary. (Criticism) Forum 6. How to teach a song. Forum 7. How to teach a short story. Usual Reader 8. How to study English with your son. Usual Reader 9. How to present general information. Usual Reader 10. Skimming Reading and Scanning Reading Skills. 11. William Hazlet as a critic. 12. Aldous Huskily as a critic. 13. Styles of translation. 14. How to teach Grammar.

	<p>15. Writing Operation Skills.</p> <p>16. The Listening Lesson.</p> <p>17. Glorious Classroom Management.</p>
	<p>18 – How to prepare your exam paper.</p>
<p>Courses taught (last 3 years)</p>	<p>1. Straight Planning (European System)</p> <p>2. Strategic Planning (American System)</p> <p>3. Poor Students Evaluation.</p> <p>4. Education Theories.</p> <p>5. Scientific Research Results.</p> <p>6. The Successful Education.</p> <p>7. Advantages of Culture and disadvantages of it.</p> <p>8. Roles of Computers in Educational Operation.</p> <p>9. English away from Classroom.</p> <p>10. How to test your students.</p>
<p>Employment</p>	<p>* English Teacher from 1986- 1990 in Egypt (Secondary Stage)</p> <p>* English Teacher since 1996 in Ajman (Primary Stage)</p> <p>* English Teacher since 2008 in UAQ (Preparatory Stage)</p> <p>* English Teacher since 2009 in RAK (Preparatory Stage)</p> <p>* English Teacher and English Coordinator since 2010 till today in the (American English) in the American Department. For the upper grades from 7 , 8 , 9 American.</p>

Honors and Awards	<ol style="list-style-type: none"> 1. Appreciation Certificate from faculty of Arts 1985 in Translation. 2. Appreciation Certificate from Secondary Institute in 1986. 3. Appreciation Certificate from Al-Rashidiah School in 1993 4. Appreciation Certificate in 1998. 5. Appreciation Certificate in 2008. 6. Appreciation Certificate from Modern School in 2009. 7. Appreciation Certificate from National School in 2010. 8. Arabic Protection Community 2004.
Volumes of Poetry	<ol style="list-style-type: none"> 1 – The End of the Road 2 – The Confident Man 3 – The Hours of the Sunset 4 – The Bloody Snail 5 – A Tone on the Love's Wall 6 – The Perfume Aspiration 7 – The Tendency of Memories (Part One) 8 – The Upper-Egyptians had arrived! 9 – The Surrendering of the Beauty 10 – The Shoes Woman-Cleaner 11 – Patience Tears 12 – Blaming and Complaint 13 – Say frankly without Simulation 14 – Poetry is my Rosary 15 - Yemeni Young Girl 16 – Azzah, the Lady of Goodness

	<p>17 – The Beacon of Goodness</p> <p>18 – Estrangement, Bayonet and Sadness</p> <p>19 – The Two Women –doctors</p> <p>20 – I wander of the Ability of Allah, The Al-Mighty</p> <p>21 - The Gentlemen of the Sacred Land</p> <p>22 – Like the One who catches Fire!</p> <p>23 - The Tendency of Memories (Part Two)</p> <p>24 – The Rain betrays you!</p> <p>25 – Poetry is a Merciful Mother among Poets!</p> <p>26 – Bye Bye , My Poetry!</p>
<p>Other Literary Books</p>	<p>1 – Stylish Reading in the Poetry of Hassan Bin Thabit Al-Ansari – May Allah Be Pleased with Him -.</p> <p>2 - Stylish Reading in the Poetry of Antara Bin Shaddad Al-Absi.</p> <p>3 – The Story life and the Self-Road</p> <p>4 – Ahmad Solaiman's Life</p>

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم



(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعى روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صعيديّ فح أباً وجداً وأعاماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أحميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله - سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

- 1 - نهاية الطريق: (ديوان شعر).
- 2 - عزيز النفس: (ديوان شعر).
- 3 - سويغات الغروب: (ديوان شعر).
- 4 - الفوقعة الدامية: (ديوان شعر).
- 5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
- 6 - الأمل الفواح: (ديوان شعر).
- 7 - من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
- 8 - الصعابدة وصلوا: (ديوان شعر).
- 9 - ذلّ الجمال: (ديوان شعر).
- 10 - ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
- 11 - دموع التصبر: (ديوان شعر).
- 12 - عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
- 13 - فأعْضُوهُ ولا تكنوا: (ديوان شعر).
- 14 - الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
- 15 - غادة اليمن: (ديوان شعر).
- 16 - عزة الخير: (ديوان شعر).
- 17 - منار الخير: (ديوان شعر).
- 18 - غربة وحرّبة وكربة: (ديوان شعر).
- 19 - الطبيبتان: (ديوان شعر).
- 20 - عجبْتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
- 21 - أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
- 22 - كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
- 23 - من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
- 24 - خاتك الغيث: (ديوان شعر).
- 25 - الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
- 26 - وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).
- 27 - يا شعرُ كن لي شاهداً! (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

- 1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
- 2 - قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية وشعرانها: عنتره بن شداد العبسي.
- 3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
- 4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
- 5 - ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم -!
- 6 - إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرت بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

- 1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحيأ!
- 2 – القاتل البطيء (التدخين)
- 3 – بين شوقي وحافظ!
- 4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
- 5 – عمير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
- 6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
- 7 – من أجل زوجي!
- 8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
- 9 – فرانك كابرियो (القاضي الأمريكي الرحيم)
- 10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
- 11 – يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
- 12 – رباعيات الخيام اليمينية (معارضة لعمر الخيام)
- 13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
- 14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهرأ
- 15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
- 16 – أتيناكم! أتيناكم!
- 17 – أحمد الجدد مؤرخاً وشاعراً ونحويأ وناقداً
- 18 – أستاذي قال لي! (عريف الكتاب – رحمه الله -)
- 19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
- 20 – أسماء الله الحسنى
- 21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
- 22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
- 23 – موقع (الديوان) منتج الشعراء
- 24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
- 25 – أبجديات شعرية
- 26 – الشعر رحم بين أهله
- 27 – الله يرحم مزنه
- 28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
- 29 – امتهنوا فما امتهنوا! (علماء السلف رحمهم الله)
- 30 – تراني عندما أرى لحيتك!
- 31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
- 32 – برّدة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
- 33 – برّدة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
- 34 – برّدة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
- 35 – برّدة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
- 36 – برّدة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
- 37 – برّدة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
- 38 – بكائية إسماعيل علي سليم (فقد التربية والتعليم)
- 39 – نعم الميت ، ونعمت الميتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

- 40 - تحية رقيقة إليك يا غدير!
- 41 - تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
- 42 - تغيير الحال أم الخال!؟
- 43 - تلميذي البار شكراً!
- 44 - تيس يرث نعجة! (جيء به محلاً فورثها)
- 45 - ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
- 46 - جاز المعلم وفه التبجيلاً! (معارضة لشوقي)
- 47 - حادي القلوب (ظفر النتيفات)
- 48 - حبيبي أقبلت! (معارضة لجاءت معدبتي لابن الخطيب)
- 49 - حرامية الشعر!
- 50 - حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
- 51 - حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
- 52 - خاتك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
- 53 - رثاء الدكتور الشرييني أبو طالب (معارضة لشوقي)
- 54 - رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
- 55 - رسالة إلى داننة!
- 56 - رضية الحاوية (رماها أبوها رضية فنفته في كبره)
- 57 - رفقاً بنفسك يا صاحبة الدموع (عائشة - رضي الله عنها -)
- 58 - رفيدة بنت سعد الأسلمية - رضي الله عنها -
- 59 - سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
- 60 - سمية بنت خياط - رضي الله عنها -
- 61 - سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
- 62 - ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
- 63 - طببت حياً وميتاً يا أبتاه!
- 64 - طببت حياً وميتاً يا رسول الله!
- 65 - طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي - رحمه الله -)
- 66 - ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
- 67 - عاشق عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
- 68 - موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
- 69 - عجبث للنذل
- 70 - عجبث من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبث لا تنتهي)
- 71 - غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
- 72 - وربما حار الدليل!
- 73 - يا جارة الوادي اليمينية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
- 74 - لصوص القريض
- 75 - لقاؤنا في المحكمة
- 76 - لوعة الرحيل
- 77 - مسألة كرامة (تحويل) (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى
- 78 - كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
- 79 - مصابيح الدجى (علماء السلف - رحمهم الله -)

- 80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
 81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
 82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
 83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
 84 – الأطلال اليمينية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
 85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

- 1 – الغربية سلبيات وإيجابيات
 2 – إلى هؤلاء أتكلم!
 3 – آمال وأحوال
 4 – أمتي الغائبة الحاضرة
 5 – أنات محموم وآهات مكلوم
 6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
 7 – تحية شعرية والرد عليها
 8 – رمضان شهر الخير والبركة
 9 – عندما لا نجد إلا الصمت
 10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
 11 – بيني وبينك!
 12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
 13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
 14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
 15 – رسائل سليمانة شعرية
 16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
 17 – شرخ في جدار الحضارة
 18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
 19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2 & 3)
 20 – عندما يُثمر العتاب
 21 – فمثله كمثل الكلب!
 22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
 23 – كل شعر صديق شاعره
 24 – مساجلات سليمانة عشمأوية
 25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
 26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
 27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
 28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
 29 – الصبر ترياق العلل والداءات
 30 – الصعيد مهد المجد والسعد
 31 – الضاد بين عدو وصديق
 32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
 33 – الغربية دُرْبة على الطريق

- 34 - الغيرة غير القاتلة
- 35 - القصيدة ابنتي
- 36 - اللغة العربية وصراع اللغات
- 37 - اللقيط برئ لا ذنب له!
- 38 - المال والجمال والمآل
- 39 - المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
- 40 - المعلم صانع الأجيال
- 41 - الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
- 42 - اليثم غنم لا غرم
- 43 - أمومة وأمومة
- 44 - أهازيج بين الشعر والشاعر
- 45 - أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
- 46 - أهكذا يُعامل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
- 47 - بين الفتنة والفتنة!
- 48 - بين هندٍ وزيد!
- 49 - جيران وجيران!
- 50 - رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
- 51 - عزة الخير (أم عبد الله)
- 52 - فذاك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
- 53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
- 54 - مدائح إلهية شعرية
- 55 - اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
- 56 - البُردات الشعرية السليمانية
- 57 - عيون الدواوين السليمانية
- 58 - معارضات سليمان شوقية (معارضاتي لشوقي)
- 59 - المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
- 60 - مقدمات وإهداءات شعرية
- 61 - من أزاهير الكتب
- 62 - من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
- 63 - من أناشيد الأفراح
- 64 - نحويات شعرية
- 65 - نساء صقلتهن العقيدة
- 66 - نساء لعب بهن الشيطان
- 67 - وتبقى الحقيقة كما هي!
- 68 - وصايا شعرية!
- 69 - أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
- 70 - النفس في شعر أحمد علي سليمان
- 71 - الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
- 72 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
- 73 - الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
- 74 - الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
- 75 - العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

- 76 - المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 - علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 - رسائل شعرية لمن يهمله الأمر
80 - ماذا قال لي شعري؟ وبم أحبته؟
81 - مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 - المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 - التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 - أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 - نصيب طلابي من شعري
87 - حضارة البطنة لا الفطنة
88 - إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 - لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 - الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 - دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 - المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 - القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 - وترجون من الله ما لا يرجون
95 - قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 - الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 - الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 - صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 - الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 - لماذا؟
101 - (لا) كلمة لها وقتها!
102 - هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أحرث عمّن هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 - أين؟!
107 - الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 - القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 - أيومة إلى الأبد!
112 - شتان بين البر والعقوق
113 - الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 - الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

- 118 – الأميرات الثلاث!
 119 – عندما!
 120 - تحايا شعرية سليمانية (3&2&1)
 121 – القصيدة الزينية 2
 122 – شمس العرب تسطع على الغرب!
 123 – تحيتي لموقع الشعر والشعراء!
 124 - الخلق والعلم معاً - الأستاذ محمد الكيلاني!
 125 - الشعر حنينٌ ورنينٌ وأنين!
 126 - امرأتان من صعيد مصر! (هاجر&مارية)
 127 - إنها تذكرة!
 128 - زواجٌ بالإكراه!
 129 - شعرٌ يؤبّنُ صاحبه!
 130 - وهل من مات يعود إلى الدنيا؟!
 131 - محاكاة لامية ابن الوردى!
 132 - امرأة تزوجت رجلين!
 133 - تحية للأستاذ مهدي سعد زغول (معلم اللغة العربية بمدرسة كفر سعد الثانوية)
 134 - أصابك عشقٌ أم رُميتَ بأسهم؟ (محاكاة ليزيد بن معاوية)
 135 - مروءة ولى زمانها!
 136 - مكافأة لا قِصاص! (عمر بن عبد العزيز)
 137 - أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي وأحمد)
 138 - زلزال تركيا المدمر!
 139 - المقابر تتكلم 2 - (نصيحة لزانري القبور)
 140 - المقابر تتكلم 3 - (وصية أصحاب القبور)
 141 - المقابر تتكلم 4 - (حوار بين ميتٍ وقبره!)
 142 - دمه وماله وعرضه!
 143 - سعة علم أبي يزيد البسطامي!
 144 - رمضان أشرق!
 145 - يا شعرُ كن لي شاهداً!
 146 - المقابر تتكلم 6 (العفو عند المقبرة)

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة مختلفة الموضوعات ومتنوعة في الكم والكيف!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
- 4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!

Teaching English - Arabic and Religion only to the foreign students

Academic Rank	Teacher - Coordinator – English - Programmer – Poet - Writer
Degrees	Bachelor of Arts .Department of English and its Literature , Mansoura University – Egypt , May 1985.
Research field	Teaching English as a first language. Teaching social studies. Teaching Arabic using Arabic or English. Teaching French. Teaching Social Studies to Non-Arabs .Teaching Literature
Publications	<ol style="list-style-type: none">1. The Basics of Education. (Criticism) New Education Magazine2. Education Yesterday, Today and Tomorrow. Forum3. Modern technology and Education. Usual Reader4. The Best Qualities of a good teacher. Forum5. How to teach Vocabulary. (Criticism) Forum6. How to teach a song. Forum7. How to teach a short story. Usual Reader8. How to study English with your son. Usual Reader9. How to present general information. Usual Reader10. Skimming Reading and Scanning Reading Skills.11. William Hazlet as a critic.

	<p>12. Aldous Huskily as a critic.</p> <p>13. Styles of translation.</p>
	<p>14. How to teach Grammar.</p> <p>15. Writing Operation Skills.</p> <p>16. The Listening Lesson.</p> <p>17. Glorious Classroom Management.</p> <p>18 – How to prepare your exam paper.</p>
<p>Courses taught (last 3 years)</p>	<p>1. Straight Planning (European System)</p> <p>2. Strategic Planning (American System)</p> <p>3. Poor Students Evaluation.</p> <p>4. Education Theories.</p> <p>5. Scientific Research Results.</p> <p>6. The Successful Education.</p> <p>7. Advantages of Culture and disadvantages of it.</p> <p>8. Roles of Computers in Educational Operation.</p> <p>9. English away from Classroom.</p> <p>10. How to test your students.</p>

Employment	* English Teacher from 1986- 1990 in Egypt (Secondary Stage) * English Teacher since 1996 in Ajman (Primary Stage)
	* English Teacher since 2008 in UAQ (Preparatory Stage) * English Teacher since 2009 in RAK (Preparatory Stage) * English Teacher and English Coordinator since 2010 till today in the (American English) in the American Department. For the upper grades from 7 , 8 , 9 American.

Honors and Awards

1. Appreciation Certificate from faculty of Arts 1985 in Translation.
2. Appreciation Certificate from Secondary Institute in 1986.
3. Appreciation Certificate from Al-Rashidiah School in 1993
4. Appreciation Certificate in 1998.
5. Appreciation Certificate in 2008.
6. Appreciation Certificate from Modern School in 2009.
7. Appreciation Certificate from National School in 2010.
8. Arabic Protection Community 2004.

Volumes of Poetry

- 1 – The End of the Road
- 2 – The Confident Man
- 3 – The Hours of the Sunset
- 4 – The Bloody Snail
- 5 – A Tone on the Love's Wall
- 6 – The Perfume Aspiration
- 7 – The Tendency of Memories (Part One)
- 8 – The Upper-Egyptians had arrived!
- 9 – The Surrendering of the Beauty
- 10 – The Shoes Woman-Cleaner
- 11 – Patience Tears
- 12 – Blaming and Complaint
- 13 – Say frankly without Simulation
- 14 – Poetry is my Rosary

	<p>15 – Yemeni Young Girl</p> <p>16 – Azzah, the Lady of Goodness</p> <p>17 – The Beacon of Goodness</p> <p>18 – Estrangement, Bayonet and Sadness</p> <p>19 – The Two Women –doctors</p> <p>20 – I wander of the Ability of Allah, The Al-Mighty</p> <p>21 - The Gentlemen of the Sacred Land</p> <p>22 – Like the One who catches Fire!</p> <p>23 - The Tendency of Memories (Part Two)</p> <p>24 – The Rain betrays you!</p> <p>25 – Poetry is a Merciful Mother among Poets!</p> <p>26 – Bye Bye , My Poetry!</p>
Other Literary Books	<p>1 – Stylish Reading in the Poetry of Hassan Bin Thabit Al-Ansari – May Allah Be Pleased with Him -.</p> <p>2 - Stylish Reading in the Poetry of Antara Bin Shaddad Al-Absi.</p> <p>3 – The Story life and the Self-Road</p> <p>4 – Ahmad Solaiman's Life</p>